اول خطط ج

الجزء الاول من المواعظ والاعتبار
في الخطط والآثار للمقريزي

عدد ٢٥

تاريخ
٢٤٧٥

الأول من المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

٤٤٧٥

تأليف
الشيخ الإمام العالم
الحافظ العلامة شهاب الدين
أحمد بن علي بن عبد القادر
[illegible]

[illegible]

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع وتبصر واعتبر وتذكر أجزل الله
تعالى نواله وأنا حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي عرف وفهم، وعلم الانسان ما لم يكن يعلم، واسبغ على عباده نعما ظاهرة وباطنة، ووالى عليهم من مزيد آلايه مننا متظاهرة متواترة، وبثهم في ارضه حينا يتقلبون، واستخلفهم في ماله فهم به يتنعمون، هدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم، وشوقهم للتفنن في مسارح التدبر والركض في ميادين الفهوم، وارشد قوما الى الانقطاع من دون الخلايق اليه، ووفقهم للاعتماد في كل امر عليه، وصرف اخرين عن كل مكرمة وفضيلة، وقيض لهم قرنا قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيلة، وطبع على قلوب اخرين فلا يكادون يفقهون قولا، وثبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا، ثم حكم على الكل بالفنا، ونقلهم جميعا من دار المحن والابتلا الى برزخ البيود والبلا، وسيحشرهم اجمعين الى دار الجزا، ليوفي كل عامل منهم عمله، ويساله عما اعطاه وخوله، وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعد له، لا يسال عما يفعل وهم يسالون. احمده سبحانه حمد من علم انه اله لا يعبد الا اياه، ولا خالق للخلق سواه، حمدا يقتضي المزيد من النعم، ويوالي المنن بتجدد الالا، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله سيد البشر، وافضل من مضى وغبر، الجامع لمحاسن الاخلاق والسير، والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر، الذي كان نبيا وادم بين الما والطين، ورقم اسمه من الازل في عليين، ثم تنقل من الاصلاب الفاضلة الزكية الى الارحام الطاهرة المرضية، حتى ابتعثه الله عز وجل الى الخلايق اجمعين، وختم به الانبيا والمرسلين، واعطاه ما لم يعط من الفضل احدا من العالمين، وعلى اله وصحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين.

وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا، واشرفها عند العقلا مكانة وخطرا، لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الاخرة عن هذه الدار، والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها اولو النهى، لا جرم ان كانت الانفس الفاضلة به وامقة، والهمم العالية اليه مايلة وله عاشقة، وقد صنف الايمة فيه كثيرا، وضمن الجلة كتبهم منه شيا كثيرا، وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب اترابي، ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وحامتي، وموطن خاصتي وعامتي، وجوجوي الذي ربي جناحي في وكره، وعش

مآربي

مآربي فلا تهوى النفس غير ذكره، لا زلت مذ شذوت العلم واتاني ربي الفطانة والفهم ارغب في معرفة اخبارها، واحب الاشراف على الكثير من اثارها، واهوى مسايلة الركبان عن سكان ديارها، فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة من ذلك فوايد قل ما يجمعها كتاب، او يحويها لعزتها وغرابتها اهاب، الا انها ليست مرتبة على منوال، ولا مهذبة بطريقة واحدة ومثال، فاردت ان الخص منها انبا ما بديار مصر من الاثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية، وما بقي بفسطاط مصر من معاهدها غيرها او كاد البلى والقدم ولم يبق الا ان يمحو رسمها الفنا والعدم، واذكر ما بمدينة القاهرة من اثار القصور الزاهرة، وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع، وحوته من المباني البديعة الاوضاع، مع التعريف بحال من اسس ذلك من اعيان الاماثل، والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل، وانثر خلال ذلك نكتا لطيفة، وحكما بديعة شريفة، من غير اطالة ولا اكثار، ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار، بل وسط بين الطرفين، وطريق بين بين، فلهذا سميته كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار، واني لارجو ان يحظى ان شا الله عند الملوك، ولا ينبو عنه طباع العامي الصعلوك، ويجله العالم المنتهي، ويعجب به الطالب المبتدي، وترضاه خلايق العابد الناسك، ولا يمجه سمع الخليع الفاتك، ويتخذه اهل الرفاهة والبطالة سمرا، ويعده اولوا الراي والتدبير موعظة وعبرا، يستدلون به على عظيم قدرة الله جل جلاله في تبديل الابدال، ويعرفون به عجايب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال، فان كنت احسنت فيما جمعت، واصبت في الذي صنفت ووضعت، فذلك من عميم من الله عز وجل وجزيل فضله، وعظيم النعمة علي وجليل طوله، وان انا اسات فيما فعلت، واخطات اذ وضعت، فما اجدر الانسان بالاساة والعيوب، ان لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب،

وما ابري نفسي انني بشر ... اسهو واخطي ما لم يحمني قدر
ولا ترى عذرا اولى بذي زلل ... من ان يقول مقرا انني بشر

فليسبل الناظر في هذا التاليف على مولفه ذيل ستره ان مرت به هفوة، وليغض تجاوزا وصفحا ان وقف منه على زلة او نبوة، فاي جواد وان عتق ما يكبو، واي

غضب مهند لا يكل ولا ينبو لا سيما والخاطر بالافكار مشغول والعزم لتوالي الاسى
وتعسر بها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالي
المحن وتوالي الإحن عليل يعاندني دهري كأني عدوه وفي كل يوم بالكريهة يلقاني
فان رمت شيا جاني منه ضده وان راق لي يوما تكدر في الثاني
اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضا ولا التضجر بالمقدور بل انه سقيم ونفثة مصدور
يستروح الى ابدى التوجع والانين ويجد خفا من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين
ولو نظروا ما بين الجوانح والحشى راوا من كتاب الحب في كبدي سطرا
ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى اذا عذروني او جعلت لهم عذرا
والله اسال ان يحلي هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلما كما اعوذ به من تطرق
ايدي الحساد والجهلا وان يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سواء
السبيل فانه حسبي ونعم الوكيل وفيه جلت قدرته لي سلو من كل حادث
وعليه عز وجل اتوكل في جميع الحوادث لا اله الا هو

ذكر الروس الثمانيه

اعلم ان عادة القدما من المعلمين قد جرت ان ياتوا بالروس الثمانية قبل افتتاح
كل كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن اي
صناعة هو وكم فيه من الاجزا واي انحا التعاليم المستعملة فيه فنقول
اما الغرض في هذا التاليف فانه جمع ما يعرف من اخبار ارض مصر وهي التي اذا
حصلت في ذهن انسان اقتدر على ان يخبر في كل وقت بما كان في ارض مصر من الاثار
الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتداها ومن حلها وكيف كانت مصاير امورهم
وما يتصل بذلك على طريق الاتباع لها بحسب ما تحصل منه الفايدة الكلية بذلك
الاثر واما عنوان هذا الكتاب اعني الذي وسمته به فاني لما تحصلت عن اخبار
مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتهيا لي اذا جمعتها ان اجعل وضعها مرتبا
على السنين لعدم ضبط كل حادثة لا سيما في الاعصر الخالية ولا ان اضعها على اسما
الناس لعلل اخر تظهر عند تصفح هذا التاليف فلهذا افرقتها في ذكر الخطط
والاثار فاحتوى كل فصل منه على ما يلايمه ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما

تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم احاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها
الاريب ولا يستهجنها الفطن الاديب كي يستغني مطالع كل فصل منه بما فيه عما في
غيره من الفصول فلذلك سميته كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار
واما منفعة هذا الكتاب فان الامر فيها يتبين من الغرض في وضعه ومن
عنوانه اعني ان منفعته هي ان يشرف المرء في زمن قصير على ما كان في ارض مصر
من الحوادث والتغييرات في الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتتهذب بتدبر
ذلك نفسه وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف
فنا الدنيا فيحظى بالعزوف عنها والاقبال على ما يبقى واما مرتبة هذا
الكتاب فانه من جملة احد قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي ان يتفرغ
لمطالعته وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته من العلوم النقلية والعلوم
العقلية فانه يحصل بتدبره لمن ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما
صار اليه ابنا جنسه بعد التخول في الاموال والجنود من الفنا والبيود فاذا مرتبته
بعد معرفة اقسام العلوم العقلية والنقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبل واما واضع هذا الكتاب ومرتبه فاسمه احمد بن علي بن
عبد القادر بن محمد ويعرف بابن المقريزي ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر
بعد سنة ستين وسبعماية من سني الهجرة المحمدية وربته من العلم ما يدل عليه
هذا الكتاب وغيره مما الفه وجمعه واما من اي علم هذا الكتاب فانه
من علم الاخبار وبها عرفت شرايع الله التي شرعها وحفظت سنن انبيا الله
ورسله ودون هديهم الذي يقتدي به من وفقه الله الى عبادته وهداه الى
طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفراعنه
وكيف حل بهم سخط الله لما اتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من ابنا البشر
على معرفة ما دونوه من العلوم والصنايع وتاتى لهم علم ما غاب عنهم من الاقطار
الشاسعة والامصار المتنايية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل امة من امم
العرب والعجم على تباين آرايهم واختلاف عقايدهم اخبار معروفة عندهم مشهورة
ذايعة بينهم ولكل مصر من امصار المعمورة حوادث قد مرت به يعرفها علما ذلك

المصر في كل عصر ولسكانها واستقصيت ما صنف علما العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد
الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره واما اجزا هذا الكتاب
فانها سبعة اولها يشتمل على جمل اخبار ارض مصر واحوال نيلها وخراجها
وجبالها وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهلها وثالثها
يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن ملكها ورابعها يشتمل على اخبار القاهرة
وخلفائها وما كان لهم من الآثار وخامسها يشتمل على ذكر ما ادركت عليه
القاهرة وظواهرها من الاحوال وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل
وملوكها وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التي نشا عنها خراب اقليم مصر
وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزا السبعة عدة اقسام واما انحا التعاليم
وقصدت في هذا الكتاب فاني سلكت فيه ثلاثة انحا وهي النقل من الكتب المصنفة
في العلوم والرواية عمن ادركت من مشيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته
ورايته فاما النقل من دواوين العلما التي صنفوها في انواع العلوم فاني اعزو
كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه لاخلص من عهدته وابرا من جريرته فكثيرا
ممن ضمني واياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلة اشرافه على العلوم وقصور
باعه في معرفة مقالات الناس يهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو انصف لعلم ان العجز
من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة
اليه وحسب العالم ان يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه واما الرواية عمن ادركت
من المشايخ والجلة فاني في الاكثر والغالب اصرح باسم من حدثني الا ان لا يحتاج الى
تعيينه او اكون قد انسيته وقل ما يتفق مثل ذلك واما ما شاهدته فاني ارجو
ان اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين وقد قلت في هذه الروس الثمانية ما فيه مقنع
وكفاية ولم يبق الا ان اشرع فيما قصدت وعزمي ان اجعل الكلام في كل خط من الاخطاط
وفي كل اثر من الآثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار اجمع واكثر فايده
واسهل تناولا والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم

فصل واول من رتب خطط مصر وذكر اسبابها في ديوان جمعه ابو عمر محمد
ابن يوسف الكندي ثم كتب بعده القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي كتابه

المعروف بالمختار في معرفة الخطط والآثار ومات في سنة اربع وخمسين واربع مايه قبل
سني الشدة فدثر اكثر ما ذكراه ولم يبق الا اللمع وموضع بلقع لما حل بمصر في سني الشدة المستنصرية
من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين واربع مايه من الغلا والوبا فمات اهلها
وخربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانب
الفسطاط الغربي والشرقي فاما الغربي فمن قنطرة بني وايل حيث الوراقات الان قريبا
من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف اليوم بالرصد وانت مار الى القرافة
الكبرى واما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي تلي القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم
دخل امير الجيوش بدر الجمالي الى مصر في سنة ست وستين واربعمايه وهذه المواضع
خاوية على عروشها خالية من ساكنها وانيسها قد اباده الوبا والتباب وشتتهم
الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت
سحنهم من غلا الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوايف العبيد والملحية
ولم يجد من يزرع الاراضي هذا والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بخفارة وكلفة
كبيرة وصارت القاهرة ايضا يبابا دايرة فاباح للناس من العسكرية والملحية والارمن
وكل من وصلت قدرته الى عمارة ان يعمر ما شا في القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت
اهلها فاخذ الناس في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمروا بها في القاهرة فكان هذا
اول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه بعد القضاعي على الخطط والتعريف
بها تلميذه ابو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تاليف لطيف نبه فيه الافضل ابو القسم
شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت
احباسا ثم كتب الشريف محمد بن اسعد الجواني كتاب النقط لعجم ما اشكل من الخطط
نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين
محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب اتعاظ المتامل وايقاظ المتغفل في الخطط بين
فيه جمل احوال المصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمايه فدثر بعده معظم
ذلك في وبا سنة تسع واربعين وسبعمايه ثم في وبا سنة احدى وستين ثم في غلا سنة
ست وسبعين وسبعمايه وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة
البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية له ثم تزايد

العمارة من بعده في ايام الناصرية محمد بن قلاون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت
تضيق عن اهلها حتى حل بها وبا سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلا
سنة ست وسبعين فخربت بها عدة اماكن فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة
شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وساورد من ذكر الخطط ما يتصل اليه قدرتي ان شا الله

ذكر طرف من هيئة الافلاك

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض تبيين
موقع الارض من الفلك فانا اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموقع الاقاليم
منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم واذكر حدودها واشتقاقها
وفضائلها وعجائبها وكنوزها واخلاق اهلها واذكر نيلها وخلجانها وكورها
ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة
فاقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب و
اقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم
الثاني علم حل الزيج وعمل التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران
الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض
ههنا ايراد نبذ من علم الهيئة تكون توطية لما يأتي ذكره اعلم ان الكواكب اجسام
كريات والذي ادرك منها الحكما بالرصد الف كوكب وتسعة وعشرين كوكبا وهي
على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة
وعطارد والقمر وقد نظمت في بيت واحد زحل مشتري مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد اقمار
ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التي عناها الله سبحانه بقوله فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس والتي عناها بقوله فالمدبرات امرا وقيل ان الخنس لاستقامتها في
سيرها ورجوعها وقيل الكنس لانها تجري في البروج ثم تكنس اي تستتر كما تكنس
الظبي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ما سوى الشمس والقمر سميت بذلك من
الانخناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس اي
انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم
كنس الظبي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفائها تحت

ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع احيانا عن سمت سيرها بالحركة
الشرقية وتتبع الغربية في راي العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه
الاسماء التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل يقال زحل فلان اذا
ابطا سمي بذلك لبطوء سيره وقيل الزحل والزحيل الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك
ويقال انه المراد في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
والمشتري سمي بذلك لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشرا والبيع ودليل
الربح والمال في قولهم والمريخ ماخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيوري
واسمي بذلك لاحمراره وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستوي في ممره وكذا المريخ فيه
التوا كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب
علوية لانها من فوقها وثلاثة كواكب سفلية لانها من تحتها سميت بذلك لان الواسطة
التي في المخنقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شي وعطارد هو
النافذ في كل الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه
من الكواكب والقمر ماخوذ من القمرة وهي البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري
تير والبرجيس ايضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهرة اناهيد وبيدخت ايضا ولعطارد
هرمس وللقمر ماه وقد جمعت في بيت وهو لازلت تبقى وترقى للعلا ابدا ما دام للسبعة
للافلاك احكام مهر وماه وكيوان وتير معا وهرمس واناهيد وبهرام
ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السما الكواكب الثابتة سميت
بذلك لثباتها في الفلك موضع واحد وقيل لبطوء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم
في كل ستة وثلاثين الف سنة شمسية مرة واحدة ولكل كوكب من الكواكب السبعة
السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها في جوف
بعض وهي تسعة اقربها الينا فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم فلك الزهرة وبعده
فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت
وفيه كل كوكب يرى في السما سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك
المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف
في الافلاك فقيل هي السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل هي كرية وقيل غير ذلك

وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك
التاسع دايم الدوران كالدولاب ويدور في كل اربع وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة
ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما
حوته من الكواكب دورانا حركة الى قسرية لا دارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكورة
يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقا الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة الشمس تحت
افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسم للحجر البطليجة كل قسم منها يقال
له برج وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله والميزان والعقرب
والقوس والجدي والدلو والحوت. وكل برج من هذه البروج الاثني عشر مقسوم بثلاثين
قسم يقال لكل قسم منها درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة بستين قسما يقال
لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة بستين يقال لكل قسم منها
ثانية وهكذا الى الثوالث والروابع والخوامس الى التواني عشر وما فوقها من الاجزا وكل
ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربع فصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتا
وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب والاركان اربعة النار
والهوا والما والتراب والطبايع اربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاخلاط
اربعة الصفرا والسودا والبلغم والدم والرياح اربع الصبا والدبور والشمال والجنوب
فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زايدة النهار على الليل وهي الحمل
والثور والجوزا وثلاثة صيفية هابطة في الشمال اخذة الليل من النهار وهي السرطان
والاسد والسنبله وثلاثة خريفية هابطة في الجنوب زايدة الليل على النهار وهي
الميزان والعقرب والقوس وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب اخذة النهار من الليل
وهي الجدي والدلو والحوت والفلك المحيط كما تقدم دايم الدوران كالدولاب يدور ابدا
من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دايما نصف
الفلك وهو ستة بروج ماية وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الاخر وهو ستة
بروج ماية وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من افق المشرق درجة من درجات
الفلك التي عدتها ثلاثماية وستون درجة غربت نظيرتها في افق المغرب من البرج السابع
فلا تزال دايما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة

عن الحد الفاصل من الارض بين المري والخفي من السما والفلك يدور على قطبين شمالي
وجنوبي كما يدور الحق على قطبي المخرطة ويقسم الفلك خط من دايرة تقسمه بنصفين
متساوين بعدها من كلي القطبين سوا وتسمى هذه الدايرة دايرة معدل النهار وفي
تقاطع فلك البروج ودايرة فلك البروج تقاطع دايرة معدل النهار ويميل نصفها الى
الجانب الشمالي بقدر اربع وعشرين درجة تقريبا وفي هذا النصف قسمت البروج الستة
الشمالية وهي من اول الحمل الى اخر السنبله ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل
ذلك وفيه قسمت البروج الجنوبية وهي من اول برج الميزان الى اخر برج الحوت وموضع
تقاطع هاتين الدايرتين اعني دايرة معدل النهار ودايرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا
الاعتدالين اعني راس الحمل وراس الميزان ومدار الشمس والقمر وساير النجوم على محاذاة
داير فلك البروج دون دايرة معدل النهار ولا تمر الشمس على دايرة معدل النهار عند حلولها
بنقطتي الاعتدالين فقط لانها موضع تقاطع الدايرتين وهذا هو خط الاستوا الذي لا
تختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه
الى كلي الجانبين الشمالي والجنوبي سوا فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثني عشر برجا في مدة
ثلثماية وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة السنة الشمسية وتقيم في
كل برج ثلثين يوما وكسرا من يوم وتكون ابدا بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك
واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله
فانها تكون مرتفعة في الهوا قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف
واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت كان
فصل الخريف وفصل الشتا وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤس وزعم وهب بن
منبه ان اول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتا فجعله باردا رطبا وخلق الربيع
فجعله حارا رطبا وخلق الصيف حارا يابسا وخلق الخريف باردا يابسا واول الفصول
عند اهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عند ما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد
اختلف القدما في الابتدا به من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وصيره اول السنة ومنهم
من اختار تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار
تقديم الانقلاب الشتوي فاذا حلت اول جز من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل

الزمان وانصرم الشتا وحل الربيع وطاب الهوا وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاوديه
ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونمى الحشيش وتلالا الزهر
واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهايم ودرت الضروع واخرجت
الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القايل
وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد المغوري

واستنشقوا بهوى الربيع فانه ‧ نعم الصديق وعنده الطاف
يغذى الجسوم نسيمه فكانه ‧ روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبه ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتا وياتي فيه
النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل
الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتا بعده ثم فصل الصيف بعد الشتا وهو
الوقت الذي يدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي يدعوه العامة الصيف ومن
العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمي الفصل الذي
يتلو الشتا وياتي فيه الكماة والنور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على ان الخريف هو الربيع فاذا
حلت الشمس اخر برج الجوزا واول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدا نقص
النهار وزيادة الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف فاشتد الحر وحمي الهوا
وهبت السمايم ونقصت المياه الا بمصر ويبس العشب واستحكم الحب وادرك حصاد الغلال
ونضجت الثمار وسمنت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض
كانها عروس فاذا بلغت اخر برج السنبله واول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانيه
واخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف
فبرد الهوا وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر
وصرمت الثمار ودرست البيادر واحتوت الحب وفني العشب واغبر وجه الارض الا بمصر
وهزلت البهايم وماتت الهوام وانحجرت الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافيه
واخذ الناس يخزنون القوت للشتا وصارت الدنيا كانها امراة كهلة قد ادبرت واخذ شبابها
تولى ولله در الامام عز الدين ابي الحسن احمد بن علي بن معقل الازدي المهلبي الحمصي حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به ‧ برد الهوا فقد ابدى لنا عجبا

اهدى

اهدى الى الارض من اوراقه ذهبا ‧ والارض من شانها ان تهدي الذهب

وقال

لله فصل الخريف فصلا ‧ رقت حواشيه فهو رايق
فالما يجري من قلب سال ‧ والدمع يبدو والوجه عاشق
فبرد هذا ولون هذا ‧ بلذة ذايق ورايق

وقال

انى فصل الخريف بكل طيب ‧ وحسن معجب قلبا وعينا
ارانا الدوح مصفر انضارا ‧ وصاغ الماء مبيضا لجينا
فاحسن كل احسان الينا ‧ وانعم كل انعام علينا

وقال اخر يذم الخريف

خذ في التدثر في الخريف فانه ‧ مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها ‧ كصديق رمن الصديق يخاف

وقال اخر

يا عايبا فصل الخريف وغايبا ‧ عن فضله في ذمة لزمانه
لا شي الطف منه عندي موقعا ‧ ابدا يعري الغصن من قمصانه
وتراه يفرش تحته اثوابه ‧ فاعجب لرافته وفرط حنانه
والساعات الوصال اذا دنت ‧ وقت الرحيل وحان حين اوانه

فاذا حلت الشمس اخر برج القوس واول برج الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار واخذ النهار
في الزيادة والليل في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتا واشتد البرد وخشن
الهوا وتساقط ورق الشجر ومات اكثر النبات وغارت الحيوانات في جوف الارض وضعف
قوى الابدان وعري وجه الارض من الزينه ونشات الغيوم وكثرت الانداء واظلم الجو
وكلح وجه الارض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كانها عجوز هرمه قد
دنا منها الموت فاذا بلغت اخر برج الحوت واول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام اول وهذا
دابه تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع
بزمان الطفوليه وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهوله والشتا بالشيخوخه وعن
حركة الشمس وتنقلها في البروج الاثني عشر المذكورة يكون ازمان السنه واوقات اليوم من
الليل والنهار وساعاتهما وعن حركة القمر في البروج الاثني عشر يكون الشهور القمريه والسنه

العزيه فالقمر يبدو والبروج الاثني عشر ويقطع الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم
ويقيم في كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين
منزلة يوما وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية المغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في
كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلا في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم ياخذ من الليلة
الخامسة عشر في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى ان يمحق نوره في اخر
ثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبدو في ناحية المغرب
والى ان يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهي الشرطان والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا
والسماك والغفر والزبانان والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد
الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر
وبطن الحوت وللحساب بذلك كتب موضوعة وفيما ذكرناه كفاية والله يعلم وانتم لا تعلمون

ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها

ولما تقدم من القول في الافلاك ما يتبين به لمن الهمه الله كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار
وتركب الشهور والاعوام منها حار حينيذ الكلام في الارض واقول الجهات من حيث هي
ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس والقمر وساير الكواكب في كل قطر من الافق والغرب
وهو حيث تغرب والشمال وهو حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار
سهيل والفوق وهو ما يلي السما والتحت وهو ما يلي مركز الارض ذهب الجمهور الى ان الارض
كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالمح في البيضة وانها في الوسط وبعدها في الفلك من جميع
الجوانب على التساوي وزعم هشام بن الحكم ان تحت الارض جسما من شانه الارتفاع وهو
المانع للارض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما يعمده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع
وقال اخرون ان الله وقفها بلا عماد وقال ديمقراطيس انها تقوم على الما وقد حصر الما تحتها
حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال اخرون هي واقفة على الوسط على مقدار واحد
من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل الى ناحية من الفلك دون اخرى
لان قوة الاجزا متكافية وذلك كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس
الارض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدوير الفلك

ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وادرتها بقوة فان التراب
يقوم في الوسط وقال محمد بن احمد الخوارزمي الارض في وسط السما والوسط هو السفل بالحقيقة
وهي مدورة مضرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغايرة وذلك لا يخرجها عن الكروية
اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيرة بالقياس الى كرة الارض فان الكرة
التي قطرها ذراع او ذراعان مثلا اذا انتا منها شي او غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه
التضاريس لاحاطة الما بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شي فحينيذ تبطل الحكمة
المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم اسرار حكمه الا هو والارض جسم مستدير
كالكرة وقيل ليست بكروية الشكل وهي واقفة في الهوا بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها
والهوا محيط بها من جميع جهاتها كالمح في جوف البيضة وبعدها من السما متساو من جميع
الجهات واسفل الارض ما بحقيقته هو عمق باطنها مما يلي مركزها من اي جانب كان واما
سطحها الظاهر المماس للهوا من جميع الجهات فانه فوق والهوا فوق الارض محيط بها
من ساير الجهات ويجذبها من جميع الجهات وفوق الهوا الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا
فوق اخر الى الفلك التاسع الذي هو اعلا الافلاك ونهاية المخلوقات باسرها وقد اختلف
فيما وراء ذلك فقيل خلا وقيل ملا وقيل لا خلا ولا ملا وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح
الارض فان راسه يكون مما يلي السما الى فوق ورجلاه ابدا تكون اسفل مما يلي مركز الارض وهو
دائما يرى من السما نصفها ويستر عنه النصف الاخر حدبة الارض وكلما انتقل من موضع
الى اخر ظهر له من السما مقدار ما خفي عنه والارض غامرة بالما كعنبة طافية فوق الما
قد انحسر عنها نحو النصف وانغمر النصف الاخر في الارض وصار المنكشف من الارض نصفين
كانما قسم بخط مسامت لخط معدل النهار تحت دايرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا
عرض لها البتة والقطبان غير مرئيين فيها ويكونان هناك على دايرة الافق من الجانبين
وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر درجة ارتفع القطب الشمالي الذي
هو الجدي على اهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا
ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب
الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي فبهذا عرف عروض البلدان وصار عرض البلد عبارة
عن ميل دايرة معدل النهار عن سمت رؤس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا

بعد ما بين سمت رؤوس اهل ذلك البلد وسمت اهل بلد لا عرض له فاما ما انكشف من الارض
مما يلي الجنوب من خط الاستوا فانه خراب والنصف الاخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء
فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستوا لا وجود له في الخارج وانما هو فرض
توهمنا انه خط ابتداؤه من المشرق الى المغرب تحت مدار راس الحمل وسمي بذلك من اجل ان الليل
والنهار هناك ابدا مستويان لا يزيد احدهما على الاخر شيئا البتة في سائر اوقات السنة كلها ونقطتا
هذا الخط متلازمتان الافق احديهما على مدار سهيل في ناحية الجنوب والاخرى مما يلي
الجدي في ناحية الشمال والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة ومن الجنوب
الى الشمال من خط ارين الى بنات نعش ثمان واربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين
وخلف خط ارين مقدار ست عشرة درجة وجملة معمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال
مسير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما ورا الحمل والميزان مرتين في السنة
والى الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس في جهة الشمال
كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتقاص رقوبها عن ساكنيه ولان حضيضها في الجنوب
عدمت العمارة هنالك وقد اختلف الناس في مسافة الارض فقيل مسافتها خمسمائة
عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون
لياجوج وماجوج واثنا عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الامم
وقيل الدنيا سبعة اجزاء ستة لياجوج وماجوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض
خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران وقيل الارض اربعة وعشرون الف
فرسخ للسودان اثنا عشر الف وللروم ثمانية الاف ولفارس ثلاثة الاف وللعرب الف
وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا في الخراب الا كفسطاط في الصحرا وقال اردشير
ابن بابك الارض اربعة اجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان
وقيل الاقاليم سبعة والاطراف اربعة والنواحي خمسة واربعون والمدائن عشرة الاف
والرساتيق مائتا الف وستة وخمسون الفا وقيل المدن والحصون احد وعشرون الفا وستمائة
مدينة وحصن ففي الاقليم الاول ثلاثة الاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وفي الثاني الفان
وسبعمائة وثلاثة عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة الاف وتسع وسبعون مدينة وقرية
كبيرة وفي الرابع وهو بابل الفان وتسعمائة واربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة الاف مدينة وست

مدن

وست مدن وفي السادس ثلاثة الاف واربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة الاف
وثلاثمائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة الاف فرسخ وهو نصف
سدس الارض والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان
وقيل المعمور مثل طائر راسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر
الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه المغرب وقيل قطر الارض سبعة
الاف واربعمائة واربعة عشر ميلا ودورها عشرون الف ميل واربعمائة ميل
وذلك جميع ما احاط به من بر وبحر وقال ابو زيد احمد بن سهل البلخي طول الارض
من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو اربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذي من
جهة الشمال وهو مساكن ياجوج وماجوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو
مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة ومائتان برارى ياجوج وماجوج الى البحر
المحيط في الشمال ومائتان برارى السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة
ويقال ان مسافة ذلك خمسة الاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها والطريق في
معرفة مساحة الارض انا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل
دائرة معدل النهار عن سمت رؤوسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلثمائة
وستين جزءا وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فانا نعلم انا قد قطعنا من محيط
جرم الارض جزءا من ثلثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسنا من ابتداء
سيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد
حصة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل
عنها خمسة وعشرون فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال
في ثلثمائة وستين جزءا خرج من الضرب عشرون الفا واربعمائة ميل وذلك مساحة دور
الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الارض على ثلاثة وسبع خرج من
القسمة ستة الاف واربعمائة واربعون ميلا وهي مساحة قطر الارض فلو ضربنا
هذا القطر في مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسيط الارض بالتكسير مائة الف الف
واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة الربع المسكون
من الارض بالتكسير ثلاثة وثلاثون الف الف ميل ومائة الف ميل وخمسون الف ميل وعرض

المسكون من هذا الربع بعد بعد مدار السرطان عن القطب وهو ستة وخمسون جزا وسدس
جزو وهذا هو سدس الارض وانتهوه الى جزيره تولى في برطانيه وهي اخر المعمور من الشمال
ولقوس الاميال ثلاثة الاف وسبعمايه واربعه وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس
الذي هو مساحة العرض في النصف وهو قدر الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس
الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كره الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو
بالتقريب اربعة الاف ومانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة ابحر كبار في كل بحر
منها عدة جزاير وفيه خمسة عشر بحيره منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا
نهر واربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم تحتوي على سبع عشرة الف مدينه
كبيره وفي السي كتاب هروشيوش لما استقامت طاعة توليش الملقب بقيصر الملك على عامة
الدنيا تخير اربعة من الفلاسفه سماهم فامرهم ان ياخذ واله وصف حدود الدنيا وعدة
بحارها وكورها ارباعا فولي احدهم اخذ وصف جز المشرق وولي اخر اخذ وصف جزء
المغرب وولي اخر وصف جز الشمال وولي الرابع وصف جز الجنوب فتمت كتابة الجميع على
ايديهم في نحو من ثلاثين سنه فكانت جمله البحار المسماه في الدنيا سبعه وعشرين بحرا منها
بجز المشرق ثمانيه وبجز المغرب ثمانيه وبجز الشمال احد عشر وبجز الجنوب اثنان وعدة
الجزاير المعروفه الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في المشرق ثمان وفي المغرب سته عشر
وفي جهة الشمال احدى وثلاثون وفي جهة الجنوب ست عشرة وعدة الجبال الكبار المعروفه
في جميع الدنيا سته وثلاثون وهي امهات الجبال وقد سموها فيها تسعة منها في جهة
الشرق سبعه وفي الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثنى عشر وفي الجنوب اثنان والبلدان
الكبار ثلاثه وستون منها في الشرق سبعه وفي الغرب خمسه وعشرون وفي الشمال سبع عشر
وفي الجنوب اثنى عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفه تسع ومائتان منها في المشرق
خمس وسبعون وفي المغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان وستون
والانهار الكبار المعروفه في جميع الدنيا سته وخمسون منها بجز المشرق سبعة عشر وبجز الغرب
ثلاثة عشر وبجز الشمال سبعة عشر وبجز الجنوب سبعه والاقاليم السبعه كل اقليم منها
كانه بساط مفروش قد مد طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه
الاقاليم مختلفه الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها

الاطول ثلاث عشرة ساعه والسابع منها يمر بالمواضع التي طول نهارها الاطول ستة عشر
ساعة لان ما جاز حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما جاز
الاقليم السابع الى الشمال لا يعرف فيه عمارة فجعل طول جميع الاقاليم السبعه من الشرق الى
الغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل بنصف
ساعة نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فاطولها واعرضها الاقليم الاول وطوله
من الشرق الى الغرب نحو ثلاثة الاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائه وخمسون
فرسخا واقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب الف وخمسمايه
فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقيه الاقاليم الخمسه فيما بين
ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمه لا وجود لها في الخارج وضعها القدما الذين جالوا في
الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواقع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها
هذا حال الربع المسكون واما الثلاثه الارباع الباقيه فانها خراب فجهة الشمال
الواقعه تحت مدار الجدي قد افرط هناك البرد وصارت سته اشهر ليلا مستمرا وهي مدة
الشتا عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهوا ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون
هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهه الشماليه ناحيه الجنوب حيث مدار سهيل
فيكون النهار سته اشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيحمى الهوا ويصير سموما محرقا
يهلك بشدة حرارته الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه واما ناحيه
الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة ظلماته وناحيه الشرق
يمنع من سلوكه الجبال الشامخه وصار الناس باجمعهم قد انحصروا في الربع المسكون
من الارض ولا علم لاحد منهم بالثلاثه الارباع الباقيه والارض كلها بجميع ما عليها من
الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة في دايره وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعه
بساعات النهار وذلك ان الشمس اذا حلت براس الحمل تساوى طول النهار والليل في
ساير الاقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزا اختلفت ساعات
نهار كل اقليم فاذا بلغت اخر الجوزا اول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول
ثلاث عشرة ساعه سوا وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة
وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعه وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشره ساعه

ونصف ساعه وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشره ساعه وفي وسط الاقليم السادس خمس عشره
ساعه ونصف ساعه وفي وسط الاقليم السابع ست عشره ساعه سوا وما زاد على ذلك
الى عرض تسعين درجه يصير نهارا كله ومعنى طول البلد هو بعده من اقصى العمارة في الغرب
وعرضه هو بعده من خط الاستوا وخط الاستوا الذي تقدم هو الموضع الذي يكون فيه
الليل والنهار طول الزمان سوا فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب
لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مايه وثمانون درجه فكل بلد يكون طوله تسعين
درجه فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجه فانه
اقرب الى الغرب وابعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجه فانه
ابعد عن الغرب واقرب من الشرق وقد ذكر القدما ان العالم السفلي مقسوم سبعة
اقسام كل قسم يقال له اقليم فاقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشتري واقليم الترك
للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر وقال قوم الحمل والمشتري
لبابل والجدي وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت
القسمه على اثني عشر برجا فالحمل ومثلثته للشرق والثور ومثلثته للجنوب والجوزا
ومثلثتها للغرب والسرطان ومثلثته للشمال قالوا وفي كل اقليم مدينتان عظيمتان
بحسب بيتي كل كوكب الا اقليم الشمس واقليم القمر فانه ليس في كل اقليم منهما سوى مدينه
واحده عظيمه وجميع مداين الاقاليم السبعه وحصونها احد وعشرون الف مدينه
وستمايه مدينه وحصن بعدد دقايق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقايق
روابع كانت بعدد اناسي هذه الاقاليم فاذا مات احد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن
الاقليم الاول الذي من مطلع الشمس وقراه ثلاثه الاف ومايه مدينه وقريه كبيره وان في
الثاني الفاين وسبعمايه وثلاث عشره مدينه وقريه كبيره وفي الثالث ثلاثه الاف
وتسع وسبعون وفي الرابع وهو بابل الفان وتسعمايه واربع وسبعون وفي الخامس
ثلاثه الاف وست مدن وفي السادس ثلاثه الاف واربعمايه وثمان مدن وفي السابع
ثلاثه الاف وثلاثمايه مدينه وقريه كبيره في الجزاير فالاقليم الاول يمر وسطه
بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلاث عشره ساعه ويرتفع القطب الشمالي فيها
عن الافق ست عشره درجه وثلثا درجه وهو العرض وانتها عرض هذا الاقليم من حيث
يكون

يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشره ساعه وربع ساعه وارتفاع القطب الشمالي
وهو العرض عشرون درجه ونصف درجه وهو مسافه اربعمايه واربعين ميلا وابتداوه
من اقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد السند ويمر
في البحر على جزيرة العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم ويمر ببلاد الحبشه ويقطع نيل
مصر الى بلاد الحبشه ومدينه دنقله من ارض النوبه ويمر في ارض المغرب على جنوب
بلاد البربر الى بحر المغرب المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين
فرسخا الى الف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طوالا منها ما طوله الف فرسخ الى عشرين
فرسخا وفيه خمسون مدينه كبيره وعامه اهل هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم
من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب المشتري وهو مع فرط حرارته كثير المياه
كثير المروج وزرع اهله الذره والارز الا ان الاعتدال عندهم معدوم فلا ينبت عندهم كرم
ولا حنطه والبقر عندهم كثير لكثرة المروج وفي مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستوا بثلاث عشره
درجه وفي مغربه النيل وبحر المغرب ومن هذا الاقليم ياتي نيل مصر ومشرقهم محدود
بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول
ثلاث عشره ساعه ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه وهو العرض اربعة وعشرون
جزا وعشر جز وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلاث عشره
ساعه ونصف وربع ساعه وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرون
درجه ونصف درجه ومساحة هذا الاقليم اربعمايه ميل ويبتدي من الشرق مارا ببلاد
الصين الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصره ويقطع جزيرة العرب
في ارض نجد وتهامه فيدخل في هذا الاقليم اليمامه والبحرين وهجر ومكه والمدينه
والطايف وارض الحجاز ويقطع بحر القلزم ويمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير
فيه مدينة قوص واخميم واسنا وانصنا واسوان ويمر في ارض المغرب على وسط
بلاد افريقيه ويمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر
نهرا طوالا واربعمايه وخمسون مدينه كبيره والوان اهل هذا الاقليم ما بين السمره والسواد
وله من البروج الجدي ومن السياره زحل ويسكن هذا الاقليم الرجاله في المغرب منهم جداله
وصنهاجه ولمتونه ومسوفه ويتصل بهم رجاله مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون النخل

وفيه مكة والمدينة ومنه السماوة من اهل العراق الى رجالة الترك والاقليم الثالث
وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض
ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون
النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث
وثلاثون درجة ومسافته ثلثمائة وخمسون ميلا ويبتدي من الشرق فيمر بشمال الصين
وبلاد الهند وفيه مدينة القندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان
الى سواحل بحر البصرة وفيها اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق
والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والانبار وهيت ثم يمر ببلاد الشام الى سلمية وصور
وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم
ويقطع اسفل ارض مصر من شمال النصف الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم
والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط ثم يمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان
وينتهي الى البحر في الغرب وبهذا الاقليم ثلاثة وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا
طوالا ومائة وثمان وعشرون مدينة واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن
السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمائر الفاضلة من اوله الى اخره والاقليم الرابع
وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب
الشمالي وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم
الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض
تسعا وعشرون درجة وثلث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمائة ميل ويبتدي من الشرق
فيمر ببلاد التبت وخراسان وخجندة وفرغانة وسمرقند وبخارا وهراة ومرو الروذ
وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والري
واصبهان وهمدان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وآمد وراس العين
وسميساط والرقة ثم يمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومنبج وملطية وحلب وانطاكية
وطرابلس والمصيصة وحماه وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر
الشام على جزيرة قبرس ورودس ثم يمر ببلاد طنجة فينتهي الى بحر المغرب وفي هذا
الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائتا مدينة

واثنتا عشرة مدينة والوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة
عطارد وفيه البحر الرومي من مغربه الى قسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء
والرسل صلوات الله عليهم ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقاليم ثلاثة جنوبية
وثلاثة شمالية وهو في قسمة الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما عن
جنبتيه وبقية الاقاليم اهلوها ناقصون ومحطوطون عن الفضيلة لسماجة صورهم
وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشة واكثر امم الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع
ياجوج وماجوج والتغزغز والصقالبة ونحوهم والاقليم الخامس وسطه حيث
يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض احدى
واربعون درجة وثلث درجة وابتداؤه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون
النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجة
ومسافته خمسون ومائتا ميل ويبتدي من الشرق الى بلاد ياجوج وماجوج ثم يمر
بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب واذربيجان وبردعة وسجستان وارزن
وخلاط ثم يمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهي الى البحر في الغرب
وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا
ومن المدائن الكبار مائتا مدينة واكثر اهله بيض الالوان وله من البروج الدلو
ومن السيارة القمر والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول
خمسة عشر ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض خمس
واربعين درجة وخمسي درجة وابتداؤه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس الى
حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض سبعا
واربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة اميال
ويبتدي من الشرق فيمر بمساكن الترك من الخرخيز والتغزغز الى بلاد الخزر من
شمال تخومهم على اللان والسرير وارض برجان والقسطنطينية وشمال الاندلس
الى البحر المحيط الغربي وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن
الانهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينة واكثر اهل
هذا الاقليم الوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة

المريخ والاقليم السابع وسطه حيث يكون النهار الاطول ست عشره ساعه سوا وارتفاع
القطب الشمالي وهو العرض ثمانيا واربعين درجه وثلثي درجه وابتدا هذا الاقليم
من حد نهايه الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشره ساعه وربع ساعه
والعرض خمسين درجه ونصف درجه ومسافته مايه وخمسه وثمانون ميلا فتبين ان ما
بين حد الاقليم الاول واخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وان ارتفاع القطب
الشمالي ثمان وثلاثون درجه يكون من الاميال الفين وماية واربعين ميلا ويبتدي الاقليم
السابع من الشرق على بلاد ياجوج وماجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان
فيما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد برجان والصقالبه الى ان ينتهي الى البحر
المحيط في الغرب وبهذا الاقليم عشره جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنان وعشرون
مدينه كبيره واهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السياره الشمس وفي
كل اقليم من هذه الاقاليم السبعه امم مختلفه الالسن والالوان وغير ذلك من الطبايع
والاخلاق والارا والديانات والمذاهب والعقايد والاعمال والصنايع والعادات
والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفه
في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف اهويه البلدان وتربه البقاع وعذوبه
المياه وملوحتها على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على افقه ومر الكواكب على مسامتة
البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو معروف في مواضعه من
كتب الحكمه ليتدبر اولوا النهي ويعتبر ذو الحجى بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشا
وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فان الربع المسكون من الارض على تفاوت اقطاره
مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك
والفرس فجنوب مشرق الارض في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض
في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال
مغرب الارض البربر وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد احاطت بهم الامم الست

ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم السبعة

واذ يسر الله سبحانه بذكر جمل احوال الارض ومعرفه ما في كل اقليم من الاقاليم فلنذكر
محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها

واقع

واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسنا وانصنا
واسوان فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة الشمال
من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهره والاسكندريه
والفرما وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر
الفسطاط والقاهره وهو بعدها عن اول العماره في جهة الغرب خمس وخمسون
درجه والعرض وهو البعد من خط الاستوا ثلاثون درجه وطول النهار الاطول
اربع عشره ساعه وغايه ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجه وثلث
وربع درجه وفسطاط مصر مع القاهره من مكه شرفها الله تعالى واقعتان في
الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشريقا لبعده عن مدينه الفسطاط
بايام عديده في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلا لمكه من غربيها ومصر لا يتوصل
اليها الا من مفازه ففي شرقيها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربيها صحرا المغرب
وفي جنوبها مفاوز النوبه والحبشه وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين
بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن خرداذبه في كتاب الممالك
والمسالك الف وسبعمايه وعشره اميال يكون خمسمايه وسبعين فرسخا ومايه
ونصفا واربعين بريدا وبين مصر ودمشق ثلثمايه وخمسه وستون ميلا يكون
من الفراسخ مايه واحد وعشرون فرسخا وثلثي فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر
وقال ابن خرداذبه ارض الحبشه والسودان مسيره سبع سنين وارض مصر
جزء من ستين جزءا من ارض السودان وارض السودان جزء واحد من الارض كلها وفي
كتاب هروشيوس بلد مصر الادنى شرقه فلسطين وغربه ارض لوبيه ومصر
الاعلى ممتد الى ناحيه الشرق وحده في الشمال خليج العرب وفي الجنوب البحر المحيط
وفي الغرب مصر الادنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانيه وعشرون جنسا

ذكر حدود ارض مصر وجهاتها

اعلم ان التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه والحد هو نهايه الشي والحدود تكثر
وتقل بحسب المحدود والجهات التي تحد بها المساكن والبقاع اربع جهات وهي
جهة الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكبه الجدي

والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك
الجنوبي الذي يعرف منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة
المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما راس الحمل اول فصل الربيع وراس الميزان
اول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين
المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الآفاق وبها
تحد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يهتدي الناس في اسفارهم وبها يستخرجون
سمت محاريبهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان متقاطعتان
بجهتي المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى
خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى بخط الاستوا
على زوايا قائمة وابعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون ابدا
مستدبرا للشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هي
التي ينسب اليها ما يحد من البلاد والاراضي والدور الا ان اهل مصر يستعملون في تحديدهم
بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية فيقولون الحد القبلي ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد
الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع
في هذين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك ان البلاد التي يوافق عروضها عرض مكة
اذا كانت اطوالها اقل من طول مكة فان القبلة فيها تكون نفس المشرق بخلاف البلاد
التي يوافق عروضها عرض مكة الا ان اطوالها اكثر من طول مكة فان القبلة في هذه البلاد
تكون نفس المغرب فمن حد شيئا من هذه البلاد ارضا او مسكنا بحدوده اربعة فانه
يصير منها حدان حدا واحدا وكذلك جهة البحر لما جعلوها مقابلة لجهة القبلة وحدوا
ما بينها من الاراضي والدور ربما اسامتها منه فانهم ايضا ربما غلطوا وذلك ان القبلة
والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة واذا عرفت ذلك فاعلم ان ارض مصر لها
حد ياخذ من بحر الروم من الاسكندرية ويزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي الى ظهر
الواحات وتمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان على ارض البجة
في قبلي اسوان حتى ينتهي الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سينا
ويعطف على تيه بني اسرائيل مارا الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفح ويرجع الى

الساحل مارا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة
وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي في رسالته المصرية ارض مصر باسرها
واقعة في المعمور في قسم الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمها في الثالث وحكى
المعنيون باخبارها وتواريخها ان حدها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر
الرومي الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة
ذلك قريب من اربعين يوما وحدها في العرض من مدينة اسوان وما سامتها من الصعيد
الاعلى المتاخم لارض النوبة الى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة
ذلك قريب من ثلاثين يوما ويكتنفها في العرض الى منتهاها جبلان احدهما في الضفة الشرقية
من النيل وهو المقطم والاخر من الضفة الغربية منه والنيل منسرب فيما بينهما وهما
جبلان اجردان غير شامخين يتقاربان جدا في وضعيهما من لدن اسوان الى ان ينتهيا الى
الفسطاط ثم يتسع مسافة ما بينهما وتنفرج قليلا ويأخذ المقطم منهما مشرقا والاخر
مغربا على وراب في ماخذيهما وتعريج في مسلكيهما فتتسع ارض مصر من الفسطاط الى
ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهناك
ينتهي في عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلها في الجنوب واوغلها في الشمال واذا
نظرنا بالطريق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الاميال لم يبلغ ثلاثين يوما بل
ينقص عنها نقصا ماله قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة اسوان التي هي اوغلها
في الجنوب وعرض مدينة تنيس التي هي اوغلها في الشمال تسعة اجزاء ونحو سدس
جزء وليس بين طوليهما فضل له قدر يعتد به ويعرف ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا
بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما او قريب منها وفي هذه المدة من الزمان يقطع
السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل وانما اكثر من ذلك لما في الطريق من التعريج وعدم
الاستقامة منه وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم ارض مصر من العريش الى اخر
لوبية ومراقية وفي اخر ارض مراقية تلقى ارض انطابلس وهي برقة ومن العريش
فصاعدا ايكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو
بحري ارض مصر وكذلك هبط الشمال منها الى القبلة سبعا فاذا بلغت اخر
ارض مصر اقبية عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت

متوجه الى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى افريقيه وعن يسارك من ارض مصر
الى ارض الفيوم منها وارض الواحات الاربعة فذلك غربي مصر وهو ما استقبلته
منه ثم تخرج من اخر ارض الواحات وتستقبل الشرق سائرا الى النيل تسير ثماني مراحل
الى النيل ثم على النيل صاعدا وهي اخر ارض الاسلام هناك ويليها بلاد النوبة ثم تقطع
النيل فتاخذ من اسوان في الشرق منكبا على بلد السودان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي
من اسوان الى عيذاب خمس عشرة مرحلة وذلك كله قبلي ارض مصر ومهب الجنوب منها
ثم تقطع البحر الملح من عيذاب الى ارض الحجاز فمن الحورا اول ارض مصر وهي متصلة باعراض
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل في ارض
مصر بشرقيه وغربيه وبحر يعفا الشرقي منه ارض الحورا وطيبه والنبك وارض مدين
وارض ايله فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم
والبحر منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليلة
وهو الحاجز فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي ارض مصر من الحورا الى
العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من ارض مصر وما كان بعد هذا من
الجند الغربي فتح اهل مصر وثغورهم من برقة الى الاندلس ،،

ذكر بحر القلزم

ولما كانت ارض مصر محصورة بين بحرين هما بحر القلزم
من شرقيها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم داخلا في ارض مصر كما تقدم صار من شرط
هذا الكتاب التعريف به فنقول ان هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان
بساحله الغربي في شرقي ارض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء
الله في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر قرى مصر ومدنها فسمي هذا البحر باسم تلك
المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية يم سوف وهذا البحر
انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيانس ويعرف ايضا
ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ ويشتد
الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره سوى على ما عرف من بعض
سواحله وما قرب من جزائره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي
الاتي ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون

وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر ايضا تعرف بجزائر السيلي نزلها بعض
العلويين في اول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة بحار اعظمها
اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا
فاحدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر
الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما مر عليه من
البلدان واما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فاما البحر الهندي الخارج من
جهة الشرق فان مبدا خروجه من شرق الصين وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة
ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبايه والى التيز
من بلاد مكران فاذا صار الى بلاد مكران ينقسم هناك بقسمين احدهما يسمى بحر فارس والاخر
يسمى بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن راس الجمجمة فيمتد من
هناك الى مدينة ظفار وتسير الى الشحر وساحل بلاد حضرموت الى عدن والى باب المندب
وطول هذا البحر الهندي ثمانية الاف ميل في عرض الف وسبعمائة ميل عند بعض المواضع
وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب يخرج بحر القلزم والمندب
جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الاحمر من البر تجاهه فاذا فارق
باب المندب مر في جهة الشمال بساحل زبيد والحوده الى عثر وكانت عثر معقل الملك
في القديم ثم مر من هناك على حلي الى عسفان والجار وهي فرضة المدينة النبوية ومنها
على ما يقابل الحجاز بحيث يسمى اليوم رابغ الى الحورا ومدين وايلة والطور وفاران ومدينة
القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهي فرضة
قوص ومن القصير الى عيذاب وهي فرضة بلاد البجه ويمتد من عيذاب الى بلد البربر بلح وهو
ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربرا وطول هذا البحر الف واربعمائة ميل وعرضه من
اربعمائة ميل الى ما دونها وهو بحر كريه المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة
والفرات وعلى اطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كانها جزيرة في وسطه احاط بها الماء
من جهاتها الثلاث وهو يودع نهر مهران كودع البحر الرومي لنيل مصر وفيه فيما
بين مدينة القلزم ومدينة ايله مكان يعرف [illegible] تاران وعنده جبل لا يكاد
ينجو منه مركب لشدة اختلاف الرياح [illegible] بين شعبي جبلين وهي بركة

سعتها ستة اميال تعرف ببركة الغرندل يقال ان فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح
الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال ان الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك قد
وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك او فارا منه وان موسى عليه السلام
لما خرج ببني اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا امره الله سبحانه ان ينزل تجاه هذا الصنم
فلما بلغ ذلك فرعون ظن ان الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهده منه
فخرج بجنوده في طلب موسى وقومه ليأخذهم بزعمه وكان من غرقه ما قصه الله
سبحانه وسنذكر خبر موسى عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنايس اليهود
وفي بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها اربع عامرات وهي جزيرة دهلك وجزيرة
سواكن وجزيرة النعم وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج يطيف ببلاد
الهند المتصلة بالبر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض زقاقه
نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في اعالي بلاد الشام وديار مصر حتى يكون
بينهما نحو يوم

ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية
ودمياط وتنيس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد ارض مصر ينتهي في الجهة
الشمالية الى هذا البحر وكان النيل يصب فيه حسن التعريف بشيء من اخباره وقد تقدم
ان مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الاندلس
والمغرب سايرا الى القسطنطينية ويقال انه هركلش الجبار حفره واجراه من
البحر المحيط الغربي وان جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت ارضا واحدة يسكنها
الاشبان والبربر فكان بعضهم يغير على بعض الى ان ملك هركلش الجبار بن ملكيا
ابن مسقوس بن اغريقش بن يونان فرغب اليه الاشبان في ان يجعل بينهم وبين
البربر خليجا من البحر يمنع به احرار كل طايفة من الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر عرضه
ميلا في اثني عشر ميلا وبنى بجانبيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها
حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر اعلا من ارض هذا
الزقاق فطمى الماء حتى غطى السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطغى
على عدة بلاد ويقال ان المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يجدون ان المراكب في بعض

الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرفات
السور او بين حايطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر
ميلا ويذكر ان البحر اذا جزر ترى القنطرة وهذا الجزر اظنه غير صحيح فان اخبار هذا البحر
وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل هركلش بزمان طويل فاما ان
يكون ذلك قد كان في اول الدهر مما عمله بعض الاوايل واما ان يكون خبرا واهيا والاقرب ان
هركلش حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم وهذا الزقاق صعب السلوك شديد
الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا في بلاد البربر وشمال المغرب
الاقصى الى اوسط بلاد المغرب على افريقية وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وارض
فلسطين وسواحل بلاد الشام ثم ينعطف من هناك الى العلايا وانطاكية الى ظهر بلاد
القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة الاف
ميل وقيل ستة الاف ميل وعرضه من سبعماية ميل الى ثلاثماية ميل وفيه ماية
وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة منها صقلية وميورقة واقريطش
ويقابله البحر الهندي من جهة المغرب بحر خارج من المحيط في مغرب بلاد الزنج ينتهي الى
قرب من جبل اليمن وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي اسفله جزاير الخالدات
التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل
انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال بناحه وبحر الصقالبة يخرج من جهة المغرب بين
الاقليم السادس والاقليم السابع وهو منفسح وفيه جزاير كثيرة منها جزيرة الاندلس
الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يصلها بهذا البر عند برشلونة ويليها بحر
يعرف بياجوج وماجوج عذب وفيه عجايب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها
ويقال ان مسافة هذا البحر الرومي نحو اربعة اشهر وقال ابو الريحان محمد بن احمد
البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن وقد كان حرص
بعض ملوك الفرس في بعض استيلائهم على مصر على ان يحفروا ما بين البحرين القلزم
والرومي ويرفعوا البرزخ من بينهما وكان اولهم سا سيسطواطس الملك ثم من بعده
داريوش الملك فلم يمكن لهم ذلك لارتفاع ما القلزم على ارض مصر فلما كانت دولة
اليونانيين جا بطلميوس الثالث ففعل ذلك على ايدي ارشميدس بحيث تحصل الغرض

بالاصنر فلما كانت دولة الروم القياصرة طموه منعا لمن يصل اليهم من اعدائهم وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفة ان ما بين الاسكندرية وبلاد هث وبلاد القسطنطينية كان في قديم الزمان ارضا نبتا الحمير وكانت مسكونة وجهة وكان اهلها قوما من اليونانية وان الاسكندرية حرق البها البحر تغلبت امواهه على تلك الارض وكان بها فيما يزعمون الطاير الذي يقال له ققنس وهو طاير حسن الصوت واذا حان موته نا دحسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن احدا ان يسمع صوته لانه يغلب على قلبه من حسن صوته ما يميت السامع وانه يدركه قبل موته بايام طرب عظيم وسرور فلا يهدا من الصياح وزعموا ان عاملا للموسيقى من الفلاسفة اراد ان يسمع صوت ققنس في تلك الحال فخشي ان تهجم عليه ان يقتله حسن صوته فسد اذنيه سدا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيئا بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة ايام يريد ان يتوصل الى سماعه شيئا بعد شيء ولا يبغته حسنه في اول مرة فيأتي عليه وزعموا ان ذلك الطاير هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء لهجوم ما البحر عليه وعلى عشه بالليل في الاوكار فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فاعطاه قدحا فيه سم ليشربه واعلمه بذلك فظهرت منه مسرة وفرح فقال له ما هذا ايها الحكيم فقال هل عجزت ان اكون مثل ققنس

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها

يقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان حرله ثم سميت مصر قد اختلف اهل العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصرايم بن مركائيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن نقراوس الجبار بن مصرايم الاول وبه سمي مصر بن بيصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف وقال اخرون هي اسم عربي مشتق فاما من ذهب الى ان مصر اسم اعجمي فانما استند الى ما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بيصر بهذه الارض وقسمها بين اولاده فعرفت به وذكر الحسن بن احمد الهمداني ان مصر بن حام هو مصرايم وقيل ان مصرايم بن هرمس بن هردوس جد الاسكندر قال ونكح نوط بن حام بخت بنت تاويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبطا ابا القبط فنط مصر ومن ههنا ان مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومي

اس

ابن لطي بن يونان وبه سميت مصر فهي مقدونية وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان بني ادم لما تحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن ادم ركب نقراوس الجبار بن مصرايم بن مركائيل ابن دوابيل بن عرباب بن ادم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بني عرباب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض ينقطعون عنه فرارا من بني ابيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فاطالوا المشي عليه فلما راوا سعة البلاد وحسنه اعجبهم وقالوا هذا بلد زرع وعمارة فاقاموا فيه واستوطنوه وبنوا الابنية المحكمة والمصانع العجيبة وبنى نقراوس مصر وسماها باسم ابيه مصرايم وكان نقراوس جبارا له قوة وايد وبطش وكان مع ذلك عالما وله ايتمر الجن في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان دوابيل علمها لادم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببنيان مدينة في موضع خيمته فقطعوا الصخور من الجبال واثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سموها امسوس واقاموا فيها اعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببنا المداين والقرى واسكن كل ناحية من الارض من راى ثم حفروا النيل حتى اخرجوا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجري انما كان ينبطح ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس يجري في وسطها ثم سميت بمصر بعد الطوفان بمصر بن بيصر بن حام بن نوح وذلك ان فليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وامن به هو واهله وولده وتلاميذه وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بيصر ابن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين اولاده كانت ابنة فليمون قد ولدت لبيصر ابنا سماه مصرايم وقال فليمون ابعث معي يا نبي الله ابني حتى امضي به الى بلدي واظهره على كنوزه واوقفه على علومه ورموزه فانفذه معه في جماعة من اهل بيته وكان غلاما مراهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع واجنة وعمارة وكان الذي مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع واقاموا في ارغد عيش ويقال ان اهل مصر اقاموا عليهم مصرايم بن بيصر ملكا في ايام فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد

ابن سام بن نوح فملك مصر وبنى مدينة منف على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصر
غرس الاشجار بيده فكانت ثمارها عظيمة بحيث تشق الاترجة نصفين فيحمل البعير نصفها وكان
القثا في طول اربعة عشر شبرا ويقال انه اول من صنع السفن بالنيل وان سفينته كانت ثلاثمائة
ذراع طولا في عرض مائة ذراع ويقال ان مصر ثم نكح امراة من بني الكهنة فولدت ولدا سماه
قبطيم ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امراة ولدت له اربعة نفر قفطريم واشمون
واتريب وصا فكثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل انه كان عدد من وصل معهم
ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها مافه ومعناها فه ثلاثون بلغتهم وهي منف وكشف
اصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم واثاروا المعادن وعلموهم علم الطلسمات
ووصفوا لهم عمل الصنعة وبنوا على عبر البحر مدنا منها رقوده مكان الاسكندرية ولما
حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من
قفط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا
البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية وولده
الافارق وامر كل واحد من بنيه ان يبني لنفسه مدينة في موضعه وامرهم عند موته ان
يحفروا له سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما
في خزائنه من الذهب والجوهر ويزبروا عليه اسماء الله المانعة تمنع من اخذه فحفروا له
سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب وجعلوا
له اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على
كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال ايات مانعة وجعلوا جسده
في جرن مرمر مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح بعد
سبعمائة عام مضت من ايام الطوفان ومات ولم يعبد الاصنام اذ لا هرم ولا سقام ولا
حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام لا يصل اليه الا ملك ولد له سبعة ملوك
يدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي الى الايمان اخر الزمان وجعلوا
معه في ذلك المجلس الف قطعة من الزبرجد المخروط والف تمثال من الجوهر النفيس والف
برنية مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الالهية والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبائك
الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقه الرمال بين جبلين وولي ابنه قبطيم الملك

وذكر

وذكر ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان ان عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود
اخا عاد بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر
وعرف بعبد شمس لانه اول من عبد الشمس وقيل له ايضا سبا لانه اول من سبا وهو سبا
الاكبر ابو حمير وكهلان ملك بعد ابيه يشجب بارض اليمن فجمع بني قحطان وبني هود عليه السلام
وحثهم على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل ففتحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ ارض
ارمينية وملك ارض بني يافث بن نوح واراد ان يعبر من هناك الى الشام وارض الجزيرة فقيل
له ليس لك مجاز فعزم على الرجوع في طريقك فبنى قنطرة على البحر بناحية وجاز عليها
الى الشام فاخذ تلك الاراضي الى الدرب ولم يكن خلف الدرب اذ ذاك احد ثم نهض يريد
بلاد المغرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم اني رايت ان ابني مصرا [illegible]
حدا بين هذين البحرين يعني بحر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا بين المشرق والمغرب فقالوا
نعم الراي ايها الملك فبنى مدينة وسماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني
حام بن نوح وهم نزول على البراري الى قونية وقمونية القبط فاوقع بجميع تلك الطوائف
وسبى ذراريهم ونساءهم كما فعل ببلاد المشرق فقيل له من اجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر
ومضى منها على الشام يريد الحجاز واوصى ابنه بابليون عند رحيله فقال

الا قل لبابليون والقول حكمة ... ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبني حام من الامر وسطه ... فان صدفوا يوما عن الحق فاقتل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة ... يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الراي في الناس جهرة ... علمك به واجعله ضربة فيصل
ولا تاخذن المال من غير وجهه ... فانك ان تاخذه بالرفق يسهل
ولا تنفقن المال في غير حقه ... وارج ما لا بد منه فابذل
وداو ذوي الاحقاد بالسلف انه ... متى يلق منك الحزم ذو الحقد يخمل
وخذ لذوي الاحساب لينا وشدة ... ولا تك جبارا عليهم وامهل
وكن لسؤال الناس غيثا ورحمة ... ومن يك ذا عرف من الناس يسال
واياك والسعي القريب فانه ... سيغنيك ما تؤتيه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبنى سد مارب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة

ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سبا فبغى بنو حام على بابليون وارادوا تخريب مصر فاستدعا اخاه حمير ليعينه عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى بلاد المغرب واقام بها مائة عام يبني المداين ويتخذ المصانع فمات بابليون بن سبا بمصر وولي بعده ابنه امرؤ القيس بن بابليون ثم مات حمير عن اربعمائة وخمس واربعين سنة منها في الملك اربعمائة سنة وقام من بعده وايل بن حمير ثم مات فقام بعده ابنه سكسك بن وايل الذي يقال له معقعق الملك وقد افترق ملك حمير محارب التوار وسار الى الشام فلقيه عمرو بن امرء القيس بن بابليون بن سبا بالرملة وقد ملك بعد ابيه وقدم له هدية فاقره على مصر والمغرب ورجع الى بابل فمات هنالك واقام عمرو بن امرء القيس على مصر حتى قدم عليه ابرهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر وقال ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر واخبارها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام اربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وساله ان يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة نوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فاجابه يسعى وصاح سام في ولده فلم يجبه احد منهم الا ابنه ارفخشد فانطلق به معه حتى اتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على ارفخشد بن سام وسال الله عز وجل ان يبارك في سام افضل البركة وان يجعل الملك والنبوة في ولد ارفخشد ثم نادى حاما فالتفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا احد من ولده فدعا الله عز وجل نوح ان يجعل ولده اذلا وان يجعلهم عبيدا لولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نايما الى جنب جده حام فلما سمع دعا نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدي قد اجبتك اذ لم يجبك ابي ولا احد من ولده فاجعل دعوة من دعايك ففرح نوح ووضع يده على راسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة التي هي ام البلاد وغوث العباد التي نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها ثم دعا ابنه يافث فلم يجبه ولا احد من ولده فدعا الله عليهم ان يجعلهم شرار الخلق وعاش سام مباركا حتى مات وعاش ابنه ارفخشد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في

ولد ارفخشد بن سام وكان اكبر ولد حام كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك فدعا عليه نوح فخرج اسود وكان في ولده الجفا والملك والجبروت وهو ابو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو ابو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو ابو البربر وابنه الاصغر الرابع بيصر بن حام وهو ابو القبط كلهم فولد بيصر ابن حام اربعة مصر بن بيصر وباج بن بيصر وهو اكبرهم والذي دعا له نوح بما دعا له وفارق بن بيصر وباج بن بيصر وقيل ولد مصر اربعة فقط بن مصر واشمن بن مصر واتريب بن مصر وصا بن مصر وعن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد اول من سكن بمصر بيصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد غرق الله تعالى قومه واول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بيصر بولده وهم ثلاثون نفرا منهم اربعة اولاد له قد بلغوا وتزوجوا وهم فارق وماج وباج ومصر وكان مصر اكبرهم وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك منازل كثيرة كان نوح عليه السلام قد دعا لمصر ان يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي ام البلاد وغوث العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فساله عنها فوصفها له واخبره بها فاقبلوا وكان مصر بن بيصر مع نوح في السفينة لما دعا له وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما قر قرار بيصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته فارق وماج وباج يا مصر قد علمنا انك اكبرنا وافضلنا وان هذه الارض التي اسكنكها ايها جدك نوح ونحن نضيق عليك دارك وذلك لنعيش ولده واولادهم ونحن نطلب اليك بالبركة التي جعلها فيك جدنا نوح ان تبارك لنا في ارض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولاولادنا فقال نعم علىكم باقرب البلاد الي ولا تباعدوا مني فان لي في بلادي مسيرة شهر من اربعة وجوه احوزها لنفسي فتكون لي ولولدي ولاولادهم فحاز مصر بن بيصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش الى اسوان طولا ومن برقة الى ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى افريقية فكان ولده الافارقة وبذلك سميت افريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماج ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر وهو ابو قبط الشام وحاز باج ما ورا الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر فهو ابو قبط العراق

ثم توفي بيصر بن حام ودفن في موضع دير ابي هرميس غربي الاهرام وهي اول مقبرة قبر فيها بارض
مصر وكان اولاد مصر وكان الاكابر منهم قفط واتريب واشمن وصا والقبط من ولد مصر
هذا ويقال ان قبط اخو قفط وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصرايم قال ثم ان بيصر بن حام
توفي واستخلف ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض
مصر التي حاز لنفسه ولولده فلما كبر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده
قطيعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها
وبه سميت قفط قفطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب
وقطع لاشمن من اشمون فما دونها الى منف في الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت
به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا
الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على اربعة اجزاء جزءين بالصعيد وجزءين
باسفل الارض وقال البكري ومصر مؤنثة قال الله تعالى اليس لي ملك مصر وقال ادخلوا
مصر وقال عامر بن واثلة الكناني لمعوية اما عمرو بن العاصي فانطعته مصر واما قول الله
سبحانه اهبطوا مصرا فانه اراد مصرا من الامصار وقرا سليمن الاعمش اهبطوا مصر وقال
في مصر التي عليها سليمن بن علي فلم يجرها وقال القضاعي وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف
فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا يصرف
في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيه التانيث والتعريف فمنعاه
الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا اريد مصر من الامصار صرف
لزوال احدى العلتين وهي التعريف فاما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم فانه مصروف في قراة سائر القراء وفي قراة الحسن والاعمش
غير مصروف فمن صرفه فله وجهان [illegible] انه اراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا
يومئذ في التيه والاخر انه اراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصر اسما للبلد
وهو مذكر سمي به مذكر فلم يمنعه الصرف واما من لم يصرفه فانه اراد مصر هذه المدينة وكذلك
قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شا الله امنين وقول فرعون
اليس لي ملك مصر انما اراد به مصر هذه فاما المصر في كلام العرب فهو الحد بين الارضين
ويقال ان اهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها اي بحدودها وقال الجاحظ في
كتاب

20

كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصير الجوف مصيرا
ومصرانا لمصير الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان امصار وجمع مصير الطعام مصران
وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل هممت بالاسلام ثم وقفت عنه قيل ولم
ذاك قال اتيت امراة لي وانا جايع فقلت اطعميني شيئا فقالت يا جارية ملي لابي مالك
مصيرا في النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جارية ابن مصير ابي مالك فقالت
في النار قال فتطيرت وهممت بالاسلام فتوقفت وقال الجوهري في كتاب الصحاح مصر هي المدينة
المعروفة تذكر وتونث عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة وقال ابن خالويه في كتاب
ليس ليس احد فسر لنا لم سميت مصر بمقدونيه قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونيه
مغيث وانما سميت مصر لما سكنها بيصر بن حام وتزعم الروم ان بلاد مقدونيه جميعا وقف
على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية وسميت بلاد مقدونيه الا وصفيه وهي
عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها باسرها الا الصعيد الاعلى ويقال
لمصر ام خنور وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيئين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجعل الشمس مصرا لا خفا به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قايله عدي بن زيد العبادي ويروى لامية بن ابي الصلت الثقفي وهو من
ابيات اولها

اسمع حديثا كما يوما تحدثه ... عن ظهر غيب اذا ما سايل سالا
كيف بدا ثم رب الله نعمته ... فينا وعلمنا اياته الاولا
كانت رياح وسيل ذو كوا تبه ... وظلمة لم تدع فتقا ولا خللا
فامر الظلمة السودا فانكشفت ... وعزل الما عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها ... تحت السما سوا مثل ما ثقلا
وجعل الشمس مصرا لا خفا به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السما مصابيح تضي لنا ... ما ان تكلفنا زيتا ولا فتلا
وقضى لستة ايام خليقته ... وكان اخرها صور الرجلا ادم
فاخذ الله من طين فصوره ... لما راى انه قد تم واعتدلا
دعاه ادم صوتا فاستجاب له ... بنفخ الروح في الجسم الذي جبلا
ثمت اورثه الفردوس يسكنها ... وزوجه ضلعة من جنبه جعلا

لم يرهبه ربه عن غير واحدة ۞ من بخرطيت ان ستم او اكلا
وكانت الحية الرقشا اذ خلقت ۞ كما ترى ناقة في الخلق او جملا
فلاطها الله اذ اطغت خليقته ۞ طول الليالي ولم يجعل لها اجلا
تمشي على بطنها في الارض ما عمرت ۞ والترب تاكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ ابو الخطاب مجد الدين عمر بن دحيه ومصر اخصب بلاد الله وسماها
الله مصر وهي هذه دون غيرها باجماع القرا على ترك صرفها وهي اسم لا ينصرف في معرفة
لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينه واجتمع فيه التانيث والتعريف فمنعاه الصرف وهي
عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا اخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لكثرة ما فيها
من الخير بما ليس في غيرها فلا يخلو ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتفع بلبنها
وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعا ويقال للوعا المصر وجمعه مصران
ومصارين ولذلك هي خزاين الارض قال ابو بصرة الغفاري من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم فاغاث الله بمصر يوميذ وخزاينها كل حاضر وباد
ذكره عن الحوفي في تفسيره وقال البلوي ام خنور بفتح اوله وتشديد ثانيه وبالرا
المهمله اسم لمصر قال ارطاه بن سهيه

يا الذيبان ذودوا عن دمائكم ۞ ولا تكونوا القوم ام خنور

يقول لا تكونوا اذلا لا نا لكم بمن اراد وباحد منكم من احب كما لمنا بمصر وهي ام خنور
وقال كراع ام خنور النعمه ولذلك سميت مصر ام خنور لكثرة خيرها وقال على
ابن حمزة سميت ام خنور لانها تساق اليها القصار الاعمار ويقال للضبع خنور
وخنوز بالرا وبالزاي وقال ابن قتيبة في غريب الحديث ومصر الحد واهل
هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها اي حدودها وقال عدي بن زيد

وجعل الشمس مصرا لا خفا به ۞ بين النهار وبين الليل قد فصلا

اي حدا

ذكر طرف من فضايل مصر

ولمصر فضايل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين
مرة بصريح الذكر وتارة انه قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم قال ابو محمد

عبد الحق بن عطية في تفسيره للقرآن وجمهور الناس يقرون مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف
الا ما حكي عن بعض مصاحف عثمن بن عفان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره ممن صرفها اراد
مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القريه وبما
تظاهرت به الروايه انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طايفه ممن صرفها اراد مصر فرعون
بعينها واستدلوا بما في القران ان الله اورث بني اسرائيل ديار فرعون وآثارهم واجازوا صرفها
قال الاخفش لخفتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال غير الاخفش اراد
المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي
في مصحف ابي بن كعب وقالوا هي مصر فرعون قال الاعمش هي مصر التي عليها صالح بن علي وقال
اشهب قال لي مالك هي عندي قريتك مسكن فرعون وقال تعالى ادخلوا مصر ان شا الله
امنين قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد السبخي لما خرج يوسف عليه
السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا
احدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا على رجل من ولده يقال له يهودا فنظر
يعقوب الى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا
كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني هكذا ۞ السلام مع
قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر
بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاه قال الطبري عن ابن عباس وغيره قال كانت
بنو اسرائيل تخاف فرعون فامروا ان يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتاده
وذلك حين منعهم فرعون الصلاه فامروا ان يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وان يوجهوا نحو
القبله وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبه حين خاف موسى ومن معه من فرعون
ان يصلوا في الكنايس الجامعة فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة
يصلون فيها سرا وعن مجاهد في قوله ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية
وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا
تبصرون قال ابن عبد الحكم وابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن ابي رهم
السماعي انه قال في قول الله تعالى اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا
تبصرون قال ولم يكن في الارض يوميذ ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل

الارضين يحتاجون الى مصر واما الانهار فكانت قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الما
يجري من تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاوا فهذا ما ذكر الله سبحانه
فيه مصر من اي الكتاب العزيز بصريح الذكر واما ما وقعت اليها الاشارة فيه من الايات
فعدة قال تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق وقال تعالى واويناهما الى ربوة ذات
قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم عن ابيه هي الاسكندرية وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
فاكهين قال ابن يونس في قول الله سبحانه فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
قال ابو رهم كانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى آخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى
رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج
منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزروع ما بين الجبلين
كله من اول مصر الى اخرها مما يبلغه الما وكان جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر
ذراعا لما قدروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر
وقال مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم اي حسن ونعمة
كانوا فيها فاكهين ناعمين قال اي والله اخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه
حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن عفير كنا بقبة الهوا عند المامون لما قدم مصر موضعها اليوم قلعة الجبل
فقلنا قول يا امير المومنين قال قل يا سعيد فقلت ان الذي ترى بقية ما دمر ان الله عز
وجل يقول ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم امسك
وقال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين
ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا
عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون
وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك
يعني ارض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم روى ابن يونس عن ابي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزاين الارض

كلها

كلها وسلطانها سلطان الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعلني على
خزائن الارض فاغاث بمصر وخزاينها كل حاضر وباد من جميع الارض وقال وكذلك مكنا ليوسف
في الارض يتبوا منها حيث يشا فكان ليوسف بسلطانه بمصر جميع سلطان الارض كلها
لحاجتهم اليه والى ما تحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك
اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى
ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد يعني ارض مصر
وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قال ابن عباس رضي الله عنه سميت مصر
بالارض كلها في عشر مواضع من القران وهذا ما حضرني مما ذكرت فيه مصر من اي
كتاب الله تعالى وقد جا في فضل مصر احاديث روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن
العاصي انه قال حدثني عمر امير المومنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير
اجناد الارض قال ابو بكر رضي الله عنه ولم ذاك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيمة
وعن عمرو بن الحمق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة اسلم الناس فيها او
خير الناس فيها الجند الغربي قال فلذلك قدمت عليكم مصر وعن تبيع بن عامر الكلاعي
قال اقبلت من الصايفة فلقيت ابا موسى الاشعري رضي الله عنه فقال لي ممن انت
قلت من اهل مصر قال امن الجند الغربي قلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت اهو
الضعيف قال نعم قال اما انه ما كادهم احد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن
جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال
لي واي شي تذهب به الى بلادك احسن من هذا كنت في اسفل الواحك فلما رجعت الى
معاذ اخبرني ان بذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب من حديث
صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة
في الغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن لهيعة
حديث عمرو بن العاصي حدثني عمر امير المومنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم
منكم صهرا وذمة وروى ابن وهب قال اخبرني حرملة بن عمران التجيبي عن عبد الرحمن بن شماسة
المهري قال سمعت ابا ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون ارضا
يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فاذا رايتم رجلين يقتتلان
في موضع لبنة فاخرج منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعان في موضع
لبنة فخرج منها وفي رواية ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها
فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما او قال ذمة وصهرا الحديث رواه مالك
والليث زاد فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه مسلم في الصحيح عن ابي الطاهر عن ابن وهب
قال ابن شهاب وكان يقال ان ام اسمعيل عليه السلام منهم وقال الليث بن سعد قلت لابن
شهاب ما رحمهم قال ان ام اسمعيل بن ابرهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحق قلت
للزهري ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر ام اسمعيل منهم
وروى ابن لهيعة من حديث ابي سالم الجيشاني ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبره انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم
اهل المغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تاكلوهم اكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم
وعن يزيد بن ابي حبيب ان ابا سلمة بن عبد الرحمن حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصى عند وفاته ان تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون
عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن ايوب
الغافقي عن رجل من الزبد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فاغمي عليه ثم افاق فقال
استوصوا بالادم الجعد ثم اغمي عليه الثانية ثم افاق فقال مثل ذلك ثم اغمي عليه الثالثة
فقال مثل ذلك فقال القوم لو سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادم الجعد
فافاق فسالوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم
على دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتتفرغون
للعبادة فالراضي بما يوتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يوتى اليهم من الظلم كالمتنزه عنهم وعن
عمرو بن حريث وابي عبد الرحمن الحبلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون

على

على قوم جعد رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر
وعن ابن لهيعة حدثني مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في اهل المدرة
السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة صهرهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسرر فيهم ونسبهم ان ام اسمعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن
لهيعة ان ام اسمعيل هاجر من ام العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وقال مروان
القصاص صاهر الى القبط من الانبيا ثلاثة ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرر هاجر
ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر مارية
وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر ياق التي عند ام دنين وقال ابن هشام العرب
تقول هاجر واجر فيبدلون الالف من الهاء كما قالوا هراق الما واراق الما ونحوه وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة فالمدينة مصر والشام مصر ومصر
الجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وعن مكحول اول الارض خرابا ارمينية ثم مصر
وقال عبد الله بن عمرو قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا واقربهم
رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها
في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها وقال
كعب الاحبار من اراد ان ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا اخرفت وفي رواية
اذا ازهرت ومن فضايل مصر انه كان من اهلها السحرة وقد اسلموا جميعا في ساعة
واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط وكانوا في قول
يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا رؤسا تحت يدي كل ساحر منهم عشرون
عريفا تحت يدي كل عريف منهم الف من السحرة فكان جميع السحرة مايتي الف واربعين
الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا بالرؤسا والعرفا فلما عاينوا ما عاينوا
ايقنوا ان ذلك من السما وان السحر لا يقوم لامر الله فخر الرؤسا الاثنا عشر عند ذلك
سجدا فاتبعهم العرفا واتبع العرفا من بقي وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
وقال تبيع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتتن منهم احد مع من افتتن من
بني اسرائيل في عبادة العجل قال تبيع ما امن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة
القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى تخرب

الله عز وجل بهم وبعضا عنهم جزاير الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس
صور على صورة الطير براسه وصدره وجناحه وذنبه فالراس مكه والمدينه واليمن
والصدر الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف
واق امة يقال لها واقواق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح
الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك
امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من
ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشره الصناعه
بالبصره والفصاحه بالكوفه والتخنيث ببغداد والعي بالري والجفا بنيسابور والحسن
بهرو والطرمله بسمرقند والمروة ببلخ والتجاره بمصر والبخل بمرو الطرمذ الدوله كلام
ليس له فعل وعن يحيى بن داود الحافري انه سمع عمرو بن العاص يقول في خطبته واعلموا
انكم في رباط الى يوم القيمه لكثرة الاعدا حولكم ولاستراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن
الزرع والمال والخير الواسع والبركه النامية وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم
من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني ان مصر
اسرع الارض خرابا ثم اراك قد اتخذت فيها وبنيت فيها القصور واطمانت فيها
قال ان مصر قد وفت خرابها حطمها بخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي
اليوم اطيب الارضين ترابا وابعده خرابا ولا تزال فيها بركة ما دام في شي من الارضين بركة
ويقال مصر متوسطه قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس
والسابع ووقعت في الاقليم السادس وطاب هواوها وضعف حرها وخف بردها
وسلم اهلها من مشاتي الاغوار ومصايف عمان وصواعق تهامه ودماميل الجزيره وجرب
اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وعقارب عسكر مكرم وطحال البحرين وحمى
خيبر وامنوا من غارات الترك وجيوش الروم وهجوم العرب ومكايد الديلم وسرايا القرامطه
وبثوق الانهار وقحط الامطار وبها ثمانون كورة ما فيها كورة الا وبها طرايف وعجايب
من انواع البر والابنيه والطعام والشراب والفاكهه وساير ما ينتفع به الناس
ويدخره الملوك يعرف كل كورة وجهاتها وينسب كل كورة الى كورة فصعيدها ارض حجازية
حرها حر الحجاز ومنبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر واسفل ارضها شامي مطر

مطر

مطر الشام وينبت نبات الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وساير الفواكه
والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد وكورة الاسكندريه ولوبيه ومراقيه براري
وجبال وغياض منبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وماشيه ونتاج وعسل
ولبن وفي كل كورة من كور مصر مدينه وفي كل مدينه منها اثار كريمه من الابنيه والصخور
والرخام والعجايب وفي نيلها السفن التي تحمل السفينه الواحده منها ما تحمله
خمسمايه بعير وكل قريه من قرى مصر تصلح ان تكون مدينه يؤيد ذلك قوله سبحانه وابعث
في المداين حاشرين وتعمل بمصر معامل كالتنانير ويحمل بها البيض بصنعة يوقد عليه فتحاكي
نار الطبيعه في حضانة الدجاجه البيض ويخرج في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج
مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمرو بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل فلما
اصبح فرعون امر بشاة فاتي بها فامر بها تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندي
خمسمايه الف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هولاء لشرذمة قليلون وكان
اصحاب موسى عليه السلام ستمايه الف وسبعين الف ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة
اشهر سبيكه ذهب حمرا فاما اللولوة البيضا فان مصر في شهر ابيب ومسرى وتوت يركبها
الما فترى الدنيا بيضا وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد احيطت بها المياه
من كل وجه فلا سبيل الى قريه من قراها الا في الزوارق واما المسكه السودا فان في شهر
بابه وهتور وكيهك ينكشف الما عن الارض فيصير ارضا سودا وفي هذه الاشهر تقع
الزراعات واما الزمردة الخضرا فان في شهر طوبه وامشير وبرمهات تكثر نبات
الارض وربيعها فتصير خضرا كانها زمردة واما السبيكة الحمرا فان في شهر برموده
وبشنس وبونه يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكه من الذهب
منظرا ومنفعة وسال بعض الخلفا الليث بن سعد عن الوقت الذي يطيب فيه مصر
فقال اذا غاض ماوها وارتفع وباوها وجف ثراها وامكن مرعاها وقال اخر
نيلها عجب وارضها ذهب وخيرها جلب وملكها سلب ومالها رغب وفي اهلها صخب
وطاعتهم ذهب وسلامهم شغب وحربهم حرب وهي لمن غلب وقال اخر مصر من
سادات القرى ورؤسا المدن وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل
هي مصر ان لم يصبها مطر زكت وان اصابها مطر اضعفت قاله المسعودي في تاريخه

ويقال لما خلق الله سبحانه آدم عليه السلام مثّل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها
وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك
فلما راى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة يجد فيه البركة وراى جبلا من
جبالها مكسوًّا نورًا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه اشجار مثمرة وفروعها في الجنة
تسقى بماء الرحمة فدعا ادم عليه السلام في النيل بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر
والتقوى وبارك في نيلها وجبلها سبع مرات قال يا ايها الجبل المرحوم سفحك جنة
وتربتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة ارض حافظة مطيعة رحيمة لا خلتك يا مصر
بركة ولا زال منك حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولك
البر والثروة سال نهرك عسلا كثر الله زرعك ودر ضرعك وزكا نباتك وعظمت
بركتك وخصبت ولا زال فيك يا مصر خير ما لم تتجبري وتتكبري او تخوني فاذا فعلت
ذلك عداك شر ثم يعود خيرك فكان ادم اول من دعا لها بالرحمة والخصب والرافة
والبركة وعن ابن عباس ان نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصر بن حام فقال اللهم انه
قد اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة التي هي ام البلاد
وغوث العباد التي نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل البركات وسخر
له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها وقال كعب الاحبار لولا رغبتي في بيت
المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها
بسوء اكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله فيه وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب
عن خالد بن يزيد عن ابن ابي هلال ان كعب الاحبار كان يقول اني لاحب مصر واهلها
لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافية وهم بذلك مصانون ويقال ان في بعض
الكتب الالهية مصر خزائن الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله وقال عمرو بن العاص
ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني اذ اجمع الخراج مع الامارة وقال احمد بن مدبر
تحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان وانما يعمر منها الف الف فدان وقد
كشفت ارض مصر فوجدت غامرها اضعاف عامرها ولو استغل السلطان بعمارتها
لوفت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يبلغ قط اوفر منه في ايام عمر
ابن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم يكن مصر قط اقل

من خراجها في ايام عمرو بن العاص فانه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات
بارتجة عشر الف الف سوى الثغور ومن فضايل مصر انه ولد بها من الانبيا موسى ذكر من ولد من الانبيا بمصر
وهرون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه احذ على سفح
المقطم وهو ساير الى الشام فالتفت الى امه وقال يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويذكر انه ولد في قرية اهناس من نواحي صعيد مصر وانه كانت بها نخلة
يقال انها النخلة المذكورة في القرآن بقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وهذا
القول وتعرفه لا خلاف بين علما الاخبار من اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء
المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل ذكر من دخل مصر من الانبيا
مصر من الانبيا ابرهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا
الكتاب ودخلها ايضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر الفيوم
ودخلها ارميا وكان من اهلها مومن آل فرعون الذي اثنى عليه الله جل جلاله
في القرآن ويقال انه ابن فرعون لصلبه واظنه غير صحيح وكان من جلسا فرعون
الذين ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهرون عليهما السلام
لما استشارهم فرعون في امرهما فقال تعالى قال للملا حوله ان هذا الساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين
ياتوك بكل سحار عليم وابن هذا من قول اصحاب النمرود في ابرهيم صلوات الله عليه
حين اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنه قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين
ومن اهل مصر امراة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله
مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من
فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومن اهلها ماشطة ابنة فرعون وآمنت
بموسى عليه السلام فمشطها فرعون بامشاط الحديد كالمشط الكتان وهي ثابتة على
ايمانها بالله وقال صاعد اللغوي في كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل
الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم
في الجواهر العلوية والحركات النجومية واول من ابتنى الهياكل ومجد الله فيها واول
من نظر في علم الطب والف لاهل زمانه قصايد موزونة في الاشيا الارضية والسماوية

[illegible]

وقالوا انه اول من انذر بالطوفان ورأى ان آفة سماوية تصيب الارض من الما والنار فخاف
ذهاب العلم ودروس الصنايع فبنا الاهرام والبرابي التي في صعيد مصر الاعلى وصور
فيها جميع الصنايع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده
وخيفة ان يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال ابو محمد
الحسن بن اسمعيل بن الضراب في اخبار مصر ان الخضر اجاز البحر مع موسى عليهما السلام وكان
مقدما عنده وكان بمصر من الحكما جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم فكان من
علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة وعلم الهندسة وعلم الكيميا وعلم الطلسمات ويقال
كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلم لتزكوا عقولهم وتجود اذهانهم ويتميز
عندهم الذكا وتدق الفطنة ومن فضايل مصر انها تمير اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر
فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن
والهند والصين وعمان والسند والشحر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما
فرضة بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية
فرضة اقريطش وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد العرب والنوبة
والبجه والحبشة والحجاز واليمن ولمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله وهي
البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس
والاشتوم والفرما والوراده والعريش واسوان وقوص والواحات فتغزي من هذه
الثغور الروم والافرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان ولمصر عدة مشاهد وكثير
من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والديارات والكنايس واهلها مستغنون
بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها
عن ساير البلاد ولمصر دهن البلسان الذي عظمت منفعته وصارت ملوك الارض
تطلبه من مصر وتعتني به وملوك النصرانية تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد
تعظيمه وترى انه لا يتم تنصير نصراني حتى يوضع شي من دهن البلسان في ما المعودية
عند تغطيسه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولهما
في اكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة
الثعابين وبها السمكة الرعادة ونفعها في الزمن الحمي اذا علقت على المحموم عجيب ولمصر

حطب

حطب السنط ولا نظير له في معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو
مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطي الخمود ويقال انه ابنوس غير انه يقع بمصر
فصار احمر وبها الافيون عصارة الخشخاش والجهل منافعه الا جاهل وبها اللبخ وهو
ثمر قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبيل سنة سبعماية من الهجرة وبها
الاترج قال ابو داود صاحب السنن في كتاب الزكاة منه شبرت قثا بمصر ثلاثة عشر شبرا
ورايت اترجة على بعير قطعت قطعتين وصيرت على مثل عدلين قال المسعودي
في التاريخ والاترج المدور حمل من ارض الهند بعد الثلثماية من سني الهجرة وزرع بعمان
ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها
من الثغور الشامية وفي انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا
يعرف فعدمت منه الارايح الطيبة واللون الحسن الذي كان فيه بارض الهند لعدم
ذلك الهوا والتربة وخاصية البلد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب
والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان لمصر من المعادن ثلاثون معدنا واهلها ياكلون صيد
بحر الروم وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما
وذلك يوم وليلة وهو الحاجز المذكور في القران قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قيل
هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال
بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها في كل شهر
من شهور السنة القبطية صنف من الماكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور
فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هتور وسمك كيهك وما طوبه وخروف
امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤونه وعسل ابيب
وعنب مسري ومنها ان صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاها ربيع لما يكون لمصر
حينئذ من القرط والكتان ومن محاسنها ان الذي ينقطع من الفواكه في ساير البلدان
ايام الشتا يوجد حينئذ لمصر ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال
الخيش والدخول في جوف الارض كما تعانيه اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتا الى لبس
الفرو والاصطلا بالنار الذي لا يستغني عنه اهل الشام كما انهم ايضا في الصيف غير محتاجين
الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطي مصر وحمير مصر وثعابين مصر ومنافعها

فى الدرباق جليله ومن فضايل مصر ان الرخامه الخضرا التى فى الحجر من الكعبه من مصر
بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد فى سنه احدى واربعين ومايتين مع رخامه
اخرى خضرا اهديه للحجر فجعلت احدى الرخامتين على سطح جدر الحجر مقابل الميزاب
والرخامه الاخرى هى الرخامه الخضرا التى تحت الميزاب مما يلى جدر الكعبه وهما من احسن الرخام
فى المسجد خضره وكان المتولى عليهما عبد الله بن محمد بن داود وذرعهما ذراع وثلث
اصابع قاله الفاكهى فى اخبار مكه ومن فضايل مصر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسرر من اهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نسا مصر ولم يولد له ولد من غير نسا
العرب الا من نسا مصر قال ابن عبد الحكم لما كانت سنه ست من مهاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبيه بعث الى الملوك فمضى حاطب
ابن ابى بلتعه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندريه وجد
المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذا مجلسه اشار بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما راه امر بالكتاب فقبض وامر به فاوصل اليه
فلما قرا الكتاب قال ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على فيسلط على فقال له حاطب
ما منع عيسى بن مريم ان يدعو على من ابا عليه ان يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم
استعادها فاعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب انه قد كان قبلك
رجل زعم انه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان
لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافى الله به فقد ما سواه وما
بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل
التوراة الى الانجيل ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به ثم قرا الكتاب
فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع
الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين
ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
فلما قراه اخذه فجعله فى حق من عاج وختم عليه وعن ابان بن صالح قال ارسل المقوقس
الى حاطب ليلة وليس عنده الا ترجمان له فقال الا تخبرنى عن امور اسالك عنها فانى اعلم

ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقلت لا تسالنى عن شى الا صدقتك قال الى ما يدعو محمد
قال الى ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونخلع ما سواه ونامر بالصلاة قال فكم تصلون
قال خمس صلوات فى اليوم والليله وصيام شهر رمضان وحج البيت والوفا بالعهد وينهى
عن اكل الميته والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقاتل قومه
قال نعم قال صفه لى قال فوصفته بصفة من صفته لم آت عليها قال قد بقيت اشيا لم ارك
ذكرتها فى عينيه حمره قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوه يركب الحمار ويلبس الشمله
ويجتزى بالتمرات والكسر لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت
اعلم ان نبيا قد بقى وقد كنت اظن ان مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الانبيا من قبله
فاراه قد خرج من العرب فى ارض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه ولا احب
ان يعلم بمحاورتى اياك وسيظهر على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى
يظهروا على ما ههنا وانا لا اذكر للقبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعا
كاتبا يكتب بالعربيه فكتب لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام اما بعد
فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت
اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وقد بعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط
عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام وعن عبد الرحمن بن عبد القارى
قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم
حاطبا واحسن نزله ثم سرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له معه كسوة
وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما ام ابرهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدرى فهى
ام زكريا بن جهم الذى كان خليفه عمرو بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمه الانصارى ويقال بل لدحيه بن خليفه الكلبى ويقال بل
لحسان بن ثابت وعن يزيد بن ابى حبيب ان المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبى الذى نجد نعته وصفته فى كتاب الله
تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع بين اختين فى ملك يمين ولا نكاح وانه يقبل الهديه
ولا يقبل الصدقه وان جلساءه المساكين وان خاتم النبوه بين كتفيه ثم دعا رجلا عاقلا
ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجمل من مارية واختها وهما من اهل حفن من كوره انصنا

فبعث بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهباء وحمارا اشهب وثيابا من
قباطي مصر وعسلا من عسل بنها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اربع جواري وقيل جاريتين وبغله اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور
وقدحا والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وخصيا يسمى مابور ويقال انه
ابن عم مارية وفرسا يقال له اللزاز وقدحا من زجاج وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي
صلى الله عليه وسلم ودعى فيه بالبركة وقال لطن الخبيث بملكه ولا بقا لملكه فان المقوقس قال
خيرا واكرم حاطب بن ابي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم قال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر
الواقدي اخبرنا يعقوب بن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة
قال اهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة
مارية واختها سيرين والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا وبغلته الدلدل وحماره عفير
وخصي يقال له مابور فعرض حاطب على مارية الاسلام فاسلمت هي واختها ثم اسلم
الخصي بعد وكان الذي بعثه المقوقس مع مارية اسمه جبر بن عبد الله القبطي مولى بني
غفار قال ابن عبد الحكم وامر رسوله ان ينظر من جلساؤه وينظر الى ظهره هل يرى شامة
كبيرة ذات شعر ففعل ذلك الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم
اليه الاختين والدابتين والعسل والثياب واعلمه ان ذلك كله هدية فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لا يردها من احد من الناس قال فلما نظر الى
مارية واختها اعجبتاه وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال
اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية وذلك انه قال لهما تشهدا ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله فبدرت مارية فتشهدت وآمنت قبل اختها ومكثت اختها
ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمحمد بن مسلمة
الانصاري وقال بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي وعن يزيد بن ابي حبيب
عن عبد الرحمن بن شماسة المهري عن عبد الله بن عمرو قال دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ام ابراهيم ام ولده القبطية فوجد عندها نسيبا كان لها قدم معها من مصر
وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فعرف ذلك في وجهه فساله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها

عندها فاهوى اليه بالسيف فلما راى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوبا ليس بين رجليه
شيء فلما راه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله عز وجل قد براها وقريبها وان في بطنها غلاما
مني وانه اشبه الخلق بي وامرني ان اسميه ابراهيم وكناني بابي ابراهيم وقال الزهري عن
انس لما ولدت ام ابراهيم ابراهيم كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه
جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها بخصي كان ياوي اليها
وقيل ان المقوقس اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن ام ابراهيم وواحدة
وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت
فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فكان من احب الناس اليه حتى مات
فوجد به وكانت سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار احب دوابه
اليه وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعفور واعجبه العسل ودعى في عسل بنها بالبركة
وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية
قيصر ويقال بل كان اسمها شيرين وقيل حنة وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان
في ان يضع الجزية عن جميع قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على
احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها واقربائها فانقطعوا ويروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية وماتت
مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة قال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن
لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخنس عن ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابليس العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام
فطردوه حتى بلغ جبل بشاق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه حديث
صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة
الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حمل الماء والا فهي رمل محض لا
تنبت الزروع والنار لا توجد بها شجرة والهواء لا يهب الا من احد البحرين اما
من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا في تحامله وقال كعب الاحبار الجزيرة امنة
من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة امنة

ذكر ما كان بمصر من عجايب الحركات وغرايب الماجريات انه عمل بمصر مجمر من جمع كفه عليه بما جمع ما في جوفه

من الخراب حتى يكون الملحمة

ذكر العجايب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك

قال القضاعي ذكر الجاحظ وغيره ان عجايب الدنيا ثلثون اعجوبه منها بساير الدنيا عشر اعجوبات وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجه وقصر غمدان وكنيسه رومية وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمداين وبيت الريح بتدمر والخورنق والسدير بالحيره والثلاثه الاحجار ببعلبك وذكر انها بيت المشترى والزهره وانه كان لكل كوكب من السبعه بيت بها فتهدمت وبقى هذا ومنها بمصر عشرون اعجوبه فمن ذلك الهرمان وهما اطول بنا واعجبه ليس على الارض بنا باليد حجر على حجر اطول منهما واذا رايتهما ظننت انهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من راهما ليس من شى الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمين فاني ارحم الدهر منهما ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهويه ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على بلد الجيزه ومن ذلك بربا سمنود وهو من اعاجيبها ذكر عن ابي عمر الكندي انه قال رايته وقد حوت فيه بعض عمالها قرطا فرايت الجمل اذا دنا من بابه يحمله واراد ان يدخله سقط كل دبيب في القرطم بداخل منه شى الى البربا ثم خرب عند الخمسين والثلاثمايه ومن ذلك بربا اخميم عجبا من العجب مما فيه من الصور والعجايب وصور الملوك الذين ملكوا مصر وكان ذو النون الاخميمي يقرا البرابي فراى فيه حكما عظيمة فافسد اكثرها ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومايه كوه تدخل الشمس كل يوم من كوه منها ثم التي تليه حتى تنتهي الى اخرها ثم تكر راجعة الى موضع بدات ومن ذلك حايط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بارض مصر شرقا وغربا ومن ذلك الاسكندريه وما فيها من العجايب فمن عجايبها المنارة والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنه ثم يرمون بالكرة فلا تقع في حجر احد الا ملك مصر وحضر عبد امن اعبادهم عمرو بن العاصي فوقعت الكره في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملعب الف الف من الناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرى كتاب سمعوه جميعا او لعب لون من الوان اللعب راوه عن اخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب العليه والسفله ومن عجايبها المسلتان وهما جبلان قايمان على سرطانات نحاس في اركانها كل ركن

علي

على سرطان فلو اراد مريد ان يدخل تحتها شيا حتى يخرجه من جانبها الاخر لفعل ومن عجايبها عمود الاعجب وهما عمودان ملقيان وراس كل عمود منهما جبل حصب كقطر الحجار تمني يعمل المغني التعب النصب بسبع حصيات حتى يبتلي على احدها ثم يرمى وراه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ولمضى لطيته فكانما تحمل حملا الا تحس من يعقبه بشى ومن عجايبها القبه الخضرا وهي من اعجب قبه ملبسة نحاسا كانه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا تخلقه الدهور ومن عجايبها منية عقبه وقصر فارس وكنيسه اسفل الارض تدعى على مدينه ليس على وجه الارض مدينه في هذه الصيغة سواها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان عمدها ورخامها من البدخشا والاصطفيدس المخطط طولا وعرضا ومن عجايب مصر ايضا الجبال التي يصعدها على نيلها وهي ثلاثة اجبل فمنها جبل الكهف ويقال الكف ومنها الطيلمون ومنها جبل زماخير الساحرة يقال ان فيه خلقه من الجبل ظاهره مشرفه على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم ومن عجايبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تاتيه البوقيرات في يوم من السنه كان معروفا فتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فتحبسه وتمضي كلها ولا يزال ذلك الذي تحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتناسى ومن عجايبها عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير اعجب منهما ولا من شانهما طولهما في السما نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابه وعلى راسيهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جا النيل قطر من راسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري عن اسافلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من الجدي وهو اقصر يوم في السنه انتهت الى الجنوبي منهما فطلعت عليه على قمة راسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو اطول يوم في السنه انتهت الى الشمالي منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى المثلين وخط الاستوا في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبه وجايبه ساير السنه كذا يقول اهل العلم بذلك ومن عجايبها منف وعجايبها واصنامها وابنيتها ودفاينها وكنوزها وما يذكر فيها الزمن

ان يحصى من اثار الملوك والحكما والانبيا لا مدفع ذلك ومن عجايبها الفرما وهي اكثر
عجايبها واكثر اثارا ومن عجايبها الفيوم ومن عجايبها نيلها ومن عجايبها
البحر المعروف بحجر اكحل يطفو على الكحل ويسبح فيه كانه سمكة وكان يوجد بها حجر اذا
امسكه الانسان بكفه يتقيا كل شي في بطنه وكان بها خرزة تجعلها المراة
على حقوها فلا تحبل وكان بها حجر توضع على حرف التنور فيتساقط خبزه وكان
يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتتقد كالمصابيح ومن عجايبها حوض كان
بدلالة صعدور من حجارة يركب فيه الواحد والاربعة ويحركون الماء بشي فيعبرون من
جانب الى جانب لا يعلم من عمله فاخذه كافور الاخشيدي الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من
الماء فالقي في البر وكان في اسفله كتابة لا يدري ما هي ثم بطل ومن عجايبها ان بصعيدها
ضيعة تعرف بدشنا فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تذبل وتخشع وتضمر فيقال
لها قد عفونا عنك وتركناك فتتراجع والمشهور وهو موجود الان سنطة في الصعيد
اذا ابركت اليد عليها ذبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهدت
وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالابنوس وبها الخشب السنط الذي يوقد
منه القدر الكثير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد وذكر ابن نصر المصري انه كان
على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس
على خلقة الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة متنكب قوسا عربية وفي رجليه نعلان
كانت الروم والقبط وغيرهم اذا انظلموا وتعدى بعضهم على بعض تحاكموا اليه حتى
يقفوا بين يدي ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج هذا الراكب للجمل
فياخذ الحق منك شئت ام ابيت يعنون بالراكب النبي محمدا صلى الله عليه وسلم
فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة
بلغني ان تلك الصورة في ذلك الموضع قد اتى عليها الف سنين لا يدري من عملها
قال القضاعي وهذه عشرون اعجوبة من جملة ما تضمن عدة عجايب تلوبسطا لحي
منها عدد كثير ويقال انه ليس من بلد فيه شي غريب الا وفي مصر مثله او شبيه به ثم تفضل
مصر على البلدان بعجايبها التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر
بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحته صبي ميت

ملفوف

ملفوف في نطع قد يبس وهو مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه
فتيل اذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافي
احسن الغاية حتى تمتلي تلك الباطية ويطفي السراج بكثرة الزيت فاذا انطفي لم يخرج من
الدهن شي فاذا اخرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شي والباطية
يرفعها الانسان فلا يرى تحتها شيا ولا موضع فيه ثقب واولئك الرهبان يعيشون
من ذلك الزيت يشترونه الناس منهم فينتفعون به وقال الاستاذ ابرهيم بن وصيف شاه
عديم الملك بن قفطريم كان جبارا لا يطاق عظيم الخلق فامر بقطع الصخور ليعمل هرما
كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان هبطا من السما وكانا في بير يقال لها
افناوة فكانا يعلمان اهل مصر السحر ويقال ان الملك عديم بن البودشير استكثر
من علمهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما
مهله وهاله وليسا هما الملكين والملكان ببابل في بيرهما الى ان تغشاها السحرة الى
ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال ان الشياطين تظهر
وتنصبها لهم وقال قوم اول من نصبها تدوره واول صنم اقامه صنم الشمس وقال
اخرون بل النمرود الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم اول من صلب وذلك
ان امراة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فامر بصلبهما
على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الاخر وزبر على المنارين اسميهما
وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه فانتهى الناس عن الزنا وهي اربع
مداين واودعها صنوفا كثيرة من عجايب الاعمال والطلسمات وكنز فيها كنوزا كثيرة
وعمل في الشرق منارا واقام على راسه صنما موجها الى الشرق مادا يديه يمنع
دواب البحر والرمال ان تتجاوزه وزبر في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه
ويقال ان هذا المنار قايم الى وقتنا هذا ولولاه لغلب الماء الملح من البحر الشرقي على
ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلد النوبة ونصب عليها اربعة اصنام
موجهة الى اربع جهات الدنيا في يد كل صنم حربتان يضرب بهما اذا اتاها ات من تلك
الجهة فلم تزل كذلك الى ان هدمها فرعون موسى عليه السلام وعمل البربا على باب
النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى المداين الاربع التي ذكرنا حوضا من صوان

اصل المد
احتلبه

اسود مملوا ماء لا ينقص على الدهر ولا يتغير ماؤه لانه اجتلبه اليه من رطوبة الهوا وكان
اهل تلك الناحية واهل ملك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه وعمل ذلك لبعدهم
عن النيل وذكر بعض كهنة القبطان ذلك انما تولد عوبته من البحر الملح فان الشمس ترفع بخار
بخار البحر فيحصر من ذلك البخار جزا بالهندسة او بالسحر ويجعله يختلط في ذلك الموضع
بالجوهر مثل الظل وندا الهوا فلا ينقص ماؤه على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل
قدحا لطيف على مثل هذا العمل واهداه حومل الملك الى الاسكندر اليوناني وملكهم عديم
مايه واربعين سنه ومات وهو ابن سبعمايه وثلاثين سنه ودفن في احدى المداين ذات
العجايب وقيل في صحرا قفط وذكر بعض القبطان بارس عديم عمل في صحرا قفط على وجه
الارض تحت قبة عظيمة من زجاج اخضر براق معقود وعلى راسها كرة من ذهب عليها
طاير من ذهب موشح بجوهر منشور الجناحين تمنع من الدخول الى القبة وكان قطرها
مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف
الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المفروز بالجوهر المنظوم وطول القبة اربعون
ذراعا وجعل في القبة مايه وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع موايد باوانيها
منها مايده اذرك رماني احمر واوانيها منها ومايدة من ذهب قلموني اوانيها منها
ومايدة من حجر الشمس المضي باوانيها وهو الزبرجد الذي اذا نظرت اليه الافاعي سالت
اعينها ومايده من كبريتا احمر مدبر باوانيها ومايدة من ملح ابيض مدبر براق باوانيها
ومايده من زيبق معقود وجعل في القبة جواهر كثيره وبرابي صنعه مدبره وحوله
سبعة اسياف وتراسا من حديد ابيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج
من ذهب وسبعه توابيت من دنانير عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير
والسمومات والادويه في برابي من حجارة وقد ذكر من راى هذه القبة واقاموا اياما
فما قدروا على الوصول اليها وانهم اذا قصدوها وكانوا منها على ثمانية اذرع دارت
القبة عن ايمانهم او عن شمايلهم ومن اعجب ما ذكروه انهم كانوا يجدون ازاجها ارجا
ارجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الارج الاخر على معنى واحد وذكروا انهم
راوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيره مكشوفه وقدروا طول بدنه
عشرة اذرع وزيادة وذكر هولا الذين راوها انهم خرجوا لحاجة فوجدوها اتفاقا

وانهم

وانهم سالوا اهل قفط عنها فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم واوصى عديم الملك ابنه شداد
ابن عديم ان ينصب في كل حيز من احياز عمومته منارا ويزبر عليه اسمه فانحدر الى الاشمونين
وعمل منارا بها وزبر عليه اسمه وعمل بها ملاعب وعمل في صحرايها منارا واقام عليه
صنما براسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى اتريب وبنى
فيها قبة مرتفعة على عمد واساطين بعضها فوق بعض وعلى راسها صنما صغيرا من
ذهب وعمل هيكلا للكواكب ومضى الى حيز صا فعمل فيها منارا على راسه مرآة من اخلاط
تورى الاقاليم ورجع وعمل شداد بن عديم هيكل ارمنت واقام فيه اصناما باسماء
الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساه
الوشي والديباج وعمل في المداين الداخلة من انصنا هيكلا واقام فيه باتريب وهيكلا
شرقي الاسكندرية واقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبر النيل من الجانب
الغربي وبنا في الجانب الشرقي مداين في احداها صورة صنم قائم وله احليل اذا اتاه المعقود
والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فمسحه بكلتي يديه انتشر ذكره وقوى على الباه وفي احد
بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امراة اتتها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها
وجمع التماسيح بطلسم عمله بناحية سنبوط وكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبابا
فتقتلها وتستعمل جلودها في السفن وغيرها وعمل منقاوس الملك بيتا تدور به
تماثيل لجميع العلل وكتب على راس كل تمثال ما يصلح من العلاج فانتفع الناس بها
زمانا الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امراة متبسمة لا يراها مهموم الا زال
همه ونسيه فكان الناس ينتابونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من بعد ذلك وعمل
تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده فكان
الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلكلي عشقت عبده حطم
رجلا من خدمه وخافت ان تمتحن بذلك الصنم فاحتالت في ذكر الزواني مع الملك واكثرت
من سبهن وذمهن فذكر كلكلي ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك
غير ان منقاوس لم يصب في امره لانه اتعب نفسه وحكماه فيها وجعله لصلاح العامه
دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان
اقترفت احديهن ذنبا علم بها فيكون زاجرا لهن من غير ان يعلو بهن شي من الشهرة

قال كلكن صدقت وظن ان هذا منهن نصح فامر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل
عمله وعملت المراه ما كانت نعتت به وبنا هيكلا على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يطلقون
الرياح للمراكب المقلعه لا بضريبة ياخذونها للملك منهم وبنا مناوس بن منقاوس في صحرا
الغرب مدينه بالغرب من مدينه السحرة تعرف بمنظر ذات عجايب وجعل في وسطها قبة
عليها كالسحابة تمطر شتا وصيفا مطرا خفيف وتحت القبة مطهرة فيها ما احضر بدا اوى
به من كل دا فبري به وعمل في شرقيها بربا لطيف له اربعة ابواب لكل باب عضادتان في كل
عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه بما يحدث في يومه فمن دخل البربا
على غير طهارة نفخا في وجهه فاصابته علة وقطعة لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون
ان في وسطه مهبط النور في صورة العمود من اعتنقه لم يحتجب عنه شى من الروحانيه
وسمع كلامهم وراى ما يعملون وعلى كل باب من ابواب هذه المدينه صورة راهب في يده
مصحف فيه علم من العلوم فمن احب معرفة ذلك العلم اتى تلك الصورة فمسحها بيديه وامرها
على صدره فيثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس
وهو عطارد وانهما بحالهما وحكي عن رجل انه اتى عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر
فعرفه انه تاه في صحرا الشرق فوقع على مدينة خراب فيها شجرة تحمل كل صنف الفاكهة
وانه اكل منها وتزود فقال له رجل من القبط هذه احدى مدينتي هرمس وفيها
كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم زاد وما فاقاموا يطوفون تلك
الصحاري شهرا فلم يقفوا لها على اثر وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمه في صحراء
الغرب وجعلت في وسطها عمودا طوله ثلاثون ذراعا وفي اعلاه قصعة من حجارة
يفور منها الما فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة على صور
الحيوانات من الوحش والطير والبهايم فكان كل جنس ياتي الى صورته وبالفها فيوخذ
باليد وينتفع به وعملت لابنها متنزها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركبه
على اساطين من مرمر مصبغ بالذهب مرصعا بالجوهر والزجاج الملون وزخرفته
بالتصاوير العجيبه والنقوش فكان الما يطلع في فوارات وينصب الى انهار قد
صفحت بالفضه تجري الى حدايق فيها بديع الغروسات وقدامها حولها تماثيل تصفر
باصناف اللغات وارخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان
بنات

بنات عمه وبنات الملوك وازوجته وحولته الى هذه الجنه وبنت حول الجنه مجالس للوزرا
والكهنه واشراف اهل الصناعات فكانوا يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من
اعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد ابيه سرقوره وهو
صبي وكانت امه مدبرة للملك وهي حازمة مجربة فاجرت الامور على ما كانت عليه في
حياة ابنه واحسنت وعدلت في الرعيه ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه
سعيده كلها في الخصب والكثرة والسعة للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد
ويرجع الى جنته فيامر لكل من معه بالجوايز والاطعمه ويجلس يوما للنظر في مصالح
الناس وقضا حوايجهم ويخلو يوما بنسائه وكان ملكه ثلاث عشره سنه وحدرقمات
وعمل قرسون بن قلمون بن اتريب منارا على بحر القلزم وعلى راسه مراه تجذب المراكب
الى شاطي البحر فلا يمكنها ان تبرح او تعشر فاذا عشرت سترت المراه حتى تجوز المراكب
واقام قرسون ملكا مائتي سنة وستين سنه وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل
الاسود الشرقي في وسطه قبه حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت اعجوبة لا تشبه
الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم
والحكمة فعمل في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترطان يزن له ما يبتاعه
منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيغتر البايع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك
بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال كثيره تساوي عشرة اضعافه وكان اذا احب ان يدخل
في وزنه اضعاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزاين
بني اميه وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم اخر قيل انها عملت في وقته ايضا
يكون الدرهم منها في ميزان الرجل فاذا اراد ان يبتاع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله
وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم
قد سبقه الى ميزانه ويجد البايع موضع ذلك الدرهم ورقه اس او قرطاس او مثل
ذلك بدور الدراهم وفي وقته عملت الانية الزجاج التي توزن فاذا امليت ما او غيره
ثم وزنت لم تزد في وزنها الاول شيئا وعمل في وقته الانيه التي اذا جعل فيها الما صار
خمرا في لونه ورايحته وفعله وقد وجد من هذه الانيه باطفيح في امارة هارون بن خمارويه
ابن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقا بياض وكان الذي وجدها ابو الحسين

الصانع الخراساني هو ونفر معه فاكلوا على شاطي النيل وشربوا من الما فوجدوه خمرا
سكروا منه وقاموا الى رقصوا فوقعت الشربة انكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجا الى
هرون فاسف عليها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها ببعض ملكي واما الانية
النحاسية التي تجعل الما خمرا فانها منسوبة الى قلوبطره بنت بطلميوس ملكة الاسكندرية
فلعند وفي وقتها عملت الصور الخشبية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب
وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس فلا يقدر على
مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكان يعمل اعماله كلها بصور درج الفلك واسمائها
وطوالعها فيتم له من ذلك ما يريده وعمل في صحرا الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه
قبة من زجاج اخضر صافي النور فاذا طلعت عليها الشمس القت شعاعها على مواضع
بعيدة وعمل في اربعة جوانبه اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش
عليها بغير لونها طلسمات عجيبة ونقوشات غريبة وصورا بديعة كل ذلك من
زجاج مطابق بسقف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل له ثلاثة اعياد في كل سنة
فكان الناس يحجون اليه في كل عيد ويذبحون له ويقيمون فيه سبعة ايام ولم يزل هذا
الملعب تقصده الامم فانه لم يبن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى ان هدمه بعض
الملوك لعجزه عن عمل مثله وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبة وكان ابوها يعبد
الكوكب الذي يقال له السها وتسميه الاله فسالت ابنها ان يعمل لها هيكلا ليعبد به
فعمله وصفحه بالذهب والفضة واقام فيه صنما وارخى عليه الستور الحرير فكانت
تدخل اليه بجواريها وحشمها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا
تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب
له ويبخره ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته فلما راى الكاهن الامر في عبادة
الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احتال يكون للكوكب السها مثالا في الارض على
صورة حيوان يعبد له فاقام يعمل الحيلة في ذلك الى ان اتفق ان العقبان كثرت بمصر
واضرت بالناس فاحضر الملك هذا الكاهن وساله عن سبب كثرتها فقال له ان
الهك ارسلها لتعمل لها نظيرا تسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا افعله
فقال ان ذلك رضاه فامر بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك

وعمل

وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لولو منظوم على انابيب جوهر اخضر
وفي منقاره درة معلقة وسوّره بادرك احمر واقامه على قاعدة من فضة منقوشة
قد ركبت على قائمة زجاج ازرق وجعله في ازج عن يمين الهيكل والقى عليه ستور
الحرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والصموغ وقرب له عجلا اسود وبكارة
الفراريج وباكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود له
فاجابه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل له عيدا فلما تم له
اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه وكان اول ما دعاهم اليه ان تحوله في انصاف
الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخمر العتيقة التي توخذ من رووس الخوابي وعرفهم انه
قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك
ووجه الى ام الملك يعرفها ذلك فصارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها
ذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له واقام
له سدنته وامران يزين باصناف الزينة فكان مرقونس يقوم لهذا الهيكل ويسجد لتلك
الصورة ويسالها عما يريد فتخبره وعمل من الكيميا ما لم يعمله احد من الملوك فيقال انه دفن
بصحرا الغرب خمسمائة دفين ويقال انه عمل على باب مدينة صا عمودا عليه صنم في صورة
امراة جالسة وفي يدها مراة تنظر اليها وكان العليل ياتي الى هذه المراة وينظر
فيها او ينظر له احد فيها فان كان يموت نظر علته مثل روى ميت وان كان يعيش راه
حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان راوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان راوه موليا
علموا انه متماد في سفره وان كان مريضا او ميتا راوه كذلك في المراة وعمل بالاسكندرية
صورة راهب جالس على قاعدة وعلى راسه كالبرنس وفي يده كالعكاز فاذا مر به تاجر
فجعل بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو بعد من غير ان يضع
بين يديه المال لم يقدر على الجواز وبقي قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم
يفرق في الزمنى والفقرا وعمل في زمنه كل اعجوبة طريفة وامران يزبر اسمه عليها
وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم وعمل لنفسه ناووسا في داخل ارض الغرب عند جبل يقال
له سدام وعمل تحته ازجا طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون
ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيما دار به مصاطب

علي

مبلطة بزجاج ملون كل مصطبة اعجوبة وفي وسط الازج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها
صورة تمنع من الدنو اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر يضي وفي وسط الدكة
حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمد بالادوية الماسكة ونقل اليه دخاير من الذهب
والجوهر وغيره وسد باب الازج بالصخور والرصاص وهيل عليه الرمال وكان ملكه
ثلاث وسبعين سنة وعمره ماتين واربعين سنة وكان جميلا ذا وفرة حسنة فتمسكت
نساؤه ولزمن الهيكل من بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا ابن ايساد وقيل
صا بن مرقونس اخو ايساد فعمل مراة في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها
مصر وتجدب وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر اعلاما كثيرة وعمل
خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من تعذر عليه امر ياتيه ويبخره فيتيسر
ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من اقصى
يصل اليه البحر على مسيرة ايام وهو اول من اتخذها ويقال انه بنى اكثر مدينة
منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية ولما ملك تدارس بن صا الاحيار كلها بعد
ابيه وصفا له ملك مصر بنى في غربي مدينة منف بيتا عظيما للكوكب الزهرة واقام
فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب ملوح بزرقة وسوره بسوارين من
زبرجد اخضر وكان الصنم في صورة امراة لها ظفيرتان من ذهب اسود مدبر وفي
رجليها خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان
وهي تشير بسبابتها كانها مسلمة على من في الهيكل وجعل حذاها تمثال بقرة
ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة
تجاه وجه الزهرة اللازورد وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع وفي
المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونه
في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل كراسي للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة
وقرب لهذا الصنم الف راس من الضان والمعز والوحش والطير وكان يحضر
يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل
راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها راس انسان معلق ولم يزل هذا
الهيكل الى ان هدمه بختنصر في ايام مالوس بن تدارس وكان متوحدا على دين قبطيم

ومصرايم

ومصرايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وارض افريقية وبلاد الاندلس وارض
الافرنجة الى البحر وعمل على البحر اعلاما زبر عليها اسمه وسيره ورجع وهابه ملوك
الارض وكان في غربي مصر مدينة يقال لها قرميدة بها قوم من البربر قد ملكوا عليهم
امراة ساحرة فغزاهم فلم ينل منهم قصدا ورجع فارادت ملكتهم افساد مصر فعملت
من سحرها وامرت فالقي في النيل ففاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت
التماسيح والضفادع وفشت الامراض في الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب
فاحضر ما بقي الكهنة واكلا في دار حكمتهم والزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم
فراوا ان هذه الافة اتتهم من ناحية الغرب وان امراة عملته والقته في النيل فعلموا
حينئذ انه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف
عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب للضرر وجهز قايدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا
بها غير رجل واحد فاخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى فمن ذلك
صورة كاهن من زبرجد اخضر على قائمة من حجر الاسباذشم وصورة روحاني من
ذهب راسه من جوهر احمر وله جناحان من در وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم
في دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة زجاج اخضر فيها
ما يدفع الاسقام وفرسا من فضة اذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنه وركبه
احد طار به فاحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة واصنامهم والاموال والجواهر
الى مصر ومعهم الرجل فساله الملك عن اعجب اعمالهم فقال قصدتهم بعض ملوك البربر
بجمع كثيف وتخاييل هايلة فاغلق اهل مدينتنا حصنهم ولجوا الى الاصنام فاتى الكاهن
الى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يتبركون منها فجلس على حافتها واحاط رؤسا
الكهنة واخذ يزمزم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار في وسطها وجه
كدارة الشمس لها ضوء فخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت
القبة وسمع منها قد كفيتم عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وساير من معه
وذلك ان صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت فيهم صيحة اهلكوا بها ولما
ملك كلكن مصر بعد ابيه حربيتا كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره
فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان النمرود ببابل من سواد العراق وغلب على كثير من

الامم فاقبل كلكن الله مصر بعد ابيه خربتا كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره
فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه وكان النمرود يسكن سوا على اربعة افراس تحمله لها اجنحة
وقد احاط به كالنار وحوله صور هايله فدخل بها وهو متشح بثعبان ومحتزم ببعضه
وذلك التنين فاعرفاه ومعه قضيب اس اخضر كلما حرك التنين راسه ضربه
بالقضيب فلما راي النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكمة وتقول القبطان كلكن
كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربي في قبته تلوح على راسه وكان اهل البلد اذا دهمهم
امر اجتمعوا حول الهرم ويقولون انه ربما اقام على راس الهرم اياما لا ياكل ولا يشرب
ثم انه استتر مدة حتى توهموا انه هلك فطمع الملوك في مصر وقصدها ملك من العرب
يقال له سادوم في جيش عظيم الى ان بلغ وادي هبيب فاقبل كلكن وجللهم من سحره بشيء
كالغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار لمصر فعرفهم ما
عمل وامرهم فخرجوا فاذا بالقوم هم ودوابهم قد ماتوا فتيمن به جميع الكهنة وصوروه في ساير
الهياكل وبني هيكل لزحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا في ايام دارم
ابن الريان وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند القبط ذرموش ظهر معدن فضة
على ثلاثة ايام من النيل فاثاروا منه شيا عظيما وعمل منه صنما على اسم القمر لان طالعه
كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرقي النيل ونصب حوله
اصناما كلها من الفضة والبسها الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل القمر برج السرطان
ولما ولي اكسامس الملك بعد ابيه معدان بن معاديوس بن دارم بن ذرموش وهو
الفرعون السادس اقام اعلاما كبيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشي من بعضها
الى بعض وعمل برقوده وصا ومداين الصعيد واسفل الارض اعلاما ومنابر للوقود
وطلسمات كبيرة وعمل كرة من فضة ونقش عليها صور الكواكب ودهنها بالدهن الصيني
واقامها على منارة وسط منف وعمل في هيكل ابيه روحاني زحل من ذهب اسود
مدبر وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة
وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق وعلى
الاخرى باطل وتحته فصوص قد نقش عليها اسما الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم
وياخذ كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريده ويجعل احد الفصين في كفة

والاخر

والاخرى في كفه فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن اراد سفرا اخذ فصين وذكر
على احدهما اسم السفر وعلى الاخر الاقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا جميعا ولم
يرتفع احدهما على الاخر اقام وان ارتفعا سافر وان ارتفع احدهما اخر السفر ثم سافر وكذا
من عليه دين او من له غايب او ينظر في صلاح امره وفساده ويقال ان بختنصر لما
دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار وعمل
في ايامه ايضا تنور يشوي فيه من غير نار وقدر يطبخ فيها بغير نار وسكين تنصب
فاذا اراها شي من الهها ثم اقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ما يستحيل نارا وزجاجا يستحيل
هواوا واشيا من النيرنجات والنواميس واما البرابي فذكر ابن وصيف شاه
ان سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها
علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال في كتاب الفهرست ولمصر
ابنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبار وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع
للصحن والسحق والحل والعقد والتقطير يدل على انها عملت لصناعة الكيميا وفي هذه
الابنية نقوش وكتابات لا يدرك ما هي وقد اصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة
في التوز وفي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة وذكر الحسن بن احمد الهمداني ان براني
مصر تنسب الى بوراب بن الدرمشيل بن محويل بن خنوخ بن قاين بن ادم عليه السلام
وذكر ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية ان
كنيسة في بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم الماخوذ بارايهم المامون من
جهتهم التمويه عليهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير
تحته رجل وصبي مسندان في نطع وفوقه تور رخام في جوفه باطية رخام داخلها
قنديلة من نحاس في جوفها فتيلة كتان يتوقد فيصب فيها زيت فلا يلبث ان تمتلي
الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى التور الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقنا ديلها
وذكر الجيهاني انه صار اليه من وثق به ورفع الباطية عن التور وافرغ الزيت عن
الباطية والتور جميعا واطفا النار واعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من
عنده وابدله فتيلة اخرى واشعلها فما لبث الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج
ثم فاض الى التور الرخام من غير مدة ظاهرة ولا عنصر وذكر الجيهاني انه اذا اخرج

الميت من تحت السرير فانطفت النار ولم يعض الزبيب وذكر عن اهل القرية ان المراة
المتوهمة في نفسها حملا تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فيتحرك ولدها في البطن ان كان
الحبل حقيقة او تيأس ان لم يحس حركة قال مولفه وجامعه اخبرني داود بن رزق الله
ابن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة باراضي مصر ومعرفة باحوالها انه عبر في مغارة كبيرة
يقال لها مغارة سقلقيل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وانه تخطاه
ومضى فاذا انتهى الى الخابية من السمك وجميعها ملفوفة بثياب كانها قد كفنت بعد الموت
وانه اخذ منها سمكة وفلسها فاذا في فمها دينار عليه كتابة لا يحسن قراتها وصار ياخذ
سمكة بعد سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير وانه اخذ تلك
الدنانير ورجع ليخرج حتى جا الى الكوم السندروس واذا به قد ارتفع حتى سد عليه الموضع
فعاد الى السمك واعاد الدنانير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كما كان اولا فتخطاه
وخرج فعاد واخذ الدنانير ومشى ليخرج بها فاذا بالسندروس قد ارتفع وحال بينه وبين
خروجه فعاد والقى الدنانير في موضعها وخرج فلم يمتنع من الخروج وانه كرر اخذ الدنانير
واعادها مرارا والحال على ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها وخرج فلما كان بعد مده سكن
موضع فراي نحو ثقب في جدار وقد فور ووضع فيه حجرا فحاول الحجر الاخر حتى رفعه فاذا تحته
سته دنانير من تلك الدنانير التي وجدها في افواه السمك فاخذ منها واحدا وترك البقيه في
موضعها واعاد الحجر في الحجر كما كان وقدر الله بعد ذلك انه ركب النيل ليعدي من البر
الشرقي الى البر الغربي قال فلما توسطنا البحر فاذا بالاسماك تثب من الما وتلقي انفسها
في المركب حتى كدنا نغرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتذكرت الدينار
الذي معي وان هذا انما كان بسببه فاخرجته من جيبي والقيته في الما فتواثبت الاسماك
من المركب والقت انفسها في الما حتى لم يبق منها شي قلت واخبرني قريب بعض من لا اتهم
انه ظفر بطلسم من هذا المعني وانه عنده واراد ان ينظره والسمك تثب من الما اليه فلم
يقدر لي ان اري ذلك وقال ابن عبد الحكم لما اغرق الله ال فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس
فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر
من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان يولين امراة منهن يقال لها دلوكة ابنة زبا وكان
لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنه

وستين

وستين سنه فملكوها فخافت ان يتناولها ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف وقالت لهن ان
بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب
السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رايت ان ابني حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس
من كل ناحية فانا لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر
كلها المزارع والمداين والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الما واقامت القناطر
والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثه اميال محرس ومسلحه وفيما بين ذلك محارس
صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا
بالاجراس فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اي وجه
كان في ساعه واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه في
ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا
كثيرة قال المسعودي وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع
البر والبحر واغتيال من جاورهم من الملوك والبوادي فحوطته بالحايط من التماسيح
وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتهم ثلاثين سنه في قول قال مولفه وقد بقي من
حايط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا اخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد
الصعيد على حايط العجوز ومعه رفقة فاقتلع احدهم منها لبنة فاذا بها كبيره جدا
تخالف المعهود الان من اللبن في المقدار فتناولها القوم واحدا بعد واحد يتاملونها
وبينما هم في رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب
منه لعدم مثله في زماننا فقشروها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كانها
قريبة عهد بحصادها لم يتغير فيها شي البته فاكلها الجماعة قطعه قطعه وكانها انما
خبيت لهم من الزمن القديم والاعصار الخاليه انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها قال
ابن عبد الحكم وكان بها عجوز ساحرة يقال لها تدوره وكانت السحرة تعظمها وتقدمها
في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا
نامن ان تطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيا نغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك
فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الغرق مع فرعون موسي وبقي اقلنا فعملت بربا من حجارة
في وسط مدينة منف وجعلت له اربعة ابواب كل باب منها الي جهة القبلة والبحر والغرب

والاعمار كاسنه

والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت
لكم عملا يهلك به كل من ارادكم من كل جهة فيقربون منها برا وبحرا وهذا مما يغنيكم عن الحصن
ويقطع عنكم مؤونته فمن اتاكم من اي جهة فانهم كانوا في البر على خيل او بغال او ابل او في سفن
او رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التي ياتون منها فما فعلتم بالصور من شيء اصابهم
ذلك في انفسهم على ما تفعلون بهم فلما بلغ الملوك حولهم ان امرهم قد صار الى ولاية النساء
طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التي في البربا فطفقوا لا
يهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون في شيء الا اصاب ذلك الجيش الذي اقبل اليهم مثله
ان كانت خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة في البربا من قطع رؤوسها او سوقها او فقء اعينها
او بقر بطونها اثر مثل ذلك بالخيل التي ارادتهم وان كانت سفنا او رجالة فكمثل ذلك
وكانوا اعلم الناس بالسحر واقواهم عليه وانتشر ذلك فتنا درهم الناس وكان نساء اهل مصر
حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبروا عن الرجال فطفقت المراة
تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال ان لا يفعلوا شيئا الا
باذنهن فاجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال قال يزيد بن ابي حبيب ان سنة
القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لما مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال استامر امراتي
فملكتهم دلوكة ابنة زبا عشرين سنة تدبر امرهم بمصر حتى بلغ صبي من ابناء اكابرهم واشرافهم
يقال له دركون بن بلطوس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمائة
سنة وكلما انهدم من ذلك البربا الذي صور فيه الصور لم يقدر احد على اصلاحه الا تلك
العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت
وانهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر احد على اصلاحه ومعرفة
علمه وبقي على حاله وانقطع ما كانوا يقهرون به الناس وبقوا الخير بهم الا ان الجمع كثير والمال
عندهم فلما قدم بختنصر بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل
قصد مصر وخرب مدائنها وقراها وسبى جميع اهلها ولم يترك بها شيئا حتى بقيت مصر
اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم رد اهل مصر اليها
بعد اربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ وقال بعض الحكماء رايت البرابي
واجدت تاملها فوجدتها مشتملة على جميع اشكال الفلك والذي ظهر لي انه لم يعملها حكيم

واحد

واحد ولا ملك واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون الف
سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا تتم الا بالارصاد ولا يكمل رصد المجموع في اقل من هذه المدة
المذكورة وكانوا يجعلون الكتابة حفرا او نقرا في الصخور ونقشا في الحجارة وحلقة مركبة في البنيان
وربما كان الكتاب هو الثاني وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لامر جسيم او عهدا
لامر عظيم او موعظة يرجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتبت حمير المسند
كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى
ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون الى الاماكن المشهورة والمواضع
المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراها
من مر بها ولا ينسى على وجه الدهر وقال المسعودي واتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور
واحكمت آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت او خيلا
وصورت فيها من يرد من البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت في هذه البرابي
العظيمة المشيدة البنيان اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان وجعلت
ذلك في اوقات فلكية واتصالاتها بالمؤثرات العلوية فكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو
الحجاز واليمن عورت تلك الصور التي في البربا من الابل وغيرها فيتعور ما في ذلك الجيش
وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من
تلك الجهة التي اقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الآفات
في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش
المغرب ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم
ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها لزم اقطار
المملكة واحكامها السياسة وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص واسرار الطبيعة
التي كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي
بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت
في بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم
في الطبائع التام والله اعلم بكيفية ذلك قال واخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد
مصر عن ابي الفيض ذي النون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة

مايتهن ونخله بعصدها وكان ممن يفتوعن اخبار هذه البرابي وامتحن كثيرا مما صور فيهن ورسم
عليهن من الكتابه والصور قال ورايت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد
المعتقين والاحداث والجند المتعبدين والقبط المستعربين ورايت في بعضها كتابا تدبرته
فاذا فيه تقدر المقدر والقضا يضحك وفي اخركتابه تبيّنتها في ذلك العلم فوجدتها تدبر بالنجوم
ولست تدري ورب النجم يفعل ما يريد قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لمحبة
بالنظر في احكام النجوم مواضبين على معرفة اسرار الطبيعة وكان عندهم مما دلت عليه احكام
النجوم ان طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو انارتاتي على الارض فتحرق
ما عليها او ما يغرقها او سيف يبيد اهلها تخاف دثور العلم وفناها بفنا اهلها فاتخذت
هذه البرابي واحدها بربا ورسمت فيها علومهن من الصور والتماثيل والكتابه وجعلت
بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بني بالطين مما بني بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان
نارا استحجر ما بني بالطين وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ما اذهب ما بني بالطين
وبقي ما بني بالحجر وان كان الطوفان سيفا بقي كلا من النوعين ما هو من الطين وما هو من
الحجر وهذا ما قيل والله اعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يتقونه ولم
يعينوه انار هو ام ما ام سيف كان سيفا اتى جميع اهل مصر من امة عشرتها وملك نزل عليها
فابادا هلها ومنهم من راى ان ذلك الطوفان كان وبا عم اهلها ومصداق ذلك ما يوجد
ببلاد تنيس من التلال المنضد فيها من الناس من صغير وكبير وذكر واتنى كالجبال العظام
وهي المعروفه ببلاد تنيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها
من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس ومواضع كثيرة
من الارض لا يدرى من اي الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود يقولون
انهم من ابائهم ولا المسلمون يدرون من هولا ولا تاريخ ينبي عن حالهم وعليهم اثوابهم وكثيرا ما
يوجد في تلك الروابي والجبال من خلفهم والبرابي ببلاد مصر بنيان قايم عجيب كالبربا التي
ببلاد اخميم والبربا الذي ببلاد سمنود وغير ذلك

ذكر الدفاين والكنوز التي تسميها اهل مصر المطالب

الاصل في جواز تتبع الدفاين ما رواه ابو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف مر بقبر ابي رغال فقال هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف

كان

كان اذا اهلك الله قوم صالح في الحرم لمنعه الله فلما خرج من الحرم رماه الله بقارعة وآية
ذلك انه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه
ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى
الطايف فمررنا بقبر فقال هذا قبر ابي رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه
اصابته النقمه التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك انه دفن معه
غصن من ذهب ان انتم نبشتم عليه اصبتموه معه فابتدره الناس فاخرجوا الغصن
الذي كان معه ولمصر كنوز يوسف عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من
بعده لانه كان يكنز ما يفضل عن النفقات والمون لنوايب الدهر وهو قول الله عز وجل
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة قسطنطينية نقلت
اليها من طليطله ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيرا من اموالها
في مواضع اعدتها لذلك وكتبت كتبا باعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت
هذه الكتب مكانا في كنيسة قسطنطينيه ومنها يستفاد معرفة ذلك وقيل ان
الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم الكنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكدانيين
والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسه وقيل
انه لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسه مدة فتدفع اليه ورقه تكون حظه قال
المسعودي ولمصر اخبار عجيبه من الدفاين والبنيان وما يوجد في الدفاين من ذخاير
الملوك التي استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب
الى هذه الغايه وقد اتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا ثم اخبارها سادكره
يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك بن مروان
فاتاه رجل متنصح فساله عن نصحه فقال بالقبة الفلانيه كنز عظيم قال عبد العزيز
وما مصداق ذلك قال هو ان نظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر
ثم ينتهي بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عينه
ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد وراسه
على صفايح من الذهب على اعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من
يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة

حديث ابي رغال رواه ابو داود ... بن يحيى بن معين عن
اسمعيل بن امية عن بجير بن ابي بجير عن عبد الله
ابن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين
خرجنا معه الى الطايف فمررنا بقبر فقال رسول الله هذا قبر ابي رغال
وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه
فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان
فدفن فيه وآية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب
ان انتم نبشتم عنه اصبتموه معه فابتدره الناس
فاستخرجوا معه الغصن [illegible]

في الارض والدلايل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصًا على
ذلك واوسع من النفقه واكثر من الرجاله ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور راس الديك فبرق
عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول
العمود عمود من البنيان بانواع الحجاره والرخام وقناطر مقنطره وطاقات على ابوابه
معقوده ولاحت فيه تماثيل وصور واشخاص من انواع الذهب واجرنه من الاحجار
قد اطبق عليها اغطيتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى اشرف على الموضع
فنظر الى ما ظهر من ذلك فتسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس تنتهي الى ما
هنالك فلما استقرت قدمه على المرقاه ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها
فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعًا وهوى جسمه سفلًا فلما استقر جسمه
على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرًا عجيبًا اسمع من كان بالبعد من
هناك وحرك جناحيه وظهرت من تحته اصوات عجيبه قد عملت بالكواكب والحركات
اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شيء او ماسها شيء انقلبت فيها وهوى من هنالك
من الرجال الى اسفل تلك الحفره وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر
ويحول ويامر وينهى نحو الف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم
عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج
من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم قال المسعودي
وقد كان جماعة من اهل الدفاين والمطالب ومن قد اعتنى واغري بحفر الحفاير وطلب
الكنوز وذخاير الملوك والامم السالفه المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع
اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفه فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيرة من
بعض الاهرام بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فامرهم بحفره وا
واباحهم استعمال الحيله في اخراجه فحفروا واحفروا عظيما الى ان انتهوا الى ازج واقباء
وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على ارجلها من الخشب قد طلي بالاطلية
المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزا والصور مختلفه منها صور شيوخ وشباب
ونسا واطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروزج
ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسروا بعض تلك التماثيل فوجدوا في اجوافها

رمما

رمما بالية واجساما فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الآنية كالبرابي وغيرها من المرمر
والرخام وفيه من الطلي الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في التمثال الخشب والطلا
دوا مسحوق واخلاط معموله لا رايحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روايح طيبة
مختلفة لا تعرف في نوع من انواع الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما
فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير اعمارهم وتباين صورهم وبازا كل تمثال
تمثال من الحجر المرمر او من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عباداتهم للتماثيل
والصور عليها انواع من الكتابة لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم
قوم من ذوي الدرايه ان لذلك القلم مذ فقد من ارض مصر اربعة الاف سنة وفيما
ذكرناه دلالة ان هولا ليسوا بيهود ولا نصارى ولم يؤدهم الحفر الا لما ذكرنا من هذه
التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائه وقد كان من سلف وخلف من
ولاة مصر احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائه لهم
اخبار عجيبه فيما استخرج في ايامهم من الدفاين والاموال والجواهر وما اصيب في هذه
المطالب من القبور وقد اتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وركب احمد بن طولون
يوما الى الاهرام فاتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول
فسالهم عما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعدها الا بمشور
ورجل من قبلي فاخبر ان في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم الرافقي
وتقدم الى عامل الجيزه في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف فاقاموا امدة يعملون
حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن حوض مملوء دنانير
وعليه غطا مكتوب عليه بالبربطيه فاحضر من قراه فاذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذي
ميز الذهب من غشه ودنسه فمن اراد ان يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر الى
فضل عيار ديناري على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته
وبعد وفاته فقال احمد بن طولون الحمد لله ان ما بدهتني عليه هذه الكتابه احب
الي من المال ثم امر لكل من القوم المطالبيه بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسه
دنانير بعد توفيه اجرته وللرافقي بثلاثمائه دينار وللنسيم الخادم بالف دينار وحمل
باقي الدنانير فوجدها اجود من كل عيار وتشدد من حينئذ في العيار حتى صار عيار

دينار الذي عرف ملاحمدي اجود عيار وكان لا يطلي الا به

ذكر هلاك اموال مصر

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا
ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا
العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هذا
دعا من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من اهل مصر لكفرهم ان يهلك الله اموالهم قال
الزجاج طمس الشي اذهابه عن صورته وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن محمد بن
كعب القرظي انها قالا صارت اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيتها صحاحا
واثلاثا وانصافا فلم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا
ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال
عين مطموسة اي ذاهبة وطمس الموضع اذا عفى ودرس وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم
وفرشهم وكل شي لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله في فراشه
وقد صارا حجرين قال وسالني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر
فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها الحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري
دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال يا غلام ايتني بالخريطة فجا بخريطة نثر ما فيها فاذا
فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فاهويت اليه
فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المومنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن
مروان في مصر اذ كان والي عليها وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب
ابن عبد الله الشامي اخبرني من راى النخلة بمصر مصروعة وانها الحجر ولقد رايت
ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم لو رايتهم ما شككت فيهم قبل ان تدنو منهم انهم اناس
وانهم الحجارة ولقد رايت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه الحجارة
ونقل وثيمة بن موسى في قصص الانبيا ان فرعون لما اهلك وقومه وآمنت بنوا
اسرايل غايلته ندب موسى عليه السلام من نقبايه الاثني عشر نقيبين احدهما كالب بن
يوقنا والاخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثني عشر الف وارسلهما الى مصر وقد
خلت من حاميه لغرق اهلها مع فرعون فاخذوا ذخاير فرعون وكنوزه وعادوا الى

موسى فذلك توريثهم ارض مصر يعني قول الله تعالى عن قوم فرعون فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل وقوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض
مصر اورثها بني اسرايل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض
قال جامعه ومولفه احمد بن داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة
بارض مصر انه عبر الى وادي بالقرب من الفيوم بالوجه القبلي فراى فيه مقاثي كثيرة ما
بين بطيخ وقثا وتفاح وكلها حجارة وكان قد اخبرني قديما بعض اعيان الناس انه شاهد
في سفره الى بعض البلاد من ارض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وذلك البطيخ من الصنف الذي
يقال له عبدلي

ذكر اخلاق اهل مصر وطبايعهم وامزجتهم

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد بني اولاد
نوح النبي عليه السلام فانهم ذكروا ان مصر هذا نزل بهذه الارض فانسل فيها وعمرها
فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الارض الذي يفيض عليها النيل
ويحيط به حدود اربعة وهو ان الشمس تشرق على اقصى العمارة بالمشرق قبل شروقها
على هذه الارض بثماني ساعات وثلث وتغيب عنها قبل ان تغيب عن اخر العمارة
بالمغرب بثلاث ساعات وثلثي ساعة فيجب من ذلك ان تكون هذه الارض في النصف
الغربي من الربع العامر والنصف الغربي من الربع العامر على ما قال ابقراط وبطليموس
اقل حرارة واكثر رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في
قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف
الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي وقد زعم قوم من القدما
ان ارض مصر في وسط الربع المعمور من الارض بالطبع فاما بالقياس فعلى ما ذكرت
من انها في النصف الغربي والحد الثالث هو ان اول بعد هذه الارض عن خط الاستوا
في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستوا اثنان وعشرون درجة ونصف
فالشمس تسامت روس اهلها مرتين في السنة عند كونها في اخر الجوزا وفي اول
السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقايم باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس

والاحتراق غالب على مزاجهم لان الشمس تنشف رطوباتهم ولذلك صارت الوانهم سودا وشعورهم
جعدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو ان اخر بعد ارض مصر عن خط الاستوا في جهة
الشمال طرف بحر الروم وعليه من ارض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد ودمياط
وتنيس والفرما وبعد دمياط عن خط الاستوا في الشمال احد وثلاثون جزءا وثلث
وهذا البعد هو اخر الاقليم الثالث واول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد
ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع
المعتدل على الصحة من البلدان العامرة هو وسط الاقليم الرابع وايضا لمجاورة دمياط
للبحر واحاطته بها جعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة
فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا رطب ولذلك صارت الوانهم
سمرا واخلاقهم سهلة وشعورهم سبطة واذا كان اول مصر من جهة الجنوب الغالب
عليه الاحتراق واخرها من جهة الشمال الغالب عليه الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة
فما بين هذين الموضعين من ارض مصر الغالب عليه الحرارة ويكون قوة حرارته بقدر بعده
عن اسوان وقربه من بحر الروم ومن اجل هذا قال ابقراط وجالينوس ان المزاج ج
الغالب على ارض مصر الحرارة قال وجبل لوقا في مشرق هذه الارض تعوق عنهم
ريح الصبا فانه لم يرا احد قط بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم
هبت نكبا بين المشرق والشمال او المشرق والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة
من العفن فقد عدمت ارض مصر هذه الفضيلة ومن اجل ذلك صارت المواضع
التي تهب فيها ريح الصبا من ارض مصر احسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتنيس
وتعوق ايضا هذا الجبل اشراق الشمس على ارض مصر اذا كانت على الافق فيكون
زمان لبث الشعاع على هذه الارض اقل من الطبيعي ومثل هذا الحال سبب لركود الهوا
وغلظه وارض مصر ارض كثيرة الحيوان والنبات حتى لا تكاد تجد فيها موضعا
خلوا من الحيوان والنبات وهي ارض متخلخلة كما تراها عند انصراف النيل بمنزلة
الحمأة فاذا حللت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما والمواضع
الكثيرة الحيوان والنبات ارض كثيرة العفونة وقد اجتمع على ارض مصر حرارة مزاجها
وسخافتها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات فاوجب ذلك احتراق وسواد طينها

وصارت

وصارت ارضا سودا وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورقي ومالح ويظهر من ارض مصر
بالعشيات بخار اسود او غبرة وخاصة في ايام الصيف وارض مصر ذات اجزا كثيرة
تختص كل جزء منها بشي دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واستمالة طولها على عرض
الاقليم الثاني والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسنط واجام القصب والبردي
ومواضع احراق الفحم وغير ذلك شي كثير والفيوم فيه من المناقع واجام القصب
ومواضع تعفن الكتان شي كثير واسفل ارض مصر فيه من النبات انواع كثيرة كالقلقاس
والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من ارض مصر لها اشيا تختص بها وتنفصل عن
غيرها قال والنيل مرطب ييبس الصيف والخريف فقد استبان ان المزاج الغالب
على ارض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزا كثيرة وان هواها وماها
رديان وقد بين الاوايل ان المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها في الهوا فضول كثيرة لا تدعه
يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان ان هوا ارض مصر يسرع اليه
التغير لان الشمس لا يثبت على ارض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن اجل هذين كثر
اختلاف هوا ارض مصر وصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة
برد ومرة يابس واخرى رطب ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحية ومرة
قد سترها الغيم وبالجملة هوا مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من
اجل ذلك ما في الاوعية والعروق من اخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وايضا فان ما
يتحلل كل يوم من البخار الرطب بارض مصر يعوقه اختلاف الهوا وقلة نسيم الجبال
وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهوا ببرد الليل انحدر هذا البخار على وجه
الارض فتولد منه الضباب الذي يحدث عند الطل والندا وربما تحلل هذا البخار
بالتحلل الخفي فاذا يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن اجل
هذا لا يجتمع الغيم الممطر بارض مصر الا في الندرة وظاهر ايضا ان ارض مصر يترطب
هواها في كل يوم بما يرتقي اليه من البخار الرطب وما يتحلل وقد قال بعض الناس ان
الضباب يكون من استحالة الهوا الى طبيعة الما فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان
ازيد في بيان سرعة تغير الهوا بارض مصر وكثرة العفونة فيها فقد استبان ان ارض
مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع اليها العفن والعلة القصوى

في جميع ذلك هو ان اخص الاوقات بالجفاف في الارض كلها تكثر فيه بمصر الرطوبه لانها ترطب
في الصيف والخريف بمد النيل وفيضه وهذا خلاف ما عليه البلدان الاخر وقد اعلمنا ان افراط
ان رطوبة الصيف والخريف فضليه اعني خارجة عن المجرى الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف
ومن اجل هذا قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك ان الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج
مصر الطبيعي وانما اعرض له ما اخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية مد النيل في الصيف
والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاول الاعظم في ان صارت
ارض مصر على ما هي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الا ان هذه
الاسباب لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عاداتها من اجل الف
المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما يتولد بارض مصر من الحيوان والنبات
مشابه لما عليه مصر في سخافة الاجسام وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض
وقصر المدة كالحنطة بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا يظن
ان ابدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون الامر
كذلك وابدانهم مبنية من هذه الاشياء فحال ما يتولد بارض مصر من النبات والحيوان في
السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال سخافة ارضها وعفنها
وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك امكن حياة الحيوان فيها ونبات
النبات بها فان هذه الاشياء من جنس ناسبتها ولم تتنافر عن مشاكلتها امكن حياتها
فاما الاشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت في اول لقائها لهذا الهواء حتى
اذا استقرت والفت الهواء واستمرت عليه صحت صحة مشاكلة لارض مصر قال واما
جنس ما يؤكل ويشرب بارض مصر فان الغلات سريعة التغير سخيفة متحللة تفسد
في الزمان اليسير كالحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلا والجلبان فان هذه
تتسوس في المدة القليلة وليس لشيء من الاغذية التي تعمل منها لذاذة ما لنظيره في البلدان
الاخر وذلك ان الخبز المعمول من الحنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يؤكل وان اكل لم
توجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا توجد فيه علوكة ولكنه يتكرج في الزمان اليسير
وكذلك الدقيق وهذا خلاف اخبار البلدان الاخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها
وما يعمل منها فانها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير فاما ما يجلب من هذه
الـ

الى مصر فظاهر ان مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة
ارض مصر الا ان ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة
فهذا حال الغلات واما الحيوان الذي يأكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج
الناس بهذه الارض في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطبائعهم والمجلوب
كالكباش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها نحولا ويبسا واخلاطها لا تشاكل مزاج المصريين
ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق
مزاج المصريين واهل مصر يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية
وبعضهم يشرب مياه الابار وهي قريبة من مشاكلتهم والمياه المخزونة فقل من يشربها بارض
مصر واجود الاشربة عندهم الشمسي لان العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير
بسرعة والزماني الذي يعمل فيه خالص الخمر فهو نضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من
بلاد اجود هواء واما الخمر فقل من يعتصرها الا ويلقي معها عسلا او هي معتصرة من كرومهم
فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب
بارض مصر فرديء لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته كالنبيذ التمري والمطبوخ
والمزر المعمول من الحنطة واغذية اهل مصر مختلفة فان اهل الصعيد يعتمدون كثيرا
تمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها الى الفسطاط وغيرها فتباع هناك
وتؤكل واهل اسفل الارض يعتمدون كثيرا بالفلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة
الفسطاط وغيرها فيباع هناك ويؤكل وكثير من اهل مصر يلزمون اكل السمك طريا
ومالحا وكثير يلزمون اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى
كعكا يعمل من جريش الحنطة ويجفف وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم
منهم قد نبتت ابدانهم من اسباب اعتادوها والفوها ونشأوا عليها الا ان الغالب على اهل
مصر الاغذية الرديئة وليس تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة وهذا ايضا مما
يؤكد امرهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض واهل الريف اكثر حركة ورياضة
من اهل المدن ولذلك هم اصح ابدانا لان الرياضة تصلب اعضاءهم وتقويها واهل
الصعيد اخلاطهم ارق واكثر دخانية وتحللا وسخافة لشدة حرارة ارضهم من اهل
اسفل الارض واهل اسفل الارض بمصر اكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول الفتور

حرارة ارضهم واستعمالهم للاشيا الباردة والغليظة كالقلقاس واما اخلاق المصريين فبعضها
شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر
والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شي الى شي والدعة والجبن والقنوط
والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي الى
السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي يكون من دناة النفس وليس
هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق
وبراءة من الشرور ومن اجل تولد بارض مصر الجبن والشرور الدنية في النفس لم يسكنها
الاسد واذا دخلت ذلك ولم تتناسل وكلابها اقل جرارة من كلاب غيرها من البلدان
وكذلك سائر ما فيها اضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملايما لهذه
الحال كالحمار والارنب قال ان جالينوس يرى ان فصل الربيع طبيعته الاعتدال وتناقض
من ظن انه حار رطب ومن شان هذا الفصل ان يصح فيه الابدان وتجود هضمها وتنتشر
الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهوا وصفائه ومساواة ليله لنهاره
وغلبة الدم والهوا المعتدل هو الذي لا تحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ويكون
في نفسه نقيا صافيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط
الحيوان وتنمي الاشيا وتزيد وتتولد واذا طلبنا بارض مصر مثل هذا الهوا لم نجده في وقت
من السنة الا في امشير وبرمهات وبرموده وبشنس عندما تكون الشمس في النصف الاخير من
الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد مصر في هذا الزمان ابدا معتدلة نقية صافية لا نحس
فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهوا
ساكن لا يتحرك الا ان يكون ذلك في برموده وبشنس فانه يحتاج الى ان يهب ريح الشمال
ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا الزمان يكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن اصواته
وتورق الاشجار وتنعقد الزهر وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وفي هذا الفصل
في ارض مصر يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن اخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه
الارض وقد يعرض في اول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح
الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتا
فاذا هبت ريح الشمال بردت ببردها الهوا لانه عاد بعد الاعتدال الى البرد ولكونها

يصعد

يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهوا ويعود الى حاله في فصل الشتا
وربما برد الهوا من هبوب رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي اشد الرياح حرارة اذا هبت في
هذا الزمان اكتسبت برودة من الارض والما الذي قد بردهما هوا الشتا فاذا مرت
بشي بردته ببرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها
واسخنت الهوا واحدثت فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب الذي يعرفه المصريون
بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وارضها لا من شي طبيعي لها انه لا يجتمع في الجو في ايام
هبوبها الضباب والذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل
فحرارة ريح الجنوب تعوق البرودة عن جمعه وتبدده في الهوا واذا دام هبوب هذه الريح
اسخنت الما والارض وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه
الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف والهوا بمصر في الاصل يختلف بكثرة استحالته وما يرتفع
اليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك تكثر فيه الرياح واخر الاطبا فيه
سقي الادوية المسهلة الى ان يستقر امره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف

فصل الصيف

من اخر بشنس وبؤونه وابيب وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزا والسرطان
والاسد وبعض السنبلة فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار
ويجتمع من اكلها في الابدان كيموسات كثيرة رديئة واذا نزلت الشمس السرطان اخذ النيل
في الزيادة والفيض على ارض مصر فتغير مزاج الصيف الطبيعي بكثرة ما يرتقي الى الهوا
من بخار الما ويوجد في اول هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزا ايام تشاكل هواها
هوا الربيع عندما تكون الشمس مستورة بالغيوم وتكون ريح الشمال هابة ولهذا
يغلط كثير من الاطبا ويسقي الادوية المسهلة في هذا الزمان لظنه ان فصل الربيع لم
يخرج الا ان من كان منهم احذق فهو يتحفظ مما كان من هذه الايام اسكن حرارة والاكثر
لا يشعرون البتة بهذه الحال وفي اخر الصيف يكون فيض النيل وظاهر ان هذا الفصل
يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بمقدار ما يتقدم اخره وانه كثير الاضطراب بكثرة ما يرتقي
اليه من بخار الما فلولا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف وتشاكلها لها لما كان الحدث
فيهم الامراض التي ذكر ابقراط انها تحدث اذا كان الصيف رطبا ثم يدخل فصل الخريف

فصل الخريف

وطبيعته يابسة من النصف الاخير من مسرى ثم توت وبابه وبعض ايام هتور وتكون

الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل في اول هذا الفصل
ويطلق على الارضين فيطبق ارض مصر ويرتفع منه في الجو بخار كثير فينتقل مزاج
الخريف عن اليبس الى الرطوبة حتى انه ربما وقع فيه الامطار وكثرة الغيم في الجو ويوجد
في هذا الفصل ايام شديدة الحر لانها على الحقيقة صيفية فاذا نقي الجو من البخار الرطب
عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه ايضا ايام شديدة الشبه بايام الربيع يكون عندما
تساوى الليل والنهار ويرطبها ما يبيس الهوا ويشتد في هذا الفصل اضطراب الهوا
بكثرة ما يرتقي اليه من البخار الرطب فيكون مرة حر واخرى برد ومرة يابس واكثر اوقاته
يكثر عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يمزج حتى يغلب عليه رطوبة الما في آخر الامر ويصاد
في ايام الخريف من النيل اسماك كثيرة جدا يولد اكلها في الابدان اخلاط لزجة وكثيرا ما
يستحيل الى الصفرا اذا صادفت في البدن اخلاطا صفراويا فمن اجل ذلك تضطرب معاني
الابدان من الروح الحيواني ويهيج الاخلاط ويفسد الهضم في البطون والاوعية والعروق
ويتولد من ذلك كيموسات رديه كثيرة الاختلاف بعضها من صفرا وبعضها مرة سودا
وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثيرا منها يتركب من هذه الاسباب
فتثير الامراض حتى اذا انصرف النيل في آخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهوا
وكثرت الاسماك واحتقن البخار وكثر ما يرتفع من الارض من العفونة واستحكم عند
ذلك وجود العفن تزايدت الامراض ولولا الف اهل ارض مصر لهذه الاشيا لكان
ما يحدث فيهم من الامراض اكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتا وطبيعته باردة رطبة
من النصف الاخير من هتور ثم كيهك وطوبه وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجدي
وبعض الدلو وذلك اقل من ثلاثة اشهر والعلة في ذلك قوة حرارة الارض وكون الابدان
مضطربة وتنكشف الارض في اول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجملة لكثرة ما يلقى
فيها من البزور وما فيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخنة وهي كالحماة في
هذا الزمان فيتولد فيها من انواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك
ما لا يحصى كثرة ويحل منها في الجو ابخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات ساترا
للابصار عن الالوان القريبة ويصاعد ايضا من الاسماك المحبوسة في المياه المحروسه
شي كثير وقد داخلها العفن لقلة حركتها فيولد اكلها في الابدان فضولا كثيرة لزجة

شديدة

شديدة الاستعداد للعفن فتقوى الامراض في اول هذا الفصل حتى اذا اشتد البرد قوي
الهضم في الابدان واستقر الهوا على شي واحد وعادت الحرارة الغريزية الى داخل وتطبقت
الارض بالنبات وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الابدان وهذا يكون في آخر كيهك او
في طوبه فقد استبان ان الفصول بارض مصر كثيرة الاختلاف وان اردى اوقات السنة
عندهم واكثرها امراضا هي آخر الخريف واول الشتا وذلك في شهر هتور وكيهك فاذا
اختلاف الفصول مشاكل لما عليه ارضهم من الردآة لمضرة الفصول اذا بالابدان في ارض مصر
اكثر منها في البلدان الاخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان ايضا ان السبب الاول
في ذلك هو مد النيل في ايام الصيف وتطبيقه الارض في ايام الخريف بخلاف ما عليه سائر
الانهار في العمارة كلها فانها انما تمتد في اخص الاوقات بالرطوبه وهو الشتا والربيع
قال وقد استبان فيما تقدم ان الرطوبة الفضلية بارض مصر كثيرة وظاهر ان امراضهم
البلدية تكون من نوع هذه الرطوبه فاني انا قل ما رايت امراضهم البلدان يكون من نوع
هذه كلها لا يشوبها في اول امرها البلغم والخلط الخام والامراض كلها تحدث عندهم
في الاوقات كلها كما قال ابقراط واكثر امراضهم هي الفضلية اعني العفنة عن اخلاط
صفراوية وبلغماوية على ما يشاكل مزاج ارضهم قال وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث
الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها في سنة واحدة تمنع من ان يكون
في انفسها ممرضة متى لزمت العادة فاما اذا خرجت عن عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجها
عن عاداتها بمصر هو الذي اعده اختلافا ممرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدايم
والنيل ليس يحدث في الابدان في كل سنة مرضا ولكنه اذا افرطت زيادته ودام مدة
تزيد عن العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان
الناس بارض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم فالجواب ليس نبالي
في هذا الخلف كان لان المرض هو ما يضر الفعل ضررا محسوسا من غير توسط ومن اجل
ذلك ليس ابدان المصريين في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال
اما امراض مصر البلدية فقد ذكرنا من امرها ما فيه كفاية وظاهر ان اكثر الامراض
الفضلية التي يشوبها صفرا او خام على ان باقي الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب
وخاصة في آخر الخريف واول الشتا واما الامراض الوافده ومعنى المرض الوافد هنا

معهم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه
الموت وحدوث الامراض الوافدة تكون عن اسباب كثيرة يجتمع في اجناس اربعة وهي تغير كيفية
الهوا وتغير كيفية الما وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية والهوا يتغير
كيفيته على ضربين احدهما تغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا او ليس
تغيرا ممرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك
الحال في الاجناس الباقية وخروج تغير الهوا عن عادته يكون اما بان يسخن اكثر او يبرد او يرطب
او يجف او يخالطه حال عفنية والحال العفنية اما ان تكون قريبة او بعيدة فان ابقراط
وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من ان يحدث ببلد اليونانيين مرض وافد عن عفونة
اجتمعت في بلاد الحبشة وترقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين فاحدثت فيهم المرض الوافد
وقد يتغير ايضا مزاج الهوا عن العادة بان يتصل وفد كثير قد انهك ابدانهم طول السفر وساءت
اخلاطهم فيخالط الهوا منهم شي كثير ويقع الاعدا في الناس ويظهر المرض الوافد والما ايضا
قد يحدث المرض الوافد اما بان يفرط مقداره في الزيادة والنقصان او يخالطه حال عفنية
ويضطر الناس الى شربه ويعرض به ايضا الهوا المحيط بابدانهم وهذه الحال تخالطه اما
قريبا او بعيدا المنزلة مثل ما يعرض في جريانه بموضع حرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شي كثير
او بمياه نقايع عفنية فيجري معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما
اذا كثر فيها اليرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس
منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخمة فيمرضون مرضا متشابها
واما من قبل فساد مرعى الحيوان الذي يوكل او فساد الما الذي يشربه والاحداث النفسانية
تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سهرهم وتفكرهم
في الخلاص منه وفي وقوع البلا فيسوء هضم اجوافهم ويتغير حرارتهم الغريزية وربما اضطروا
الى حركة عنيفة في هذه الحال او يتوقعوا قحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد
في ادخار الاشيا ويشتد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشيا تحدث في ابدان الناس المرض
الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر انه اذا كثر في
وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهوا فاذا صادف
بدنا مستعدا امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما تعرض اليه الناس من الامراض الوافدة

لمصر

لمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة يعرض للهوا سوا كان مادة فساده من ارض مصر او
من البلاد التي تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة او يعرض للنيل ان يفرط زيادته
فتكثر زيادة الرطوبة والعفن او يقل زيادته جدا فيجف الهوا عن مقدار العادة ويضطر
الناس الى شرب مياه ردية او يخالطه عفونة تحدث عن حرب يكون بارض مصر او ببلاد
السودان او غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهوا فيعفنه ويتصل
عفنه الى النيل او يسيل الما ويحمل معه العفن او يغلو السعر ويلحق الغلا الافة او يدخل
على الكباش ونحوها مضرة او يلحق الناس خوف عام او قنوط فكل واحد من هذه الاسباب
يحدث في ارض مصر مرضا وافدا يكون بقوته لمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر
من سبب واحد كان ذلك المرض اشد واقوى واسرع في القتل قال فمزاج ارض مصر
حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن واقل عفونة
في ما النيل مما كان منه في الشمال ولا سيما من كان في شمال الفسطاط مثل اهل الشمود
فان طباعهم اغلظ والبلادة عليهم اغلب وذلك لانهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون
من الما الردي واما اسكندرية وتنيس وامثالهما فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد
عندهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امورهم ويرقق طباعهم ويرفع هممهم ولا يعرض لهم ما يعرض
لاهل الشمود من غلظ الطبع والحمارية واحاطة البحر لمدينة تنيس يوجب غلبة الرطوبة
عليهم وتانيس اخلاق اهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام
سريعا اليه التغير والعفن وجب على الطبيب ان يختار من الاغذية والادوية ما كان
قريب العهد حديثا لان قوته بعد باقية عليه لم يتغير كل التغير وان يجعل علاجه ملائما
لما عليه الابدان بارض مصر ويجتهد في ان يجعل ذلك الى الجهة المضادة اميل قليلا
ويجتنب الادوية القوية الاسهال وكل ما له قوة مفرطة فان نكاية هذه الابدان سريعة
سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة
وغيرها التي قوتها حتى لا تكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على
الادوية الموجودة في كتب اطبا اليونانيين والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية
غليظة الاخلاط وهذه الاشيا قل ما توجد لمصر فلذلك يجب على الطبيب ان يتوقف في اعطا
هذه الادوية للمرضى ويختار اللينة وينقص من مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها

بما يقوم مقامه ويكون الترّ منه فيتخذ السكنجبين السكري مكان العسلي والجلاب بدلا من ما
العسل واعلم ان هوا مصر يعمل في المعجونات وساير الادوية ضعفا في قوتها فاعمار الادويه
المفردة والمركبة المعجون منها وعند المعجون بمصر اوقص من اعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب
بمصر الى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشذ عنه شي مما يحتاج اليه واذا لم يكتف في تنقية البدن
بالدوا المسهل دفعة واحدة فلا باس باعادته بعد ايام فان ذلك احمد من ايراد الدوا
الشديد القوة في دفعه واحده قال ولان ارض مصر تولد في الابدان سخافة وسرعة قبول
للمرض وحيان تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بارض مصر قليلة جدا فاما الابدان الباقية
فكثيرة وان تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القريبة من الهيئة الفاضلة
والطريق الاولى التي يدبر بها الابدان التي في الهيئة الفاضلة تحتاج فيها بارض مصر الى
ان يدبر الهوا والغدا والما وساير الاسباب تدبيرا يصير به في غاية الاعتدال ولان الهضم كثيرا
ما يسو بارض مصر وكذلك الروح الحيواني يجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ
والكبد والمعدة والعروق والاوراد وساير الاعضا الباطنه في تجويد الهضم واصلاح
امر الروح الحيواني وتنظيف الاوساخ اللاحجة وقال في شرح كتاب الاربع لبطليوس
واما ساير اجزا الربع الذي يميل وسط جميع الارض المسكونة اعني بلاد برقه وسواحل
البحر من مربوط الى الاسكندريه ورشيد ودمياط وتنيس والفرما واسفل الارض
بمصر ونواحي مدينة منف ومدينة الفسطاط وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر
والفيوم الى اعلى الصعيد وما في غرب النيل وارض الواحات وارض النوبه والبجة والارض
التي على البحر في شرق بلاد النوبه وبلاد الحبشه فان هذه البلاد موضوعة في الزاويه
التي توتر جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة النصف الغربي
من الربع المعمور والكواكب الخمسه المتحيره تشترك في تدبيرها فصار اهلها محبين
لله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم في الارض ويخفونهم ويستعملون سننا
مختلفة وعادات شتى يميلهم الى الاسرار التي تدعو كل طايفة منهم الى امر من الامور الخفية
فيعتقده ويوافقه عليه جماعة ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة كالهندسة
والنجوم وغيرها في الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم
كانوا اذلا والغالب عليهم الجبن والاستخذا في الكلام فاذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم وآرام

طيبه

طيبه وهممهم كبيرة ورجالهم يتخذون نسا كثيرة وكذلك نساوهم يتخذون عدة رجال وهم منهمكون
في الجماع ورجالهم كثير والنسل ونساوهم سريعات الحمل وكثير من ذكرانهم يكونون انفسهم
ضعيفة موثنة قال ابو الصلت واما سكان ارض مصر فاخلاط من الناس مختلفوا الاصناف
والاجناس من قبط وروم وعرب واكراد وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا ان
جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة
واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا ما اختلطت انسابهم فاقتصروا من التعريف بانفسهم على
الانتساب الى مواضعهم والانتماء الى مساقطهم فيها وحكي انهم كانوا في الزمن السالف عباد
اصنام ومدبري هياكل الى ان ظهر دين النصرانيه وغلب على ارض مصر فتنصروا وبقوا
على ذلك الى ان فتحها المسلمون فاسلم بعضهم وبقي بعضهم على دين النصرانيه واما
اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات والاشتغال بالترهات
والتصديق بالمحالات وضعف المرائر والعزمات ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالفطره
قوة وغلبه وتلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي اربوا فيها
على من تقدم وتاخر وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم حتى صار امرهم في ذلك مشهورا
والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول ابو نواس

محضتكم يا اهل مصر نصيحتي ❊ الا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم امير المومنين بحيه ❊ اكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق افك فرعون فيكم ❊ فان عصي موسى بكف خصيب

قال مولفه وقد مر بي في كتب ان منطقة الجوزا مسامتة روس اهل مصر فلذلك يتحدثون
بالاشيا قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبله ولهم في هذا الباب اخبار
مشهورة قال ابن الطوير وقد ذكر استيلا الفرنج على مدينه صور فعاد الحفظ والحراسة
على عسقلان فما زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف
اولا فاولا باختلاف الارا المنفلت على الاجناد وكثر مسرها عندهم واشتغلوا عنها فضايقوا
الفرنج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسماية ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنتين
يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان توخذ عسقلان بالامان ومن هذا الباب واقعة
الكنايس التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعه تاسع شهر ربيع الاخر سنة احدى

وعشرين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة كأنما نودي في إقليم مصر كله من قوص إلى الإسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى ومن هذا الباب واقعة الدمر وذلك أنه خرج الأمير الدمر أمير جاندار يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة فكانت فتنة بمكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فأشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر وطار هذا الخبر في مصر واشتهر فلم يكترث السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة أخبروا بالواقعة وقتل الأمير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت فيه الإشاعة بالقاهرة في جامع السيرة الناصرية كنت مع الأمير علم الدين الخازن في الغربية وقد خرج إليها كاشفا فلما صلينا أنا وهو صلاة الجمعة وعدنا إلى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الأجناد وقتل الأمير الدمر أمير جاندار فقال له الأمير علم الدين هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ما تحضر من منى إلى مكة إلى ثالث يوم بعد عيد النحر فكيف صنعتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الأمر كما أشيع ووقع لي في شهر رمضان من شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة أني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فإذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك فاجتمع عليه الناس فاجتمع وضبطت ذلك وكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير ومن أخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفاك بما قصه الله سبحانه من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من أهلها عليها بما تبين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك سوى بقوله لها استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد الغرابلي الكركي رحمه الله أنه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه وترخصا لأهله ولينا ورقة طباع من قلة الغيرة ومما لم نزل نسمعه دائما بين الناس أن شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه ومن أخلاق أهل مصر الإعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون أغذيتهم كل يوم من الأسواق بكرة وعشيا

اعرف اخبار الناس عن امر حدث بمكة يوم وقوعه وما يشبهه

ومن أخلاقهم الانهماك في الشهوات والإمعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها فقال إن الله تعالى لما خلق الأشياء جعل كل شيء لشيء فقال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق الإيمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الإيمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر وأنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر وأنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن ابن عباس رضي الله عنه المكر عشرة أجزاء تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس ويقال أربعة لا تعرف في أربعة السخاء في الروم والوفاء في الترك والشجاعة في القبط والغم في الزنج ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد لمن غلب أكيس الناس صغارا وأجهلهم كبارا وقال المسعودي لما فتح عمر ابن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب إلى حكيم من حكماء العصر إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن البلاد والأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها فكتب إليه وأما أرض مصر فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمها أكثر من مدحها هواؤها كدر وحرها زائد وشرها بائد تكدر الألوان والفطن وتركب الإحن وهي معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات غير أنها تسمن الأبدان وتسود الأبشار وتنمو فيها الأعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وقال عمرو بن العاص وهي بلدة مكسبة ليست بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن أبي شبة بن عبيدة في كتاب أخبار البصرة عن كعب الأحبار خير نساء على وجه الأرض نساء أهل البصرة إلا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الأرض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمرو

اعرف المكر عشرة اجزاء تسعة في القبط

اهبط ابليس وضع قدميه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة
كالمراة العارك تطهر بالنيل كل عام وقال معوية بن ابي سفين وجدت اهل مصر
ثلاثة اصناف فثلث ناس وثلث اشبه الناس بالناس وثلث لا ناس فاما الثلث الذي
هم الناس فالعرب والثلث الذي يشبهون الناس الموالي والثلث الذي لا ناس المسالمة يعني
القبط

ذكر شي من فضايل النيل

خرج مسلم من حديث انس رضي الله عنه في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال
هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا
جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة
وخلق فردوسا فيه عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهرا ينقسم اربعة اجزاء جيحون
المحيط بارض حويلا وسيحون المحيط بارض كوش وهو نيل مصر ودجلة الاخذ الى العراق
والفرات وروي ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه انه قال نيل مصر سيد الانهار
سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده
فامدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله عز
وجل اوحى الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معوية بن ابي سفيان
رضي الله عنه سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق
البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته
ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن
كعب الاحبار انه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل
في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة
وقال المسعودي نهر النيل من سادات الانهار واشراف البحار لانه يخرج من الجنة
على ما ورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين
والابار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها وليس في انهار
الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقال ابن قتيبة في كتاب غريب
الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مومنان ونهران كافران فاما المومنان فالنيل

والفر

والفرات واما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والفرات مومنين على التشبيه لانهما
لا يفيضان على الارض ولا يسقيان شيا الا قليلا وذلك القليل بتعب ومؤونة فهذان في الخير
والنفع كالمومنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين

ذكر مخرج النيل وانبعاثه

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه بحر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة
تسمى بحر الزنج وهي مما يلي بلاد اليمن وبحر بربرا وفي هذه القطعة عدة جزاير منها جزيرة القمر
بضم القاف واسكان الميم ثم راء مهملة ويقال لهذه الجزيرة ايضا جزيرة ملاي وطولها
اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى اقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرنديب
وفيها عدة بلاد كبيرة منها قمرية واليها ينسب الطاير القمري ويقال ان بهذه الجزيرة
خشبا ينحت من الخشبة شاني طوله ستون ذراعا يجذف على ظهره مائة وستون رجلا
وان هذه الجزيرة ضاقت باهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنون في سفح جبل يعرف
بهم يقال له جبل القمر واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض
وهو المسمى بجبل قاف وهي ام الجبال كلها يتشعب منه فينفصل في موضع وينقطع في اخر
وهو كالدايرة لا يعرف له اول اذ كانت الحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارته
كرية ولكنها استدارة احاطة او كالاحاطة وزعم قوم ان امهات الجبال جبلان خرج احدهما
من البحر المحيط في المغرب واخذ جنوبا وخرج الاخر من البحر الرومي واخذ شمالا حتى تلاقيا
عند السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي جبل قافون والاظهر انه جبل واحد
محيط بغالب بسيط المعمورة وانه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف
في الشمال بجبل قافون ومبدا هذا الجبل المحيط من كتف السد اخذا من وراء صنم الخط
المخرج اليه الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين اخذا على غربي صين الصين
ثم ينعطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة
المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع
خط الاستوا حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقي
لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي
في الجنوب ويبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين شعبة المحيط الخارجة وعلى جنوب الظلمات

شرقا بغرب ومخرج البحر الهندى الجامسة على الظلمات حتى يلاقى الشعبتان عند مخرج هذا
الجبل كتفصيل السراويل ثم تنفرج براس البحرين المتلاقيين شعبتان على مبدا هذا الجبل
ويبقى الجبل بينهما كانه خارج من نفس الما ومبدا هذا الجبل هنا وراقتة ارين عن شرقيه
وبعده منها خمس عشرة درجه ويقال لهذا الجبل في اوله المجرد ثم يمد حتى ينتهى في القسم الغربى
الى طول خمس وستين درجه من اول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب
منه النيل وبها حجار براقه كالفضه تتلالا تسمى صنجه الباهب كل من نظر بها ضحك والتصق
بها حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى اسيقى اهله كالوحوش ثم
ينفرج منه فرجة ثم يمتد منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشيه به سباع
لها قرون طوال لا تطاق وينعطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعب منها شعبتان
الى خط الاستوا يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقى يعرف بجبل فاقو لا
وينقطع عند خط الاستوا والغربى يعرف باد مدمه تجرى عليه نيل السودان المسمى بحر
الدمادم وينقطع بلقا مجالات الحبشه ما بين مدينتى سمغره وجمى وورا هذه الشعبه ثم تمتد
شعبة منه هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل باسيلى المذكور الى خط الاستوا حيث الطول
هناك عشرون درجه ويعرف هناك الجبل لوسقانه وبه وحوش ضاريه ثم ينتهى الى البحر
المحيط وينقطع دونه بموجة وذلك ورا التكرور عند مدينه قلنبو وورا هذا الجبل سودان
يقال لهم لمم ياكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل البحر الشامي في شماله شرقى ومنه
الكبرى مسامتا للشعبة المسماه ادمدمه المنقطعه بين سمغره وجمى لا يكاد يخطيها حيث
الطول خمس وثلاثون درجه ويقع منشا اتصال هذه الام على عرض خمسين درجه ولذلك
يقع شعبتى الاحدى في الجنوب على عرض خمسين درجه عند احدها ما بين سردانيه
وبلنسيه وبينها وصلة هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيره مرطانيه
وتبقى سوسيه داخل الجبل ثم تمتد هذه الام بعد انقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف
فرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماه بحر الانقليشين ممتدا الى غاية المشرق
ويسمى هناك الجبل قافونا ويبقى وراه بالبحر الجامده لسنة البرد ثم ينعطف من الشمال
المشرق وجنوبا بتغريب الى كتف السد الشمالي قبيلا فامتاك الطوفان وبينهما في الفرجة
المنفرجه ساوى ذو القرنين بين الصدفين جزيرة التمر ثلاثة انهار احدها شرقيه

لصد

احذ من قنطورا ومعلا وثانيها في غربيها ينصب من جبل قدم آدم على مدينه سبايا وباحذ
مارا على مدينه قزدرا ويحو هناك بحيرة في جنوبي مدينه كيما حيث محل السودان الذين
ياكلون الناس وثالثها في غربيها ايضا ويخرج من الجبل المشبه بنا محذوفه الذي يطوف
بمدينه دهمى فتبقى مدينه دهمى بينه وبين البحر الهندى في جزيره بينهما يكون هو محيط
بها شرقا وغربا وجنوبا وتصير لذلك كالجزيره ويتصل شمالها بالبحر الهندى ويقع
مدينه قورانه في غربيه ينصب في البحر الهندى ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد
كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم نقراوش الجبار بن مصريم الاول بن مركابيل بن دوابيل
ابن غرياب بن آدم عليه السلام الى مصر ومعه عدة من بنى غرياب واستوطنوها
وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها من المداين حفروا النيل حتى اجروا ماه اليهم ولم يكن يسيل
ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبه الملك نقراوس فهندسوه
وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينة
امسوس ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودشير بن قفط بن مصر بن بيصر
ابن حام بن نوح عليه السلام عدل جنبتى النيل بعد ما تلفه الطوفان
قال الاستاد ابرهيم بن وصيف شاه فملك البودشير وتجبر وهو اول من تكهن وعمل
بالسحر واحتجب عن العيون وقد كان اعمامه اشمن واتريب وصا ملوكا على احيازهم
الا انه قهرهم بجبريته وقوته فكان الذكر له كما يجب عليهم ابوه من قبله لانه كان اكبرهم
ولذلك عضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصرى الى جبل القمر الذى يخرج
النيل من تحته حتى عمل هناك هيكل التماثيل النحاس وعدل البطيحه التى ينصب اليها
ما النيل ويقال انه الذي عدل جنبتى النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا
القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما
يخرج من ما النيل بمعاقد ومصاب مدبره وقنوات تجرى الما فيها وينصب اليها اذا
خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا
معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الما ينصب الى الانهار
ثم يصير منها الى بطيحتين ويخرج منها حتى ينتهى الى البطيحة الجامعة للما الذى يخرج من
تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الما الذى يكون معه الصلاح بارض مصر

وينتفع به اهلها دون الفساد وذلك الانتهى المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي
مقداره اثنان وثلاثون اصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن بعض تلك الصور وشمالها الى
مسارب تخرج وتصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستوا ولولا ذلك
لغرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها قال وكان الوليد بن دومغ العمليقي قد خرج في جيش
كثيف ينتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسلك ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه
خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النسا وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له
عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح اهلها واخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها
ثم سنح له ان يخرج ليقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الامم فاقام ثلاث سنين يستعد
لخروجه وخرج في جيش كثيف فلم يمر بامة الا ابادها ومر على امم السودان وجاوزهم ومر
على ارض الذهب ورأى فيها قضبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة
التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس
وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج
من تحت خط الاستوا ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر في طريق كالانهار دقاقا حتى ينتهي الى
حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة اخرى فاذا جاز خط الاستوا مدته
عين تجري من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين ايضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك
الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل
اسماك النيل ووجد الوليد بن دومغ القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس
الاول في وقت البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن مصرايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر ان الانهار
الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة في ارض الذهب التي من ورا البحر المظلم وهي سيحون وجيحون
والفرات والنيل وان تلك الارض من ارض الجنة وان تلك القبة من زبرجد وانها قبل
ان يسلك البحر المظلم احلى من العسل واطيب رائحة من الكافور وممن جا بهذا رجل من ولد
العيص بن اسحق بن ابرهيم عليه السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له
حايد وقال اخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين جدا اثنين وسبعين لسان
للامم وقال اخرون هذه الانهار من ثلوج تتكاثف ويذيبها الحر فتسيل الى هذه الانهار
وتسقي من عليها لما يريده الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر راى

جبلا عاليا فاعمل الحيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فاشرف على البحر الاسود الزفتي
المنتن ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الرقاق فاتته من ذلك البحر روائح منتنة
هلك كثير من اصحابه من اجلها فاسرع النزول بعد ان كاد يهلك وذكر قوم انهم لم يروا
هنالك شمسا ولا قمرا الا نورا احمر كنور الشمس عند غيابها واما ما ذكر عن حايد
وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدمه منه شي وكان فيما يذكر نبيا واوتي
حكمة وانه سال الله تعالى ان يريه منتهى النيل فاعطاه قوة على ذلك فيقال انه اقام
يمشي عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا واقام الوليد في غيبته
اربعين سنة وعاد ودخل منف واقام بمصر فاستعبد اهلها واستباح حريمهم
واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فابغضوه وسبوه الى ان ركب في بعض ايامه
متصيدا فالقاه فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه وقال قدامة بن جعفر
في كتاب الخراج انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستوا من عين تجري منها عشرة
انهار كل خمسة منها تنصب الى بطيحة ثم تخرج من كل بطيحة نهران وتجري الانهار الاربعة
الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة
المشتاق الى اختراق الافاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كوري منسوبة لطائفة من السودان
يسكنون حولها متوحشين ياكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج نهر
غانة ونهر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كوري وبلاد بنه وهم طائفة من
السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها وانحدر
الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة
بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل وقال المسعودي رايت في كتاب جغرافيا النيل
مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدا ظهوره من اثني عشر عينا فتصب
تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطائح ثم تجتمع الما منهما جاريا فيمر برمال هنالك
وجبال ويخرق ارض السودان مما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج
ويجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل الف فرسخ في عامر وغامر من عمران
وخراب حتى ياتي اسوان من صعيد مصر وقال في كتاب هروشيوش نهر النيل
مخرجه من بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فتصير في وسطه جزيرة واخر ذلك

يميل على ناحية الشمال فيسقي ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم تغيب في
الرمال ثم تخرج غير بعيد ثم يصير له محبس عظيم ثم ساير البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل
على اليسار الى ارض مصر فحق ما يظن بعد النهر انه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيت قال
ونهر النيل وهو الذي يسمى بارون مخرجه خفي ولكن ظاهر اقباله من ارض الحبشة ويصير
له هناك محبس عظيم مجراه اليه ما بينا سيل وذكر مخرجه حتى ينتهي الى البحر قال وكثيرا ما
يوجد في نهر النيل التماسيح واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف فيه احد وعدة امياله
من مخرجه المعروف الى موقعه مائة الف وسبعون الف وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل
على مر مل وهو عذب ذفي استى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عندها انتهى
مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد اقلاعا وهناك الحجارة مضرسة لا مرور
للمراكب عليها الا في ابان زيادة النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شرقيه اسوان
من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين يكتنفان اعمال مصر احدهما شرقي والاخر غربي
حتى ياتي مدينة فسطاط مصر فيكون في بره الشرقي فاذا جاوز فسطاط مصر بمسافة
يوم صار فرقتين فرقة تمر حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر
الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه ويقال لها بحر الغرب حتى تصب في
بحر الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان ويقال ان مسافة النيل
من منبعه الى ان يصب في البحر عند رشيد سبعمائة وثمانية واربعون فرسخا وانه
يجري في الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام مسافة شهر
وذهب بعضهم الى ان زيادة ماء النيل انما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر فاذا
فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي وقد وضع في ذلك كتابا حاصله ان حركة
البحر التي يقال لها المد والجزر توجد في كل يوم وليلة مرتين وفي كل شهر قمري مرتين
وفي كل سنة مرتين فالمد والجزر اليومي تابع لغوص القمر ومخرج الشعاعي عنه عن جنبتي
جرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا اذا كان القمر في وتد
الارض فاذا انحرف القمر طالعا من المشرق او غرب كان الجزر والمد الشهري يكون عند
استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء ويكون ايضا عند الاجتماع ويقال
له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين عند تربيع القمر للشمس في سابع الشهر وفي

ثاني عشرينه والمد السنوي يكون ايضا في وقتين احدهما عند حلول الشمس باخر برج السنبلة
والاخر عند حلول الشمس باخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلاء او الاجتماع
فانه حينئذ يجتمع الامتلاآن الشهري والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لا سيما
ان وقع الاجتماع والامتلاء في وسط السماء ووقع مع النيرين او مع احدهما احد الكواكب
السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكبان فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض
فكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وزاد ايضا نهر مهران فان كان الاجتماع او
الامتلاء زايلا عن وسط السماء وليس مع احد النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يبلغان
غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه وتكون بمصر في تلك السنة الغلاء والجزر
السنوي يكون حلول الشمس براس الجدي والسرطان فاما المد اليومي الدافع من البحر
المحيط فانه لا يتبين في البحر الخارج من المحيط اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها
من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرافه هو الجزر وكذلك في الاودية اذا كانت
الارض وطئة والمد الشهري ينتهي الى اقصى البحار وهو يمسكها حتى لا تنصب في البحر
المحيط وحيث ينتهي المد الشهري هناك منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوي
فانه يزيد في البحار الخارجة من البحر المحيط زيادة بينة وعن هذه الزيادة تكون زيادة
النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والدمسلو الذي ببلاد السند قال ولما جاء ارسطو
الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم انه من المحال ان يكون النيل في اسوان واديا
من الاودية وما اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لينتهي الى مائة ميل عند
غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من المزن في ذلك الصقع
فرأى محالا ان يكون الوادي يجي فيضيق اسفله عن حمل ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه
وسعة اسفله فلما راى ذلك قال ان رباط يستقبل جريه الماء وتردعه فيفيض
لذلك وقال الاسكندر الافرودسي ان من المحال ان تكون الريح تردع الماء السائل في
الوادي حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينقلب من
اسافل الوادي ويسيل الى البحر لان الريح لا يمسك الا اعلاه لكن الرياح تقذف الرمل
في افواه تلك الشوارع التي تفضي الى البحر فتغمره ستة الدم فيفيض قال واعقل ان
الرمل جسم متخلخل فالماء يتخلله وينفذه سائلا الى البحر مع ان الرمل لم يحتمل عنا لا يطهر

للحس والما في كل حين سايل على حلق تنيس ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية ففطنوا
لاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهما استقص الهوا
واستقص الارض واغفلوا الاستقص الثالث الذي هو الما لانهم لم يعرفوا حركة البحر
السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة اشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم
للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر قال والمد كله واحد وهو ان القمر
يقابل الما كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض سخنها كما تسخن الشمس
الهوا المحيط بالارض فيعتري الهوا المحيط بالما بعض سخن مذيب الما ويتنفس وينمي
بخاصية كالمراة المحرقة الملاصقة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المراة والشمس
فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في السرار كون الزجاجة المملوة ما تلقي الشعاع الى خلفها
فتحرق القطنة ايضا فالقمر جسم نوري باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين
الشمس والارض خرج عن جانبي الما شعاع نافذ مع جنبتي الما فيسخن ما قابله فينمي
والما جسم شفاف يخرج عن جانبيه الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجة فيحدث
لها نور يسخن الهوا الذي يحيط بالزجاجة او بالارض فيعتري الما شبه تسخين ينمي به ويزيد
وذلك مقابلة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر فهذا هو المد الدايم
ويستدير باستدارة الفلك وتدوير لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد
الشهري هو ان يقابل القمر الشمس ويستتر تحتها لانه ليس كون القمر قبالة الشمس لكونه
في تربيع الشمس لانه في تربيع الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على
وسط كرة الارض بحيث الحر اشد والاكتناف للما والارض اهم فذلك هو المد السنوي

فصل في الرد على من اعتقد ان النيل عن سيل يفيض اما العامة فليس عندهم ما
يجي على وجه الارض الا سيل ومن نظر الى عظم النيل واتساعه في اسفله وضيقه
في اعلاه ولم ينظر الى ما ولا ارض ولا هوا انسب ذلك الى الجبال المحض كما فعل صاحب
كتاب المسالك والممالك الذي زعم ان الما يسافر من كل ارض ومواطن الى النيل تحت
الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الخريف والعيون والآبار في ذلك الوقت يقل ماوها
والنيل يكثر فراوا كثرة وقلة فاضافوا احدهما الى الاخر بالخيال وقال آخر انما ذلك
ملك يضع رجله في الما فيكثر ويزيله من الما فيقل ومما يدل انه ليس عن سيل

ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر فلا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر
نحو البحر فلا يرد عنه رادع ومنها ان فيض النيل على تدريج مدة ثلاثة اشهر من حلول
الشمس براس السرطان الى حلولها باخر برج السنبلة والناس يحسون به قبل فيضه
بمدة شهرين ولعامل مصر في وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط
يسمونها اذرع يعلم بها مقدار صعوده في كل يوم ومنها ان فيضه ابدا في وقت واحد
فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف ومنها انه قد يجي السيل في غير هذا الوقت فلا
يفيض ومنها ان الحذاق بمصر اذا راوا الحر يزيد علموا ان النيل يزيد لان شدة الحر
تذيب الهوا فيذوب الما ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودنو نور ومنها ان موضع مصبه
من اسوان انما هو واد من الاودية وما اتسع الا تسع حتى يكون عرض اتساعه نحوا من
مائة ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل يسيل مسيرة نصف شهر لا نسبة
بين مصبا علاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلا اسفله عن السيل ومنها
ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة
فاذا جن الليل اخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحا ثم وضعوه على حجر معد عندهم
لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا طفي المصباح بطفو الما عليه علموا ان الردع قد وصل غايته
المعهودة عندهم باخذه في الجزر فكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد وصل
غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فحينيذ يامر بكسر الاسداد
التي على افواه فرض المشارب فيفيض الما على ارض مصر دفعة واحدة ومنها ان جميع
تلك المشارب تسد عند ابتدا صعود النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الما
العذب في النيل ويكثر فيعم جميع ارضهم ويمنع بجملته دخول الما الملح عليه فلو كان سيلا
ما احتاج الى ذلك ولفتحت له افواه فرض المشارب عند ابتدا ظهوره ومنها ان
الخلجان اذا اسدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل يمد من حينه الى البحر اذ اسفل
النيل اوسع واخفض من اعلاه ومنها ان ما البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلق
رشيد وتنيس ودمياط كما يفعل في ساير الاودية التي يدخلها المد والجزر ولو كان
النيل جالبا من الما العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الما يطلب
بطبعه ما انخفض من الارض وان يكون صفحته كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة

الى المحيط خطوطا متساوية ومنها انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخلج وفاض
النيل على بطايح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا في هذه الساعة
كسر الخليج وفاض ما النيل على ارض مصر لان ذلك يبين لهم بجزر الما دفعة فلو كان
سيلا وهم على اعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التي يسيل منها السيل ومنها
ان قسيمه الذي يمر ببلاد الحبشه المنبعث واياه من جبل القمر لا يفيض لمدة فيض النيل
ثلاثة اشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثر فيه السيل عم جوانبه على
قدر انبساطها فاذا انصبت مادته ارتدع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما
من منبع واحد لكان شانهما واحدا ولا نقول ان سبب فيض النيل البحر فقط اذ لولا كونه
مسيل ما الما دخل ردع البحر اليه ولكان شاطي ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا
السيل السايل فيه لزمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل الشك على اهل
مصر في امر النيل لانهم لم يشاهدوا منشاه ولا عاينوا مبداه من جبل القمر لانه في موضع
لا ساكن عليه ولم يحققوا المد السنوي الرادع له فلم يتحققوا شيئا من امره لانه يبعد من
اذهان العامة ان يعلموا ان ما البحر معظم في ايام الصيف لان المعهود عندهم في البحران يعظم
في ايام الشتاء وطمو البحر في الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض
ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط فانه متحرك ابدا من دواخل البحر الى البر
وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة وفيها مانعة
لما فيها من التركيب فهو يطلب ابدا ان يعلوها وتركيبها يبرزها فاك والسبب في
عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا اجتمعت الشمس والقمر والكواكب السيارة عظم فيض البحر
واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقابلة احد السيارات ارتفع
البخار وصعد الى كرة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكوكب ارتفع المطر لكثرة
التحليل كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرووس الخلق وكما يكون عند حلول
الكواكب الكثيرة على وسط خط الارض والله اعلم فالتحصيل لقول المولف الذي يحصل من هذا القول ان في الاصل كاتبه
النيل مخرجه من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المد فاما كون مخرجه
من جبل القمر فمسلم اذ لا نزاع في ذلك واما ان زيادته لا يكون الا من ردع البحر له بما
يحصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالي هبوب الرياح الشمالية ينفعه على وفور الزيادة

وردع

وردع البحر له اعانة على الزيادة ومن تامل النيل علم ان سيلا سال فيه ولا بد فانه لا
يزال ايام الشتاء واوايل فصل الربيع ماوه صافيا من الكدر فاذا قربت ايام زيادته
وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناء رسب
منه شبه اجزا صغيرة من الطحلب وسبب ذلك ان البطيحة التي في اعالي الجنوب يرد لها
الفيله ونحوها من وحوش البر حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت امطار الجنوب في فصل
الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الما وجرى الى
ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الما كذلك حتى يعقبه ما متعكر ويزداد
عكره بزيادة الما فاذا وضع منه ايام الزيادة شي في اناء رسب في اسفله طين لم يعهد
فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تصب في النيل حتى تكون
زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والا فارض مصر سبخة لا تنبت ولا
ينبت فيها الا ما مر عليه ما النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير
وقت فيض البحر فلا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيفصل السيل وهو نحو البحر فلا يردعه
رادع غير مسلم فان العادة ان السيول التي عنها زيادة ما النيل لا يكون الا عن غزارة
الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا يكون الا في الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل
في الشتاء وادل دليل على كون زيادته عن سيل يسيل فيه انه انما يزيد بتدريج على
قدر ما يهبط فيه من السيول واما انسداده لضيق مصب النيل في اسوان واتساعه
اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب من علو في مخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل
وينبطح في اراضي حتى يصب في البحر فاتساعه بحيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط واما
قوله ان الاسداد اذا كسرت فاض الما على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الما
عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى ما علي جانبه من الاراضي حتى
تروى فمن تلك الاراضي ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه
واما قوله ان جميع تلك المسنا يسد عند ابتدا صعود النيل ليجتمع ما يسيل من الما في
النيل ويملا فيعم جميع ارضهم ولمنع تحمله دخول الما الملح عليه فغير مسلم ان تكون
السدود كما ذكر بل اراضي مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الما الا من زيادة
كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض

تفاوتا كثيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي اسفل الارض الى عمل الجسور حتى
تحبس الما ليتصرف فيه اهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يمر بدا
اولا في غير وقت سقي الاراضي حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضي
في وقت خلو الارض من الغلال وذلك غالبا في اثنا شهر مسرى فتح حينئذ الخليج حتى
يجري فيه الما الى حد معلوم ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الما من
الاراضي ثم فتح ذلك الحد في يوم النوروز حتى يجري الما الى حد اخر ويقف عنده حتى يروى
ما تحت هذا الحد الثاني من الاراضي ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النوروز بتسعة عشر
يوما حتى يجري الما ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضي ثم يفتح هذا
الحد فيجري الما ويروي ما هنالك من الاراضي ويصب في بحر الملح هذا هو الحال في سد ...
اراضي مصر وقوله ان ما البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلوق رشيد وتنيس ودمياط
فلو كان النيل خاليا من الما العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فنقول
هذا قول من لم يعرف ارض مصر فان النيل عند مصبه باعلى اسوان يكون اعلا
منه عند كونه اسفل الارض بقامات عديده فاذا فاض ما البحر حسبه ان يتدافع
هو وما النيل وربما غلب ما البحر ما النيل في ايام نقصان النيل حتى يملح ما النيل
فيما بين دمياط وفارسكور واما في ايام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر
من دمياط وكل منهما يدافع الاخر فلا يطيقه حتى صارا مما يعنى وفي منظرهما حينئذ
عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم اهل اسوان بذلك في الحال فغير مسلم
بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج او انقطع منقطع فاغرق
ماؤه اراضي كثيرة لا يظهر للنقص منه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المغفور يخرج
من قوص ببشارة وفا النيل وقدارى في عددهم ستة عشر ذراعا فلا يبوا في ذلك مقياس
مصر الا بعد ثلاثة ايام او نحوها واما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه
فليس كذلك بل الزيادة في النيل ايام زيادته تكون ببلاد النوبه وما وراها في الجنوب كما تكون
في ارض مصر ولا فرق بينهما الا في شيئين احدهما انه في ارض مصر يجري في احدود وهناك
يسد على الاراضي والثاني ان زيادته تعتبر بالمقياس في ارض مصر وهناك لا يمكن
قياسه لسداده ومن عرف اخبار مصر علم ان زيادة ما النيل تكون عن امطار الجنوب

ويقال ان النيل ينصب عشرة انهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم
تنصب تلك الانهار العشرة في بحيرتين كل خمسة انهار تنصب في بحيرة بذاتها ثم يخرج من البحيرة الشرقية
نهر لطيف ياخذ شرقا على جبل قاقولي فيمتد الى مدن هناك ثم ينصب في البحر الهندي ويخرج
من البحيرتين فيما بينهما ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار ويجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة
تسمى البطيحه وفيها تضرسه جبل يفرق في الما نصفين يخرج احدهما من غربي البطيحه
وهو نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدمادم ياخذ مغربا ما بين سمغره وغانه على جنوبي
سمغره وشمالي غانه ثم تنعطف هناك منه فرقه ترجع جنوبا الى غانه ثم تمر على مدينة
برنسه وتاخذ تحت جبل في جنوبيها خارج خط الاستوا الى رتيله ثم تنبحر في بحيرة هناك
وتستمر الفرقة الثانيه مغربه الى بلاد مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط شمالي
مدينة قليبنو ويخرج النصف الاخر متشاملا اخذا على الشمال الى شرقي مدينة جيمي ثم
تتشعب منه هناك شعبة تاخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تنعطف
شرقا بجنوب الى مدينة سحرته ثم الى مدينة مركه وتنتهي الى خط الاستوا حيث الطول
خمس وستون درجه تنحر هناك بحيرة ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبه شرقي
مدينة شيمي متشاملا اخذا على اطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى
مدينة دمقلة حتى يرمي على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى
مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي وقد استفيض ببلاد السودان ان
النيل في اصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كان عليها الغمام ثم يتفرق نهرين
يصب احدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبي والاخر يصل الى مصر حتى يصب
في البحر الشامي ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة انهار تدخل في صحرا متقطعه ثم تجتمع
الانهار المتشعبة ويخرج من تلك الصحرا نهرا واحدا في بلاد السودان ه

ذكر مقاييس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكم اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت
العجوز دلوكة ابنة زبا وهي صاحبة حائط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا
باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع اسامة بن زيد
التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيره وهو اكبرها قال يحيى بن بكير ادركت القياس يقيس

في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط وقال القضاعي كان اول من قاس النيل بمصر
يوسف النبي عليه السلام وبنى مقياسا بمنف وهو اول مقياس وضعه عليه السلام
وقيل ان النيل كان يقاس بارض علوه الى ان بنى مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه
الى ان بطل ومن بعده دلوكه العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذراع ومقياسا
اخر باخميم وهي التي بنت حايط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماقبل ان يوضع
المقياس بالرصاصة فلم يزل القياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية ومعالمه
هناك الى ان ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر ابنيتهم الباقية الان وكان للروم ايضا مقياس
بالقصر خلف الباب يمنة من دخل منه في داخل الزقاق اثره قايم الى اليوم وقد بنى عليه
وحوله ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بنى بموضع يقال له دندره ثم
بنى في ايام معويه مقياس بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى ان بنى عبد العزيز بن مروان
مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذراع فاما المقياس القديم الذي
بني في الجزيرة فالذي وضعه اسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه الف قنطار وهو الذي بنى
بيت المال بمصر وبنى ابو قتحه ثم كتب اسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك
ببطلانه فكتب اليه سليمان بان يبني مقياسا في الجزيره فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى
المتوكل فيها مقياسا في اول سنة سبع واربعين ومايتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي
على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وامر بان تعزل النصارى عن قياسه فجعل
يزيد بن عبد الله على المقياس ابا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله
ابن ابي الرداد المؤذن كان يقول العمي اصله من البصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس
النيل واجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يوميذ سبعة دنانير في كل شهر
فلم يزل القياس من ذلك الوقت في يد ابي الرداد وولده الى اليوم وتوفي ابو الرداد سنة
ست وستين ومايتين ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومايتين ومعه ابو ايوب
صاحب خراجه وبكار بن قتيبه القاضي ينظر الى المقياس وامر باصلاحه وقدر له الف
دينار فعمر وبنى الحارث في الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتمد عليه وقال ابن عبد الحكم
فلما فتح عمرو بن العاص مصر اتى اهلها الى عمرو حين دخل بؤونه من اشهر العجم فقالوا له
ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا انه اذا كان

لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدت الى جارية بكر من ابويها فارضينا ابويها وجعلنا
عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا
لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤونه وابيب ومسرى لا يجري
قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك
فكتب اليه عمر وان قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة
فالقها داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من
عبد الله عمر امير المومنين الى نيل اهل مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر
وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى
عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج منها
لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل واصبحوا يوم الصليب وقد اجراه ستة عشر ذراعا
في ليلة وقطع من تلك السنة السوء عن اهل مصر وقال يزيد بن ابي حبيب ان موسى صلى
الله عليه وسلم دعى على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلا فطلبوا الى موسى
ان يدعو الله فدعا الله رجا ان يومنوا فاصبحوا وقد اجراه الله في تلك الساعة ستة عشر
ذراعا فاستجاب الله بتطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لموسى عليه السلام قال
القضاعي ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت
العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى اهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حد في
مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار
الى تصاعد الاسعار لغير قحط فكتب عمر الى عمرو يساله عن شرح الحال فاجابه اني
وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط اهلها اربع عشرة ذراعا والحد الذي يروى منه
سايرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة اخرى ست عشرة ذراعا
والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنتي عشرة
ذراعا في النقصان وثماني عشرة ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك الوقت محفور
الانهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط وخميرة العمارة فيه فاستشار عمر
امير المومنين رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في ذلك فامره ان يكتب اليه ان يبني
مقياسا وان ينقص ذراعين على اثنتي عشرة ذراعا وان يقر ما بعدها على الاصل

وان ينقص من كل ذراع بعد الست عشرة ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه بحلوان
فاجتمع له بذلك كلما اراد من حل الارجاف وزوال ما اشيع كان يخاف بان جعل الاثني عشرة
ذراعا اربع عشرة لان كل ذراع اربعة وعشرون اصبعا فجعلها ثمانيا وعشرين من اولها
الى الاثني عشرة ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشرة ثمانيا واربعين اصبعا وهي
الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثماني عشرة والثماني عشرة عشرين
قال القضاعي وفي هذا الباب نظر وقت الزيادة فساد الانهار وانتقاض الاحوال
وشاهد ذلك ان المقاييس القديمة الصعيدية من اولها الى اخرها اربعة وعشرون
اصبعا كل ذراع والمقاييس الاسلامية على ما ذكر منها المقياس الذي بناه اسامة
ابن زيد التنوخي بالجزيرة وهو الذي هدمه الماء وبنى المامون اخر باسفل الارض بالبشرودات
وبنى المتوكل اخر بالجزيرة وهو الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره قال ابن
عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في اثني عشر يوما من مسرى اثنتي عشرة ذراعا
فهي سنة ماء والا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالماء تم فاعلم
ذلك وقال ابو الصلت واما النيل ومنبعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل
هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدي بالتزيد في شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل
ابيب كان للماء دبيب وعند ابتدائه في التزيد تتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب
في ذلك مروره بنقايع مياه اجنة يخالطها فيحتملها معه الى غير ذلك مما يحتمله فاذا
بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادسة عشر اصبعا واحدا كسر الخليج ولكسره
يوم معدود ومقام مشهود ومجمع غاص يحضره العام والخاص واذا كسر فتحت الترع
وهي فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وعم القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالي
مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على اكام وربا لا ينتهي الماء اليها ولا ينبسط السيل
عليها فتعود ارض مصر باسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها ربما بلغ الحد
المحدود في مشية الله عز وجل له واكثر ذلك يحوم حول ثماني عشرة ذراعا ثم ياخذ عايدا في
صبه الى مجرى النيل ومسربه فينتصب دلا عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها
مطمئنا فيترك كل قرارة كالدرهم ويغادر كل تلعة كالبرد المسهم وقال القاضي
ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية واما الذراع السوداء فهي

اطول من ذراع الدور باصبع وثلثي اصبع واول من وضعها امير المؤمنين هرون الرشيد
قدرها بذراع خادم اسود كان على راسه قائما وهي التي يتعامل الناس بها في ذراع
البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر واكثر ما وجد في المقياس في النقصان سنة
سبع وتسعين ومائتين فانه وجد في المقياس تسع اذرع واحدى وعشرون اصبعا
واقل ما وجد فيه سنة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد وعشر اصابع واكثر
ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسع عشرة
اصبعا واقل ما كان في سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فانه بلغ اثني عشر
ذراعا وتسع عشرة اصبعا وهي ايام كافور الاخشيدي والمقياس عمود رخام ابيض
مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين
ذراعا كل ذراع مفصل على اربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع
ما عدا الاثني عشر ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين اصبعا كل ذراع
وقال المسعودي قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف
ذلك بتوالي الانواء وكثرة الامطار وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته
ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون
في شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته
بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على وجه الارض وقال قوم سبب
زيادته هبوب ريح تسمى الملتن وذلك انها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستوا
فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة ويأتي مدده الى مصر بزيادة النيل ومع ذلك
فان البحر الملح يقف ماؤه في وجه النيل فيتوقف حتى يروي البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع وللسامع اعلى يد … عندي واسما من يد المحسن
فالنيل ذو فضل ولكنه … الشكر في ذلك للملتن

ويبتدي النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤونه وهو حزيران وابيب وهو تموز
ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زايدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضايه
فاذا انتهت الزيادة الى ذراع ثماني عشرة ففيه تمام الخراج وخصب الارض وهو ضار
بالبهايم لعدم المرعى والكلا واتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبع عشرة

ذراعا وذلك كفايتها وري جميع ارضها فان زاد على ذلك وبلغ ثمان عشرة ذراعا وعلوتها
استبحر من ارض مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا
كانت الزيادة على ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة في انصرافه حدوث وبا واكثر الزيادة
ثمان عشرة ذراعا وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز تسع عشرة ذراعا ومساحة الذراع
الى ان يبلغ اثني عشرة ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثني عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك
يكون الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل ما يبقى في قاع المقياس من الما ثلاثة اذرع
وفي تلك السنة يكون الما قليلا والاذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعان تسمى منكرا
ونكيرا وهي الذراع الثالثة عشر والذراع الرابعة عشر فاذا انصرف الما في هذين الذراعين
وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة ذراعا استسقى الناس بمصر وكان الضرر الشامل
لكل البلدان واذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض
الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقص من خراج السلطان والنيل يتخذ لمصر من ما
طوبه وهو كانون الثاني بعد الغطاس وهو لعشر يمضي من طوبه واصفى ما يكون ما
النيل في ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفا ما النيل في هذا الوقت وفيه تختزن
الما اهل تنيس ودمياط وبونه وساير قرايا البحر وقد كانت مصر كلها تروى من
ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبنا قناطرها وتنقية
خلجانها وكان النيل اذا بلغ في زيادته تسع اذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج
سردوس وخليج سخا قال والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة خمس واربعين وثلثمايه
انه ان زاد على الستة عشر ذراعا او نقص عنها نقص من خراج السلطان وقد تغير في
زمننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقانونه اليوم انه
يزيد في القيظ اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد والسنبلة حين تنقص عامة الانهار
التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمده بمائها عند غيضها فتكون زيادته وتبتدي
الزيادة من خامس بؤونه وتظهر في ثاني عشره واول دفعه في الثاني من ابيب وتنتهي زيادته
في ثامن بابه ويأخذ في النقصان من العشرين منها فتكون مدة زيادته من ابتدائها الى ان تنقص
ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوما وهي ابيب ومسري وتوت وعشرين يوما من بابه
ومدة مكثه بعد انتها زيادته اثني عشر يوما ثم يأخذ في النقصان ومن العادة ان ينادى

عليه

المناداة على النيل

عليه دايما في اليوم السابع والعشرين من بؤونه بعد ما يوخذ قاعه وهو ما بقي من
الما القديم في ثالث عشر بؤونه ويفتح الخليج الكبير اذا اكمل الما ستة عشرة ذراعا
وادركت الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكنا نعهد الما اذا بلغ
اصابع من عشرين ذراعا فاض ما النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع
وها نحن في زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمايه اذا بلغ الما في سنة
اصبعا من عشرين لا يعم الارض كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى بعد الخمسمايه من
الهجرة قانون النيل ست عشرة ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمان عشرة ذراعا
وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدا زاد خراج مصر مائة الف دينار لما يروى
من الاراضي العالية فان بلغ ثمان عشرة ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشرة
ذراعا في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمان عشرة
ذراعا واحدا انقص من الخراج مائة الف دينار لما يستبحر من الاراضي المنخفضة قال ابن
ميسر في حوادث سنة ثلاث واربعين وخمسمايه وفيها بلغت زيادة ما النيل تسع عشرة
ذراعا واربع اصابع وبلغ الما الباب الجديد اول الشارع خارج القاهرة وكان
الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله
ابو الميمون عبد المجيد بن محمد ان الما وصل الى الباب الجديد اظهر الحزن والانقطاع
فدخل اليه بعض خواصه وساله عن السبب فاخرج له كتابا فاذا فيه اذا وصل
الما الباب الجديد انتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي نعلم منه احوالنا
واحوال دولتنا وما ياتي بعدها ثم مرض الحافظ في اخر هذه السنة ومات في سنة
اربع واربعين وخمسمايه وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين
وخمسمائه في يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر
من مسري صار النيل على ست عشرة ذراعا وهو الوفا ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ
في زمن متقدم وهذا ايضا مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فانه صار يوفي في
اوايل مسري ولقد كان الوفا في سنة اثني عشرة وثمانمايه في اليوم التاسع والعشرين
من ابيب قبل مسري بيوم وهذا من اعجب ما يورخ في زيادات النيل واتفق وفاء
النيل ان في حادي عشر جمادي الاولى سنة تسع وسبعمايه اوفى النيل وكان ذلك

اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة واربعين يوما قال وفي تاسع عشره يعني
شوال سنة اثنين وتسعين وخمسمائة كسر الخليج ابو الهيجا وباشر الملك العزيز عثمان كسره
وزاد النيل فيه اصبع وهي الاصبع الثامنة عشر من ثماني عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى
عند اهل مصر اللجة الكبرى فانظر كيف يسمي القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه
والعياذ بالله لو بلغ ما النيل في سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلا يخاف منه ان
يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما اهمل من عمل الجسور وتحصل لاهل مصر بوفا النيل
ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري القديم واستمر ذلك الى يومنا
هذا ويتخذ ذلك اليوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس
وقد ذكر ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال
بعض المفسرين ان يوم وفا النيل هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع
في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع
الناس في هذا الوقت للتخليق يكون في هذا الوقت ومن احسن السياسات في امر النداء
على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله قال وفي هذا الشهر
يعني شوال سنة اثنين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل
وان لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم اباح النداء يعني لما تم ست عشرة
ذراعا وكسر الخليج فتامل ما ابدع هذه السياسة فان الناس دايما اذا توقف النيل
في ايام زيادته او زاد قليلا يقلقون ويحدثت انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم
على الغلات ويمتنعون من بيعها رجا ارتفاع السعر ويجتهد من عنده مال في اختزان
الغلال اما لطلب الربح او لادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلا فان زاد الما انحل
السعر والا كان الجدب والقحط ففي كتمان الزيادة عن العامة اعظم فايدة واجل عايدة
وقال المسبحي في تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن خيران بتحرير ما يستفتح
القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصى من خزاين لا تفنى زاد الله في النيل
المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتدا زيادة النيل اخضر ماؤه فيقول عامة
اهل مصر قد توحم النيل ويرون ان الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره
ان الوحوش سمت القبلة ترد البطيحات التي في اعالي النيل وتستنقع فيها مع كثرة

عندها

عندها السنة الى هناك فيتغير ما تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية
في اوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات فتخرج ما كان فيها من الما الذي
قد تغير ويمر الى مصر ويجي عقيبه الما الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الما
محمرا لمخالطته من الطين الاحمر الذي تاتي به السيول فاذا تناهت زيادته غشي ارض
مصر فتصير القرى التي في الاقليم فوق البلاد والروابي قد احاط بها الما فلا يوصل
اليها الا في المراكب او من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا عملت كما ينبغي ربع
الخراج ليحفظ عند ذلك ما النيل حتى يتروى كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل
ري نواحيه من النواحي قطع اهلها الجسور المحيطة بها من امكنة معروفة عند
هولا البلاد ومشايخها في اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتاخر عن اوقاتها المعتادة
على حسب ما تشهد به قوانين كل ناحية من النواحي فيروى كل جهة مما يليها مع ما
يجمع فيها من الما المختص بها ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع
والخلجان لقل الانتفاع بما النيل كما قد جرى في زمننا هذا وقد حكي انه كان يرصد
لعمارة جسور اراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من اجل انه
يترتب على عملها ري البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شا الله تعالى
قريب على ما كان من اعمال القدما ومن بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدول
المعاصرة رسوم منها للنسج مجاري الما خمسون دينارا في كل سنة يطلق لابن ابي
الرداد اعلم انه في النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة التي تعرف اليوم
بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجيزة ايضا جسر في كل جسر منهما ثلاثون سفينة

ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم

قال الرئيس ابو علي بن سينا عفى الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل
افراطا شديدا فيجمعون محامده في اربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغموره
واخذه الى الشمال عن الجنوب فاخذه الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجري فيه
من المياه واما غموره فيشاركه فيها غيره قال فافضل المياه مياه العيون
ولا كل العيون ولكن ماء العيون الحرة الارض التي لا يغلب على تربتها شي من الاحوال
والكيفيات الغريبة او تكون حجرية فتكون اولى بان لا تعفن عفونة الارضية

لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية
بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما تكتسب به الجارية فضيلة واما
الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداة لا تكتسبها بالغور والستر واعلم ان المياه
التي تكون طينته المسيل خير من التي تجري على الاحجار فان الطين ينقي الما وياخذ منه
الممزوجات الغريبة ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب ان يكون طين مسيله حرا
لا حماه ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الما غمرا شديد الجرية تحيل بكثرته
ما يخالطه الى طبيعته فان كان ياخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوص
الى الصيفي منه فهو افضل لا سيما اذا بعد جدا من مبداه قال الرئيس علاء الدين علي
ابن ابي الحزم بن نفيس في شرح القانون هذه المحامد التي ذكرها الشيخ علامات للجيد بل
هي من الاشيا الموجبة لكونه محمودا واحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا ان ذلك يوجب
لطافة الما بسبب كثرة حركته واعلم ان منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا
الجبل وراء خط الاستوا باحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة مما به اعظم دائرة في الارض
ثلاثماية درجة وستون وابتدا هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين
دقيقة من اول العمارة من جهة المغرب واخره عند احد واحدى وستين درجة وخمسين
دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة مما به اعظم
دائرة في الارض ثلثماية وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من اعين فيه
ترمي كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد
من ابتدا العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستوا في الجنوب سبع درج
واحدى وثلاثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون
درجة وحيث البعد من خط الاستوا في الجنوب سبع درج واحدى وثلثون دقيقة وهاتان
البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج في كل واحدة من
هاتين البحيرتين اربعة انهار ترمي بمائها الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد
مركزها عن اول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستوا
من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان وتنصب كل واحد من
الانهار الثمانية في هذه البحيرة نهرا واحدا منها وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة وينصب

اليه

اليه نهر اخر ابتداوه من عين مركزها على خط الاستوا كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث
درج بعد مركزها من اول العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجة ويلتقي نهر هذه العين
لنهر النيل حيث البعد من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة واربعون دقيقة
واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال لها شطنوف تفرق هناك الى نهرين
يرميان الى البحر المالح احدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندرية وثانيهما
يعرف ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر اشمون
يرمي الى بحيرة هناك وباقيه يرمي الى بحر الملح عند دمياط وزيادة ما النيل هي من امطار
كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب
ردي خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضل
افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه حلو ولا يحتمل الخمر اذا امزج به منه
الا قليلا وكان خفيفا الوزن سريع البرد والتسخين لتخلخله باردا في الشتا حارا في
الصيف لا يغلب عليه طعم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشراسيف سريع
تهري ما تهري فيه وطبخ ما يطبخ فيه واعلم ان الوزن من الدستورات المنجحة في حال
الما فان الاخف في اكثر الاحوال افضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سينا من صفات
المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجد ذلك قد اجتمع في ما النيل فاوله ان ما النيل عين
يمر على اراضي حرة ولا يغلب على تربة ما يمر به شي من الاحوال والكيفيات الردية
كمعادن النفط والشب والاملاح والكباريت ونحوها بل يمر على الاراضي التي ينبت
الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراطة الذهب وقد عاينا جماعة يصولون الذهب
من الرمل الماخوذ من شطوط النيل فيخرج منه مالا وفضيلة كون الذهب في الما لا ينكر
الثاني ان النيل في جريانه ابدا مكشوف للشمس والرياح الثالث ان طينه من طين
مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضي حرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح
الطين اذا بديته بالما الرابع غمورة ما النيل وشدة جريته التي تكاد تقصف العمد
اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها الخامس بعد مبدا خروجه
من مصبه في البحر الملح وقد تقدم من طول مسافته ما لا تجده في نهر غيره من انهار المعمور
السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لا سيما واذا صار الى الجنادل

الحط من اعلى جبل مرتفع الى وادي مصر وذكر ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث من حديث
جرير بن عبد الله البجلي حيث ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنه فذكر الى ان قال
وماؤنا سيح اي يجري من علو فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الما السنم اي ما كان ظاهرا
على الارض والسنم الما على وجه الارض وكل شي علا شيا فقد تسنمه ماخوذ من سنام
البعير لعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم انه ممزوج بما
ينزل من علو السابح انه يمر من الجنوب الى الشمال فيستقبل ريح الشمال الطيبة
النامي خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه فخف عنه في الوزن
التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره في هضم الغذا واحداره عن المعدة بحيث انه
يحدث بعد شربه جشا وهذه صفات ان كنت ممن قد مارس العلم الطبيعي وعرف
الطب فانه يعظم عندك قدر ما النيل ويتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه ويقال
ان ذا القرنين كتب كتابا بافنيه ما شاهده من عجايب الدنيا فضمنه كل عجيبة ثم قال في اخره
وليس ذلك بعجب ولكن العجب نيل مصر وقال بعض الحكما لولا ما جعل الله في نيل مصر
من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الما
عنه عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار كافية ولا
عيون جارية تعم ارضه الا في بعض اقليم الفيوم ولله در القايل

واها لهذا النيل اي عجيبة ... بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم ... حتى اذا ما مل عاد مودع
مستقبل مثل الهلال فدهره ... ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقال اخر

كان النيل ذو فهم ولب ... لما يبدو لعين الناس منه
فياتي حين حاجتهم اليه ... ويمضي حين يستغنون عنه

وقال الامير تميم بن المعز

اما ترى الرعد بكى واشتكى ... والبرق قد اومض واستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجا ... اضحك وجه الارض لما بكا
وانظر لما النيل في مده ... كانما صندل او مسكا

وقال

60

وقال اخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا ... ارتنا به من مرها عسكرا مجرا
فشط نهر السمهرية ذبلا ... وموج بهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكى الورد غضا وان صفا ... حكى ماؤه لونا ولم يعده نشرا

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعته

ارى ابدا كثيرا من قليل ... وبدرا في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ما ... بمصر مسبب لخليج مال
زيادة اصبع في كل يوم ... زيادة اذرع في حسن حال

وقال الشيخ ابي احمد بن علي بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر بعيشها الرغد النضر ... في سفح روض يلتقي ما الحياة والخضر

وقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة ... وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وابقت شعاعا منه يخلفها ... كانما احترقت بالما في الغرق
وللهلال فهل وافى ليقذفها ... في اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال نشو الملك بن المنجم

يا رب سامية في الجو منشية ... امد طرفي وارض من الافق
حتى العشية في النيل معركة ... اذا راها حبان مات للغرق
الشمس هاربة للغرب ذاهبة ... والنيل معصفر من لجة الشفق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا ... من سورة الطعن ملقى في دجى الشفق

وقال اخر

يوم لنا بالنيل مختصر ... ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا ... صعدا وجيش الما منحدر
وكانما امواجه عكن ... وكانما داراته سرر

وقال القاضي الفاضل واما النيل فقد ملا البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع
فكانما غار على الارض فغطاها واغار عليها فاستعداها وما تخطاها فما يوجد

مصر قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب الا اياه ونيل مصر مخالف لجريه لغالب الانهار
فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الا نهران فانهما يجريان كما يجري النيل
وهما نهر مكران بالسند ونهر الارنط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي في حماه احد
مداين الشام وقد عاب ماء النيل قوم قال ابو بكر بن وحشيه في كتاب الفلاحه النبطيه
واما ماء النيل لمخرجه من جبال وراء بلد السودان يقال لها جبل القمر وحلاوته وزيادته
يدلان على موقعه من الشمس وانها احرقته لا كل الاحراق بل اسخنته اسخانا طويلا لينا
لا من عجلة الحراره ولا تقوى عليه بحيث تبدد اجزاؤه الرطبه وتبقى اجزاوه الراسخه بل بعدل
عليه فصار ماؤه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه يعفن البدن ويحدث البثور والدماميل
والقروح وصار اهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى الاستفراغ الدم عن ابدانهم
في كل مدة قصيره ومن كان منهم عالما بالطبيعه فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه
ضرر ماء النيل والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثور والدماميل وذلك ان
هذا الماء نقص البرد عن ساير المياه فقد صار له الطبخ واما هو انحن من قوام الماء فصار
اذا خالط الطعام في الابدان كثر فيها الفضول الرديه العفنه فيحدث من ذلك ما ذكرت
ودوا اهل مصر الرديه العفنه فيحدث من ذلك ما ذكرت ودوا اهل مصر الذي يدفع عنهم
ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفاكهه الحامضه القابضه واخذ الادويه المستفرغه
للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار
الراكده التي لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو اوفق للزروع والمنابت
من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بامم كثيرة من السودان ثم يصير الى ارض مصر
وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات والاوساخ ويشق ماؤه بوسط ارض مصر
من الجنوب الى الشمال الى ان يصب في بحر الروم ومبدا زيادة هذا النهر في فصل الصيف ونهاية
زيادته في فصل الخريف وترتقي في الجو منه في اوقات تمده رطوبات كثيره بالتحلل الخفي
فيرطب ذلك يبس الصيف والخريف واذا امد النهر فاض على ارض مصر فغسل ما فيها
من الاوساخ نحو جيف الحيوان وازبالها وفضول الآجام والنبات ومياه البقاع وحدر
جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخافتها
وباض فيه من السمك الذي ترمي فيه وفي مياه البقايع دسم قبل ذلك تراه في اول مده

يحفر

يحفر لونه بكثرة ما خالطه من مياه البقايع العفنه التي قد اجتمع فيها العرمض والطحلب
واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير اجزاؤه مثل الحماه واذا صفي اجتمع منه
في الاباطي كثير ورطوبة لزجة لها سهوله ورائحة منكرة وهذا من اوكد الاسباب في ظهور
رداءة هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس ان اسرع المياه الى العفن ما لطفته
الشمس بمياه الامطار ومن شان هذا الماء ان يصل الى ارض مصر وهو في الغايه من اللطافه
من شدة حرارة بلد السودان فاذا اختلط به عفونات ارض مصر زاد ذلك في استحالته
ولذلك يتولد منه من انواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوان والنبات وعفونة
هذا الماء وبيض السمك يصير جميعا موادا في تكون هذه الاسماك كما قال ارسطاليس
في كتاب الحيوان وذلك ايضا شي ظاهر للحس فان كل شي يتعفن يتولد من عفونته الحيوان
ولهذا صار ما يتولد من الدود والفار والثعابين والعقارب والزنابير والذباب
وغيرها بارض مصر كثيرا فقد استبان ان المزاج الغالب على ارض مصر الحراره والرطوبه
الفضليه وانها ذات اجزا كثيرة وان هواها وماءها رديان وربما انقطع النيل في
آخر الربيع واول الصيف من جهة الفسطاط فتعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ عفنه
الى ان يصير له رائحه منكره محسوسه وظاهر ان هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير
مزاج الناس تغييرا محسوسا وينبغي ان يستقى ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه
اشد والعفونه فيه اقل ويصفي كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه اما المحرورين
في ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمني والمغره والنبق المرضوض والزعرور المرضوض
والخل واما المبرودون في ايام الشتا فباللوز المر وداحل نوى المشمش والصعتر والشب
وينبغي ان ينظف ما يروق ويشرب وان شئت ان تصفيه بان تجعله في انيه الخزف
والفخار والجلود وما يعمل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار وجعلته في هوا
الليل حتى يروق ثم قطفت منه ما يروق واستعملته واذا ظهرت فيه كيفيات رديات
فاطبخه بالنار ثم برده تحت السما في برودة الليل وصفه باخلاط الادويه التي ذكرت
واجود ما اتخذ هذا الماء ان يصفى مرارا وذلك بان تسخنه وتطبخه ثم تبرده في هوا
الليل وتقطف ما يروق منه فتصفيه ايضا ببعض الادويه ثم تاخذ ما تروق فتجعله
في آنيه تتصل في برد الليل وتاخذ الرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف

والفخار المعمولين في طوبه والظروف الحجريه والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتا الانيه
الزجاج والمدهون ومايعمل في الصيف من الفخار والخزف ويكون مواضعه في الصيف تحت
الاسراب وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتا بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بان يخلط معه
ما الورد ويوخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير وبزر رجله او خشخاش ابيض وطين
ارمني او مغره ويلقى فيه كيما ياخذ من بردها ولا يخالطه جسمها ويغسل ظروفه في الصيف
بالخزف المدقوق بدقيق الشعير والباقلا والصندل وفي الشتا يغسل بالاشنان والسعد
ويبخر بالمصطكي والعود واردى ما يكون ما النيل بمصر عند فيضه وعند وقوف حركته فعند
ذلك ينبغي ان يطبخ ويبالغ في تصفيته بعد طبخه في الشمس وسائر ما تقطع لزوجته واجود
ما يكون في طوبه عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرف المصريون بالتجربه ان ما طوبه اجود
المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القرابات الزجاج الصيني ويشربه السنه كلها
ويزعم انه لا يتغير وصاروا ايضا لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم انه على غاية الخلاص وامانة
انت فلا تسكن على ذلك وصفه على اي حالة كان فاما المخزون لا بد ان يتغير فهذا ما عنده
من ذم ما النيل وحاصله ان الما تتغير كيفيته بما يمر عليه لا ان ذاته رديه فلا يهولنك
ما تسمع فالامر الا ما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما يتغير من كيفيته لا من كميته فقد
عرفت ما تعالجه به كي يزول ما خالطه من الكيفيات الرديه والله الموفق بمنه

ذكر غرايب عجايب النيل بمصر

قال المسعودي وفي نيل مصر وارضها عجايب كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك
المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقع في شبكة الصياد ارعدت يده وعضده
فيعلم بوقوعها فيبادر الى اخذها واخراجها عن شبكته ولو امسكها بخشب او قصب
فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على راس من به صداع شديد او
شقيقه وهي في الحياة هدا من ساعته وقال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان
البحري الذي يحدث الخدر وزعم قوم انه ان ادني من راس من يشتكي الصداع سكن صداعه
واذا ادني من مقعده من انقلبت مقعدته اصلحها ولكني انا جربت الامرين جميعا فلم
اجده يفعل ولا واحد منهما فتفكرت ان ادنيه من راس صاحب الصداع والحيوان والحيوان
حي بعد لاني ظننت انه على الحال يكون دوا ممكن ان يسكن الصداع بمنزلة الادويه الاخر

لوجدانه ينفع ما دام حيا وقال ديسقوريدوس هو سمكه بحريه مخدره واذا وضعت
على الراس الذي عرض له الصداع المزمن سكن شده وجعه واذا احتمل شد المقعدة
التي تبرز الى خارج وقال يونس الزيت التي يطبخ فيه يسكن اوجاع المفاصل الحريفه
اذا ادهنت به قال ابن البيطار رايت بساحل مدينه مالقه من بلاد الاندلس
سمكه عريضه لون ظاهرها لون رعاد مصر سوا وباطنها ابيض وفعلها في تخدير
ما يمسكها كفعل رعاد مصر او اشد الا انها لا توكل البته وقال بعضهم اذا علقت
المراة شيا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل
عليه لم تكد المراة ان تفارقه والسقنقور وهو صنف يتولد من السمك والتمساح فلا
يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه اجرد املس غير مضرس
وذنب التمساح مستديف مضرس ويتعالج بشحم السقنقور للجماع ولا يكون
الا في النيل او نهر مهران من ارض الهند وقد بلغني ان اقواما شووها واكلوا
منها فماتوا كلهم في ساعة واحدة والسقنقور قال ابن سينا وهو ورل مائي يصطاد
في نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح واجوده ما يصطاد في الربيع وقال اخر انه فرخ
التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الما صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا
وقال ابن البيطار هو جنس من الجراذين يخفف في الحريف اذا شرب منه وزن درهم
من الموضع الذي يلي الكلى بشراب انهض شهوة الجماع وهو شبيه الشبه بالورل يوخذ
في الرمال الذي يلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعى في البر ويدخل في الما
يعني النيل ولهذا قيل له الورل المائي لتشبهه به ولدخوله في الما وهو يتولد من ذكر
وانثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقتها وموضعها والانثى تبيض فوق
العشرين بيضه وتدفنها في الرمل وللذكر من السقنقور احليلان وللانثى فرجان والسقنقور
يعض الانسان ويطلب الما فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ في بوله واذا
فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان يسبق المعضوض الى الما
فيدخله قبل دخول السقنقور الما او تمرغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض
والافضل منه الذكر والابلغ في نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الانثى والمختار من
اعضايه ما يلي اصل ذنبه ويحاذي سرته والوقت الذي يصطاد فيه الربيع فانه يكون

والاصل در

فيه هايج للسفاد ويكون في هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا اخذ ذكي في يوم صيده فانه ان ترك
حيا ذاب شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع راسه وطرف ذنبه من غير استيصال
ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا كلاه وكبده فاذا نظف حشي ملحا وخيط الشق وعلق
منكوسا في ظل معتدل الهوا حتى يجف وينشف ما فيه ثم يرفع في انا متخرق الهوا كالسلال
المظفورة من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه الى وقت الحاجة وشحمه طريا حار
رطب والمجفف اشد حرارة واقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما
يوافق ذوي الامزجة الباردة الرطبة وخاص لحمه وشحمه انهاض شهوة الجماع وتهييج الشبق
وتقوية الانعاظ ونفع امراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سرته ومحاذي ذنبه
ويستعمل مفردا ومركبا واستعماله مفردا ابلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى ثلاثة
مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر فيسحق ويذاب بشراب او ما العسل
او نقيع الزبيب ويذر على صفرة بيض الدجاج النيمبرشت ويحتسى وكذلك يفعل بلحمه اذا
اخذ منه من درهم الى درهمين ويذر على صفرة البيض بمفرده او مع مثله بزر جرجير مسحوق
ولا يوجد السقنقور الا في بلد الفيوم خاصة واكثر صيده في الاربعينيات اذا اشتد البرد
وخرج من الما الى البر فيسهل صياده ومن عجايب النيل فرس البحر قال عبد الله
ابن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد
علوة اكثر مما بين دنقلة واسوان وفي ذلك من القرى والضياع والجزاير والمواشي
والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجانب الذي يلي ارض الاسلام
وفي هذه الاماكن جزاير عظام مسيرة ايام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز
يخاف فيها العطش والنيل يعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربه
مسافة ايام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل الى
المعدن المعروف بالشنكه وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خرج العمري وفرس البحر
يكثر في هذا الموضع وحدثني سيمون صاحب عهد علوة انه احصي في جزيرة سبعين دابة
منها وهي من ذوات الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجاموس قصيرة القوايم لها
خف وهي في الوان الخيل باعراف واذان صغار كاذان الخيل واعناقها كذلك واذنابها
مثل اذناب الجواميس ولها عظم عريض الناظر اليها كان عليها مخلاة لها صهيل وانياب

لا يقوم حذاها تمساح وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها ورعيها في البر العشب
وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس لينة وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا
وذنبا واحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجثته اكبر من الحمار بقليل وهو
ياكل التمساح اكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الما ونزا على فرس
في البر فتولد بينهما فرس في غاية الحسن واتفق ان بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه
حجر فخرج من الما فرس ادهم عليه نقط بيض فنزا على الحجر فحملت منه وولدت مهرا عجيب
الصورة فطمع في مهر اخر وجا بالحجر والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من الما وشم المهر
ساعة ثم وثب في الما وتبعه المهر فصار الرجل يتعاهد ذلك الموضع كثيرا فلم يعد
الفرس ولا المهر اليه وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الما
وانتهى وطيه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع
بعينه غير زايد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب
وفي ظهوره من الما ضرر بارباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من
الما في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عايدا الى الما فيرعى في حال رجوعه من الموضع
الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الموضع الذي قد رعاه شيا في ممره واذا رعى
ورد الما وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فاذا كثر
ذلك من فعله واتصل ضرره بارباب الضياع طرحوا الترمس في الموضع الذي
يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبددا مبسوطا فياكله ثم يعود الى الما فاذا شرب
منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه ويموت فيطفو على الما ويقذف به
الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره
وذنبه بخلاف ذلك وجبهته واسعة قال المسبحي ان الصنف المعروف بالبلطي من
اصناف السمك ولما عرف بنيل مصر في ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله
ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في ايامه ايضا سمك يعرف باللبيس وانما سمي باللبيس
لانه يشبه البوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انه من اسماك البحر الملح دخلت
في الحلو ومن حيوان النيل التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون في الانهار
الكبار وفي النيل اكثر ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورل النيلي

وقال ابن زهر ان كل حيوان يحرك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى
دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيله واسرج في نهر او اجمه لم تنق
ضفادعها ما دامت تتقد وان طيف بجلد تمساح حول قريه ثم علق على سطح دهليزها
لم يقع البرد في تلك القريه واذا عض التمساح انسان فوضع على العضه شحم التمساح برا
من ساعته وان لطخت بشحمه جبهه كبش نطاح نفر كل كبش يناطحه وهرب منه ومرارته
تكتحل بها للبياض في العين فتذهبه وكبده تبخر بها المجنون فيبرا وزبل التمساح يزيل
البياض من العين الحدث والقديم في العين وان قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به
جذام او قعقعه ولم يرد عليه وان شي من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه
اليمنى لمن يشتكي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتكي عينه اليسرى وشحمه اذا ديف بدهن
ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد في الباه واذا اخذ دم التمساح وخلط به مليح
والملح وطلي به على الوضح اذهبه وغير لونه واذا طلي به على الجبهه والصدغين نفع
من وجع الشقيقه واذا اكل لحمه اسمن بها جسمن البدن النحيف وشحمه اذا قطر
بعد ان يذاب في الاذن الوجعه نفعها وان ادمن تقطيره في الاذن نفع من الصمم واذا
دهن به صاحب حمى الربع سكنت عنه ولحمه ردي الكيموس وقال المسعودي وكذلك
التمساح افته من دويبه تكون في سواحل النيل وجزايره وهو ان التمساح لا دبر له
وما ياكل يكون في بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاتحا فاه فينقض اليه طير الما وقد اعتاد منه ذلك فياكل ما يظهر من جوفه من ذلك
الدود العظيم وتكون تلك الدويبه قد كمنت في الرمل فتثب الى حلقه وتصير
الى جوفه فيخبط بنفسه الارض ويطلب قعر النيل حتى تاتي الدويبه على حشوه جوفه
ثم تخرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبه
تكون نحو الذراع على صوره ابن عرس ذات قوايم شتى ومخالب ويقال انه كان بحبال
فسطاط مصر طلسم معمول لها وكان التمساح لا يستطيع الاضرار حوله بل كان اذا
بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان الى ان يجاوز نهايه
المدينه ثم يعود فيستوي ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله
ويقال ان التمساح يبيض كبيض الاوز وربما يولد فيه جراد من صغار ثم يكبر حتى يبلغ

طولها

طولها عشره اذرع ويزداد طولا كلما عمرت والتمساح يجامع ستين مره في حركه واحده
ومحل واحد وسنه السرى نافعه للناقض

ذكر طرف من تقدمه المعرفه بحال النيل في كل سنه

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شي وطمعها ان يكون
الامطار متواليه في نواحي الجنوب قبل مده وفي وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل
متى كانت الزهره وعطارد مغربين في مدخل الصيف كثر الزياده لرطوبه الهوا ومتى
كان المريخ او بعض النيازك في ناحيه الجنوب في مدخل الربيع او الصيف قليلا قلله
الامطار في تلك الناحيه ومنها ان يكون الريح شماليه لتوقف جريه فاما الجنوبيه
فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحيه الجنوب من كثره
الامطار او قلتها وفي ناحيه مصر من هبوب الرياح في فصلي الربيع او الصيف
فقد علمت حال النيل كيف يكون ويعلم من حاله ما يعرض لمصر من الخصب والقحط
وقال ابن يونس المنجم عن بطلميوس اذا اردت ان تعلم مقدار مد النيل في الزياده
والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهره وعطارد والقمر فان
كانت احوالها جيده وهي بريه من النحوس فالنيل يمد ويبلغ الحاجه به وان كانت
احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفه فانكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض
توسط الحال في النيل والضابط ان قوه الثلاثه تدل على تمام النيل وضعفها على
توسطه وانحاسها او احتراقها او وقوعها في بعدها الابعد من الارض على النقص
وانه قليل جدا الا ان احتراق الزهره في برج الاسد بشير الماء من الحقوق وقال
ابو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهره وعطارد والقمر فان
كانت في سيرها الاكبر فان زياده النيل عظيمه وان كانت في سيرها الاوسط
فاعرف لم اكثر سيرها وكم اقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيه السير
فزياده النيل قليله وان اختلف سير هذه الثلاثه فكان بعضها في سيره الاكبر
وبعضها بطي السير فغلب اقواها وامزج الدلاله وقد يحسب ذلك وقالت
القبط ينظر اول يوم من شهر برموده ما الذي يوافقه من ايام الشهر العربي
فما كان من الايام فزد عليه خمسه وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ

النيل في تلك السنة من الاذرع قالوا ومن المعتبر ايضا في امر النيل ان ينظر اليوم الذي
يفطر فيه النصارى اليعاقبة بمصر ما بقي من الشهر العربي فيزد عليه اربعا وثلثين
فما بلغ اسقطه اثني عشر اثني عشر فان بقي بعد الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر
فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة
رديه قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقا لشهر ابيب والقمر في برج
العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والا فهو جيد قالوا وينظر
اول يوم من بؤونه فان هبت الريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت
وسط النهار فانه مستوسط وان هبت اخر النهار كان نيلا قاصرا وان لم تهب لم تطلع تلك
السنة وقيل يعتبر ذلك اول خميس من بؤونه ومن المعتبر الذي جربته انا سنين
واخبرني بعض شيوخنا انه جربه واخبره به من جربه فصح انه ينظر اول يوم من مسرى
كم مبلغ النيل فيزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما يزعم
نصارى الوجه القبلي انه مجرب في امر النيل ان يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت
الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء وترفع
في اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراريب كان
مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد تلك الخراريب لكل خروبة ذراع ومع ذلك
فلا بد من اخذ شيء من دقيق القمح ويعجنه بماء النيل في اناء فخار قد عمل من طين مر عليه
النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر
بنفسه كان النيل تاما وافيا وان وجد فطيرا لم يختمر دل على قصور مد النيل ثم
ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهوا فان هب طيبا فهو نيل كبير وان
هب غير طيب فهو نيل مقصر لاسيما ان هب مريسيا فانه يكون نيلا غير كاف
والشان عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فاما اذا اختلفت
فاكثر لا يكاد يصح وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار الباقية عن
القرون الخالية وذكر اصحاب التجارب انه اذا اسعدم فعمد الى لوح وزرع عليه من
كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز احد
شهور الروم وهي اخر ايام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغيره

لاجل

الحول سنة وبين السماشي فان كل ما لا يزكوا في تلك السنة من الزروع يصبح اصفر وما
يصلح زريعة منها يبقى اخضر وكذلك كان القبط تفعل ذلك وقد جربت انا على ما افادنيه
بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابه فانه ينظر ما ذلك اليوم من الشهر
القبطي فانه يبلغ سعر الويبة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من شهر بابه
من الايام واول ما جربت هذا انه وقع مطر في بابه يوم الخميس الخامس عشر منه
فابيعت الويبة تلك السنة بخمسة عشر

ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من شهر
بشنس احد شهور القبط ويزعمون ان النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى
فيه تابوتا من خشب فيه اصبع من اصابع سلفهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل
اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل
القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر
ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغي ولا مخنث ولا ماجن
ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف
اموال لا تنحصر ويتجاهر من هناك بما لا يحتمل من المعاصي والفسوق وتثور فتن ويقتل
اناس ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما ينيف على مائة الف درهم فضة عنها خمسة
الاف دينار ذهبا وباع نصراني في يوم واحد باثني عشر الف درهم فضة من الخمر
وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائما بناحية شبرا من ضواحي القاهرة وكان
اعتماد فلاحي شبرا دائما في وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم
يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع لذلك الى ان كانت سنة اثنتين وسبعمائة والسلطان
يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن
الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار
نايب السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس في ابطال ذلك قياما عظيما وكان
اليه امور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شبع بطنه
الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس الا يرمى الاصبع في النيل ولا يعمل له عيد
وندب الحجاب ووالي القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرا على عادتهم وخرج البريد

الى سائر اعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باشهار النداء واعلانه في الاقاليم بان لا يخرج
احد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر
منهم الاسلام وزعم انه اسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض وكان
منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعاني الكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير
بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وامرائها
من الاتراك في الانقياد لكتابهم من القبط سواء منهم من اسر الكفر ومن جهر به ومن
زال الاقباط بالتاج الى ان تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيله من تلاف
مال الخراج اذا ابطل هذا العيد فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له
متى لم يعمل العيد لم يطلع النيل ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك
من هذيان القول وتمويه المكر فثبت الله بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما
زخرفه من القول واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا
بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فنكذب النصارى
فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة
وعمر الملك الناصر محمد بن قلاون الجسر في بحر النيل ليرمي قوة التيار عن بر القاهرة
الى ناحية الجيزة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا اليحياوي
والامير الطنبغا المارديني من السلطان ان يخرجا الى الصيد ويغيبا مدة فلم تطب
نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتهتكه في محبتهما واراد صرفهما عن السفر فقال لهما
نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكما عليه انزه من خروجكما الى الصيد وكان
قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرضيا منه بذلك واشيع في الاقليم اعادة عمل
عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة تعمل فيه ركب الامراء النيل في
الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز ارباب الغنا واصحاب
اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من انواع
المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا
فيه عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس بما وصل اليهم من الخيرات منهم ما لا يملك
وصفه الكاتب واستمروا على ذلك ثلاثة ايام فكانت مدة انقطاع عمل عيد

الشهيد

الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى ان اعاده الملك الناصر ستا وثلاثين سنة واستمر
عمله في كل سنة بعد ذلك الى ان كانت سنة خمس وخمسين وسبعمائة تحرك المسلمون
على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضي مصر على كنائس النصارى ودياراتهم
والزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحملت الاوراق الى ديوان الاحباس فلما تحررت الاوراق
اشتملت على خمسة وعشرين الف فدان كلها موقوفة على الديارات والكنائس
فعرضت على امراء الدولة القائمين بتدبير الدولة في ايام الملك الصالح صالح بن محمد
ابن قلاون وهم الامير شيخون العمري والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر الحال على ان ينعم
بذلك على الامراء زيادة على اقطاعاتهم والزم النصارى بما الزموا به من الصغار وهدمت
لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الكنائس فلما كان
العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين علي بن
الكوراني والي القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي القاهرة وهدمت كنيسة النصارى
واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه
في الميدان وذري رماده في البحر حتى لا ياخذه النصارى فبطل عيد الشهيد من يومئذ
الى هذا الشهر ولله الحمد

ذكر الخلجان التي شقت من النيل

اعلم ان النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتخرق الماء فيها يمينا
وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلجان والترع والجسور والاحوار
بالوجه البحري واما الوجه القبلي وهي بلاد الصعيد فان ذلك فيه قليل جدا وقد ذهبت
معالمه ودرست رسومه من هناك والمشهور من الخلجان خليج سخا وخليج منف
وخليج المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط
وخليج القاهرة وبحر ابي المنجا والخليج الناصري بظاهر القاهرة قال ابن عبد الحكم عن
ابي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء
ليجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا وذلك
قول الله عز وجل كما حكى عن قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من
تحتي افلا تبصرون ولم يكن في الارض يومئذ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنان
بحافتي النيل من اوله الى اخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خلج

خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى
وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزرع ما بين الجبلين من
اول مصر الى اخرها مما يبلغه الما وكان جميع ارض مصر كلها يروى من ست عشرة
ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله عز وجل
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قالوا المقام الكريم المنابر كان بها
الف منبر

خليج سخا

وخليج سخا حفره تدارس بن صا بن قبطيم
ابن مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وهو احد ملوك القبط القدما الذين ملكوا مصر
في الدهر الاول قال ابن وصيف شاه تدارس الملك اول من ملك الاحياز كلها بعد
ابيه صا وصفا له ملك مصر وكان تدارس محنكا مجربا ذا ايد وقوة ومعرفة
بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل واهلها فيما احسنت ودبر جميع الاحياز
ويقال انه الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مايه الف الف دينار
وخمسون الف الف دينار وقصده بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه
ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكامها واسكنهم مصر وهابته الملوك
وعلى راس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في ارضه وعاثوا
وافسدوا فجمع الجيوش من اعمال مصر واعد المراكب ووجه قايدا يقال له بلوطس في
ثلثمايه الف وقايدا اخر في مثلها ووجه في النيل ثلثمائة سفينة في كل سفينة
كاهن يعمل اعجوبة من العجايب وخرج في جيوش كثيرة فلقي جموع السودان وكانوا
في زهاء الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل واسر منهم خلقا وتبعتهم جيوشه
حتى وصلوا الى ارض الفيلة من بلاد الزنج فاخذوا منها عدة ومن النمور والوحوش
وساقوها الى مصر بذلك وعمل على حدود بلده منارا وزبر عليه مسيره وظفره
والوقت الذي سار فيه ومات بمصر فدفن في ناووس نقل اليه شيا كثيرا من اصناف
الكواكب ومن الذهب والجواهر والصنعة والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه
وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد الى ابنه مالنوس بن تدارس

خليج سردوس

حفره هامان قال ابن وصيف شاه طلما بن
قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائنهم وهو الذي يذكر

القبط انه فرعون موسى فاما اهل الاثر فيزعمون ان اسمه الوليد بن مصعب وانه من العمالقة
وذكروا ان الفراعنة سبعة وكان ظلما فيما حكي عنه قصيرا طويل اللحية اشهل العين
صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسبه اهل
بيته مشهور عندهم وذكر اخرون انه دخل منف على اتان عليها نطرون جابه ليبيعه
وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك فرضوا ان يملكوا عليهم اول من يطرا من الناس فلما
راوه ملكوه عليهم ولما جلس في الملك بذل الاموال وارغب من اطاعه وقتل
من خالفه فاعتدل الامر واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه واثار بعض
الكنوز وصرفها في بنا المداين والعمارات وحفر خلجانا كثيرة ويقال انه الذي
حفر خليج سردوس وكان كلما عوجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه اهلها مالا
فاجتمع من ذلك شي كثير فرده على اهله وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدا
حفره اتاه اهل كل قرية يسالونه ان يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال
وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو المشرق ثم يرده الى اهل قرية في القبلة ويأخذ
من اهل كل قرية مالا حتى اجتمع له في ذلك مايه الف دينار فاتى بذلك يحمله الى
فرعون فساله عن ذلك فاخبره بما فعل في حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغي
للسيد ان يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بايديهم رد على اهل كل قرية
ما اخذت منهم فرده كله على اهله قال فلا يعلم بمصر خليج اكثر عطوفا منه لما فعل
هامان في حفره وكان هامان قبطيا

خليج الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنا منارة الاسكندرية قلبطرة الملكة وهي التي
ساقت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها الما كان يعدل من قرية
يقال لها كسا فاحتفره الكريون فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته
وقال الكندي ان الحارث بن مسكين قاضي مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعد
ابن مماتي في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدة تراع وطوله
من فم الخليج ثلاثون الف قصبة وستماية قصبة وعرضه من قصبتين ونصف الى
ثلاث قصبات ونصف ومقام الما فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصر

مدة اقامته فيه وان كان عاليا اقام فيه ما يزيد على شهرين وراتب جماعة من اهل
الخبرة وذوي المعرفة يقول الله اذا عملت من قبالة منية شنيج الى سنح زلاقة استقر
الماء فيه صيفا وشتا وروبيت البحيرة جميعها وجوف رمسيس واللكفور التاسعة
وزرع عليه القصب والقلقاس والنيلة وانواع زراعة الصيفي وجرى مجرى بحر
الشرق والمحلة وتضاعفت عبر البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة
ممكنة لوجود الحجارة في ربوة والطوب في البحيرة وانهم قدروا ما يحتاج اليه في جسوره
بناها عشرة الاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك
فيه غاية من الكثرة بحيث يصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع
الناس من صيده فعدم منه السمك ولم ير بعد ذلك فيه سمكة فصار يخرج بالشباك

خليج الفيوم والمنهى

ما حفره نبي الله يوسف الصديق صلوات الله
عليه عندما عمر الفيوم كما هو مذكور في خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من
النيل لا ينقطع جريه ابدا واذا ابل النيل بناحية دروة سربام التي تعرف اليوم بدروة
الشريف يعني ابن ثعلب الثائر في الايام الظاهرية بيبرس تشعبت منه في غربيه
شعبة تسمى المنهى يستقبل بها الى ان تصل الى الفيوم وهو الان يعرف ببحر يوسف وهو
نهر لا ينقطع جريانه في جميع السنة فيسقي الفيوم عامة سقيا دائما ثم يمر بحر ناصل
مائه في بحيرة هناك ومن العجب انه يقطع ماؤه من فوهته ثم يكون له بلل دون
المكان المذكور ثم يجري جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا يقطع
الا بالسفن وتتشعب منه انهار وتنقسم فيما تعم الفيوم لسقي قراه ومزارعه
وبساتينه وعامة مساكنه

خليج القاهرة

هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين المقس عرف في اول
الاسلام بخليج امير المؤمنين وتسميه العامة اليوم بالخليج الحاكمي وبخليج اللولوة
وهو خليج قديم اول من حفره طوطيس بن ماليا احد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة
منف وهو الذي قدم ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه في ايامه الى مصر واخذ منه
امراته سارة عليها السلام واخدمها هاجر ام اسمعيل صلوات الله عليه فلما
اخرجها ابرهيم هي وابنها اسمعيل عليهما السلام الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انها

بمكان

بمكان جدب وتستغيثه فامر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الحنطة
وغيرها الى جدة فاحيا بلد الحجاز ثم ان اندرومانوس الذي يعرف بايليا احد ملوك الروم
بعد الاسكندر بن فليبس المجدوني جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك
قبل الهجرة النبوية بنيف واربعماية سنة ثم ان عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره
لما فتح مصر واقام في حفره ستة اشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة الى الحجاز فسمي خليج
امير المؤمنين يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه هو الذي اشار بحفره ولم يزل
تجري فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي كانت على ضفة البحر الشرقي
حيث الموضع الذي يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل في البحر من
عند مدينة القلزم الى ان امر الخليفة ابو جعفر المنصور بطمه في سنة خمسين ومائة
فطم وبقي منه ما هو موجود الان وسياتي الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى
عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب

بحر ابي المنجا

هذا الخليج تسميه العامة بحر ابي المنجا والذي حفره الافضل بن امير الجيوش في سنة
ست وخمسماية وكان على حفره ابو المنجا بن شعيا اليهودي فعرف به وقد ذكر خبر
هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزههم من هذا الكتاب

الخليج الناصري

هو الخليج في ظاهر المقس حفره الملك الناصر محمد
ابن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعماية وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب

ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول

قال المسعودي وقد كانت ارض مصر على ما زعم اهل الخبرة والعناية باخبار شان
العالم يركب ارضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى اسفل الارض وموضع الفسطاط
في وقتنا هذا وقد كان بدو ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة الى ان
عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينتقل من التربة تارة من موضع الى موضع
فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر فسكن الناس مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها
قليلا قليلا حتى امتلات ارض مصر من المدن والعماير وطرقوا الماء وحفروا له الخلجانات
وعقدوا في وجهه المسنيات الى ان خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة
اول سكناها ثم كيف كان انتهى قلت ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاثار العلوية ان ارض

مصر قد كان النيل ينبسط عليها فيطبقها كلها ولم يزل الما ينضب عنها ويلبس ما على
منها اولا فاولا ويسكن الى ان امتلات بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا
قبل سكنى مدينة منف يسكنون في سفح جبل المقطم في منازل كثيرة نقروها وهي المغاير
التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصير الذي يعرف بدير
البغل المطل على ناحية طرا ومن وقف عند اهرام بهيا راى المغاير في الجبل الشرقي
بينها النيل ومن صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغاير متسعة وفيها
مغاير تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها الف مدينة واذا دخلها احد ولم يهتد بعلامات
تدله على المخرج هلك في تحيره ويقال كانت ارض مصر حيزا للانسان بها فاقطعها
متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم لطايفة
من اولاد يرد بن مهلاييل فلما نزلوها وجدوا سيلها قد سد ما بين الجبلين فيصب الى
عن اراضي وزرعوها واخرجت الارض بركاتها ثم بعد زمان احدها عنقام الاول بن
عرباب بن ادم بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد يرد تسعين الف
مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة ليمنع من ياتيه فاتاه بنو يرد
فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على ارض مصر نارا ه

ذكر اعمال الديار المصريه وكورها

اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن الغابر ماية وثلاث وخمسين كورة في كل كورة مدينة
وثلاثماية وخمس وستون قرية فخرب منها قبل بخت نصر ثمان وستون كورة
فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جا الاسلام
وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا تنقص شيا استقرت ارض مصر كلها في الجملة
على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه
البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر وقد قسمت ارض مصر جميعها قبليها وبحريها
على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والابوانية وثغر
دمياط الوجه البحري جزيرة قويسنا الغربية والسمنودية والدنجاوية
والمنوفية والسنقراوية وفوه والمزاحمتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية
وضواحيها وحوف رمسيس الوجه القبلي الجيزية والاطفيحية والبوصيرية

والفيوميه

والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاخميمية والقوصية
وهي ايضا ثلاثون كورة وهي كورة الفيوم وفيها ماية وست وخمسون قرية ويقال
انها كانت ثلاث ماية وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية ه
وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة قرية وقرى اهناس ومنها القمن ثمان
قرى وكورتا دلاص وبوصير ست قرى وكورة اهناس خمس وتسعون قرية سوى
الكفور كورة البهنسا ماية وعشرون قرية كورة القيس سبع وثلاثون قرية كورة
طحا سبع وثلاثون قرية حيز سنوده ثماني قرى كورة الاشمونين ماية وثلاث وثلاثون قرية
كورة اسفل انصنا احدى عشرة قرية كورة سيوط سبع وثلاثون قرية كورة شطب
ثمان قرى كورة اعلى انصنا ثنتي عشرة قرية كورة قهقوه سبع وثلاثون قرية كورة اخميم
والدير ثلاث وستون قرية كورة ابسابه والواحات ثلاثة وستون قرية سوى الكفور
كورة هو عشرون قرية كورة قنا وثماني قرى كورة قفط سبع قرى كورة دندره عشر قرى
كورة نقط اثنان وعشرون قرية كورة الاقصر خمس قرى كورة اسنى خمس قرى كورة
قفط اثنان وعشرون ارمنت سبع قرى كورة اسوان سبع قرى فجميع قرى الصعيد الف وثلاث
واربعون قرية سوى المنا والكفور في ثلاثين قرية كور اسفل الارض
الحوف الشرقي خمس وستون قرية كورة اتريب ماية وثماني قرى سوى المنى والكفور
كورة تنوا سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة تمي ماية وخمسون قرية سوى
المنى والكفور كورة بسطه تسع وثلاثون قرية كورة طرابية ثمان وعشرون قرية
منها السدير والهامة وفاقوس كورة قربيط ثمان عشرة قرية سوى المنى والكفور
كورتا صان والمليل ست واربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش فجميع
قرى الحوف الشرقي خمسماية وتسع وعشرون قرية سوى المنى في تسع كور بطن
الريف كورتا دسنيس ومنوف ماية واربع قرى سوى المنى والكفور كورتا طوره
ومنوف اثنان وسبعون قرية سوى المنى والكفور كورة سخا ماية وخمس عشرة قرية
كورتا بنا والافراحون ثلاث وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البشرود
اربع وعشرون قرية كورة تقيده اثنتا عشرة قرية سوى المنى كورتا بنا وبوصير
ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمنود ماية وثمان وعشرون قرية

سوى المنى والكفور كورة توسا احدى وعشرون قريه سوى المنى كورة الاوسيه اربعون
قريه سوى المنى كورة البجوم اربعون قريه سوى المنى تنيس و دمياط ثلاث عشره
قريه سوى المنى وهى شى كثير الاسكندريه الحوف الغربي كورة صا ثلاث
وسبعون قريه سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قريه سوى المنى
والكفور كورة البدقون ثلاث واربعون قريه سوى المنى والكفور حيز البدقون تسع
وعشرون قريه سوى المنى والكفور الشراك تسع قرى كورة مريوط ثماني قرى كورة
خربتا اثنان وستون قريه سوى المنى كورة قرطسا اثنان وعشرون قريه
سوى المنى والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع واربعون قريه سوى المنى كورتا
اخنو ورشيد سبع عشرة قريه ومريوط ومدينة الاسكندريه ولوبيه ومراقيه
مايه واربع وعشرون قريه سوى المنى فالحوف الغربي اربعمايه وتسع وسبعون قريه
سوى المنى في ثلاث عشرة كورة قال المسبحي في تاريخه بمصر قرى اسفل الارض الف
واربعمايه وتسع وثلاث قريه ويكون جميع ذلك بالصعيد واسفل الارض الفين
وثلثمايه وخمسا وسبعين قريه البحيره والحصص بالاسكندريه والكومات
والبعل وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامه القضاعي ارض مصر قسمان فمن
ذلك صعيدها وهو مهب الجنوب منها واسفل ارضها وهو يلي مهب الشمال منها
فقسم الصعيد على ثماني وعشرين كورة من ذلك كورة الفيوم كلها وكورتا منف
ووسيم وكورة الشرقيه وكورة دلاص وبوصير وكورة اهناس وكورتا القيس
والبهنسي وكورة طحا وحيز شلوده وكورة بويط وكورتا الاشمونين واسفل
انصنا واعلاها وشطب قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورتا اخميم
والدير والبلبايه وكورة هو واقنا وقفط ودندره وكورة قفط والاقصر وكورة
اسنا وارمنت وكورتا اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك كور اسفل الارض وهي
خمس وعشرون كورة وفي نسخه ثلاث وثلاثون وفي نسخه ثنان وثلاثون كورة فمنها
كور الحوف الشرقي كورتا اتريب وعين شمس وكورة بنا وتمي وكورتا بسطه وطرابيه
وكورة قربيط وكورة صان وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن
الريف من اسفل الارض كورة بنا وبوصير وكورتا سمنود وبوسا وكورت

الاوسيه والبجوم وكورة دقهله وكورتا تنيس و دمياط ومنها كورة الجزيره من
اسفل الارض كورة دمسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وتيده والمراجين
في كورة نقيزه و ديصا وكورة البشرود ومن ذلك كور الحوف الغربي كورة صا وكورة
شباس وكورة البدقون وحيزها وكورة الحيس والشراك وكورة خربتا وكورتا
قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا ورشيد والبحيره وكورة الاسكندريه
وكورة مريوط وكورة لوبيه ومراقيه ومن كور القبله قرى الحجاز وهي كورة الطور
وفاران وكورة رايه والقلزم وكورة ايله وحيزها ومدين وحيزها والعويند
والحورا وحيزهما ثم كورة بدا وشغب وذكر من له معرفه بالخراج وامر الديوان انه
وقف على جريده عتيقه بخط ابي عيسى بقطر بن بقا الكاتبه القبطي المعروف
بالتوتيس متولي خراج مصر للدوله الاخشيديه تشتمل على ذكر كور مصر وقراها
الى سنة خمس واربعين وثلثمايه ان قرى مصر بالصعيد واسفل الارض الفان وثلثمايه
وخمس وتسعون قريه منها بالصعيد تسعمايه وست وخمسون قريه وباسفل الارض
الف واربعمايه وتسع وثلاثون قريه ولهذا عددها في الوقت الذي حررت فيه
الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك لخراب ما خرب منها وقال ابن عبد الحكم عن
الليث بن سعد لما ولي الوليد بن رفاعه مصر خرج ليحصي عدة اهلها وينظر في تعديل
الخراج عليهم فاقام في ذلك ستة اشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعه من
الاعوان والكتاب يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلاثة اشهر باسفل الارض واحصوا
من القرى اكثر من عشرة الاف قريه فلم يحص في اصغر قرية منها اقل من خمسمايه
جمجمه من الرجال الذين يفرض عليهم الجزيه فيكون جملة ذلك خمسة الاف الف رجل
والذي استقر الحال عليه في الروك الناصري محمد بن قلاون ان الوجه القبلي تسعه
اعمال وهي عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وعرب قموله وعمل اخميم وعمل
سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاويه وعمل البهنسا ومنه الغراك
وهو عبارة عن قرى على غربي المنهى المماد الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل
الجيزه والوجه البحري سته اعمال عمل البحيره وهو متصل البر بالاسكندريه وبرقه
وعمل الغربيه جزيره واحده تشتمل على ما بين البحرين وهما البحر المار وسلمة

عند دمياط وسمي الشرقي والبحر الثاني مسكبه عند رشيد وسمي الغربي والمنوفية
ومنها ابيار وجزيرة بني نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل اشموم طناح ومنها
الدقهلية والمرتاحية وهنا موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه
الاسكندرية ودمياط ولا عمل لهما واما الواحات فمنقطعة وراء الوجه القبلي في
مغاربه لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا حكم عليها والي السلطنة وانما حكم عليها من قبل مقطعها

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من اجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خلجها واقامة جسورها
وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرين الفا معهم الطور والمساحي والاداة
يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا وعن ابي قبيل قال اذ عم بعض مشايخ
اهل مصر ان الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى في ايدي
اهلها كل قرية بكرا معلوم لا ينقص عليهم الا في كل اربع سنين من اجل الظما وتنقل اليسار
فاذا مضت اربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلا جديدا فرفق بمن استحق الرفق وزاد
على من يحتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبي الخراج وجمع كان
للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجنده ومن
يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما
يحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للمزارعين على زرعهم
وعمارة ارضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن
ذلك فيها لنائبة تنزل او جائحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفن
في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها انها ستظهر فيطلبها
الذين يبتغون الكنوز وذكر ان بعض فراعنة مصر جبي خراج مصر اثنين وسبعين
الف الف دينار وان من عمارته انه ارسل وبيه الى اسفل الارض والى الصعيد
في وقت يطبق الارض والتراع من العمارة فلم يوجد لها ارض فارغة تزرع فيها
وذكر انه كان عند تناهي العمارة يرسل باربع وبات يرسيم الى الصعيد والى
اسفل الارض فاي كورة وجدت موضعا خاليا فزرعت فيه ضرب عنق صاحب

الكورة

الكورة فكانت مصر يومئذ عمارة متصلة اربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلاثة اميال
والبريد اربع فراسخ فيكون عشرة برد في مثلها ولم تزل الفراعنة تسلك هذا المسلك
الى ايام فرعون موسى فانه عمرها عمارة لا يسامحه وتابع الظلم ثلاث سنين في
ايامه فترك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وانفق على نفسه ثم على عساكره من خزائنه
ولما كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق قال وكتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص ان يسال المقوقس عن مصر من اين تاتي
عمارتها وخرابها فساله عمرو فقال له المقوقس تاتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة
ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها من زروعهم ويرفع خراجها
في ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر كرومهم ويحفر في كل سنة خلجها ويسد ترعها
وجسورها ولا يقبل محل اهلها يريد البغي فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها
بخلافه خربت وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال لما استبطا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عمرو بن العاص في الخراج كتب اليه ان ابعث الي رجلا من اهل مصر فبعث اليه رجلا
قديما من القبط فاستخبره عمر رضي الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام فقال
يا امير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها وعاملك لا ينظر الى العمارة
وانما ياخذ ما ظهر له كانه لا يريدها الا لعام واحد فعرف عمر رضي الله عنه ما قال
وقبل من عمرو ما كان يعتذر به وقال عمرو بن العاص للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون
عمارتها فقال بخصال ان تحفر خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها
الا من غلتها ولا يقبل مطل اهله وتوفي لهم بالشروط وتدر الارزاق على العمال
لئلا يرتشوا ويرفع عن اهله المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمر
ويرجى خرابها ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج اربعة اقسام
قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم مدخر لحادثة فينفق فيها وقسم لمصالح
الارض ولما ولي عبيد الله بن الحبحاب خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه
فمسح ارض مصر كلها غامرها وعامرها مما يركبه النيل فوجد فيها مائة الف الف
فدان ويقال ان احمد بن مدبر اعتبر ما يصلح للزراعة بارض مصر فوجده اربعة وعشرين
الف الف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما

والجرافات تجر حسبين فدانا فكانت محتاجة الى اربعمائة الف وثمانين جرافة

ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول

قال ابن وصيف شاه وكان منقاوش قسم خراج البلاد ارباعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربع ينفق في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل جسورها وحفر خلجها وتقوية اهلها على العمارة وربع يدفن لحادثة تحدث او نازلة تنزل وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة الف الف وثلاثة الاف الف دينار وقسمها على مائة وثلاث كور بعدد الالاف وبقال كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة باسفل الارض خمس واربعون كورة والصعيد اربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال البلد على يد تدارس بن صا مائة الف الف دينار وفي ايام كلكن بن خربتا بن مالنوس بن تدارس مائة الف الف وبضعة عشر الف الف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة اختل امرها فكان فرعون الاول يجبيها تسعين الف الف دينار يخرج من ذلك عشرة الاف الف دينار لمصالح البلد وعشرة الاف الف لمصالح الناس من اولاد الملوك واهل التعفف وعشرة الاف الف دينار للاولياء والجند والكتاب وعشرة الالاف الف دينار لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين الف الف دينار وبلغ خراج مصر في ايام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وسبعين الف الف دينار فاحب ان يتمه مائة الف دينار فامر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه وقال ابن دحية وجبيت مصر في ايام الفراعنة سبعون الف الف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثاقيلنا المعروف الان بمصر الذي هو اربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحساب ذلك مائتي الف الف وسبعين الف الف دينار مصرية وذكر الشريف الجواني انه وجد في بعض برابي الصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف وهو الريان بن الوليد من اموال مصر بحق الخراج بما يوجبه الخراج وساير وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تناول ولا اشطاط ولا مسامحة على عظم فضل وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية لحالهم من العين اربعة وعشرون الف الف دينار واربعمائة الف دينار وذكر بافقه كما في خبر الحسن بن علي الاسدي وقال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوخذ وساير وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اشطاط ولا مسامحة على عظم فضل كان في يد المودي لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالعاملين وتقوية لهم من العين اربعة وعشرين الف الف دينار واربعمائة الف دينار وان جهات مصروف ذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخلج واتقان الجسور وسد الترع واصلاح السبل والسانية ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع بها لاقامة العوامل والتوسعة في البذار وغير ذلك وثمن الالات واجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف وساير نفقات بطريق اصلح من العين ثمانمائة الف دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالصلاح وحملته والعلماء واتباعهم مع الف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة الف واحد عشر الف رجل من العين ثمانية الاف الف دينار ولما يصرف في الارامل والايتام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا يخلوا امالهم من ان يصل اليهم من العين اربعمائة الف دينار ولما يصرف في كهنة برابيهم والمتهم وساير بيوت صلواتهم من العين مائتا الف دينار ولما يصرف في الصدقات وينادي في الناس من بيت الامة من رجل كشف وجهه لفاقة فليحضر فلا يرد عنه ذلك احد والامناء جلوس فاذا روي رجل لم تجر عادته مثل ذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطايفة عده دخل الامناء الى فرعون اليه وهنوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقا والسلامة وانهت حال الطايفة المذكورة فيامر بتغيير شعثهم بالحمام واللباس ويمد السماط ويأكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان من افة الزمان رد عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء راي وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم

بالامر الذي يصلح له من العين مايتا الف دينار وما يصرفه فرعون في نفقاته الراتبه
له لسنه كامله من العين مايتا الف دينار فذلك جملة ما بين وفضل في هذه الجهات
المذكوره من العين تسعة الاف الف وثمانمايه الف دينار ويحصل بعد ذلك مما
يسلمه فرعون في بيوت امواله عدة لنوايب الدهر وحادثات الزمان من العين
اربعه عشر الف الف دينار وستمايه الف دينار وقيل لبعضهم متى عمرت
مصر بسعه الف الف دينار فقال في الوقت الذي ارسل فرعون يوسف فيه الى
اسفل الارض والى الصعيد فلم يجد لها موضعا يبذر فيه ليستغل جميع البلد بالعماره

ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من امر مصر في ذلك مع القبط

قال زهير بن معويه ثنا سهيل عن ابيه عن ابي هريره
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت
الشام مديها ودينارها ومنعت مصر اردبها وعدتم من حيث بداتم قال ابو عبيد
قد اخبر صلى الله عليه وسلم قبل ما لم يكن وهو في علم الله كاين فخرج لفظه على لفظ
الماضي لانه ماض في علم الله وفي اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته
ودل على رضاه من عمر رضي الله عنه ما وظفه على الكفرة من الجزى في الامصار وفي
تفسير المنع وجهان احدهما انه علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا
مانعين باسلامهم ما وظف عليهم يدل عليه قوله وعدتم من حيث بداتم وقيل معناه
انهم يرجعون عن الطاعه والاول احسن وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعه
لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق
الى ما فوق وذلك ليس فيهم امراه ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين فاحصوا
لذلك فبلغت عدتهم ثمانيه الاف الف وعن هشام بن ابي رقيه اللخمي ان عمرو بن العاص
لما فتح مصر قال للقبط ان من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من
اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فساله فانكر وجحد
فحبسه في السجن وعمرو يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد فقالوا لا انما سمعناه
يسال عن راهب في الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك
الراهب ان ابعث الي بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شاميه

مختومه

مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفه مكتوب فيها مالكم تحت الفسقيه الكبيره
فارسل عمرو الى الفسقيه فحبس عنها الما ثم قلع البلاطه التي تحتها فوجد فيها
اثنين وخمسين اردبا ذهبا مصريا مضروبه فضرب عمرو راسه عند باب المسجد
فاخرج القبط كنوزهم شفقا ان يبغى على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس وعن يزيد
ابن ابي حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لانه استقر عنده انه
يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعه وخمسين
اردبا دنانير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص يبعث الى عمر بن الخطاب بالجزيه
بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضه مصر لحفر خلجها واقامه جسورها وبناء
قناطرها وقطع جزايرها مايه الف وعشرين الفا معهم الطور والمساحي والاداه
يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتا ولا صيفا ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان تختم في رقاب اهل الذمه بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا
على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزيه الا على من جرت عليه المواسي ولا يضربوا على النسا
ولا على الولدان ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين في لبوسهم وعن زيد بن اسلم ان عمر
رضي الله عنه كتب الى امرا الاجناد الا يضربوا الجزيه الا على من جرت عليه المواسي وجزيتهم
اربعون درهما على اهل الورق واربعه دنانير على اهل الذهب وعليهم من ارزاق
المسلمين من الحنطه والزيت مديان من حنطه وثلاثه اقساط من زيت في كل شهر
لكل انسان كان من اهل الشام والجزيره وودك وعسل لا ادري كم هو ومن كان
من اهل مصر اردب في كل شهر لكل انسان ولا ادري كم الودك والعسل وعليهم
من البز الكسوه التي يكسوها امير المومنين الناس ويضيفون من نزل بهم من اهل
الاسلام ثلث ليال وعلى اهل العراق خمسه عشر صاعا لكل انسان ولا ادري كم
لهم من الودك وكان لا يضرب الجزيه على النسا والصبيان وكان يختم في اعناق رجال
اهل الجزيه وكانت ويبه عمر في ولايه عمرو بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو
ابن العاص لما استوسق له الامر اقر قبطها على جبايه الروم وكانت جبايتهم
بالتعديل اذا عمرت القريه وكثر اهلها زيد عليهم وان قل اهلها وخربت نقصوا
فيجتمع عرافوا كل قريه وماروتها ورؤسا اهلها فيتناظرون في العماره والخراب

حتى اذا افرغوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء
القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يرجع كل قرية بقسمتهم
فيجمعون قسمتهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبدؤون ويخرجون من
الارض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد
الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا الى ما في كل قرية من الصناع
والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها
وقل ما كانت تكون الا الرجل الشاب او المتزوج ثم ينظروا ما بقي من الخراج فيقسمونه
بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز
احد وشكى ضعفا عن زرع ارضه وزرعوا ما عجز عنه على الاحتمال وان كان منهم من
يريد الزيادة اعطي ما عجز عنه اهل الضعف فان تشاحوا اقتسموا ذلك على عدتهم
وكانت قسمتهم على قراريط الدينار اربعة وعشرون قيراطا يقسمون الارض على
ذلك وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط
فاستوصوا باهلها خيرا وجعل عليهم لكل فدان نصف اردب قمح وويبتين من شعير الا القرط
فلم يكن عليه ضريبة والويبة ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياخذ ممن
صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن
نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في امره فاذا احتاجوا خفف عنهم
وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم وقال هشام بن ابي رقية اللخمي قدم صاحب
اخنا على عمرو بن العاص فقال له اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصبر لها فقال
عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتني من الارض الى السقف ما اخبرتك ما
عليك انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم
ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب ان مصر فتحت عنوة وعن يزيد بن ابي حبيب
قال قال عمر بن عبد العزيز ايما ذمي اسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما
كان من ارض فانها من فيء الله على المسلمين واما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن
اسلم منهم كانت ارضه وداره لبقيتهم وقال الليث كتب الي يحيى بن سعيد ان ما باع
القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد او وليدة او بعير او بقرة

او

او دابة فان ذلك جائز عليهم ممن ابتاعه منهم وهو غير مردود اليهم ان ايسروا وما اكروا من
ارضهم فجائز كراؤه الا ان يكون يضر بالجزية التي عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم ان
اضر بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراها جائزا لمن تكاراها منهم قال
يحيى ونحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤوس الرجال وجزية جملة تكون على اهل
القرية يؤخذ بها اهل القرية فمن هلك من اهل القرية التي عليهم جزية مسماة على
القرية ليست على رؤوس الرجال فانا نرى ان من هلك من اهل القرية ممن لا ولد له ولا
وارث ان ارضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن جزيته
على رؤوس الرجال ولم يدع وارثا فان ارضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز
الجزية على الرؤوس وليست على الارضين يريد اهل الذمة وكتب عمر بن عبد العزيز
الى حيان بن شريح ان يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل ان عمر كان يرى
ان ارض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن مات من اهل القرى كانت
تلك الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا قال
ويحتمل ان تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم وان موت من
مات منهم لا يضع عنهم ما صالحوا عليه شيئا قال الليث ووضع عمر بن عبد العزيز الجزية
عمن اسلم من اهل الذمة من اهل مصر والحق في الديوان صلح من اسلم منهم في عشائر
من اسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن اسلم واول من اخذ الجزية ممن اسلم
من اهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن
مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة في ذلك فقال
اعيذك بالله ايها الامير ان تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون
جزية من ترهب منهم فكيف نضعها على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك وكتب عمر
ابن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان يضع الجزية عمن اسلم من اهل الذمة فان الله تبارك
وتعالى قال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم
وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية

حتى سلفت من الحارث بن نابيه عشرين الف دينار اتممت بها عطا اهل الديوان فان
راى امير المومنين ان يامر بقضايها فعل فكتب اليه عمر بن عبد العزيز اما بعد فقد بلغنى
كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولى بضربك على راسك
عشرين سوطا فضع الجزية عمن اسلم قبح الله رايك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمرى لعمر اشقى من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على
يديه قال ولما استبطا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص
كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المومنين الى عمرو بن العاص سلام عليك
فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانى فكرت فى امرك والذى انت عليه فاذا
ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة قد اعطى الله اهلها عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر
وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من
ذلك واعجب مما عجبت انها لا تودى نصف ما كانت تودية من الخراج قبل ذلك على
غير قحوط ولا جدوب ولقد اكثرت فى مكاتبتك فى الذى على ارضك فى الخراج
وظننت ان ذلك سياتينا على غير نزر ورجوت ان تفيق فترفع الى ذلك فاذا
انت تاتينى بمعاريض تعتالها لا توافق الذى فى نفسى ولست قابلا منك دون الذى
كانت توخذ به من الخراج قبل ذلك ولست ادرى مع ذلك ما الذى انفرك من كتابى
وقبضك فلئن كنت مجربا كافيا صحيحا ان البراة لنافعة وان كنت مضيعا نطفا
ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابتلى ذلك منك فى العام
الماضى رجاء ان تفيق فترفع الى ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا عمالك عمال
السوء وما توالسوا عليه وتلففوا اتخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء فيه شفاء
عما اسالك عنه فلا تجزع ابا عبد الله ان يوخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر
والحق ابلج ودعنى وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفاء والسلام فكتب اليه عمرو بن
العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المومنين من عمرو بن العاص سلام
عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد بلغنى كتاب امير المومنين
فى الذى استبطانى فيه من الخراج والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى واعجابه
من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمرى للخراج يومئذ

اوفر

اوفر واكثر والارض اعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب فى عمارة ارضهم منا مذ كان
الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا قطع درها واكثرت فى كتابك
وانبت وعرضت وتربت وعلمت ان ذلك عن شى تخفيه على غير خبر فجئت لعمرى
بالمقطعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم
بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مودين
لاماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ائمتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل به شينا
فتعرف ذلك لنا وتصدق فيه قيلنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترا
على كل ماثم فامض عملك فان الله قد نزهنى من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد
كتابك الذى لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لانا حين
يراد ذلك منى اشد لنفسى غضبا ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل ارى على
فيه متعلقا ولكنى حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله
لك ولنا وسكت عن اشيا كنت بها عالما وكان اللسان بها منى ذلولا ولكن الله
عظم من حقك ما لا يجهل فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عمر بن الخطاب
الى عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد
عجبت من كثرة كتبى اليك فى ابطايك بالخراج وكتابك الى بثنيات الطرق وقد علمت
انى لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك
ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا اتاك كتابى
هذا فاحمل الخراج فانما هو فى المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام
فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص
سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فقد اتانى كتاب امير
المومنين يستبطينى فى الخراج ويزعم انى اعند عن الحق وانكب عن الطريق وانى
والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظرونى الى ان تدرك غلتهم
فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان يخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنا بهم
عنه والسلام وقال الليث بن سعد جباها عمرو بن العاص اثنى عشر الف الف
دينار وجباها المقوقس قبله بسنة عشرين الف الف دينار فعند ذلك كتب

اليه عمر بن الخطاب بالكتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمن رضى الله
عنه على مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو بن العاص بعد ما عزله
عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول قال اضررتم بولدها فقال
ذلك ان لم يمت الفصيل وكتب معوية بن ابي سفين الى وردان وكان قد ولي خراج مصر
ان زد على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف تزيد عليهم وفي عهدهم
ان لا يزاد عليهم شي فعزله معوية وقيل في عزل وردان غير ذلك وقال ابن لهيعة
كان الديوان في زمان معوية اربعين الف وكان منهم اربعة الاف في مايتين مايتين
فاعطى مسلمة بن مخلد اهل الديوان في زمان معوية اعطياتهم واعطيات
عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور وارزاق الكتبة وحملان القمح
الى الحجاز ثم بعث الى معوية بستماية الف دينار فضل قال ابن عفير فلما نهضت
الابل لقيهم بربح بن حسكل فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه
حتى وقف على باب المسجد فقال اخذتم اعطياتكم وارزاقكم وعطا عيالاتكم ونوايبكم
قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساروا به وقال بعضهم جبا عمرو بن العاص
مصر عشرة الاف الف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب يعجزه ويقول له جباية الروم
عشرون الف الف دينار فلما كان العام المقبل جباه عمرو اثني عشر الف الف دينار
وقال ابن لهيعة جبا عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستماية الف دينار
لانه وجد فيها ثمانماية الف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين ه

بربح بن حسكل ذكره ابن عساكر [illegible] له صحبة وشهد فتح مصر

ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري من حديث ابي هريرة قال كيف انتم اذا لم
تجتبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف ترى ذلك كاينا يا ابا هريرة قال اي والذي
نفس ابي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنتهك ذمة
الله وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما في ايديهم
قال ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب امرا مصر وفي امرة الحر بن يوسف امير
مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بان ارض مصر
تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو ونمي وقربيط

وطرابيه

وطرابيه وعامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر باهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم
بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومايه
ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط
عمالهم في سنة احدى وعشرين ومايه فبعث اليهم حنظلة بن صفوان امير مصر
اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج بحنس رجل من القبط في سمنود
فبعث اليه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير امير مصر فقتل بحنس في كثير من
اصحابه وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومايه وخالفت القبط برشيد فبعث
اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل مصر فارا من بني العباس بعثمان بن ابي نسعة فهزمهم
وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة امير مصر بناحية
سخا ونابذوا العمال واخرجوهم وذلك في سنة خمسين ومايه وصاروا الى شبرا سنباط
وانضم اليهم اهل البشرود والاوسية والنجوم فاتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب
المهلبي على اهل الديوان ووجوه اهل مصر فخرجوا اليهم فبيتهم القبط وقتلوا من
المسلمين فالقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفي
ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيب في سنة ست وخمسين ومايه
فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومايتين فاوقع
بهم الافشين في ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم امير المومنين عبد الله المامون
فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النسا والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم ومن حينئذ اذل
الله القبط في جميع ارض مصر وخضد شوكتهم فلم يقدر احد منهم على الخروج ولا القيام
على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام
واهله باعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع ايديهم في كتابة
الخراج وكان للمسلمين فيهم وقايع ياتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى

ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعة
الفهمي على مصر نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومايه ولم يكن بها احد منهم قبل ذلك
الا من كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فساله ان ينقل

الى مصر منهم ابياتا فاذن له هشام في الحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر
على ان لا ينزلهم بالفسطاط ففرض لهم ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي
وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحبحاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال
ما ارى لقيس فيها حظا الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان
امير المومنين اطال الله بقاه قد شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم
واني قدمت مصر ولم ار لهم حظا الا ابياتا من فهم وفيها كور ليس فيها احد وليس يضر
باهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك الخراج وهي بلبيس فان راى امير المومنين ان ينزلها
هذا الحي من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذلك فبعث الى البادية فقدم
عليه مائة اهل بيت من بني نصر ومائة اهل بيت من بني سليم فانزلهم بلبيس وامرهم
بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام
الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير واكثر ثم امرهم باشترا الخيول
فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مونة في اعلاف
ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم
خمسماية اهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فاقاموا سنة فاتاهم نحو من خمسماية
اهل بيت فصار ببلبيس الف وخمسماية اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن
مروان بن محمد وولي الحوثرة بن سهيل الباهلي مصر انمالت اليه قيس فمات
مروان وبها ثلاثة الاف اهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم
وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحق بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس
امير مصر امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف
وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب الى امير
المومنين هرون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن اعين في جيش عظيم
وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه اهله بالطاعة واذعنوا باداء الخراج فقبل
هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم ان اهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل
البيوردي امير مصر وذلك انه بعث مساحا يمسحون عليهم اراضي زرعهم
فانتقصوا من القصبة اصابع فتظلم الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا

الى

الى الفسطاط فخرج اليهم ليث في اربعة الاف من جند مصر في شعبان سنة ست وثمانين
ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ثاني عشره وبقي في نحو المائتين
فحمل بمن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان الالتقا وهم على ارض جب
عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين راسا من روس القيسية ورجع الى الفسطاط
وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث الى امير المومنين هرون في
محرم سنة سبع وثمانين ومائة وساله ان يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على
استخراج الخراج من اهل الاحواف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سليم بباب
الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن اخره بلا سوط ولا عصا فولاه
الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلاة مصر وخراجها وولي ولايتها الحسين بن جميل
امتنع اهل الحوف من اداء الخراج فبعث امير المومنين هرون الرشيد يحيى بن معاذ في
امرهم فنزل بلبيس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة وصرف الحسين بن جميل
عن امارة مصر في ربيع الاخر سنة اثنتين وتسعين ومائة وولي مالك بن دلهم وفرغ
يحيى بن معاذ من امر الحوف وقدم الفسطاط في جمادى الاخرة فورد عليه كتاب الرشيد
يامره بالخروج اليه فكتب الى اهل الاحواف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك بن دلهم
وادخل بينكم وبينه في اموركم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد اعد
لهم القيود فامر بالابواب فاخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من
رجب منها في امارة عيسى بن يزيد الجلودي على مصر ظلم صالح بن شيرزاد
عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض اهل اسفل الارض وعسكروا
فبعث عيسى بابنه محمد بن عيسى في جيش لقتالهم فنزل بلبيس وحاربهم فنجا من
المعركة بنفسه ولم ينج احد من اصحابه وذلك في صفر سنة اربع عشرة ومائتين
فعزل عيسى عن مصر وولي عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب اهل الحوف
فقتلوه لست عشرة خلت من ربيع الاخر فولي عيسى وسار في جيوشه في ربيع
الاخر فزحفوا اليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهزموا فتبعهم عمير وطائفة
من اصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة خلت من ربيع الاخر
فولي عيسى الجلودي ثانيا وسار اليهم فلقيهم بمنية مطر فكانت بينهم وقعة الى الى

ان ينهزم منهم الى الفسطاط واحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على الفسطاط
وذلك في رجب وقدم ابو اسحق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وراسل اهله فامتنعوا
من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط في
شوال ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان في
جمادى الآخرة سنة ست عشرة ومائتين انتقض اسفل الارض باسره عرب البلاد وقبطها
واخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين
عساكر الفسطاط حروب امتدت الى ان قدم الخليفة عبد الله امير المومنين المامون مصر
لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقي وكان
على امارة مصر وامر بحل لوائه واخذه بلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا
الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر
حتى تفاقم الامر واضطرب البلد ثم عقد المامون على جيش بعث به الى الصعيد
وارتحل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فاوقع بهم في
ناحية البشرود وحصرهم حتى نزلوا على حكم امير المومنين فحكم فيهم المامون بقتل
الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتتبع المامون كل من يومي اليه
بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد
فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان
تسعة واربعين يوما وكان خراج مصر قد بلغ في ايام المامون على حكم الانصاف
في اكثر باربعة آلاف الف دينار ومائتي الف دينار وسبعة وخمسين الف
دينار ويقال لما سار المامون في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب
عليها سرادقه والعساكر من حوله فكان يقيم في القرية يوما وليلة فمر بقرية
يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه عجوز تعرف
بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المامون مستغيثة متظلمة
فوقف لها وكان لا يمشي ابدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية
قالت امير المومنين نزل في كل ضيعة وجاوز ضيعتي والقبط تعيرني بذلك
وانا اسال امير المومنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا

اعوض طا بحسن لطيفه
يعلو باتباع الفلل العرو كان

تشمت

تشمت الاعداء بي فبكت بكاء كثيرا فرق لها المامون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاءها
ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم يحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل
والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت
به عادته فاحضرت جميع ذلك بزيادة وكان مع المامون اخوه المعتصم وابنه
العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي احمد بن داود فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل احدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم احضرت
للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد
عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها
المامون من بعد قال لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناه
والصير فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن
ذلك وامرها باعادته فقالت لا والله لا افعل فتامل الذهب فاذا به ضرب
عام واحد كله فقال هذا والله اعجب ربما عجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت
يا امير المومنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا
نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك فاخذت قطعة من الارض وقالت
يا امير المومنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي
تناولتها من الارض ثم من عدلك يا امير المومنين وعندي من هذا شيء كثير فامر
به فاخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مائتي
فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروتها وسعة حالها ه

ذكر قبالات اراضي مصر بعد ما فشى الاسلام في القبط ونزلت العرب في القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصري

وكان من خبر اراضي مصر بعد نزول العرب بارياف مصر واستيطانهم واهاليهم فيها
واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط
انسابهم بانساب المسلمين لنكاحهم المسلمات ان متولي خراج مصر كان يجلس في
جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتيسر فيه قبالة الاراضي
وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي على البلاد صفقات

صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات
على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها لاربع سنين من اجل
الظمأ والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامد خرج كل من تقبل ارضا وضمنها
الى ناحيته فتولى زراعتها واصلاح جسورها وساير وجوه اعمالها بنفسه واهله
ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ
قبالته وضمانه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر
خلجها بضرايب مقررة في ديوان الخراج ويتاخر من مبلغ الخراج في كل سنة شي في
جهات العمال والمتقبلين ويقال له باقي من مال الخراج البواقي فكانت الولاة
تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا
السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فيزيد فيما يحتمل الزيادة من غير
ضمان البلاد وينقص فيما يحتاج الى النقص منها وكان ذلك يعمل في جامع عمرو
الى ان عمر احمد بن طولون جامعه وصار العسكر منزلا لامرا مصر فنقل الديوان
الى جامع احمد بن طولون ثم نقل في ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن
كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة فاستمر به مدة الدولة
الفاطمية ثم نقل منه بعدها قال ابن زولاق في كتاب اخبار المادرائي كاتب مصر
وحضر ابو الحسن وهب بن اسمعيل مجلس ابي بكر محمد بن علي المادرائي في المسجد الجامع
وهو يعقد الضياع فقال له ابو بكر الساعة امرت بالندا على صفقة تحتها شركة
بيني وبينك فنودي على صفقة فقال ابو بكر اعقدوها على ابي الحسن فعقدت
عليه وعملت فافضلت له اربعين الف دينار فاستقل عشرين الف دينار ولم
يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع ابي يعقوب كاتب ابي بكر ليتحدثا فقال ابو يعقوب
رايت الشيخ يعني ابا بكر المادرائي اليوم مشغول القلب اراد يحمل مالا وقد عجز عنه
فقال له ابو الحسن عندي نحو عشرين الف دينار فما الحيلة في انفاذها اليه وجاه
خطه بالمبلغ فاتفق ان مضى ابو الحسن الى ابي بكر المادرائي فقال له تلك الصفقة
قد غلقت ما عليها وفضل اربعون الف دينار وقد حصل عندي عشرون الف
دينار حملتها الى ابي يعقوب وارسلت في استخراج الباقي واحمله فقال المادرائي

ما

ما هذا العجز انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفريطك وانما اردت حفظ
المال عليك ثم امر ابا يعقوب ان يرد عليه ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه
خطه فقبض ما دفعه الى ابي يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي دخل فيها
جوهر القايد ثلاثة الاف الف دينار واربعماية الف دينار ونيف وقال في كتاب
سيرة المعز لدين الله معد ولست عشرة بقيت من المحرم سنة ثلاث وستين وثلثماية
قلد المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك يعقوب بن كلس وعسلوج
ابن الحسن وجلسا غد هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للندا على الضياع
وساير وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطالبوا بالبقايا من الاموال مما
على المالكين والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر للدين الحسن
ابن علي اليازوري واراد ان يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات
ليقايس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بان يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه
وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين
فنظم عليه عملا جامعا واحضره اياه فراي ارتفاع الدولة الفي الف دينار منها
الشام الف الف دينار ينفق منها على معلول ومنكسر عن موتى وهراب ومفقود
مايتا الف دينار ويبقى ثمانماية الف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم
وكساويهم ثلثماية الف دينار وعن ثمن غلة للقصور ماية الف دينار وعن نفقات
القصور مايتا الف دينار وعن عمارة وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك
وغيرهم ماية الف دينار ويبقى بعد ذلك مايتا الف دينار حاصله يحمل
كل سنة الى بيت المال المصون فحظي بذلك عند سلطانه وخف على قلبه
قال وانتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني
بعد موت اليازوري وحدوث الفتن وهو قبل سني هذه الفتن يعني في ايام
اليازوري ثمانماية الف دينار وكانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب
ثلثماية الف وفي مستهل المحرم ثلثماية الف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات
وقال ابن ميسر وامر الافضل بن امير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجا
خمسة الاف الف دينار وكان متحصل الاهرا الف الف اردب وقال الامير جمال الملك

موسى بن المامون البطايحي في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمايه ثم راى القايد
ابو عبد الله محمد بن فاتك البطايحي من اختلال احوال الرجال العسكريه والمقطعين
وتضورهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت احوالهم لقلة المتحصل منها وان
اقطاعات الامرا قد تضاعف ارتفاعها وزادت عن عبرها وان في كل ناحية من
الفواضل للديوان جمله تجبي بالعسف وتتردد الرسل من الديوان بسببها فخاطب
الافضل بن امير الجيوش في ان يحل الاقطاعات جميعها ويروكها وعرفه ان المصلحه
تعود في ذلك على المقطعين والديوان لان الديوان يحصل له من هذه الفواضل
جمله يحصل بها بلاد مقوره فاجاب الى ذلك وحصل جميع الاقطاعات وراكب
واحد كل من الاقويا والمميزين يتضورون ويذكرون ان لهم بساتين واملاكا ومعاصر
في نواحيهم فقال لهم من كان له ملك فهو له باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو محكم
ان شا باعه وان شا اجره فلما حلت الاقطاعات امر الضعفا من الاجنا د ان يتزايدوا
فيها فوقعت الزياده في اقطاعات الاقويا الى ان انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت
السجلات بانها مقررة في ايديهم الى مدة ثلثين سنة لا يقبل عليهم فيها زايد واحضر
الاقويا وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت بيد الاجنا د فقالوا كثره عبرها
وقله متحصلها وخرابها وقله الساكن فيها فقال لهم ابذلوا في كل ناحيه ما تحمله
وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبره الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا
فيها الى ان بلغت الى الحد الذي رغب كل منهم فيه فاقطعوا به وكتبت لهم السجلات
على الحكم المتقدم فشملت المصلحه الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد
مقوره بما كان مفرقا في الاقطاعات مبلغه خمسون الف دينار وقال في حوادث
سنة خمس عشرة وخمسمايه وكان قد تقدم امر الاجل المامون بعمل حساب الدوله
من الهلالي والخراجي ونظمه على جملتين احديهما الى سنة عشر وخمسمايه الهلاليه
الخراجيه والجمله الثانيه الى اخر سنة خمس عشرة وخمسمايه الهلالي وما يوافقها من
الخراجيه فانعقدت على جملة كبيره من العين والاصناف وشرحت باسما اربابها
وتعيين بلادها فلما احضرت امر بكتب سجل يتضمن المسامحة بالبواقي الى اخر سنة
عشر وخمسمايه ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الينا حال المعاملين والضمنا

والمصريين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم اثبعنا ما تضمنه هذا السجل من المسامحة
قصدا في استخلاص ضمائر طالت غفلته وخربت ذمته وانقاذ عامل اجحف به من
الديوان طلبته وتوفير الرغبه على عمارتها وجريها فيه على قديم عادتها ولما كان ذلك
من جميل الاحدوثه التي لم نسبق اليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها
في هذا الكتاب وابداعها في هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال الضمنا
والمعاملين المملكه من الاختلال وتحمل البقايا في جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برافه
ورحمه وطالعنا المقام الاشرف النبوي بالتفصيل من امورهم والجمله واستخرجنا
الامر العالي بوضع ذلك في الحال وانشا السجلات الكريمه معقوده على ذكر هذا
الاحسان وتسيرها الى جميع البلدان لتقروا على روس الاشهاد في ساير البلاد
ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الى حين ختم هذا السجل من العين الفا الف
وسبعمايه الف وعشرون الفا وسبعمايه وسبعه وستون دينارا ونصف وثلث
وثلثا وربع قيراط ومن الفضة النقره اربعة دراهم ومن الورق سبعه وستون
الف وخمسه دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغله ثلاثه الاف الف وثمانمايه
الف وعشرة الاف ومايتان وتسعه وثلاثون اردبا وثمن ونصف سدس وثلثي
قيراط ومن القنا ب ربع اردب ومن ورق الصباغ الفان واربعمايه وثلاثه
اراديب ونصف ومن زريعه الوسمه عشرة اراديب وربع ومن الصباغ الف
واربعمايه وثمانون قنطارا ورطل ونصف ومن القوه اربعمايه وسبعون رطلا
ومن الشب تسعمايه وثلاثه عشر قنطارا ونصف ومن الحديد خمسمايه واحد وثلاثون
رطلا ومن الزفت الف وثلاثمايه وثلاثة ارطال وربع وسدس ومن القطران
تسع عشر رطلا وثلث ومن الثياب الحلبي ثلاثه اثواب ومن المياز رماية ميزر صوف
ومن الغرابيل مايه وسبعون غربالا ومن الاغنام مايتا الف وخمسه وثلاثون
الفا وثلثمايه وخمسه اروس ومن التبن ثلثمايه وثلاثه عشر قنطارا وثمانيه
وثلثون رطلا ومن السحل ثلثمايه الف وخمسمايه وسبعون الف وخمسمايه وخمسون
باعا ومن الجريد اربعمايه الف وثمانيه وثلاثون الفا وسبعمايه وثلاثه وخمسون
جريده ومن السلب الف واربعمايه وثلاثه وعشرون سلبه ومن الاطراف

ستة الاف وسبعمايه وثلاثة اطراف ومن الملح الفان وسبعمايه وثلاثه وتسعون
اردبا وثلث ومن الاشنان احد عشر اردبا ومن الرمان الفا حبة ومن العسل النحل
خمسمايه واحد واربعون قنطارا وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون زيرا وقادوسا
واحدا ومن الشمع اربعمايه واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثة الاف واربعمايه
وخليتان ومن عسل القصب مايه وثمانيه وثمانون قسطا ومن الابقار اثنان وعشرون
الف ومايه واربعه وستون راسا ومن الدواب اربعه وسبعون راسا ومن
السمن الفان وسبعمايه وستة وتسعون رطلا وسدس وثمن ومن الجبن ثلثمايه وعشرون
رطلا ومن الصوف اربعه الاف ومايه وثلاثه وعشرون جزة ومن الشعر ستة الاف
وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر ثمانيه وفصل ذلك بجهاته ومعامليه
قال ولما انتهى الى المامون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود
الضمانات وانتزاعها من ايدي اربابها المشقه والتعب وتسليمها الى باذل الزياده
من غير كلفه ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج
امره بما عفا الكافه اجمعين والضمناء والعاملين من قبول الزياده فيما يتصرفون
فيه ويتولون عليه ما داموا متعلقين بواجباتهم قايمين وتضمن ذلك منشورا
قرى في الجامعين الازهر بالقاهره والعتيق بمصر وديواني المجلس والخاص الامريين
السعيدين ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الى حضرتنا ما يعتمد في الدواوين
ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من نصب الابواب والرباع والبساتين
والحمامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن
يستمر معاملته ولا ينكر طريقته فاهو الا ان يحضر من يزيد عليه في ضمانه حتى قد
نقض عليه حكم الضمان وقبل ما بذل من الزياده كاينا ما كان وقبضت يد الضامن
الاول عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن
الاول ولا تحرز في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا ابناؤه وانكرنا ذلك على معتمديه
وذممناه من غير قصد فاعليه ومرتكبيه اذ كان للحق مجانبا وعن مذهب الصواب
ذاهبا وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسه المطهرة ضاعف الله انوارها واعلى
ابدا منارها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى ساير الاعمال
بانه

بانه اي احد من الناس ضمن ضمانا من باب او ربع او بستان او ناحيه او كفر وكان
لاقساط ضمانه موديا ولما يلزمه من ذلك مبديا وللحق متبعا فان ضمانه
باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملا بالواجب والنظام
المحمود واتباعا لما امر الله تعالى في كتابه المجيد اذ يقول جل من قايل يا ايها الذين امنوا
اوفوا بالعقود الى ان ينقضي مدة الضمان ويزول حكمه ويذهب وضعه ورسمه
حملا على قضيه الواجب وسننه واعتمادا على حكم الشريعة التي ما ضل من اهتدى
بفرايضها وسننها فاما من ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه واصر على المدافعه
والمغالطه التي لا يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك فسخ حكم ضمانه
بنقضه الشروط المشروطه عليه وحكمه حكم من اذا زيد في ضمانه نقل عنه واخرج
من يديه لانه الذي بدا بالفسخ واوجد السبيل اليه فليعتمد كافه ارباب الدواوين
وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتثال المامور وحمل
هولا الضمناء والعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعديه بعد ثبوته
في ديواني المجلس والخاص الامريين السعيدين وحيث ثبتت مثله ان شا الله تعالى
قال ووصلت المكاتبة من الوالي والمشارفين ومن كان ندب صحبته لكشف الاراضي
والسواقي ومساحتها متضمنة ما اظهره الكشف واوضحته المساحة على من بيده
السواقي وهم عده كثيره من جملتها ساقيه مساحتها ثلثمايه وستون فدانا
تشتمل على النخل والكرم وقصب السكر بلغ مبلغ استخراجها في السنة عشرة دنانير
وما جرى في الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا ايدي الديوان على جميعها وطلبوا من
ارباب السواقي ما يدل على ما بايديهم وذكروا انها انتقلت اليهم ولم يظهروا
ما يدل عليها وقد سيروا املاكها الى الباب بحتا حوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه
في امرهم وعند وصولهم اوقع الترسيم بهم الى ان يقوموا بما يجب من الخراج عن
هذه السواقي فان الاملاك المحملين لا تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمامون
في يوم جلوسه للمظالم فامر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضي جلال الملك ابي
الحجاج يوسف بن ايوب المغربي وهو يومئذ قاضي القضاة بمحاكمتهم فجرى له معهم
مفاوضة اوجبت ما حق عليهم والزمهم القيام بما استغرق احوالهم واملاكهم فحصل

من يتعور بهم ما اوجب الحاطه عليهم واخذهم بالخراج من بعد وان نضرب عما تقدم
صفحا وكتب منشور بسمته قد علم كافه ما نراه من افاضه سحب العدل عليهم والاحسان
والنظر في مصالح كل قاص منهم ودان وانا لا ندع ضررا يتوجه الى احد من الرعيه
الا حسمناه ولا نعلم صلاحا يعود نفعه عليهم الا توسلنا سببه ووصلناه حسب
ما تعين على رعاه الامم وعلما بالواجب في العبيد والامم وسلوكا لمحجه الدوله الفاطميه
خلد الله ملكها القويمه واستمرارا على فضايلها وسجاياها الكريمه ولما كنا
نرى النظر في مصالح الرعيه امرا واجبا ونصرف الى سياستهم عزما ماضيا وراي
ثاقبا كذلك نرى النظر في امور الدواوين واستيفا حقوقها المصروفه الى حمايه
البيضه والمحاماه عن الدين وجهاد الكفره والملحدين ليكون ما نراعيه وننظر فيه
جاريا على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله من جميع الجوانب ومن الله نستمد
مواد التوفيق في الحل والعقد ونساله الارشاد الى سوا السبيل والقصد وما
توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان القاضي الرشيد بن الزبير
ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلي بحال ارباب الاملاك هناك
وانهم قد استضافوا الى املاكهم من املاك الدواوين اراضي اغتصبوها ومواضع
مجاوره لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها وتنظيم
المشاريخ بها وارتجاعها للديوان وان يعتمد في ذلك ما يوجبه حكم العدل المسنون في
كل وطن ومكان وتاخر ذلك سنين لمن الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانهاؤه
على جليته فاعتمد ما امروا به من الكشف في هذه الاملاك ووردت المطالعه منهم
بانهم التمسوا ممن بيده ملكا ان يسوق ما يشهد بصحه ملكه ومبلغ فدنه وذكر
حدوده فلم يحضر احد منهم كتابا ولا اوضح جوابا واصدروا الى الديوان المشاريخ
بما كشفوه واوضحوه فوجد التعدي فيه ظاهرا وما باليد والظلم عن مقاصد
الشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبه صاحبه بريعه واستغلاله
لا سيما وليس بيده كتاب يشهد بصحه الملك راسا ولا يستند في ذلك الى حجه
ادحوها احترازا مما هذه سبيله واحراسا للحكم بما نراه من المصلحه للرعيه
والعدل الذي اقمنا مناره واحيينا معالمه واثاره مع الرغبه في عماره البلاد

ومصالح

ومصالح احوالها واستنباط الاراضي الدائره وانشا الجسور واقامه السواقي بها
امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته باعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك والاراضي
والسواقي بايدي اربابها الان من غير انتزاع شي منها ولا ارتجاعه وان يقرر عليها
من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله احسانا اليهم لم نزل نتبع
مثله ونواليه وانعاما ما برحنا نفيده عليهم ونبديه وقد اعفينا وتجاوزنا عما سلف
ونهينا عن استئناف وسامحنا من خرج الى التعدي عن المالوف واجرينا على سنننا في
العفو المعروف وجعلناها توبه مقبوله من الجماعه الجانين ومن عاد من الكافه
اجمعين فلينتقم الله منه وطولب باستئنافه وامسه وبرئت الذمه من ماله ونفسه
وتضاعفت عليه الغرامه والعقوبه وسدت في وجهه ابواب الشفاعه والسلا
وقد فسحنا مع ذلك لكل من رغب في عماره ارض جلفا دائره وادارة بير مجهوله معطله
في ان يسلم اليه ذلك ويعاش عليه ولا يوخذ منه خراج الا في السنه الرابعه من تسليمه
اياه وان يكون المقرر على كل فدان مما يوجبه زراعته لمثله خراجا مويدا وامرنا بكذا
فليعتمد ذلك النواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره مجلسه واحضار
جميع ارباب الاملاك والسواقي واشعارهم بما شملهم من هذا الاحسان الذي تجاوز
امالهم في اجابتهم الى ما كانوا سالوا عنه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكوره من
الخراج على الوضع الذي مثلناه ويجري الديوان بعريه ومرضاه مع تصيير الاراضي
الدائره والابار المعطله لمن رغب في ضمانها وتنظيم المشاريخ بذلك واصدارها
الى الديوان ليخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور حيث يثبت مثله
قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع اهل الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل
مال الديوان وعماره البلاد واعلم انه لم يكن في الدوله الفاطميه بديار مصر ولا
فيما مضى قبلها من دول امرا مصر لعساكر البلاد اقطاعات تعني ما عليه الحال
اليوم في اجناد الدوله التركيه وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفه لمن شا
من الامرا والاجناد والوجوه واهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا تعرف
هذه الابده التي يقال لها اليوم الفلاحه وتسمى المزارع المقيم في البلد فلاحا قرارا
تصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحيه الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل

فوق ما بقي ومن ولد له كذلك بل كان من اختار زراعة ارض تقبلها كما تقدم وحمل
ما عليه لبيت المال فاذا صار مال الخراج الى الديوان انفق في طوائف العسكر من
الخزائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضي وتغلقت نواحي مصر باصناف
الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكاتب له معرفة
بقلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا
فيحررون مساحة ما يشتمله الري من الاراضي بالغلة بارا وشرقا ويكتب بذلك مكلفا
واضحة بالفدن والقطايع على جميع الاصناف المزدرعة ويحضر الى دواوين
الباب فاذا مضى من السنة القبطية اربعة اشهر ندب من الاجناد من يعرف بالحماسة
وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكانت من
نصارى القبط عمن خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج
مياسير واكل بلد ثلثا وحصل مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا احضر
هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول
الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت
بلاد مصر اذ ذاك تقبل بعين وغلة واصناف وقد عرفت ذلك من نسخة المسموح
الذي تضمن ترك البواقي في ايام الخليفة الامر باحكام الله ووزارة المامون البطايحي
ورايت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتي الكاتب المصري سالت القاضي
الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العسكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا
يتولى ذلك ايام رزيك بن الصالح فقال اربعين الف فارسا ونيف وثلاثين الف راجل
من السودان وقال ابو عمرو عثمن النابلسي في كتاب حسن السريرة في اتخاذ الحصن
بالجزيرة ان ضرغام لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي
بدمشق يستنجد به على ضرغام ويعده بانه يكون نايبا عنه بمصر ويحمل اليه الخراج
انفذ نور الدين عسكرا لم يكن يجهز الف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه بن
وامره بالتوجه فابى وقال لا امضي ابدا فان هلاكي ومن معي وسو سمعة السلطان
معلوم من بعث وكيف امضي بالف فارس الى اقليم فيه عشرة الاف فارس وماية
شيني فيها عشرة الاف مقاتل واربعون الف عبد وقوم مستوطنون في

اوطانهم

اوطانهم قريب خزاينهم ونحن نأتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم اجابه
بعد ذلك هذا اعزك الله بعد ما كانت عساكر احمد بن طولون ما سنراه في ذكر القطايع
ان شاء الله ثم ما كان من عساكر الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيد وهي على ما حكاه غير
واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربعماية الف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول
الغز من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال
في ذلك كله قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسماية ثامن المحرم
خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وحديثها بعد ان اشتد ر
حاضرها وغايبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر في هذا
اليوم في جموع يشهد كل من عاينه وقرطس ظنه ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحز
مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما ارغم انوف الكفر ولم يكامل اجتيازا
العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب بلغة الغز هو الامير
المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مايتي فارس الى ماية فارس
الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت
العدة الحاضرة ماية سبعة واربعين طلب والغايبة عشرون طلبا وتقدير
العدة ثمانية عشر الف فارس اكثرها طواشية والطواشي من رزقه من
سبعماية الى الف الى ماية وعشرين وما بين ذلك وله بركم من عشرة رؤس الى ما
دونها ما بين فرس وبرذون وبغل وجمل وله غلام يحمل سلاحه وقرا غلامية
تتمة الجملة قال وفي هذه السفرة عرض العربان الجذاميين فكانت عدتهم سبعة
الاف فارس واستقرت عدتهم على الف وثلثماية فارس لا غير واخذ بهذا الحكم عشر
الواجب وكان اصله الف الف دينار على حكم الاعداد الذي تأصل ولا تحصل
وكلف المعالبة ذلك فامتعضوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج وقال في متجددات
شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسماية استمر انتصاب السلطان صلاح الدين
في هذه السنة للنظر في امور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة
فيها واثبات المحروم وزيادة المشكور الى ان استقرت العدة على ثمانية الاف وستماية
واربعين فارسا امراء ماية واحد عشر اميرا طواشية ستة الاف وتسعماية

سنه وسبعون قراغلاميه الف وخمسمايه ثلاثه وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثه
الاف الف وستمايه الف وسبعون الف وخمسمايه دينار وذلك سوى المحلولين
من الاجناد المرسومين باحواله على العشر وعن عدة العربان المقطعين بالشرقيه
والبحيرة وعن الكنانيه والمصريين والفقها والقضاة والصوفيه وعما يجري في
الدواوين ولا ينقص عن الف الف دينار وقال في متجددات سنه خمس وثمانين وخمسمايه
اوراق استقر عليه عبرة البلاد من الاسكندريه الى عيذاب الى اخر الرابع والعشرين
من شعبان سنه خمس وثمانين وخمسمايه خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانيه
والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط وعدة نواحي اوردت اسماها ولم يعين لها
في الديوان عبرة من جمله اربعه الاف الف وستمايه الف ثلاثه وخمسون الف
وتسعه عشر دينارا بعد ما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقيه
والمرتاحيه والدقهليه وبوش وغير ذلك وهو الف الف ومايه الف وتسعون
الفا وسبعمايه ثلاثه وعشرون دينارا تفصيل ذلك الديوان العادلي سبعمايه
الف وثمانيه وعشرون الف ومايتان ثمانيه واربعون دينارا الامرا والاجناد
المرسوم ابقا اقطاعاتهم بالاعمال المذكوره مايه الف وثمانيه وخمسون الفا ومايتان
وثلاثه دنانير ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثه عشر الف وثمانمايه واربع
دنانير العربان مايتا الف وثلاثون الف ومايتان وسته وتسعون دينارا
الكنانيه خمسه وعشرون الف واربعمايه واثنى عشر دينارا القضاة
والشيوخ سبعه الاف واربعمايه وثلاثه دنانير القيمريه والصلاحيه
والاجناد المصريون اثنى عشر الفا وخمسمايه واربعه دنانير العزاه والعساقله
المركز بدمياط وتنيس وغيرهم عشرة الاف وسبعمايه وخمسه وعشرون دينارا
الباقي ثلاثه الاف الف واربعمايه الف واثنان وستون الف وخمسه وسبعون
دينارا الوجه البحري الف الف ومايه الف واحد وخمسون الفا وستمايه
وثلاثه وخمسون دينارا تفصيله ضواحي ثغر الاسكندريه ثماني مايه الف ومايه
وثلاثه وثلاثون دينارا ثغر رشيد الف دينار البحيرة مايه الف وخمسه عشر
الفا وخمسمايه وسته وسبعون دينارا حوف رمسيس اثنان وتسعون الف

واربعمايه وثلاثه دنانير فوه والمزاحمتين عشرة الاف ومايه خمسه وعشرون دينارا
النستراويه خمسه عشر الف وثلثمايه وخمسه دنانير جزيرة بني نصر مايه الف
واثنى عشر الف وستمايه وسته واربعون دينارا جزيرة قويسنا مايه الف
وثلاثون الفا وخمسمايه واثنان وتسعون دينارا الغربيه ستمايه الف واربعه
وسبعون الفا وستمايه وخمسه دنانير السمنوديه مايتا الف وخمسه واربعون
الف واربعمايه وتسعه وتسعون دينارا الدنجاويه سته واربعون الف
ومايتان واربعه وتسعون دينارا المنوفيه مايه الف وثمانيه واربعون الف
وثلاثمايه وسبعه واربعون دينارا الوجه القبلي الف الف وستمايه الف
وعشرة الاف واربعمايه واحد واربعون دينارا تفصيل ذلك الجيزيه مايه الف
وثلاثه وخمسون الفا ومايتان واربعه دنانير الاطفيحيه سبعه وخمسون الف
وسبعمايه وثمانيه وعشرون دينارا البوصيريه ستون الف واربعمايه وسته
وستون دينارا الفيوميه مايه الف واثنان وخمسون الفا وسبعمايه وثلاثه
دنانير البهنسيه ثلثمايه الف واثنان وخمسون الفا وستمايه واربعه وثلاثون
دينارا والواحات الداخله والخارجه ونواحي البهنسا خمسه وعشرون الف
دينار الاشمونين مايه الف وسبعه واربعون الفا وسبعمايه واثنان وثلاثون
دينارا السيوطيه خارجا عن منفلوط ومنقباط اثنان وسبعون الفا وخمسمايه
واربعه دنانير الاخميميه مايه الف وثمانيه الاف وثماني مايه واثنى عشر دينارا
الاعمال القوصيه ثلثمايه الف واثنان وستون الفا وخمسمايه دينار وثغر
اسوان خمسه وعشرون الف دينار وثغر عيذاب يجري في غير هذا الديوان
وقال في متجددات سنه ثمان وثمانين وخمسمايه الذي انعقد عليه ارتفاع الديوان
السلطاني ثلثمايه الف واربعه وخمسون الف واربعمايه واربعه واربعون
دينارا والذي تقرر زايدا الارتفاع لسنه سبع وثمانين وخمسمايه على ارتفاع
سنه ست وثمانين اثنان وعشرون الف واربعمايه وخمسه واربعون دينارا
والذي انساق من الباقي للسنه المذكوره احد وثلثون الف وستمايه واثنان
وعشرون دينارا والذي اشتمل عليه متحصل ديوان الخاص الملكي الناصري

بالديار المصريه لسنه سبع وثمانين وخمسمايه بلتمايه الف واربعه وخمسون الف
واربعمايه واربعه وخمسون دينارا ونصف وثلث وثمن

ذكر الروك الاخير الناصري

وكان الجندي اقطاعه لمفرده
وله تبع واحد من عشرين الف درهم الى ثلثين وفيهم من اقطاعه خمسه عشر الف
واقلهم عشره الاف وذلك سوى الضيافه وتبلغ خمسه الاف درهم في الاقطاع الثقيل
فكان الجندي يخرج الى التجريد بطواله خيل وقطار جمال ويخرج مقدم الحلقه كامير
عشره ويكون مضافيه اذا انزل حوله واكثرهم ياكل على سماطه ولا يمكن الامير ان ياكل
الا وجميع اجناده معه ولا يجد غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا راي نارا
تقد سال عنها فيقال ان فلانا اشتهى كذا فانه يغضب منه لانه لا ياكل عنده ومع
ذلك كانت اشكالهم بشعه وملابسهم غير طايله فلما افضت السلطنه الى المنصور
لاجين راك البلاد وذلك ان ارض مصر كانت اربعه وعشرين قيراطا يخص السلطان
منها اربعه قراريط ويخص الامرا عشره قراريط ويخص الاجناد عشره قراريط
وكان الامرا اكثر ما ياخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد ولا يصل الى الاجناد منها
كبير شي ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامرا ويحتمي بها قطاع الطريق ويثيرون
الفتن ويقوم الهوشات ويمتنع منها الحقوق والمقررات الديوانيه ويصير
ما كله لنواب الامرا ومستخدميهم ومضره على اهل البلاد التي يجاورونها فابطل السلطان
ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها باسرها من دواوين الامرا
واول ما ابدي به ديوان الامير سيف الدين منكوتمر نايب السلطنه فاخرج منه ما
كان فيه من هذه الاقطاعات وكان يتحصل له منها مايه الف اردب غله في كل
سنه فاقتدى به جميع الامرا واخرجوا ما في اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات
وجعل السلطان في هذا الروك الامرا والاجناد احد عشر قيراطا وافرد تسعه
قراريط ليستجد عسكرا ويقطعه اياها ثم زيدت ورقا تكفيه الامرا والاجناد
بعشره قراريط ووفر قيراط للزياده من شاه يطلب زياده لقلة متحصل
اقطاعه وافرد لخاص السلطان عده اعمال جليله وافرد للنايب منكوتمر اقطاعا
جليلا فانتهى عمل ذلك في ثامن شهر رجب سنه سبع وتسعين وستمايه

وجلس

وجلس النايب منكوتمر لتفرقه المثالات في تاسعه فتنكرت قلوب الامرا حتى كان
من قتل المنصور لاجين ونايبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصريه محمد
راك البلاد قال الجامع السيره الناصريه وفي سنه خمس عشره وسبعمايه اختار
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ان يروك الديار المصريه وان يبطل منها
مكوسا كثيره ويفضل الخاص لمملكته لان كثيرا من اراضي مصر وكان سبب ذلك
انه اعتبر كثيرا من اخبار المماليك والحاشيه الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين
بيبرس الجاشنكير وللامير سلار روس المماليك البرجيه فاذا هي ما بين الف
دينار الى ثمان مايه دينار وخشي من قطع اخبار المذكورين فولد له الراي مع
القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعا
ما يختار ويكتب لها مثالات سلطانيه فتقدم الفخر ناظر الجيش لدواوين الجيش
بعمل اوراق بما عليه عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل اقليم من
اقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جنكلي بن البابا ان
يخرج لناحيه الغربيه ومعه ايتمش الحاجب ومن الكتاب المكين بن قزوينه
وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيري الى ناحيه الشرقيه ومعه الامير ايتمش
المحمدي ومن الكتاب امين الدين قرموط وان يخرج الامير لبان الصرخدي والقلنجي
وابن طرنطاي وبيبرس الحداد الى ناحيتي المنوفيه والبحيره وان يخرج التليلي
والمرتيني الى الوجه القبلي وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين وساروا
الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل لعمل عمله طلب مشايخ كل بلد ودلالها وعدول
وقضاتها وسجلاتها التي بايدي مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين
وغله واصناف ومقدار ما تحتوي عليه من الفدن ومزدرعها وبورها
وما فيها من باق ومرابيب وخرس ومستبحر وعبره الناحيه وما عليها
لمقطعها من غله ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من
الضيافه فاذا احرر ذلك كله امتد القياس بملك الناحيه وضبط بالعدول
والقياس وقاضي العمل ما ظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك
القريه وقندافها وفصل ما فيها من الخاص السلطاني وبلاد الامرا واقطاعات

الاجناد والروك حتى ينتهي الى اخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر في
الاوراق المحضرة حال جميع ضياع ارض مصر ومساحتها وعبرة اراضيها وما
يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف وطلب السلطان الفخر ناظر الجيش
والتقي الاسعد بن امين الملك المعروف بكاتب برلغي وساير مستوفي الدولة والزمهم
بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني التي عينت له وعلى اقطاعات الامرا
واضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيها من الضيافة لمقطعيها واضاف الى العبرة ما
في الاقطاع من الجوالي وكتبت مثالات للاجناد باقطاعات على هذا الحكم واعتمد
فيها ما كان يصرف في كلفة حمل الغلال من النواحي الى ساحل القاهرة وما كان
عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان
جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات للامرا والاجناد ويتحصل منه في السنة اربعة
الاف الف وستماية الف درهم وعليه اربعماية مقطع لكل منهم من عشرة الاف الى
ثلاثة الاف ولكل من الامرا من اربعين الف الى عشرة الاف وكانت جهة عظيمة
لها متحصل كثير جدا وينال العبط منها منافع لا تحصى ويحل بالناس من ذلك
بلاء وشدايد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت متعددة ما بين
نواتية تسرق وكيالين تبخس وشادين وكتاب تريد كل منهم شيا وكان مقرر
الاردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم عن ما فيه وتسرق وكان لهذه
الجهة مكان يعرف بخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه شاد ومستوفون متعممون
ما بين كتاب ومستوفيين وناظر ومعين وثلاثون جنديا مباشرين ولا يمكن احد
من الناس ان يبيع قدحا من غلة في ساير النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص
الكيالة ببولاق ومما ابطل ايضا نصف السمسرة وهو عبارة عن ان من باع شيا
من الاسباب فانه يعطي اجرة الدلال على ما تقرر من القديم عن كل ماية درهم درهمين
فلما ولي ناصر الدين الشيخي الوزارة قرر على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين
فصار الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته ونصف الغرامة على البايع فتضرر
الناس من ذلك واوذوا فلم يغاثوا حتى ابطل ذلك السلطان ومما ابطل رسوم
الولاية وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين فيجبيها المذكورون من عرفاء

الاسواق

الاسواق وسوق الفواحش ولهذه الجهة ضامن تحت يده عدة صبيان وعليها
جند مستقطعون وامرا وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك
قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس ومما ابطل مقرر الحوايص والبغال من
المدينة وساير معاملات مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل من الولاة
والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من اقساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة
ثلثماية درهم وعن ثمن بغل خمسماية درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل
منها ما يحمل وكان نصيب الناس من هذه الجهة بلاء لا يوصف ويحل بهم من عسف
الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما يوخذ من
كل من يسجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة
عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل
منها فانه لو كان تخاصم رجل مع امراته او ابنه رفعه الوالي الى السجن فبمجرد ما يدخل
السجن ولو لم يقم به الا لحظة اخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة ايضا
ومن ذلك مقرر طرح الفراريج ولها ضمان عدة في ساير نواحي ارض مصر يطرحون
على الناس الفراريج فيقاسي ضعفاء الناس من ذلك بلاء ويقاسي الارامل من العسف
والظلم شيا نكرا وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احد من الناس في
جميع الاقليم ان يشتري فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه انه اشترى
او باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ذلك
مقرر الفرسان وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من ساير البلدان فلا يوخذ
درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسي الناس فيه اهوالا صعبة
ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر وهو ما يجبى من مزارعي قصب السكر
من المعاصر ورجال المعاصر ومن ذلك رسوم الافراح ويجبى من ساير النواحي
ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة وانما يجبى بضرايب
ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات ومن ذلك حماية المراكب وهي
عبارة عما يوخذ من كل مركب يتقرر معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه
الجهة اشد ما ظلم به الناس فيوخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السوال

والمكلفين ومن ذلك حقوق القينات وهو عبارة عما يجبى من الفواحش والمنكرات فيجبيه
مهتار الطشتخاناه السلطانية من اوباش الناس ومن ذلك سند الزعما وهي جهة
مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقررها على كل جارية او عبد حين يرد ولم
بالخاناة لعمل الفاحشة فيوجد من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو
ما يجبى من ساير النواحي فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاة لهم في
تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المستاعليه وهو
عبارة عما يوخذ من كسح الاقنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا
امتلا سراب حمام او سمط او جامع او مدرسة او تربة او منزل من منازل ساير
الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى ان يبلغ التعرض لذلك حتى ياتيه ضامن
الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشتطاط في السوم
وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا
يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سواله ثانيا فيعطيه حكمه ويشتد باسه
الى ان يراضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح قناته ورفع ما هناك من الاقذار ومن ذلك
ابطال المباشرين من النواحي وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري ما
من بلد صغر او كبر الا وفيه عدة من كتاب وشاد ونحو ذلك فابطل السلطان المباشرين
وتقدم بمنعهم من مباشرة النواحي الا من بلد فيه مال للسلطان فقط فاراح الله سبحانه
بابطال هذه الجهات من بلا لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه ولما ابطل السلطان هذه
الجهات وفرغ من تعيين اقطاعات الامرا واخباز الاجناد افرز لخاص السلطان
من بلاد ارض مصر عدة نواحي مما كان في اقطاعات الرجبية وهي الجيزة واعمالها
وهو والكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشر قراريط
من الاقليم وصار الاقطاعات للامرا والاجناد وغيرهم اربعة عشر قيراطا ومكر
الاقباط فيما املوه المكوفيه فبدوا بان اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد
في عدة جهات فصار بعض الخبز في الصعيد وبعضه في الغربية اتعابا للجندي
وتكثير الكلفة وافردوا جوالي الذمة من الخاص وفرقوها في البلاد التي اقتطعت
للامرا والاجناد فان النصارى كانوا متعينين في ديوان واحد كما ستقف عليه ان شا الله

نصار

نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فاتسع مجال النصارى
وصاروا ينتقلون في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه
الجهة بعد كثرتها وافردوا ما بقي من جهات المكوس برسم الحوايج خاناه التي تصرف
في السماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاوا ويتوصلوا الى صرف ما يحصل منه
في جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد
الدواوين تحت نظر السلطان فمما كان بيد الاميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نايب
السلطنة من البلاد فاخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيا
مما كانوا قد وقفوه حتى حله وعمل الجميع اقطاعات واعتمد في ساير الاقطاعات
بما كان يستاديه المقطع من فلاحيه بحسب ذلك واقامه من جملة عبرة الاقطاع وابطل
الهدية فلم يتهيا له الفراغ من ذلك الى اخر السنة فلما اهل محرم من سنة ست
عشرة وسبعماية وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل سنة خمس عشرة جلس السلطان
في الايوان الذي استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لساير نقبا الاجناد على لسان نقيب
الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض في كل يوم اميرين من الامرا المقدمين بمضافيهم
وكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من مقدمة
ذلك الامير باسمايهم على قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيبه
الى بين يدي السلطان فاذا امتثل بحضرته ساله السلطان بنفسه من غير واسطة
عن اسمه واصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار
من الامرا وغيرهم وعن مشاهده التي حضرها في الغزو وعن ما يعرفه من صناعة الحرب
ونحو ذلك من الاستقصا فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا من غير
تامل بحسب ما قسم الله له فلم يمر به في مدة العرض احد الا وعرفه واشار الى الامرا بذكر
شي من خبره هذا وقد تقدم الى ساير الامرا باسرهم بان يحضروا الى الايوان عند
العرض ولا يعارض احد منهم السلطان في شي يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت
لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله واخذ السلطان في مواربة الامرا
فما اثنوا على احد في مجلس العرض الا واعطاه مثالا باقطاع ردي فلما علموا ذلك
امسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد بامورهم دونهم مما عرف عنه انه

قدم اليه احد الا وساله ان كان مملوكا عمن اقدمه من التجار وساير ما يتقدم وان كان
شيخا فعن اصله وسنه وكم مصاف حضر حتى اتى على الجميع وافرد المشايخ العاجزين
فلم يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فانتهى العرض في طول شهر
المحرم وتوفر كثير من مثالات الاخباز بلغ عدة مايتي مثال ثم اخذ في عرض اطباق
المماليك السلطانية ووفر منهم امثلة كثيرة وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم
عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفا الاجناد ممن قطع خبزه فجعل
لكل منهم في السنة ثلاثة الاف درهم وكان لبيبرس وسلار والجوكندار تعلقات كثيرة في
بيت المال وفي الاعمال كالجيزة والاسكندرية من ديوان متجر وحمايات فارتجع ذلك
وابطله وما شابهه واضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص ومما امر به في مدة العرض
ان لا يرد احد مثالا اخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع امير في جندي وان من
خالف ذلك ضرب وحبس وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمته ولم
يجسر احد ان يرد عليه مثالا ولا استطاع امير ان يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه
قليلا الى مثلا الف دينار الى اقطاع من مايتي دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه
قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطي المثال من غير تامل لكن كيفما وقعت يده عليه
وقدر الله ان السلطان كان من جملة صبيانه مطيخة رجل مضحك يهزل بحضرة السلطان
فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف بمجلس السلطان في بعض ايام
العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من الامرا فدخل هذا المضحك
واخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى ان قال وجدت بعض اجناد
الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه يقصد
بهذا السخرية والطنز فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه فعروه
ثيابه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس
واكثروا من ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين يقلب
مع القواديس ويغطس في الماء تارة ومرة اخرى يرتكس والماء عليه نحو مقدار
ساعة الى ان انقطع حسه واشفى على الهلاك واشتد رعب الامرا المار او امر فوه
غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طايفة من الامرا الخاصكية

واعتذروا عن هذا المسكين بانه لم يرد الا ان يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب
الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى ان امر بحله فازال السوء عنه حركة فسحب
ورسم السلطان بان من كان حيا لا يبيت بديار مصر فاخرج من وقته منفيا وحمد الله
كل من الامرا على ما وفقه من السكوت عن الكلام في حال العرض وما زال الامر على
ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى ان زالت دولة بني قلاوون بالملك الظاهر
برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة فابقى الامر على ذلك الا انه شيء
منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة
حدث من انواع المغيرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال احد وستمر بك جمل من ذلك
عند ذكر اسباب خراب اقليم مصر ان شا الله تعالى وكانت لاراضي مصر تقاوي مخلدة
في نواحيها وهي على قسمين تقاوي سلطانية وتقاوي بلدية فالتقاوي السلطانية
وضعها الملوك في النواحي وكان الامير او الجندي عندما يستقر على الاقطاع يقبض
ماله من التقاوي السلطانية فاذا اخرج الاقطاع عنه طولب بها فلما كان الروك
الناصري خلدت تقاوي كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها
مايه الف وستين الف اردب سوى التقاوي البلدية

ذكر الديوان

قال اقضى القضاة ابو الحسن الماوردي
الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها
من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان احدهما ان كسرى اطلع ذات يوم
على كتاب ديوانه فراهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم
بهذا الاسم ثم حذفت الها عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان والثاني
ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم
على الجلي والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاعهم على ما بعد وقرب ثم سمي مكان
جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم ان كتابة الديوان على ثلاثة اقسام كتابة
الجيوش والعساكر وكتابة الخراج وكتابة الانشا والمكاتبات ولا بد لكل دولة من
استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرد العلما في كتابة الخراج وفي كتابة الانشا عدة
مصنفات ولم ار احدا جمع شيئا في كتابة الجيوش والعساكر وكانت الدواوين في صدر

الاسلام تجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة فلما انقضت ايام بني امية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد ابي سلمة حفص بن سليمان الخلال جعل الدفاتر في الدواوين من الجلود فكتب فيها وترك الدروج الى ان تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور ايام هرون الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعد الى اليوم وذكر ابو النجم الوراق قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت باعمال الدنيا وقال ان ارض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون الف الف فدان انما يعمر منها الف الف فدان قال وقال ابن المدبر انه كان متعملا بالعراق ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم ابت قط ليلة من الليالي وعلي عمل او بقية منه وتقلدت مصر فلبثت ربما بت وقد بقي علي شيء من العمل فاستتممته اذا اصبحت

الدفتر جماعة الصحف المضمومة ويقال بفتح الدال وكسرها وهو عربي

ذكر ديوان العساكر والجيوش

يقال ان اول من وضع ديوان الجند كيلهراسف احد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كيقباذ قبله كان قد اخذ العشر من الغلات وصرفه في ارزاق جنده واما في الاسلام فما خرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا الي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفا وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخاري في باب كتابة الامام الناس وللبخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وامراتي حاجة قال ارجع فاحجج مع امراتك وقال عمر بن شبة عن معمر عن قتادة قال اول مال اتي به النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة الف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى امضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لابي بكر واول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب فقال ابن شهاب عمر اول من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت قسم ابي الفيء عام اول فاعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمراة عشرة وامتها عشرة ثم قسم العام الثاني فاعطاهم عشرين عشرين وقيل السبب ان ابا هريرة رضي الله عنه قدم على عمر رضي الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة الف درهم فاستكثره عمر وقال اتدري ما تقول قال نعم مائة الف خمس مرات فقال عمر اطيب هو قال لا ادري فصعد عمر المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس

قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين قد رايت الاعاجم يدونون ديوانا لهم فدون انت ديوانا فدون عمر وقيل بل سببه ان عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك به فاثبت لهم ديوانا فساله عن الديوان حتى فسره له فاستشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي بن ابي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيئا وقال عثمن بن عفان رضي الله عنه ارى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم ياخذ خشيت ان ينتشر الامر وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرايت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا اجنادا فدون ديوانا وجند جنودا فاخذ بقوله ودعا عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدأوا ببني هاشم فكتبوهم ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن ابدؤوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلتك رحم وقد اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه الاعطية ودون الدواوين فقال ابن الكلبي في سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي انه فعل ذلك في سنة عشرين وقال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين فقال ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا جميعا اما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملانه الى حجه وعمرته والقسم بالسوية وان يعطي اهل البلاء على قدر بلائهم ويرم امور الناس بعد ويتعاهدهم في الشدائد والنوازل حتى تنكشف ويبدا باهل الفيء ثم يجوزهم الى كل مغلوب ما بلغ الفيء وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل السواد وافتتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني علمكم فيما افاء الله على اهل الشام ~~قال عمر رضي الله عنه~~

القادسية واهل الشام فاجتمع راي علي وعمر رضي الله عنهما ان ياخذوه من قبل القران
فقالوا ما افا الله على رسوله من اهل القرى يعني من الخمس فلله وللرسول يعني من الله
للامر وعلى الرسول القسم ولذي القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالاية
الاخرى التي تليها للفقرا المهاجرين الاية فاخذوا الاربعة الاخماس على ما قسم عليه
الخمس فيمن بدي به وثني وثلث واربعة اخماس لمن افا الله عليه المغنم ثم استشهدوا على
ذلك ايضا بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه الاية من تلك الطبقات
الثلاث واربعة اخماس لمن افا الله عليه تقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر
وعلي وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدا بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا
معهم واعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح او دعا الى الصلح من جزايه فرده
عليهم بالمعروف وليس في الجزا اخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم
ولمن لحق بهم فاعانهم باسوة الا ان يواسوا بفضله عن طيب انفس منهم من لم ينل مثل الذي نالوا
وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية
ومدونهم ومتحري الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمن وعلي رضي الله عنهم ابدا
بنفسك قال لا ابدا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لاهل بدر خمسة الاف
خمسة الاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة الاف اربعة الاف ثم فرض لمن
بعد الحديبية الى ان اقلع ابو بكر رضي الله عنه عن اهل الردة ثلاثة الاف ثلاثة الاف
دخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن ابي بكر ومن ولي الايام قبل القادسية كل
هولا على ثلاثة الاف ثلاثة الاف ثم فرض لاهل القادسية واهل الشام اصحاب
اليرموك الفين الفين وفرض لاهل البلا البارع منهم الفين وخمسماية الفين وخمسماية
فقيل له لو الحقت اهل القادسية باهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم
يدركوا لاها الله اذا وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قربت داره وقاتلهم
عن فنائه فقال هم كانوا احق بالزيادة لانهم كانوا ردا الحتوف وشجى العدو وايم الله
ما سويتهم حتى استطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوينا بين السابقين
من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون

من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح
ثلثماية ثلثماية سوى كل طبقة في العطا ليس بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عربهم
وعجميهم في طبقاتهم سوا حتى اذا حوى اهل الامصار ما حووا من سباياهم وردف الربع
من الروادف فرض لهم على خمسين ومايتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على
مايتين فكان اخر من فرض له عمر رضي الله عنه اهل هجر على مايتين ومات عمر على
ذلك وادخل في اهل بدر اربعة من غير اهل بدر الحسن والحسين وابا ذر وسلمان
وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين الفا وقال الزهري على اثني عشر
الف وجعل نسا اهل بدر الى الحديبية على اربعماية اربعماية ونسا من بعد ذلك
الى الايام قبل القادسية على ثلثماية ثلثماية ثم نسا اهل القادسية على مايتين
مايتين ثم سوى بين النسا بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم ماية
ماية ثم دعا ستين مسكينا فاطعمهم الخبز والملح واحصوا ما اكلوه فوجدوه يخرج من جريبين
ففرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعياله لكل انسان منهم جريبين جريبين في كل شهر
مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة الاف عشرة الاف
الا من جرى عليه البيع فقالت امهات المومنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفضلنا عليهن في القسمة ولكن كان يسوي بيننا فسوى بيننا فجعلهن على عشرة الاف
عشرة الاف وفضل عايشة رضي الله عنها بالفين فابت فقال لفضل منزلتك
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتيه فشانك وكان الناس اعشارا
فكانت العرفا ثلاثة الاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعراقها فلم
يزالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفا والاعشار وجعلت اسباعا
وجعل عريف ماية على كل ماية الف درهم عريف فكانت كل عرافة من القادسية
خاصة ثلاثة واربعين رجلا وثلاثة واربعين امراة وخمسين من العيال لهم
ماية الف درهم وكل عرافة من اهل الايام عشرين رجلا على ثلاثة الاف وعشرين
امراة ولكل عيل ماية على ماية الف درهم وكل عرافة من الروادف الاولى ستين رجلا
وستين امراة واربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على الف وخمسماية على ماية
الف درهم وكان العطا يدفع الى امرا الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ايادي

العرب فيدفعونه الى العرفا والنقبا والامنا فيدفعونه الى اهله في دورهم فمات
عمر رضي الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته ان يجعل العطا اربعة الاف
اربعة الاف وقال لئن بقيت لاجعلن العطا اربعة الاف اربعة الاف الف يخلفها
الرجل في اهله والف يتزودها معه في سفره والف يتجهز بها والف يترفق بها فمات
وهو في ارتياد ذلك قبل ان يفعل وكان يغزي البعوث على قدر المسافة ان كان بعيدا
فسنة وان كان دون ذلك فستة اشهر فاذا اخل الرجل بثغره نزعت عمامته واقيم
في مسجد حيه فقيل هذا فلان قد اخل وقال سيف بن عمر اول عطا اخذ سنة خمس عشرة
وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزيه
بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمن رضي الله عنه لثلاث مضين من المحرم
سنة اربع وعشرين زاد الناس مايه فكان اول من زاد الناس ووفد اهل الامصار
وهو ايضا اول من وفدهم وصنع فيهم الصنايع فاستن به الخلفا في الزيادة وكان
عمر قد فرض لكل نفس منفوسة من اهل الفي في رمضان درهما في كل يوم وفرض لامهات
المومنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم طعاما فجمعتهم عليه فقال اشبعوا الناس
في بيوتهم فاقر عثمن رضي الله عنه ذلك وزاد فوضع طعام رمضان وقال هو للمتعبد
الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل وللمعترين بالناس في رمضان فاقتدي به الخلفا
من بعده وكان ديوان مصر في خلافة معوية بن ابي سفيان رضي الله عنه اربعين الفا
وكان منهم اربعة الاف في مايتين مايتين وكان انما يحمل الى معوية ستمايه الف دينار عن
فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معويه قد جعل على كل قبيله من قبايل
العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود
وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جاريه فيكتب اسمايهم ويقال
نزل بهم رجل من اهل كذا بعياله فيسميه وعياله فاذا فرغ من القبايل اتى الديوان
حتى يثبت ذلك فاعطى مسلمة بن مخلد الانصاري امير مصر اهل الديوان اعطياتهم
واعطيات عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور وارزاق الكتبة
وحملان القمح الى الحجاز وبعث الى معويه ستمايه الف دينار فضلا واول تدوين
كان بمصر على يد عمرو بن العاص ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا

ودون

ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان التدوين الرابع ثم لم يكن بعد
تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك
ابن مروان فلما انقرضت دولة بني اميه وغلبت المسودة بنو العباس احدثوا اسبت
حتى اذا مات عبد الله المامون بن هرون الرشيد لتسع خلون من رجب سنة ثمان عشرة
ومايتين وبويع اخوه المعتصم ابو اسحق محمد بن هرون الرشيد كتب الى كيدر بن نصر
الصغدي امير مصر يامره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطا عنهم
ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجعدي اخر خلايف بني اميه قطع عن اهل مصر
العطا سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه اني انما حبست عنكم العطا في السنة
الماضيه لعدو حضرني فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطا السنه الماضيه
وعطا هذه السنة فكلوه هنيا مريا واعوذ بالله ان اكون انا الذي يجري الله قطع العطا
على يديه ولما قطع كيدر عطا اهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم
وجذام وقال هذا امر لا نقوم في افضل منه لانا منعنا حقنا وفيئنا فاجتمع اليه
نحو خمسمايه رجل ومات كيدر في ربيع الاخر سنة تسع عشرة ومايتين وولي ابنه
المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تنيس واخذه اسيرا فانقرضت
دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى ان ولي الامير
ابو العباس احمد بن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على اربعة
وعشرين الف غلام تركي واربعين الف اسود وسبعة الاف حر مرتزق ثم استجد
ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بعده عدة من شناترة حوف مصر فلما كانت امارة
الامير ابي بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام
اربعمايه الف تشتمل على عدة طوايف ثم ان الاستاذ ابا المسك كافور الاخشيدي
استجد عدة من السودان في ايام تحكمه بمصر فلما غلب الامام المعز لدين الله ابو تميم
معد الفاطمي على مصر صارت عساكرها ما بين كتامية وزويلة ونحوهما من
طوايف البربر ومنهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل ومنهم معد ولم يكن
جيوشه بعد ولا لمن اوتيه كان احد من كل ما اسعد فيه جد وحتى قيل انه لم يطا
الارض بعد جيش الاسكندر فلبس المجد اكثر عددا من جيوش المعز لما قام في الخلافة

في اصل المصنف بياض

لمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم الديلم والاتراك واختص بهم
وذكر الامير المختار المسبحي في تاريخه ان خزانة الخاص حملت لما خرج العزيز الى الشام
عشرون الف جمل خارجا عن خزائن القواد ووجوه الدوله وذكر ابن ميسر في تاريخه
ان عبيد السيده ام الامام المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن
علي بن الحاكم بامر الله ابي علي منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين الف
عبد سوى طوايف العسكر ورايت بخط الاسعد المماتي ان عدة الجيوش بمصر في ايام
رزيك بن الصالح طلايع بن رزيك كانت اربعين الف فارس وسته وثلاثين الف
راجل وزاد غيره وعشرة شواني حربيه فيها عشرة الاف مقاتل وهذا عند انقراض
الدوله الفاطميه فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف
ابن ايوب ازال جند مصر من العبيد السود والامرا المصريين والعربان والارمن وغيرهم
واستجد عسكرا من الاكراد والاتراك خاصه وبلغت عدة عساكر مصر الى اثنى عشر
الف فارس لا غير فلما مات افترقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمن
سوى ثمانية الاف فارس وخمسمائة فارس الا ان فيهم من له عشرة اتباع ومنهم من له
عشرون ومنهم من له اكثر من ذلك الى مايه تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا
ظاهر القاهره يزيدون على مايتي الف ثم لم تزل الوالي اقتراق واختلاف حتى زالت دولتهم
بقيام عبيدهم المماليك الاتراك فجددوا اخذ مواليهم بنو ايوب وانتصروا على
الاتراك وسبي من الاكراد واستجدوا من المماليك التي تجلب من بلاد الترك شيا كثيرا
حتى يقال ان عدة مماليك الملك المنصور قلاون كانت سبعة الاف مملوك ويقال
اثنى عشر الف وكانت عدة مماليك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثنى عشر الف
مملوك ثم لم يبلغ بعد ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بني قلاون في شهر رمضان
سنه اربع وثمانين وسبعمايه بالملك الظاهر برقوق اخذ في نحو المماليك الاشرفيه
وانشا لنفسه دوله من المماليك الجراكسه بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم اربعة
الاف او تزيد قليلا فلما قام من بعده الناصر فرج افترقوا واختلفوا فلم يزل يقتل حتى هلك
كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر في الدوله التركيه على قسمين اجناد الحلقه والمماليك
السلطانيه واكثر ما كانت اجناد الحلقه في ايام الملك الناصر محمد بن قلاون فانها

بلغت

بلغت على ما رايته في جرايد ديوان الجيش باوراق الروك الناصري الى اربعة وعشرين
الف فارس ثم لم تزل تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سوا منها الالف والواحد
فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت اجناد
الحلقه مع المماليك السلطانيه لا تكاد ان تبلغ خمسة الاف فارس يصلح منها لان
تباشر القتال الف او دونها وهي اليوم تسمى اجناد الحلقه والمماليك والمماليك
ثلاثة اقسام ظاهريه وناصريه ومويديه والمويديه ما بين جلبيه ونوروزيه ومن
استخدمه المويد ثم لما ملك السلطان الملك الاشرف برسباي صارت المماليك سبع
طوايف ظاهريه وناصريه ومويديه ونوروزيه وجلبيه وططريه واشرفيه كل
طايفه منها مباينة لجميعها فلذلك خمدت شوكتهم وانكسرت نخوتهم وامنت على
السلطان عاديتهم ولم تخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان كانوا في
الظاهر متفقين واعلم انه كانت عادة خلفا الاسلام من بني امية وبني العباس والفاطميين
من لدن امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تجبا اموال الخراج ثم تفرق من
الديوان في الامرا والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال
لذلك في صدر الاسلام العطا ومازال الامر على ذلك الى ان كانت دول العجم تغير
هذا الرسم وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات
على الجند نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن اسحق بن العباس الطوسي وزير الب
ارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق ثم وزير ابنه ملكشاه بن الب ارسلان وذلك
ان مملكته اتسعت فراي ان يسلم الى كل مقطع قريه او اكثر او اقل على قدر اقطاعه لانه
راى ان في تسليم الاراضي الى المقطعين عمارتها لاعتنا مقطعيها بامرها بخلاف ما
اذا شمل جميع اعمال المملكه ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد
ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد في ايامه وكثرت الغلات واقتدى بفعله
هذا من جا بعده من الملوك من اعوام بضع وثمانين واربعمايه الى يومنا وكانت الخلفا
ترزق من بيت المال فذكر عطا بن السايب في حديث ان ابا بكر رضي الله عنه لما استخلف
فرض له كل يوم شطر شاه وما كسوه في الراس والبطن وذكر عن حميد بن هلال انه
فرض له بردان اذا اخلقهما وضعهما واخذ مثلهما وظهره اذا سافر ونفقته على اهله

كما كان سفق قبل ان يستخلف وذكر ابن الاثير في تاريخه ان الذي فرضوا له ستة الاف درهم
في السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف
وقال له علي رضي الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال علي بأخذ قوته وفرق
عمر لمعوية بن ابي سفيان على عمله في الشام عشرة الاف دينار في السنة وقيل بل الف
دينار وهو اشبه

ذكر القطايع والاقطاعات

يقال اقتطع طائفة من الشي اخذه والقطيعة ما اقتطعته منه واقطعني اياها اذن لي
في اقتطاعها واستقطعه اياها ساله ان يقطعه اياها واقطعه نهرا او ارضا
اباح له ذلك وقد اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتالف على الاسلام قوما واقطع
الخلفا من بعده من راوا في اقطاعه صلاحا روى ابن الحجيج عن عمرو بن شعيب عن ابيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع ناسا من مزينة او جهينة ارضا فلم يعمروها
فجا قوم فعمروها فخاصمهم الجهنيون او المزنيون الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال
عمر لو كانت مني او من ابي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم اخر فهم احق بها
وقال هشام بن عروة عن ابيه اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا
فيها نخل من اموال بني النضير وذكر انها ارض يقال لها الجرف وذكر ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اقطع العقيق اجمع الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير
المستقطعون منذ اليوم فان يك فيه خير فتحت قدمي وقال خوات بن جبير اقطعنيه
فاقطعه اياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة اقطع ابا بكر واقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال اشعث
ابن سوار عن حبيب بن ابي ثابت عن صلت المكي عن ابي رافع قال اعطى النبي صلى الله
عليه وسلم قوما ارضا فعجزوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بثمانية الاف دينار او بثمانية الاف درهم ووضعوا اموالهم عند علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا زكاتها
قال فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا فقال احسبتم اني امسك مالا ولا ازكيه وقد
سال تميم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذي

كان

كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وساله ابو ثعلبة الخشني ان يقطعه ارضا كانت بيد
الروم فاعجبه ذلك وقال الا تسمعون ما يقول فقال والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك
وكتب له بذلك كتابا وقال ثابت بن سعد عن ابيه عن جده ان الابيض بن حمال استقطع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فاقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمي يا رسول
الله اني وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بارض ليس بها ملح من ورده اخذه وهو مثل
الما العد بالارض فاستقال الابيض فقال قد اقلتك على ان تجعله مني صدقة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة وهو مثل الما العد من ورده اخذه وقال مالك
عن ربيعة عن قوم من علمائهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع بلال بن الحارث
المزني معادن ناحية الفرع وعن ربيعة عن الحارث بن بلال عن ابيه بلال بن الحارث
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقطعه العقيق اجمع وعن حماد بن سلمة عن ابي مكين عن ابي
عكرمة مولى بلال بن الحارث قال اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها
جبل ومعدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدنان وقال
معدنان فقالوا انما بعناك ارض حرث ولم نبعك المعادن وجاوا بكتاب النبي صلى
الله عليه وسلم في جريدة فقبلها عمر ومسح بها عينه وقال لقيمه انظر ما خرج منها
وما انفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من ارض السواد اموال كسرى واهل بيته وما هرب عنه اربابه او هلكوا فكان مبلغ
غلته تسعة الاف الف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيا منها ثم ان
عثمن رضي الله عنه اقطعها لانه راى اقطاعها اوفر لغلتها من تعطيلها وشرط
على من اقطعها ان ياخذ منه حق الفي فكان مبلغ غلته خمسين الف الف درهم كان
منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفا بعده فلما كان عام الجماجم سنة ثنتين
وثمانين في فتنة عبد الرحمن بن الاشعث احرق الديوان واخذ كل قوم ما يليهم واقطع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انس بن سيرين سبخة الاصبغ لخالد منها لنفسه الف فدان
وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفي عن عامر لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي رضي
الله عنهم واول من اقطع القطايع عثمن رضي الله عنه وبيعت الارضون في خلافة
عثمن قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب اقطع احدا من الناس شيا

ح وبالسند عن عبد الله بن عمر ان النبي
عن ابيه عن جده اقطع الزبير
الله عليه وسلم الا ان الحارث
القبلية جلسيها وغورها
بالاذكار والغور والاودية

الما العد هو الذي له مواد تمده
كالعيون والابار وسيل الما المجتمع

من ارض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه ارض منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات فاشتراها
الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطيعة اقدم منها ولا افضل
وقال الاعمش عن ابرهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال اقطع عثمن رضي الله عنه
عبد الله بن مسعود في النهرين ولعمار بن ياسر استينيا واقطع خبابا وصهيبا واقطع
سعد بن ابي وقاص قرية هرمز فكان عبد الله بن مسعود وسعد يعطيان ارضهما
بالثلث والربع وقال عثمن بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن عامر عن جابر
قال لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي واول من اقطع القطايع عثمن وبيعت الارضون
في خلافة عثمن رضي الله عنه وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر قال اقطع
الزبير وخبابا وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار زمان عثمن فان يكن
عثمن اخطا فالذين قبلوا منه الخطا اخطاوا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو واقطع ابا مفزر
دار الفيل في عدة ممن اخذنا عنه وانما القطايع على وجه النفل من خمس ما افا الله
وكتب عمر رضي الله عنه الى عثمن بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلي اما بعد فاقطع
جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمن الى عمر ان جريرا قدم
علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت ان امضيه حتى اراجعك فيه
فكتب اليه صدق جرير فامض ذلك وقد احسنت في مراجعتي واقطع ابا موسى
الاشعري واقطع علي بن ابي طالب وحبة كردوس بن هانئ واقطع سويد بن
غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريمة عن سويد بن غفلة قال استقطعت
عليا فقال اكتب هذا ما اقطع علي سويدا ارض الدواية ما بين كذا الى كذا ما شا الله
وذكر ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معوية بن ابي سفين ومن
بعده من الخلفا من دور مصر فاورده شيا كثيرا وقد كانت خلايف بني امية وخلفا
بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم
بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطيه الجند وساير الكلف ويحمل
فضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضي فانه بيد من اقطعه واما منذ كانت
ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى يومنا هذا فان اراضي مصر كلها صارت

تقطع

تقطع للسلطان وامرايه واجناده وارض اليوم على سبعة اقسام قسم يجري في ديوان
السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجري في ديوان الوزاره ومنه ما يجري في
ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر قد اقطع للامرا
والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا
محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذراري واقفي تلك الاراضي
وعتقايهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراضي بايدي قوم ياكلونها اما عن
قيامهم بمصالح لمسجد او جامع واما يكون لهم لا في مقابلة عمل وقسم خامس قد صار ملكا
يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشتري من بيت المال وقسم سادس لا يزرع
للعجز عن زراعته فترعاه المواشي او ينبت الحطب ونحوه وقسم سابع لا يشمله ما
النيل فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليقة ومنه
ما كان عامرا في الدهر الاول ثم خرب وساير هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا
الكتاب تجدها ان انت تاملته ان شا الله وقال ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب
الاموال في الكلام على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عادي الارض لله ولرسوله ثم هي لكم فان قلت ما يعني بذلك قال
يكون اقطاعا هذا الخبر اصل في الاقطاع والعادي كل ارض كان لها سكان فانقرضوا
اي فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال واما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه
وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها اهل فاعطى الامام ان يكون على وجه النفل
ومن ذلك ما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الداري فانه اعطاه ارضا
بالشام من قبل ان تفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلت له نفلا من اموال
اهل الحرب اذا اظهر عليهم كما فعل بابنة بقيلة لما وهبت للشيباني قبل افتتاح
الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضي الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لتميم الداري لما افتتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفله
اياه وقد خرج ابو عبيد هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذي ينفله الامام بعض
المقاتلة وقال ابو الحسن علي بن الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية والاقطاع
ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والتمليك ينقسم الى موات وعامر والثاني

ساصر والاصل

ضربان احدهما ما تعين مالكه فلا نظر للسلطان فيه الا ما يتلك الارض من حقوق بيت المال
اذا كانت في دار الاسلام فان كانت في دار الحرب بحيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فاراد
الامام ان يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سال تميم الداري
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذي كان منه قبل ان يفتح الشام
ففعل وساله ابو ثعلبة الخشني ان يقطعه ارضا كانت بيد الروم فاعجبه ذلك
وقال الا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك وكتب له
بذلك كتابا قال الماوردي وهكذا لو استوهب احد من الامام مالا في دار الحرب
وهو على ملك اهله او استوهبه سبيا من سبيها او ذراريها ليكون احق به اذا
فتح جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة وقد
روى الشعبي ان خريم بن اوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان فتح الله
عليك الحيرة فاعطني بنت بقيلة فلما اراد خالد صلح اهل الحيرة قال له خريم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني بنت بقيلة فلا تدخلها في صلحك فشهد
له بشير بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستثناها من الصلح ودفعها الى خريم فاشتريت
بالف درهم فكانت عجوزا وحالت عما عهد منها فقيل له قد ارخصتها وكان
اهلها يدفعون لك اضعاف ما سالت بها فقال ما كنت اظن ان عددا يكون
اكثر من الف قال الماوردي واذا صح الاقطاع والتمليك على هذا الوجه نظر
فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق
وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه او استوهبه من
الغانمين وينظر في الغانمين فان كانوا علموا بالاقطاع او الهبة قبل الفتح فليس لهم
المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما استطابت به نفوسهم
كما استطاب نفوسهم عن سبي هوازن من الغنائم وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يلزم
الامام استطابة نفوسهم عنه ولا عن عوض من الغنائم اذا راى المصلحة في ذلك

ذكر ديوان الخراج والاموال

يقال للكتابة الخراج قلم التصريف واول ما دون هذا الديوان في الاسلام فهو بسبق
والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان

نقله ابن ثعلبة اوفى
الامام احمد والزهري

العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية
والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان
امير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف
اثناس عن الديوان وجعل عليه مولى بني سعد ثم لبني الذيال بطن منهم عمرو بن
حرموز بن يربوع الفزاري من اهل حمص واول من نقل الدواوين من الفارسية
الى العربية الوليد بن هشام بن قحذم بن سليمان بن ذكوان وتوفي سنة اثنين وعشرين
ومايتين والاكثرون على ان الذي نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد
عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبني سعد وهو من اصحاب دواوين العراق
وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان ابوه من سبي
سجستان ومهر صالح في الكتابة فكتب لزادان فروخ كاتب الحجاج بن يوسف
الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية فخف على قلب الحجاج فخاف من زادان
وقال له انت الذي رقيتني حتى وصلت الى الامير واراه قد استخفني ولا امن ان يقدمني
عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو احوج الي مني اليه لانه لا يجد
من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت ان احول الحساب الى العربية لحولته
قال فحول منه اسطرا حتى ارى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج
طبيبه فشق ذلك على زادان وامره ان لا يظهر للحجاج فاتفق عقب ذلك ان
زادان قتل في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهو خارج من موضع كان فيه
الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فاعلم الحجاج بما جرى له مع زادان في نقل
الديوان فاعجبه ذلك وعزم عليه في امضايه فنقله من الفارسية الى العربية وشق
ذلك على الفرس وبذلوا له مائة الف درهم على ان لا يظهر النقل فابى عليهم فقال له
مردان شاه بن زادان فروخ قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب واما ديوان الشام
فان الذي نقله من الرومية الى العربية ابو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسايل
واختلف في وقت نقله فقيل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة
هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصراني

الدوان

في ايام معويه بن ابي سفيان ثم كتب بعده اسامه بن زيد وهو ابن منصور بن سرجون

ذكر خراج مصر في الاسلام

اول من جبى خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص فكانت جبايته اثنى عشر الف الف
دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن ابي سرح مصر
اربعة عشر الف الف دينار فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمرو بن العاص يا ابا
عبد الله درّت اللقحة باكثر من درها الاول فقال اضررتم بولدها وهذا الذي
جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما
لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبها
بنو امية وخلفا بني العباس الا دون الثلاثة الف الف ما خلا ايام هشام بن عبد الملك
فانه وصى عبد الله بن الحبحاب عامل خراجه على مصر بالعمارة فقال انه لم يظهر من خراج
مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين احدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عندما
ولي الخراج لمصر عبد الله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من اراضي مصر والغامر
مما يركبه ما النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين الف الف فدان بسبب ارتفاع الجرف
ومسح الارض فراكها كلها وعدلت غاية التعديل فعقدت معه اربعة الاف
الف دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومايه
لاول ايام هشام بن عبد الملك وصف ابن الحبحاب لمصر طبقات معلومة منسوبة
في الدواوين فلم تزل الى بعد ذهاب بني امية ومبلغها الفا الف دينار وكان جبايه الف
دينار وثمانيه وسبعه وثلاثون دينارا منها على كور الصعيد الف الف دينار
واربعمايه الف وتسعه واربعون الفا واربعمايه وعشرون دينارا ونصف والثاني
على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمن بن عبد الملك
مبلغ اثني عشر الف الف دينار والوقت الثاني في امارة احمد بن طولون لما تسلم ارض
مصر من احمد بن محمد بن مدبر وقد خرب ارض مصر حتى بقي خراجها ثمانمايه الف الف
دينار فاستقصى احمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فعقدت معه اربعة الاف الف
دينار وثلثمايه الف دينار وجباها ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بن احمد اربعة الاف
الف دينار مع رخا الاسعار ايام اذ فانه ربما ابيع في الايام الطولونية القمح كل عشره

اراد ب بدينار وذكر ابن خرداذبه ان خراج مصر في ايام فرعون كان ستة وتسعين
الف الف دينار وان ابن الحبحاب جباها الفي الف وسبعمايه الف وثلاثه وعشرين
الف وثمانمايه وسبعه وثلاثون دينارا وهذا اوهم منه فان هذا القدر هو ما حمله
الى بيت المال بدمشق بعد اعطيه اهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن
عيسى الهاشمي الفي الف ومايه الف وثمانين الف دينار يعني بعد العطا والمؤن
وساير الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشرة
اصابع اربعة الاف الف دينار ومايتي الف وسبعه وخمسين الف دينار والمقبوض
عن الفدان دينارين في خلافة المامون وغيره وبلغ خراج مصر في ايام الامير ابي بكر
محمد بن طغج الاخشيد الفي الف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكا له والاخشيد
اول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه بن كلا قد عمل تقديرا ليحجز فيه المرتب عن
الارتفاع مايتي الف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال نحط من الجرايات والارزاق
فليس هو لا اولى من الواجب فقال غدا تجيني وندبر هذا فلما اتاه من الغد قال له
الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب ضعفا وفيهم المستورون
وابنا النعم ولست اخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبح
وما زال به الاخشيد حتى اخذ خطه بالقيام بذلك معوضا على ما صنعه فقال
يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاه احمد بن محمد المادراني فقال له ما بيني وبين السلطان
معامله ولا للاخشيد علي طريق وهذه هديه عشرة الاف دينار للاخشيد والف
دينار لك فجاني وقال لك قبل ابن المادراني ما طالبه فقلت لا والله هذه الف دينار
قد جاتك على وجه الما فاعطاني الفا واخذ عشرة الاف دينار واهدى الى محمد بن علي
المادراني في وقت عشرين الف دينار على يديه فاستقللتها فلما اجتمعنا عاتبته
فقال لي ارسلت اليك مايه الف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين الف دينار فاخذ
المايه واعطاني العشرين الف فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما ابرد هذا احفظت
لك المايه الف لوقت حاجتك تريدها خذها وانا اعلم انك تتلفها وبلغت الرواتب
في ايام كافور الاخشيدي خمسمايه الف دينار في السنه لارباب النعم والمستورين واجناس
الناس ليس فيهم احد من الجيش ولا من الحاشيه ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي

بياض

ابن صالح الروذباري الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيا بتنقصه من ارزاق
الناس وساعة جلس يعمل ذلك حكه جبينه فحكه بقلمه والحكاك يزيد به الى ان قطع
العمل وقام لما به فعولج جبينه بالحديد حتى مات في رمضان سنة تسع واربعين
وثلثمايه وهذه موعظة من الله تعالى لمن يتوسط للناس بالسوء فالحذر والحذر المكر
السيء الا باهله ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلا والفنا والفتن
فانقص خراجها وقدم جوهر القايد من بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله ابي تميم
معد فجبي الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمايه ثلاثة الاف الف دينار ومايتي الف
دينار وجباها في سنة تسع وخمسين وثلثمايه ثلاثة الاف الف واربعمايه الف
دينار ونيف وامر الوزير الناصر للدين ابو الحسن عبد الرحمن اليازوري وزير مصر
في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من
النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان
المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا واتاه به فوجد ارتفاع الدولة
الفي الف دينار منها الشام الف الف دينار ونفقاته بازا ارتفاعه والريف
وباقي الدولة الف الف دينار وقال القاضي ابو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج
وقفت على مقايسة عملت لامير الجيوش بدر الجمالي حين قدم مصر في ايام الخليفة المستنصر
وغلب على امرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذي اشتمل عليه
الارتفاع في الهلالي لسنة ثلاث وثمانين واربعمايه وفي الخراجي على ما تقتضيه
الديوان فيه مما كان جاريا في الاعمال المصرية من الخراج وما يجري معه والمضمون
والمقطع والمورد بعضه والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيها وناحيتي الشرقية
والغربية من اسفل الارض واعمالها وتنيس ودمياط وما معها والاسكندرية
والبحيرة والاعمال الصعيدية العالية والدانية والواحات وعيذاب لسنة ثمانين
واربعمايه الخراجية على الرسوم الصحيحة وما كان من الاعمال الشامية التي وراء
من حد الشجرتين وهو اول الاعمال الفلسطينية والاعمال الطرابلسية ولسنة ثمان
وسبعين واربعمايه الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عنها ثلاثة الاف الف
ومايه الف دينار وان الذي استقرت عليه جملة ما كان يستادى في سنة ست وستين و

واربعا

واربعمايه الهلالية قبل نظر امير الجيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين واربعمايه
الخراجية فكان مبلغها الفي الف وثمان مايه الف دينار فكان الزايد للسنة الجيوشية
عن ما قبلها ثلثمايه الف دينار مما اعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل وكان نظم
هذه المقايسة في ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين واربعمايه وذكر ابن ميسر ان الافضل
ابن امير الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجا خمسة الاف الف دينار ثم
تقاصرت الى ان جباها القاضي الموفق ابو الكرم بن معصوم العاصمي التنيسي عينا خالصا
الى بيت المال بعد المون والكلف الف الف دينار الى اخر سنة اربعين وخمسمايه ثم
بعد لم يجبها هذه الجباية احد حتى انقرضت الدولة الفاطمية وذكر القاضي الفاضل
في مياوماته ان عبرة البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخمسمايه
خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانية وعدة نواحي اربعة الاف الف وستمايه
الف وثلاثة وخمسون الفا وتسعة عشر دينارا وسبب اتضاع خراج مصر بعد ما
بلغ مع الروم في اخر سنة ملكوا مصر قبل فتح مصر عشرين الف الف دينار ان الملوك
لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة الارض لانها تحتاج ان ينفق عليها ما بين
ربع متحصلها الى ثلثه واخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما
ومساحة ارضها مايه الف الف وثمانون الف الف فدان يزرع منها في مباشرة
ابن مدبر اربعة وعشرون الف الف فدان وانه لا يتم خراجها حتى يكون فيها اربعمايه
الف وثمانون الف حراث يلزمون العمل فيها دايما فاذا اقيم بها هذا القدر من العمال
في الارض تمت عمارتها وكمل خراجها واخر ما كان بها مايه الف وعشرون الف
مزارع في الصعيد سبعون الفا وفي اسفل الارض خمسون الفا وقد تغير الان
جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت اختلالا فاحشا

ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة واوفاها سعرا واعلاها قطيعة
الباق وهو اثر القرط والمقاثي فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق ري الشراقي
وهو الارض التي طبيت في الخالية فلما رويت في الاتية وكانت مستريحة من الزرع
ثم زرعت انجب زرعها والبرايب وهو اثر القمح والشعير وسعرها دون الباق

لضعف الارض عن زراعة هذين الصنفين فما زرعت على اثر احدهما لم ينجب كنجابة
الباق والبرايب صالح لزراعة القمح والقطاني والمقاثي فان الارض تستريح
من زراعة هذه الاصناف وتصير قابلة ارض باق والبقماهية اثر الكتان فان
زرعت قمحا حسن والشتونية اثر ما روي وبار في السنة الماضية وهو دون
الشراقي والسلايح ما روي وبار فحرث وتعطل وهو مثل ري الشراقي فان زرعه
يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول ما
يزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض لم تستحكم وسخها ولم يقدر الزراعون
على ازاحته كله منها بل حرثوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلط بالحلفا ونحوها
والغالب كل ارض حصل فيها نبات يشغلها عن قبول الزرع ومنع كثرته من زراعتها
وصارت مراع والخرس كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت
بها مراعي وهو اشد من الوسخ الغالب واذا ادمن على ازالة ما فيها من الموانع تهيأ
اصلاحها والشراقي كل ارض لم يصل اليها الما اما لقصور ما النيل وعلو الارض
او لسد طريق الما عنها او غير ذلك والمستبحر كل ارض وطية حصل بها الما ولم
يجد مصرفا حتى فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباخ كل ارض غلب عليها
الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب وربما زرعت ما لم يستحكم السباخ
فيها غير الحبوب كالهليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسي ومما لا غنى
لاراضي مصر عنه الجسور وهي على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية
هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم
موظفة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت في القديم تعمل من اموال
النواحي ويتولى عملها متقبلوا الاراضي ويعتد لهم بما صرف عليها مما عليهم من قبالات
الاراضي ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العملين مال بايدي المستخدمين
من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك
اعيان امرا الدولة الى ان حدثت الحوادث في ايام الناصر فرج فصار يجبى من البلاد مال
عظيم ولا يصرف منه شي البتة بل يرفع الى السلطان ويفرق كثير منه بايدي الاعوان
ويسخر اهل البلاد في عمل الجسور فهي في غاية الخلل كما ستقف عليه ان شا الله عند ذكر

اسباب

اسباب الخراب واما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية
ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من اصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية
من القرى محل سور المدينة الذي يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية
امره ومحل الجسور البلدية محل الدور التي من داخل سور المدينة فيلزم صاحب كل دار
ان يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة ان المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيا من
مال اقطاعه في اقامة جسر لاجل عمارة السنة التي انتقل الاقطاع عنه فيها فان له ان
يستعيد من المقطع الثاني نظير ما انفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره واصلح ما
زرع القمح في اثر الباق والشراقي وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح لكثرة الطرح
وربما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى اخر هاتور
هذا في العوالي من الارض التي يخرج بدريا واما البحاير المتاخرة فيمتد وقت الزرع
فيها الى اخر شهر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف
بحسب قوة الارض ورقتها وتوسطها وما يزرع في التلويق وما يزرع في الحرث
واكثر البذر منه اردب الى خمس ويبات واربع ويبات ايضا ويوجد في الصعيد
اراضي يحتمل دون هذا وفي حوف رمسيس اراضي يلقى الفدان منها نحو الويبتين ويدرك
الزرع بمصر في شهر بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الارض
فمنه من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية
وذكروا ان في مصر اذا زرعوا اخرج من المدي ملئ ما به مدي والعلة في ذلك حرارة
هوا بلادهم مع سمن ارضهم وكثرة لدونة ما النيل ولما كان في سنة ست وسبعماية
انحسر الما عن قطعة ارض من بركة الفيوم التي يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت
وجاء زرعها عجيب بلغ الفدان منها احدا وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم
واردبها تسع ويبات وكانت قطيعة الفدان القمح ببلاد الصعيد في الايام الفاطمية
ثلاثة ارادب فلما مسحت البلاد في سنة اثنتين وسبعين وخمسماية تقرر على كل
فدان اردبين ونصفا ثم صار يوخذ عن الفدان اردبين واما اراضي اسفل الارض
فيوخذ عنها عن كل غلة ويزرع الشعير في اثر القمح وغيره في الاراضي التي غرقت وهي
رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بايام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح

ويحتاج الفدان منه ان يبذر بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه في شهر برموده وهو اذار ونيسان ويزرع الفول في اخرات اثر الراي من اول شهر بابه ويوكل وهو اخضر في شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذار الى ثلاث ويبات ونحوها ويدرك في شهر برموده ويتحصل من فدانه ما بين عشرين اردبا الى ما دون ذلك ويزرع العدس والحمص من شهر هاتور الى كيهك والجلبان لا يزرع الا في ارق الاراضي جرونا من الارض العالية ويزرع بلوبيا في الاراضي الخرس ويبذر في كل فدان من الحمص من اردب الى ثمان ويبات ومن الجلبان من اردب الى اربع ويبات ومن العدس من ويبتين الى ما دونهما وتدرك هذه الاصناف في برموده ويتحصل من الفدان الحمص من اربعة اراديب الى عشرة اراديب ومن الجلبان من عشرة اراديب الى ما دونها والعدس من عشرين اردب الى ما دونها واجب ما يكون الكتان اذا زرع في البرش ويحتاج ان يسبخ بتراب سبخ وهو اذا طال رقده يقلع قضبانا ويسمى حينئذ اسلافا وينشر في موضعه حتى يجف فاذا جف حمل ولهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر الكتان ويستخرج منه الزيت الحار ويزرع الكتان في شهر هاتور ويحتاج الفدان ان يبذر فيه من البزر ما بين اردب وثلث الى ما دون ذلك ويدرك في شهر برموده ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة الى ما دون ذلك ومن البزر من ستة اراديب الى ما دونها وكانت قطيعة الفدان منه في القديم بارض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر دينارا وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير ويزرع القرط عند اخذ ماء النيل في النقصان ولا ينبغي تاخير زرعه الى اوان هبوب ريح الجنوب التي يقال لها الريح المريسية واول ما يبذر في شهر بابه وربما زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في كيهك وطوبه وزرع احيانا في هتور ويبذر في كل فدان من ويبتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه في اخر شهر كيهك ويدرك الحراثي في طوبه وامشير ويتحصل من الفدان الحراثي ما بين اردبين الى اربع ويبات ويزرع البصل والثوم من شهر هتور الى نصف كيهك ويبذر في الفدان البصل من نصف وربع ويبه الى ويبه والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في شهر برموده والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من اول كيهك الى اخر العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة اراديب من الفدان ويدرك في شهر بشنس ويزرع

النرجس في طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك في برموده ويتحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الى ما دونها وهذه هي الاصناف الشتوية واما الاصناف الصيفية فان البطيخ واللوبيا يزرعان من نصف برمهات الى نصف برموده ويزرع في الفدان قدحان ويدرك في بشنس ويزرع السمسم في شهر برموده وزريعته ربع ويبه للفدان ويدرك في ابيب ومسرى ويتحصل من الفدان ما بين اردب الى ستة اراديب ويزرع القطن في برموده وزريعته اربع ويبات حب للفدان ويدرك في توت ويخرج من الفدان من ثمانية قناطير قطن بالجروي الى ما دونها ويزرع قصب السكر من نصف برمهات في اثر الباقلا والبرش ويبرش ارضه سبع سكك واجوده ما تكامل له ثلاث عزقات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته لكل فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى ارض جيدة دمثة قد ستملت الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من الحلفاء وتنظفت ثم برشت بالمقلقلات وهي محاريث كبار ستة وجوه ويجرف حتى يتمهد ثم يبرش ستة وجوه اخرى ويجرف ومعنى البرش الحرث فاذا صلحت الارض وطابت ونعمت وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالمقلقلا وترمى فيها القصب قطعتين قطعتين وقطعة مفردة بعد ان تجعل الارض احواضا ويقرز لها جداول يصل الماء منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث انابيب كوامل وبعض انبوبة من اعلا القطعة وبعض اخرى من اسفلها ويختار منه ما قصرت انابيبه وكثرت عيونه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فاذا كمل نصب القصب اعيد التراب عليه ولا بد في النصب ان تكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم تسقى من حين نصبه في اول فصل الربيع لكل سبعة ايام فاذا نبت القصب وصار اوراقا ظاهرة نبت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التي يسميها اهل مصر الرجلة فعند ذلك تعزق ارضه ومعنى العزاق ان تكنس ارض القصب وينظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة ان الذي ينصب من الاقصاب على كل محال بحرا اي مجاور للبحر اذا كانت مراحة العلة بلا ابقار الجياد

مع قرب بشنس الا ان بابنه اقدنه ويحتاج الى ثمانيه اروس بقر وان كانت الابار
بعيده عن مجرى النيل لا يمكن حينيذ ان يقوم المحال باكثر من سته اقدنه الى اربعه اقدنه
فاذا اطلع النيل وارتفع سقي القصب عند ذلك ما الراحه وصفه ذلك انه يقطع
عليه من جانب جسر يكون مقدار ما عليه لبقيته من العرق عند ارتفاع الما الزيا ده
فيدخل الما من ثلمه في ذلك الجسر حتى يعلو على ارض القصب نحو شبر ثم يسد عنه
الما حتى لا يصل اليه ويترك الما فوق الارض قدر ساعتين او ثلاثا الى ان يسخن ثم يصرف
من جانب اخر حتى ينصف كله ويجد عليه ما اخر كذلك فيتعاهد ما ذكرنا مرارا في
ايام معروفه بقدر معلوم ثم يقطع بعد ذلك فاذا اعمل ما قلنا وقى القصب جفه فان
نقص عن ذلك العمل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل ان يحلو حتى لا يبوس
ويكسر القصب في شهر كيهك ولا بد من حرق اثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه
كما تقدم فينبت قصبا يقال له الخلفه ويسمى الاول الراس وقنود الخلفه اجود غالبا
من قنود الراس ووقت ادراك الراس في طوبه والخلفه في نصف هتور وغايه اداره
معاصر القصب الى النوروز ويحصل من الفدان القصب ما بين اربعين ابلوجه فقند
الى ثمانين ابلوجه والابلوجه تسع قنطار الجاحوله ويزرع القلقاس مع القصب ولكل
فدان عشره قناطير قلقاس جرويه ويدرك في هتور ويزرع الباذنجان في برمهات
وبرموده وبشنس وبونه ويدرك من بونه الى مسرى ويزرع السلجم من بشنس
والزريعه للفدان ويبه ويدرك من ابيب ويزرع الفجل طول السنه وزريعة
للفدان من قدح واحد الى قدحين ويزرع اللفت من ابيب وزريعه الفدان قدح
واحد الى قدحين ويدرك بعد اربعين يوما ويزرع الخس في طوبه شتلا ويوكل بعد
شهرين ويزرع الكرنب في توت شتلا ويدرك في هاتور ويغرس الكرم في امشير
نقلا وتحويلا ويغرس التين والتفاح في امشير ويقلع التوت في برمهات ويغرس
ويبل اللوز والخوخ والمشمش في ما طوبه ثلاثه ايام وهي قضبان ثم تغرس ويحول
شجرها في طوبه ويزرع نوا التمر ثم يحول ويذبا فينقل ويدفن بصل النرجس في مسرى
ويزرع الياسمين في ايام النسي وفي امشير ويزرع المرسين في طوبه وامشير غرسا
ويزرع الريحان في برموده ويزرع حب المنثور في ايام النيل ويزرع الموز الشتوي

في طوبه

في طوبه والصيفي في امشير ويحول الخيار شنبر في برمهات ويقلم الكروم على ريح الشمال الى
ايام من برمهات حتى يخرج العين منها ويقلع الاشجار في طوبه وامشير الا السدر وهو
شجر النبق فانه يقلع في برموده ويسقى الاشجار في طوبه ما واحدا ويسمونه ما الحيا ه
ويسقى في امشير ما ثانيا عند خروج الزهر ويسقى في برمهات ما ثالثا الى ان ينعقد
الثمر ويسقى في بشنس ثلاث مياه ويسقى في بوونه وابيب ومسرى ما في كل سبعه ايام
ويسقى في توت وبابه مره واحده تعريقا من ما النيل ويسقى في هاتور من ما النيل تعريق
المصاطب ويسقى الكرم العمل في هتور من ما النيل مره واحده تعريقا وجميع ارض
مصر تقاس بالفدان وهو اربعمايه قصبه حاكميه طولا في عرض قصبه واحده والقصبه
سته اذرع وثلثا ذراع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع النجار بتقريب والله اعلم

ذكر اقسام مال مصر

اعلم ان مال السلطان بمصر في زمننا ينقسم قسمين احدهما يقال له خراجي والاخر
يقال له هلالي فالمال الخراجي ما يوخذ مسانهة من الاراضي التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا
وفاكهة وما يوخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وطرف الريف والمال الهلالي
عده ابواب كلها احدثها ولاه السوء شيا بعد شي واصل ذلك في الاسلام ان امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان تجارا من المسلمين ياتون ارض الهند فيوخذ منهم
العشر فكتب الى ابي موسى الاشعري وهو على البصره ان خذ ممن كان تاجرا ممن
المسلمين من كل مايتي درهم خمسة دراهم وخذ من تجار العهد يعني اهل الذمه من كل
عشرين درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشره دراهم درهما وقيل لابن عمر اكان
عمر ياخذ من المسلمين العشر قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن
الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس وروي انه اتى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ناس من اهل الشام فقالوا اصبنا دوابا واموالا فخذ منها صدقه تطهرنا بها
فقال كيف افعل ما لم يفعل من كان قبلي وشاور فقال علي رضي الله عنه لا باس به ان لم
يوخذوا به بعدك فاخذ من العبد عشره دراهم وكذلك من الفرس ومن الهجين ثمانيه
ومن البرذون والبغل خمسة واول من وضع على الحوانيت الخراج في الاسلام امير
المومنين المهدي ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر المنصور في سنه سبع وستين ومايه

اعرف اول من احدث مكس النطرون وغيره

وولي ذلك سعيد الجرشي واول من احدث مالاسوى مال الخراج لمصر احمد بن محمد بن مدبر
لما ولي خراج مصر بعد سنة خمسين ومايتين فانه كان من دهاة الناس وشياطين
الكتاب فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده فاحاط بالنطرون وحجر عليه بعد
ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلا الذي ترعاه البهايم مالا سماه المراعي
وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد الى غير ذلك فانقسم من حينيذ
مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي لعهد يذ بالمرافق والمعاون
فلما ولي الامير ابو العباس احمد بن طولون الخراج لمصر مع الحرب بها واضيفت اليه
الثغور الشامية تنزه عن ادناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع
اعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مايه الف دينار في كل سنة ولذلك خبر فيه معتبر
قد ذكرته في اخبار الجامع الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية
في ايام الدولة الفاطمية عندما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس واحدها
مكس فلما استبد السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب
ابن شادي بملك مصر امر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي
الفاضل عبد الرحيم مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مايه الف
دينار تفصيله مكس البهار وعمالته ثلاثه وثلاثون الف وستمايه واربعة
وستون دينارا مكس البضايع والقوافل وعمالتها سبعة الاف وثلثمايه وخمسون
دينارا منفلت الصناعة عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والعصفر والمرجان
والمفاصلات خمسة الاف ومايه وثلاثه وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة
بمصر ستة الاف وستمايه وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمايه دينار
الفندق بالمنية عن مكس البضايع ثمانمايه وستة وخمسون دينارا رسوم دار
العند ثلاثة الاف ومايه وثمانية دنانير رسوم الخشب الطوبل والملح ستمايه
وستة وسبعون دينارا رسوم الغلات المنسوبة الى بلبيس والبوري مايه دينار
رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مايتان وسبعة عشر دينارا حماية
ارمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن الفا دينار سوق
الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة الاف وثلثمايه

واحد عشر

واحد عشر دينارا عبور الاغنام والكتان والابقار بباب القنطرة الف ومايتا دينار
واجب ما يرد من الكتان الحطب الى الصناعة مايتا دينار رسوم واجب الغلات
كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر والتبانين ومقالي جزيرة
الذهب وطموه وشبرا الدرج ستة الاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام
ستة وثلاثون دينارا الاغنام البيوتية اثنى عشر دينارا العرصة والسرساوي
بالجيزة ومكس الاغنام مايه وتسعون دينارا منفلت الفيوم عما يرد من الكتان من القبلة
ومن البضايع الواردة من الفيوم وغيرها اربعة الاف ومايه وستون دينارا مكس الورق
المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مايتا دينار الخفية بساحل الغلة والاقوات
والرسايل سبعمايه وثمانية وستون دينارا فلت العريف بالصناعة الصادر مايتا
دينار دار التفاح والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة الف وسبعمايه دينار رسم
ابن المليحي مايتا دينار دار الجبن الف دينار مسارفة الجزارين مايتان واربعون
دينارا واجب اكلى الوارد من الوجه البحري والقطن الف وعشرون دينارا رسم
سمسرة الصفا الف ومايتا دينار منفلت الصعيد مايه واحد وستون دينارا
خاتم الشرب والدبيقي الف وخمسمايه دينار مكس الصوف مايتا دينار ونصف
المورده بساحل المقس اربعة عشر دينارا دكة السمسار ثلثمايه وخمسون دينارا
فلت التعريف بالصناعة وجملة البهار والبضايع مايتان وستة عشر دينارا
الحلفا الواردة من القبلة مايه وخمسة وثلاثون دينارا الوقد والسرقية والطعم
بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبانين والحبر خمسة وثلاثون دينارا رسوم
الصفا والجرا ورسوم دار الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار
الجبن مايه واربعون دينارا الحلف الواردة على الجسر ومعدية امباس مايه
دينار خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا ثلث التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون
دينارا منفلت الغلات لمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل
الغلة خمسمايه واربعة وثلاثون دينارا واجب الحنا الوارد في البرمان مايه دينار
واجب الحلفا والقصاب ثلاثة وستون دينارا مكس ما يرد من البضايع الى المنية
مايه واربعة وثمانون دينارا سلخة سطوف البرابية مايتا دينار سوق السلاطين

خمسون دينارا رسوم سمسرة الجملي بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب
الفحم الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة وعشرون دينارا سمسرة
البقر اربعون دينارا السمسرة بدار الدباغ تسعة عشر دينارا سمسرة الكتش الجيوشي
ثلاثة واثنا عشر دينارا دكاكين الدهن ومعصرة الشيرج والخل الحامض بالقاهرة
خمسمائة دينار الخل الحامض وما معه اربعمائة وخمسة دنانير بيوت الغزل والمصطبة
ثلثمائة وخمسون دينارا ذبائح الابقار الف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر الف
ومائتا دينار رسوم الدلالة ثلثمائة دينار سمسرة الكتان ثلثمائة دينار رسوم
حماية الصناعتين اربعمائة دينار مربعة العسل مائتان واثنان وثلاثون دينارا
معادي جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار رحا الشمع بالقاهرة ثلثمائة وستون
دينارا زريبة الذبح سبعمائة دينار معدية انفاس وانبابة مائتا دينار
حمولة السلج ثلثمائة وثلثون دينارا مكس دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق
خمسمائة دينار معمل الطير مائتان واربعون دينارا سوق بوتيه ثمانمائة واربعة
وستون دينارا ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنانير نخ السمك
خمسة دنانير تنور الشوى مائتا دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة
وثلثون دينارا خاتم الكلي مائة وعشرون دينارا سوق الدواب بالقاهرة ومصر
اربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون دينارا قبان الحنا ثلاثون دينارا
واحطاقات الادم ستة وثلثون دينارا مستغلات الخام بالقش ستين ثلاثة وثلثون
دينارا المولد للعصار اربعون دينارا اعوان المراكب المنشاة والخضر والحلف
ستة وثلثون دينارا بيوت الفروج ثلاثون دينارا الشعر والطارات اربعة دنانير
رسوم الصبغ والحرير ثلثمائة واربعة وثلثون دينارا وزن الطفل مائة واربعون
دينارا معمل الموز اربعة وثمانون دينارا الفاخوريات بالقاهرة ومصر مائتان
وستة وثلثون دينارا وذكر ابن ابي طي ان الذي اسقطه السلطان صلاح الدين
والذي سامح به لعدة سنين اخرها سنة اربع وستين وخمسمائة مبلغه عن سنة
الف الف دينار والفي الف اردب سامح بذلك وابطله من الدواوين واسقطه
من المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف اعاد

المكوس

المكوس وزاد في شناعتها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبعين وخمسمائة
وكان قد تتابع في شعبان اهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكارات
واباحة اهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر فيها الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره
واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وافردت برسمه وحميت بيوت
المزر واقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها من انتهى امره في كل يوم الى ستة عشر دينارا
ومنع المزر البيوتي ليتوفر الشرا من سوق الحمى وحملت اواني الخمر على رؤوس الاشهاد
وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن
معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ظهورها وقال في متجددات سنة اثنين
وسبعين وخمسمائة وال الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم
والى ان تمحل في بعض الاوقات لاكلها لبعض ما يتبلغ به من حجرة وكثر ضجيجهم وشكواهم
فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما تقتات
به اولاده وما يغتصب من اربابه وافضى هذا الى غلا الاسعار فان المتعيشين من ارباب
الدكاكين يزيدون في اسعار الماكولات العامة مقدار ما يوخذ منهم للدار السلطانية
فافضى ذلك الى النظر في المكاسب الخبيثة وضمن باب المزر والخمر باثني عشر الف دينار
وفسح في اظهار منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والحوانيت مع قرب استهلال
رجب وما استطاع احد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت
مما ينفرد به السلطان لنفقته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال الجوالي الحلال
الطيب الى نصيحو الاتسلي لا يبالي من اين اخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال
وفي شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثرة العصير منها وتظاهر به اربابه لتحكير تضمينه
السلطاني واستيفا رسمه ما يدي مستخرجيه وبلغ ضمانه سبعة عشر الف دينار
وحصل منه شي حمل اليه فبلغني انه صنع الات للشرب ذهبيات وفضيات وكثر
اجتماع النسا والرجال في شهر رمضان لا سيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الما
وبلغت معه النيل بمعاصي نسال الله ان لا يواخذنا بها وان لا يعاقبنا بجراة اهلها
وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين ايبك التركماني
الصالحي بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر

فتخلص من نظار الدواوين بعرف شرف الدين هبة الله بن صاعد الفايزي احد كتاب
الاقباط وكان قد اظهر الاسلام من ايام الملك الكامل محمد وترقى في خدم الكتابه فقرر
في وزارته اموالا على التجار وذوي اليسار وارباب العقار ورتب مكوسا وضمانات
سموها حقوقا ومعاملات ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكه مصر بعد خلعه
الملك المنصور علي بن المعز ايبك احدث عند سفره الذي قتل فيه مظالم كثيره لاجل
جمع المال وصرفه في الحركه لقتال جموع الططر منها تصقيع الاملاك وتقويمها وزكاتها
واحدث على كل انسان دينارا يوخذ منه واخذ ثلث التركات الاهليه فبلغ ذلك ستمايه
الف دينار في كل سنه فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده
على سرير الملك بقلعه الجبل ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قرئت على المنابر
ثم ابطل ضمان المزر وجهاته في سنه اثنين وستين وستمايه وكتب وهو بالشام الى الامير
عز الدين الحلي نايب السلطنه بمصر ان يبطل بيوت المزر ويعفي اثارها ويخرب بيوته ويكسر
مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معه في ذلك وقال
القمح الذي جعله الله تعالى قوت العالم يداس بالارجل وقد تقرب الى الله تعالى بابطاله
ومن ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهه شي يعوضه من
مال الله الحلال فابطل الحلي ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفي سنه ثلاث وستين
ابطل حراسه النهار بالقاهره ومصر وكانت جمله مستكثره وكتب بذلك توقيعا وابطل
من اعمال الدقهليه والمرتاحيه عن رسوم الولايه اربعه وعشرين الف درهم وفي
خامس عشر من رمضان سنه اثنين وستين وستمايه قري بجامع مصر مكتوب
بابطال ما قرر على رسوم ولايه مصر من الرسوم وهي مايه الف درهم واربعه الاف
درهم معبره فبطل ذلك وابطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنه خمس وستين
وستمايه وامر باراقه الخمور وابطال المنكرات وتعفيه بيوت المسكرات ومنع
الخانات والخواطي بجميع اقطار مملكه مصر والشام وطهرت من ذلك البقاع ولما
وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين احمد بن المنير قال ليس لابليس عندنا
ارب غير بلاد الامير ما واه حرمته الخمر والحشيش معا حرمته ماه ومرعاه
وقال ابو الحسين الجزار قد عطل الكوب من حبابه واخلي الثغر من رضابه

واصبح

واصبح الشيخ وهو يبكي على الذي فات من شبابه وفي تاسع جمادى الاخره سنه ست وستين
وستمايه امر الملك الظاهر بيبرس باراقه الخمور وابطال الفساد ومنع الخواطي من
التعرض للبغا من جميع القاهره ومصر وساير الاعمال المصريه فتطهرت ارض مصر
من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معده لذلك وسلب اهلها جميع ما كان
لهم وبقي بعضهم وحبست البغايا حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط
المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض المقطعين من جهات حل بنظيره وفي
سابع عشر ذي الحجه سنه تسع وستين وستمايه اريقت الخمور وابطل ضمانها
وكان كل يوم الف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنه سبعين
باراقه الخمور والتشدد في ازاله المنكرات فكان يوما مشهودا بالقاهره وبلغه في
سنه اربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن
منه تمكنا كبيرا انه شرب الخمر فشنقه تحت قلعه الجبل ولما ولي الملك المنصور سيف
الدين قلاون الالفي مملكه مصر ابطل زكاة الدولبه وهو ما كان يوخذ من الرجل عن زكاة
ماله ابدا ولو عدم منه واذا مات لا يزال يوخذ من ورثته وابطل ما كان يجبى من اهل
اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن او نحوه فيوخذ من الناس بالقاهره ومصر
على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كبير وابطل ما يجبى من اهل الذمه وهو دينار
سوى الجاليه برسم نفقه الاجناد في كل سنه وابطل تقرر جبايه الدينار من التجار
عند سفر العسكر الى الغزاه وكان يوخذ من جميع تجار القاهره ومصر كل تاجر دينار
وابطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوي وحلوى وفاكهه في المقياس
وجعل مصرف ذلك من بيت المال وابطل اشيا كثيره من هذا النمط وابطل الملك
الناصر محمد بن قلاون عده جهات قد ذكرت في الروك الناصري واخر ما ادركت
ابطاله ضمان المغاني وضمان القراريط في سنه ثمان وسبعين وسبعمايه على
يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فاما ضمان المغاني فكان بلا
عظيما وهو عباره عن اخذ مال من النسا البغايا فلو خرجت اجل امراه في مصر تريد
البغا حتى نزلت اسمها عند الضامنه وقامت بما يلزمها لما قدر اكبر اهل مصر
على منعها من عمل الفاحشه وكان على النسا اذا انتقش او عرس امراه او خضبت

امراة بديهة او اراد احد ان يعمل فرحا مال سفر بها اخذه الضامنة ومن فعل فرحا
بمغاني او نقش امراته من غير اذن الضامنة حل به بلا لا يوصف واما ضمان القراريط
فانه كان يوخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان يتحصل
من هذين الجهتين مال كثير جدا وابطل الملك الظاهر برقوق ما كان ياخذ من اهل
البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين الف درهم وابطل ما كان
على القمح من مكس يوخذ من الفقرا بثغر دمياط ممن يبتاع من اردب الى ما دونه
وابطل ما كان يوخذ مكسا من معمل الفروج بالنحريرية والاعمال الغربية
وابطل ما كان يوخذ مقدمة لمن يسرح الى العباسية من الخيل والجمال والغنم
وغير ذلك وابطل ما كان يوخذ على الدريس والحلفا بباب النصر خارج القاهرة
وابطل ضمان المغاني بمنية بني خصيب باعمال الاشمونين وبزفتا من الاعمال الغربية
وابطل الابقار التي كانت ترمى بالوجه البحري عند فراغ الجسور وابطل الامير
يلبغا السالمي لما ولي استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة احدى
وثمانمائة تعريف الغلال بمنية بني خصيب وضمان العرصة بها واخصاص العسالين
وكانت من المظالم القبيحة وابطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم اعاده القطمس
بعده وقد بقيت الى الان من المكوس بقايا اخبرني الامير الوزير المشير الاستادار
يلبغا السالمي رحمه الله في ايام وزارته ان جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم
نيفا وسبعين الف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شيء من مصالح الدولة
بل انما هي منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل والمال
الهلالي عبارة عما يستادى مشاهرة كاجر الاملاك المسقفة من الدور والحوانيت
والحمامات والافران وارحية الطواحين وعداد الغنم والجهات الهوائية المضمونة
والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج اجورها
مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر السيرج والزيت في المال الهلالي ومن اصطلاح
كتاب مصر القدما ان تورد جزية اهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا
مستقلا بذاته بعد الهلالي وقبل الخراجي وذلك انها تستادى مسانهة وكانوا
يرون وجوبها مشاهرة وفايدته فيمن اسلم او مات في اثناء الحول فانهم كانوا يلزمونه

بقدر

بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه او وفاته فلذلك اوردت فيما بين الهلالي
والخراجي وكانوا في الاقطاعات الحبشية يجرونها مجرى مال الهلالي عند خروج
اقطاع عن مقطع ودخول اخر على ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور
الهلالية لا الشمسية بحيث لو تحول مقطع في غرة السنة على العادة في ذلك وخرج
الاقطاع عنه في اثناء السنة بوفاة او نقله الى غيره استحق منه بنظير ما مضى من
شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من المغل ويستحق
المنفصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود والمتخلل منهم من المدة يستحق
ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من ابواب الهلالي
جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والمتجر والشب والنطرون
والكبس الجيوشي ودار الضرب ودار العيار والجاموس والبقر والخيس والاغنام
والغروس والبساتين والاحكار والرباع والمراكب وما يستادى من الذمة غير
الجوالي وساحل السنط والخراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف الاتبان ومقرر
القصب ومقرر البريد ومقرر المبسط وعشر العراق وغير ذلك من جهات المكوس
فاما الجوالي وتعرف في زمننا بالجوالي فانها تستخرج سلفا وتعجيلا في غرة السنة
وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى وقال القاضي الفاضل في متجددات حوادث
الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسمائة مائة الف وثلاثون
الف دينار واما في وقتنا هذا فان الجوالي قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام
في الحوادث التي مرت لهم ولما استبد الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس
ابن محمد امير المومنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالي فكثر الاستقصاء عن الذمة
والد في الاستخراج منهم فبلغت الجوالي في سنة ست عشرة وثمانمائة احد عشر
الفا واربعمائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كبير واما المراعي وهو
الكلا المطلق المباح الذي انبته الله سبحانه لرعي دواب بني ادم فاول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولي الخراج وصير لذلك ديوانا وعمالا لاجل ان حظر الناس
ان يتناولوا المراعي او يشتروها الا من جهته وادركت المراعي ببلاد الصعيد مما يضاف
الى الاقطاعات فياخذ الامير ممن يرعى دوابه في ارض بلده الكثير في كل سنة مالا عن

كل راس فيجبى من صاحب الماشية بعدد اغنامه فلما اختل امر الصعيد في الحوادث
الكاينة منذ سنة ست وثمان مائة تلاشى الامر في ذلك وكانت العادة القديمة ان يندب
للمراعي مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشي ويستخرجون من اربابها عن كل راس
شيا ولا يكون ذلك الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاكه بالرعي واما
المصايد وهي ما اطعم الله سبحانه من صيد البحر واول من ادخلها الديوان ايضا ابن
مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فامر ان يكتب
في الديوان خراج مضارب الاوتاد ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب
لمباشرتها مشد وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحر الاسكندرية
وبحيرة نستروه وثغر دمياط وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات
فيخرجون عند هبوط النيل ورجوع الما من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون افواه
الترع قد سكرت وابواب القناطر سدت عند انتهى زيادة النيل كيما تراجع المياه
وتكاثف مما يلي المزارع ثم تنصب شباك وتصرف المياه فياتي السمك وقد اندفع
مع الما الجاري فتصده الشباك عن الانحدار مع الما ويجتمع فيها فيخرج الى البر
ويوضع على الانخاخ ويملح ويودع في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له المملوحة والصير
ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الاصبع فما دونه ويسمون هذا الصنف اذا
كان طريا البسارية فيوكل مشويا ومقلوا ويصاد من بحيرة نستراوه وبحيرة تنيس
وبحيرة الاسكندرية اسماك تعرف بالبوري وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد
عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البوري وينسب
اليها جماعة من الناس منهم بنو البوري وقيل لهذا السمك البوري اضافة الى القرية
المذكورة وقد بطل في زمننا اليوم امر هذه المصايد الا من بحيرة نستراوه بالبرلس
وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان في ديوان الخاص وفيهما
مضمنات وما يخرج منهما من البوري وغيره من انواع السمك فللسلطان لا يقدر
احد ان يتعرض لصيد شي منه الا ان يكون من صيادي الضامنين بالضمان وما
عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان واما
بحيرة اسكندرية فقد جفت وثغر اسوان فقد خرج من يد السلطنة وغلب عليه

اولاد

اولاد الكنز وتمر بركة بايدي اقوام كبركة الفيل بيد اولاد الملك الظاهر بيبرس
وبركة الرطلي بيد اولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان اسماكها مضمنة لهم يبيعونها
ومع ذلك لا يمنع احد الصيد منها واما بحر النيل فما صيد منه يحمل الى دار السمك
بالقاهرة فيباع ويوخذ منه مكس السلطان والان للامير جمال الدين يوسف الاستادار
زاد فيما كان يوخذ من الصيادين مكسا ومن حينيذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره
وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية
يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر مستقبلا باصبع من كفه قسطنطينية
لا يدرا اكان مما عمله سليمن النبي ام عمله الاسكندر فكان الحيتان يدورون بالاسكندرية
ويصاد عندها فيما زعموا قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فاخبرني ابي عن
ابيه انه انسطح على بطنه ومد يديه ورجليه وكان طوله قدم الصنم فكتب رجل
يقال له اسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المومنين ان
عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس
فان راى امير المومنين ان ينزله ونضربه فلوسا فعل وان راى غير ذلك فليكتب
الي من امره فكتب اليه لا تنزله حتى ابعث اليك امنا يحضرونه فبعث اليه رجالا
امنا حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة
فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك واما الزكاة فان
السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل
في متجددات سنة سبع وستين وخمسماية ثالث عشر ربيع الاخر فرقت الزكوات
بعد ما جمعت على الفقرا والمساكين وابن السبيل والغارمين بعد ان رفع
الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمولفة وفي سبيل الله وفي
الرقاب وقررت لها فريضة واستودى على الاموال والبضايع وعلى ما يعتدر
عليه من المواشي والنخل والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الجوالي
لسنة سبع وثمانين وخمسماية ماية وثلاثون الف دينار والزايد في معاملي الزكاة
ودار الضرب لسنتي ست وسبع وثمانين وخمسماية احد وعشرين الف دينار وثمانماية
احد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في ديوان

الزكاة وكتب خطه ما مبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل
الطواشي قراغش الشادي في هذا المال وان لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودع
للمهمات التي يومر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام
طغتكين بن نجم الدين ايوب بن شادي ملك اليمن الى مصر وقد اجزل صلته عند ما
وفد عليه وفارقه وقد اثرى ثرا كثيرا اقتبض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به
من المتجر وطالبوه بزكاة ما معه وكان ذلك في ايام السلطان الملك العزيز عثمن بن صلاح
الدين يوسف بن ايوب بن شادي فقال ما كل من يتسمى بالعزيز لها اهل ولا كل برق
سحبه غدقه بين العزيزين بون هذاك يعطي وهذا ياخذ الصدقه
ثم ان العزيز كشف عن ما يستادى من الزكاة فانه انهي اليه فيها اقوال شنيعة منها
انه احضر من رجل فقير يبيع الملح في قفة على راسه زكاة عما في القفة وانه بيع حمل
بخمسة دنانير فاخذ زكاتها خمسة دراهم فامر بتفويض امرها الى ارباب الاموال
ومن وجب عليه حق فيها وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لا يتعرض
اليه فتحيل الاغنيا باخراج زكوات اموالهم حتى تضرر الفقرا واخذ السعاة يبذلون
في ضمانها الاموال ليعود على ما كانت عليه فولي النظر في ديوان الزكاة للقاضي
الاسعد ابي المكارم اسعد بن مهذب بن مماتي فاستخرج الزكوات من اربابها ثم ضمنت
بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت اعوان متولي
الزكاة تخرج الى منية الخصيب واخميم وقوص للكشف احوال المسافرين من التجار والحجاج
وغيرهم فيبحثون عن جميع ما معهم ويدخلون ايديهم اوساط الرجال خشية ان يكون
معهم مال ويحلفون الجميع بالايمان الحرجة على ما بايديهم وما عندهم غيره ما وجدوه
ويقوم طايفة من مردة هولا الاعوان وبايديهم المسال الطوال ذوات الانصبة
فيصعدون الى المراكب وينخسون بمسالهم جميع ما فيها من الاحمال والغرائر مخافة
ان يكون فيها شي غيب من بضاعة او مال فيتلافون في البحث والاستقصا حيث يعجب
ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدي هولا الاعوان مواقف خزي ومهانة لما
يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرايرهم وازوادهم ويحل بهم من العسف وسو المعاملة
ما لا يوصف وكذلك يفعل في جميع ارض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين يوسف
بن ايوب

ابن ايوب ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن
ايوب بن شادي اخرج من زكوات الاموال التي كانت تجبى من الناس سهمي الفقرا والمساكين
وامر بصرفهما في مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين معاليم الفقها
والصلحا واهل الخير يجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله واما الثغور وهي دمياط
وتنيس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية وهي اعظمهن قدرا فانه كان
فيهن عدة جهات منهن الخمس والمتجر فالخمس ما يستادى من تجار الروم الواردين
في البحر عن ما معهم من البضايع للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم
عما قيمته ماية دينار ما ينيف على خمسة وثلاثين دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا
وسمي كلاهما خمسا ومن التجار من الروم من يوخذ منهم العشر ولذلك ضرايب مقررة
قال القاضي الفاضل والحاصل من خمس اسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمسماية
ثمانية وعشرون الف دينار وستماية وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع
للديوان من بضايع تدعوا اليها الحاجة وتقتضيه طلب الفايدة قال جامع سيرة الوزير
اليازوري وقصر النيل بمصر في سنة اربع واربعين واربعماية ولم يكن في المخازن السلطانية
شي من الغلات فاشتدت المسغبة بمصر وكان لخلو المخازن سبب اوجب ذلك وهو
ان الوزير الناصر للدين لما اضيف اليه القضا في ايام ابي البركات الوزير كان يباع للسلطان
في كل سنة غلة بماية الف دينار وتجعل متجرا فمثل القاضي بحضرة الخليفة المستنصر بالله
وعرفه ان المتجر الذي يقام بالغلة فيه اوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر
من مشتراها به فلا يمكن بيعها فتتغير في المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفة على
الناس فيه ويفيد اضعاف فايدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا
انحطاط سعر وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما اشبه
ذلك فامضى السلطان له ما راه واستمر ذلك ودام الرخا على الناس فوسعوا فيه
مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر واخر من عمله الملك الظاهر
برقوق واما الشب فان معادنه ببلاد الصعيد وكانت عادة الديوان الاتفاق
في تحصيل القنطار منه بالليثي مبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه
الى ساحل اخميم وسيوط والبهنسا ويحمل الى الاسكندرية ايام النيل في الخليج ويشترى

بالقنطار الليثي ويباع بالقنطار الجروي فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر الف
قنطار بسعر اربعة دنانير كل قنطار الى ستة دنانير ويطلع منه لمصر على اللبوديين
والحصريين والصباغين نحو الثمانين قنطار بالجروي بسعر سبعة دنانير ونصف القنطار
ولا يقدر احد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على احد انه اشترى منه شيا
او باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل اليوم هذا
واما النطرون فيوجد في البر الغربي من ارض مصر بناحية الطرانه وهو احمر واخضر
ويوجد منه بالفاقوسيه شي دون ما يوجد في الطرانه وهو ايضا مما حظر عليه
ابن مدبر من الاشيا التي كانت مباحة وجعله في ديوان السلطان وكان من بعده على
ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان ان يحمل منه في كل سنه عشرة الاف قنطار
ويعطي الضمان منه في كل سنه قدر ثلاثين الف قنطار يتسلمونها من الطرانه فيباع في
مصر بالقنطار المصري وفي بحر الشرق والصعيد بالجروي وفي دمياط بالقنطار
الليثي ولما ولي القاضي الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى اخر سنه خمس وثمانين وخمسمايه
مبلغ خمسة عشر الف وخمسمايه دينار وحصل منه في سنه ست وثمانين مبلغ سبعه
الاف وثمانمايه دينار وادركنا النطرون يقطع لعدة اجناد فلما تولى الامير
محمود بن علي الاستاداريه وصار مدبر الدوله في الايام الظاهريه برقوق حجر النطرون
وجعل له مكانا لا يباع في غيره وهو الى الان على ذلك واما الحبس الجيوشي وكان في
البرين الشرقي والغربي ففي الشرقي بهتيت والاميريه والمنيه وكانت تشتمل هذه
النواحي يعني وفي البر الغربي سفط ونهيا ووسيم وهذه النواحي حبسها امير
الجيوش بدر الجمالي على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال
العهد استاجرها الوزير باجرة يسيره طلبا للفايدة ثم ادخلت في الديوان قال
ابن المامون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي
لم تزل في مدة ايام الوزير المامون ابن البطايحي بايديهم لم يخرج عنهم بنقصان ولا بغيره فلما
توفي الخليفة الامر باحكام الله وجلس ابو علي بن الافضل بن امير الجيوش في الوزارة
اعاد الجميع الى الملاك لكونه بصبه في ذلك الا وفي لما قتل واستبد الخليفة الحافظ
لدين الله امر بالقبض على جميع الاملاك وكل الاحباس المختصة بامير الجيوش فلم يزل

يانسيه

يانس به لانه غلام الافضل والوزير في ذلك الوقت وعو الملك بن غلام الاوحد بن
امير الجيوش يلطفان ويراجعان الخليفة مع الكتب التي اظهرها الورثه وعليها
خطوط الخلفا الى ان ابقاها عليهم ولم يخرجها عنهم ثم اوقعت الحوطه عليها في سنه
سبع وعشرين وخمسمايه للديوان الحافظي ولما خدم الخطير والمرتضى في سنه احدى
وثلاثين وخمسمايه في وزارة رضوان بن ولخشي اعاد البساتين خاصه دون البلاد
على الورثه فلم يزل امرها اليه من الاختلال ونقص الارتفاع وانقرض عقب امير
الجيوش ولم يبق منه سوى امراه كبيره افنى فقها ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت
النواحي وصارت من جملة الاموال السلطانيه فمنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني
ومنها ما صار وقفا ورزقا احباسيه وغير ذلك واما دار الضرب فكان بالقاهره
دار ضرب وبالاسكندريه دار ضرب وبقوص دار ضرب ولا يتولى عيار دار الضرب
الا قاضي القضاة او من يستخلفه ثم رذلت في زمننا حتى صار يليها مسالمه فسقة
اليهود المصرين على الفسق مع ادعايهم الاسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحرير
عياره الى ان افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصريه فجات غير خالصه وكانت
بمصر المعامله بالورق فابطلت الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب في سنه بضع وعشرين
وضرب الدرهم المدكور الذي يقال له الكاملي وجعل فيه من النحاس قدر الثلث المدور
ومن الفضه قدر الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهره الى ان اكثر الامير محمود الاستادار من
ضرب الفلوس بالقاهره والاسكندريه فبطلت الدراهم من مصر وصارت معامله
اهلها الى اليوم بالفلوس وبها تقوم الذهب وساير المبيعات وسياتي ذكر ذلك
ان شا الله عند ذكر اسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان
مال كثير فقل في زمننا لقلة الاموال ودار الضرب اليوم جاريه في ديوان الخاص
واما دار العيار فكانت مكانا يحتاط فيه للرعيه ويصلح موازينهم ومكاييلهم به
ويحصل منه للسلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة اوقاف
سور القاهره وقد ذكرت في خطط القاهره من هذا الكتاب واما الاحكار فانها
اجر مقرره على ساحات بمصر والقاهره فمنها ما صار دورا للسكنى ومنها
ما انشي بساتين فكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانيه وقد بطل ذلك

من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة وما بينهما اوقافا على جهات
متعدده واما العروس فكانت في الغربيه فقط على اراضي يوخذ عنها شبه الحكر
عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان واما مقرر الجسور وكان على
كل ناحيه مقرر بعدة قطع معلومة يجبى منها عن كل قطعه عشرة دنانير ليصرف
في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير فيحمل الى بيت المال وقد بطل هذا ايضا وجدد
الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في اسباب الخراب واما موظف الاتبان
فكان جميع تبن ارض مصر على ثلاثة اقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاحين
فيجبى التبن على هذا الحكم من ساير الاقليم ويوخذ في التبن عن كل مايه حمل اربعة دنانير
وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا ايضا من الديوان واما
الخراج فانه كان في البهنساويه وسفط وشبين والاشمونين والاسيوطيه والاخميميه
والقوصيه اشجار لا تحصى من سنط لها حراس يحفظونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول
فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجه اليه وكان فيها ما يبلغ قيمة العود الواحد منه
مايه دينار وكان يستخرج من اهل هذه النواحي مال يقال له رسم الخراج ويجبى في
مايه نظير ما لعل اهل النواحي ينتفع به من اخشاب السنط في عمايرها ومقرر اخر
كان يجبى منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر اجرة قطع الخشب وجره بضريبة
عن كل مايه حمل دينار وعلى المستخدمين في ذلك الا يقطعوا من السنط ما يصلح
لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط
ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مايه حمل باربعه
دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل
مصر اعتبرت عليهم وقوبل بما فيها ما عين في الرساله الوارده واستخرج الثمن على
ما في الرساله وكانت العاده ان لا يباع مما في البهنسا الا ما فضل عن احتياج
المطابخ السلطانيه وقد بطل جميع هذا واستولت الايدي على تلك الاشجار
فلم يبق منها شي البته ونسي هذا من الديوان واما القرظ فانه لم يحمى السنط
التي ذكرت وكان لا يصرف فيه الا الديوان ومتى ما وجد منه مع احد شي اشتراه
من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد منه فاذا اجتمع مال القرظ اقيم منه مراكب
تباع

تباع ويوخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما يقوم وينادى عليه
وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك واما ما يستادى من اهل الذمه فانه كان يوخذ
منهم عما يرد ويصدر معهم من البضايع في مصر والاسكندريه واخميم خاصه دون
بقية البلاد ضرايب تتقرر في الديوان وقد بطل ذلك ايضا واما مقرر الجاموس
ومقرر بقر الخيس ومقرر الاغنام فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شي كثير
جدا فيوخذ من الجاموس للديوان على كل راس من الراتب في نظير ما يتحصل منه في
كل سنه من خمسه دنانير الى ثلاثه دنانير ومن اللاحق نحو النصف من الراتب واقل
ما ينتج كل مايه راس خمسين راسا الى غير ذلك من ضرايب مقررة على الجاموس
وعلى ابقار الخيس وعلى الغنم البياض والغنم الشعاري وعلى النحل وقد بطل
ذلك باجمعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العماره واسبابها وتعاطي اسباب
الخراب واما المواريث فانها في الدوله الفاطميه لم تكن كما هي اليوم من اجل ان مذهبهم
توريث ذوي الارحام وان البنت اذا انفردت استحقت المال باجمعه فلما انقرضت
ايامهم واستولت الدوله الايوبيه ثم الدوله التركيه صار من جملة اموال السلطان
مال المواريث الحشريه وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فيعدل
فيها الوزراء ومظالم اخرى واما المكوس فقد تقدم حدوثها وما كان من الملوك
فيها والذي بقي منها الى الان بديار مصر يلي امرها الوزير وفي الحقيقه انما هو نفع
للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زمننا عما كنا نعهده
منذ عهد تحدث الامير جمال الدين يوسف الاستادار في الاموال السلطانيه كما ذكر
في اسباب الخراب واما البراطيل وهي الاموال التي توخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها
وقضاتها وعمالها فاول من عمل ذلك الناصر الصالح بن رزيك في ولاة النواحي
فقط ثم بطل وعمل في ايام العزيز بن صلاح الدين احيانا وعمله الامير سنجر في
الولاة فقط ثم افحش فيه الظاهر برقوق كما ذكر في اسباب الخراب واما الحمايات
والمتاجرات فشي حدث في ايام الناصر فرج وصار لذلك ديوانا ومباشرين وعمل
مثل ذلك الامراء وهو من اعظم اسباب الخراب كما تذكر في موضعه .

ذكر الاهرام

اعلم ان الاهرامات بمصر كانت كثيرة جدا منها بناحية بوصير شيء كثير بعضها كبار
وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط
املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدد كثير كلها صغار هدمت في
ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يدي قراقوش وبنى بها قلعة الجبل
والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة واعظم الاهرام الاهرامات
الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاه مصر وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم
بانيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك اقوالا متباينة اكثرها غير صحيح وسا اقص
من نبا ذلك ما يشفي ويكفي ان شاء الله تعالى قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه
الكاتب في اخبار مصر وعجائبها في اخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون
ابن تدرسان بن هوصال احد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في
مدينة امسوس الاتي ذكرها عند ذكر مداين مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنى
الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر ان تكون العادية
دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين انه كان قبل الطوفان بثلاثماية
سنة قد راى سوريد في منامه كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس قد هربوا
على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات هايلة فاغمه
ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث في العالم امر عظيم ثم راى بعد ذلك بايام كان
الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صور طيور بيض وكانها تختطف الناس وتلقيهم
بين جبلين عظيمين وكان الجبلين قد انطبقا عليهم وكان الكواكب النيرة مظلمة مكسوفة
فانتبه مذعورا ودخل الى هيكل الشمس وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما اصبح
جمع روسا الكهنة من جميع اعمال مصر وكانوا ماية وثلاثين كاهنا فخلا بهم وحكى لهم ما راه
اولا واخرا فاولوه بامر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له فليمون ان
احلام الملوك لا تجري على محال لعظم اقدارهم وانا اخبر الملك برؤيا رايتها منذ سنة
ولم اذكرها لاحد من الناس رايت كاني قاعد مع الملك على وسط المنار الذي بامسوس
وكان الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب روسنا وكان علينا كالقبة المحيطة
بنا وكان الملك قد رفع يديه نحو السما وكواكبها قد خالطتنا في صور شتى

مختلفة

مختلفة الاشكال وكان الناس قد هرعوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكان الملك
رفع يديه حتى بلغتا راسه وامرني ان افعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ رايت
منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضيء وطلعت علينا منه الشمس وكانا استغثنا
بالشمس فخاطبتنا ان الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرايت
كان مدينة امسوس قد انقلبت باهلها والاصنام تهوي على روسها وكان اناسا
نزلوا من السما بايديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس
كذا فقالوا لانهم كفروا بالاههم فقلت فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من اراد الخلاص فليلحق
بصاحب السفينة فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا
هل من حادث فبلغوا غايتهم في استقصا ذلك واخبروا بامر الطوفان وبعده
بالنار التي تخرج من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل يلحق هذه الافة
بلادنا فقالوا نعم ياتي الطوفان على اكثرها ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال
فانظروا هل يعود عامرا كما كان او يبقى مغمورا بالما دايما قالوا بل يعود البلاد
كما كانت وتعمر قال ثم ماذا قال يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم
ماذا قالوا يقطع نيلها ويخلو من اهلها فامر عند ذلك بعمل الاهرام وان
يعمل لها مسارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من ارض
المغرب وارض الصعيد وملاها طلسمات وعجايب واموالا واصناما
واجساد ملوكهم وامر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكما وزبر فيها
وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يدعيها
اهل مصر وصور فيها صور الكواكب كلها وزبر فيها اسما العقاقير ومنافعها
ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا
لمن يعرف كتابتهم ولغتهم ولما شرع في بنايها امر بقطع الاسطوانات العظام
ونشر البلاطات الهايلة واستخراج الرصاص من ارض المغرب واحضار الصخور
من ناحية اسوان فبنا بها اساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون
وكانت لهم صحايف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك
الصحايف وضربوه فيبعد بتلك الضربة قدر ماية سهم ثم يعاود دون ذلك

حتى يصل البحر الى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في ثقب وسطها قطب
من حديد قايما ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب
فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب وحول البلاطة بهندام واتقان الى ان
كملت وجعل لها ابوابا تحت الارض باربعين ذراعا فاما باب الهرم الشرقي فانه
من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حايط الهرم واما باب الهرم
الغربي فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحايط واما
باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط
الحايط فاذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبني ويدخل الى باب الهرم
وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهوا مائة ذراع بالذراع الملكي وهو بذراعهم
وهو خمسماية ذراع بذراعنا الان وجعل كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع
بذراعهم ثم هندمها من كل جانب حتى تحددت اعاليها من اخر طولها على ثلثماية
ذراع بذراعنا وكان ابتدا بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه فلما فرغت
كساها ديباجا ملونا من فوقها الى اسفلها وعمل لها عيدا حضره اهل مملكته
باجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلثين مخزنا من حجارة صوان ملونة وملاها بالاموال
الجمة والالات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة والات الحديد الفاخر
من السلاح الذي لا يصدا والزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر والطلسمات الغريبة
واصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل في الهرم الشرقي
اصناف القباب الفلكية والكواكب وما عمله اجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب
بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في ادوارها
وقتا وقتا وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاوقات التي ينتظر
فيها ما يحدث وكل من يلي مصر الى اخر الزمان وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه
المدبرة وما اشبه ذلك وجعل في الهرم الملون اجساد الكهنة في توابيت من صوان
اسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجايب صناعاته واعماله وسيرته وما عمل في وقته
وما كان وما يكون من اول الزمان الى اخره وجعل في الحيطان من كل جانب اصناما
تعمل بايديها جميع الصناعات على مراتبها واقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها

وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها اموال الكواكب
التي اهديت الى الكواكب واموال الكهنة وهو شي عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها
خازنا فخازن الهرم الغربي صنم من حجارة صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه
حربة وعلى راسه حية قد تطوقت من قرب منه وثبت اليه وطوقت على عنقه
وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل خازن الهرم الشرقي صنما من جزع اسود مجزع
باسود وابيض له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسي ومعه حربة
اذا نظر احد اليه سمع من جهته صوتا يفزع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت
وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه اجتذبه
حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح الروحانية
وذبح لها الذبايح لتمنع من انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال الوصول اليها
وذكر القبط في كتبهم ان عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية انا سوريد الملك
بنيت هذه الاهرام في وقت كذا وكذا واتممت بناها في ست سنين فمن اتى بعدي
وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستماية سنة وقد علم ان الهدم ايسر من البنيان
واني كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها الحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم
بهدمها شي من الازمان الطوال وحكى القبط في كتبهم ان روحانية الهرم الشمالي
غلام امرد اصفر عريان في فمه انياب كبار وروحانية الهرم الجنوبي امراة
عريانة بادية الفرج حسنا في فيها انياب كبار تستهوي الانسان اذا راته وتضحك
له حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده مجمرة من مجامر
الكنايس يبخرها وقد راى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف
حول الاهرام وقت القايلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن
في الهرم ومعه امواله وكنوزه وقالت القبط ان سوريد هو الذي بنا البرابي
واودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها
قال واما الاهرام الدهشورية فيقال ان شداد بن عديم هو الذي بناها
من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن ابيه وشداد هذا يزعم بعض الناس انه
شداد بن عاد وقال من انكر ان تكون العادية دخلت مصر انما غلطوا باسم شداد

ابن عديم فقالوا شداد بن عاد المكرر ما جرى على السنتهم شداد بن عاد وقله ما جرى على
السنتهم شداد بن عديم والا فما قدر احد من الملوك دخل مصر ولا قوي على اهلها غير
بخت نصر والله اعلم وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ومن اباده
الحدثان ان الخليفه عبد الله المامون بن هرون الرشيد لما قدم مصر واتى على
الاهرام احب ان يهدم احدها ليعلم ما فيها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال
لا بد من فتح شي منه ففتحت له الثلمة المفتوحه الان بنار توقد وخل يرش ومعاون
وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها اموالا عظيمه فوجدوا عرض الحايط قريبا
من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى اخر الحايط وجدوا اخلف النقب مطهرة خضرا فيها
ذهب مضروب وزن كل دينار اوقيه وكان عددها الف دينار فجعل المامون
يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم امر بجملة ما انفق على الثلمه فوجد الذهب
الذي اصابوه لا يزيد على ما انفقوه فيه ولا ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق
عليه ومن تركهم ما يوازنه في الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهره التي وجد فيها
الذهب كانت من زبرجد فامر المامون بحملها الى خزاينه وكان اخر ما عمل من
عجايب مصر واقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه من الزلاقه التي فيه
فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الاحداث على دخوله واعدوا الذلك
ما يحتاج اليه من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا في الزلاقه فراوا فيها
من الخفافيش ما يكون كالعقبان تضرب وجوههم ثم انهم ادلوا احدهم بالحبال
فانطبق عليه المكان فحاولوا جذبه حتى اعيا ثم سمعوا صوتا ارعبهم فغشي عليهم
ثم قاموا وخرجوا من الهرم فبينما هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم اذ اخرجت الارض
صاحبهم من بين ايديهم حيا فتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا فاخذهم
الخفر واتوا بهم الى الوالي فحدثوه خبرهم فسالوا عن الكلام الذي قال صاحبهم قبل
موته فقيل لهم معناه هذا جزاء من طلب ما ليس له وكان الذي فسر لهم معناه
بعض اهل الصعيد وقال علي بن رضوان الطبيب فكرت في بنا الاهرام فاوجب
علم الهندسه العمليه ورفع الثقيل الى فوق ان يكون القوم هندسوا سطحا
مربعا ونحتوا الحجاره ذكرا وانثى ورصوها بالجبس البحري الى ان ارتفع البنا

مقدار

مقدار ما يمكن رفع الثقيل وكانوا كلما صعدوا ضموا البنا حتى يكون السطح الموازي للمربع
الاسفل مربعا اصغر من المربع السفلاني ثم عملوا في السطح المربع الفوقاني مربعا
اصغر بمقدار ما يبقى في الحاشية ما يمكن رفع الثقيل اليه وكلما رفعوا حجرا مهندما
رصوه ذكرا وانثى الى ان ارتفعوا مقدارا مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون
ذلك الى ان بلغوا غايه لا يمكنهم بعدها ان يعملوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا
الجوانب البارزه التي فرضوها لرفع الثقيل ونزلوا في النحت من فوق الى اسفل
فصار الجميع هرما واحدا وقاس الهرم الاول بالذراع التي يقاس بها اليوم
الاسنه بمصر كل حاشيه منه اربعمايه ذراع يكون بالذراع السود التي طول كل ذراع
منه اربعه وعشرون اصبعا خمسمايه ذراع يكون وذلك ان قاعدته مربع
متساوي الاضلاع والزوايا ضلعين منها على خط نصف النهار وضلعين على
خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السود خمسمايه ذراع والخط المنحدر على
استقامته من راس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعمايه وسبعون ذراعا يكون اذا
تمم بها خمسمايه ذراع واحيط بالهرم اربع مثلثات وسريع كل مثلث منها
متساوي الساقين كل ساق منها اذا تمم خمسمايه وستون ذراعا والمثلثات الاربعه
تجتمع روسها عند نقطه واحده وهي راس الهرم اذا تمم فيلزم ان يكون عموده اربعمايه
اربعمايه وثلثين ذراعا وعلى هذا العمود مراكز اثقاله ويكون تكسير كل مثلث
من مثلثاته اربعمايه الف وخمسه وعشرين الف ذراع اذا جمع تكاسيرها كان مبلغ
تكسير سطح هذا الهرم خمسمايه الف ذراع بالسود وما احسب على وجه الارض بنا
اعظم منه ولا احسن هندسة ولا اطول والله اعلم وقد فتح المامون نقبا من هذا
الهرم وجد فيه زلاقه تصعد الى بيت مربع مكعب وجد في وسطه قبر رخام
وهو باق فيه الى اليوم لم يقدر احد يحطه وبذلك احرجا البوس انها قبور فيقال
في اخر الحاشيه من تدبير الصحه بهذا اللفظ ونعم يسمون من كان في هذه السن الهرم
وهو مشتق من الاهرام التي هم اليها صايرون عن قريب وقال الحوقلي في صفه
مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر
ولا عمل ولا يعمل كهما وقرا بعض بني العباس على احدهما اني قد بنيتهما من كان

يدعي قوة في ملكه فليهدمهن فالهدم ايسر من البنا فهم بذلك واظنه المامون او
المعتصم فاذا خراج مصر لا تقوم به يومئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف في الجبايه
وتوخي الرفق بالرعيه والمعدله اذا بلغ النيل سبع عشره ذراعا وعشر اصابع اربعة
الاف الف ومايتي الف وسبعه وخمسين الف دينار والمقبوض على الفدان ديناران
فاعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيا وفي حد الفسطاط في عدوة النيل ابنيه عظام
يكثر عددها متفرقه في ساير الصعيد تدعى الاهرام وليست كالهرمين اللذين
تجاه الفسطاط وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما اربعمايه ذراع وعرضه
كارتفاعه مبني بحجاره الكدان التي سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر الاذرع الى
الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه واوجبته الهندسه
عندهم لانها كلما ارتفعت في البنا ضاقت حتى يصير اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك
جمل وقد ملئت حيطانها بالكتابه اليونانيه وقد ذكر قوم انها قبور وليس كذلك
وانما حذا صاحبها في عملها انه قضي بالطوفان انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما
حصن في مثلها فخزن ذخايره وامواله فيها واتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان
فيها الى بيصر بن مصرايم بن حام بن نوح وقد خزن فيها بعض الملوك المتاخرين اهراء
والله اعلم وقال ابو يعقوب محمد بن اسحق النديم الوراق في كتاب الفهرست وقد ذكر
هرمس البابلي فقد اختلف في امره فقيل انه كان احد السبعة السدنه الذين رتبوا
لحفظ البيوت السبعه وانه كان لهم بيت عطارد وباسمه سمي فان عطارد باللغه
الكلدانيه هرمس وقيل انه انتقل الى ارض مصر باسباب وانه ملكها وكان له
اولاد منهم طاط وصا واسمن واترب وقفط وانه كان حكيم زمانه وانه لما توفي
دفن في البنا الذي يعرف بمدينه مصر بابي هرمس وتعرفه العامة بالهرمين وان
احدهما قبره والاخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته وهذه الابنيه
يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمية اربعمايه ذراع وثمانون ذراعا على
مساحة اربعمايه وثمانين ذراعا ثم يخرط البنا فاذا حصل الانسان في راسه كان
مقدار سطحه اربعين ذراعا في اربعين ذراعا هذا بالهندسه وفي وسط هذا
السطح قبه لطيفه في وسطها شبيه بالمقبره وعند راس ذلك القبر صخرتان في

نهاية

نهاية اللطافه والحسن وكرم التلون وعلى كل واحد منهما شخص من حجارة صورة ذكر
وانثى وقد تقابلا بوجهيهما وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابه وبيد الانثى مراة
والوف ذهب نقشه المنقاش وبين الصخرتين برنيه من حجارة على راسها غطا
ذهب فلما قلع فاذا فيها شبيه القار يعني بالحمد قد يبس وفيها حقه ذهب
فنزعت راسها فاذا فيها دم عبيط ساعة فرغها الهوا جمد كما يجمد الدم وجف
وعلى القبور اغطيه حجارة فلما قلعت اذا رجل نايم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف
بين الخلقه ظاهر الشعر والى جنبه امراة على هيئته قال وذلك السطح مقعر نحو
قامه وكالدور يشبه السما ازجات ازاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة
وقايمة وغير ذلك من الالة التي لا يعرف اشكالها وقال العلامه موفق الدين
عبد اللطيف بن ابي العز يوسف بن ابي البركات محمد بن علي بن ابي سعيد البغدادي
المعروف بابن المطحن في سيرته وجا رجل جاهل عجمي مخيل الى الملك العزيز عثمن بن
صلاح الدين يوسف ان الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين واكثر
العسكر واخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران
في المال والعقل ومن راى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى
الهرم لا يجد به الا تشعيثا يسيرا وقد اشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون
على اعادته فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر الف دينار لم يمكنا ذلك وقال
ابو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب والاهرام فطولها عظيم وبنيانها
عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفه والممالك الدائرة لا يدرى
ما تلك الكتابه ولا المراد بها وقال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم
الكبير منها بالذراع نحو اربعمايه ذراع او اكثر وكلما علا به الصعد ادق ذلك والعرض
نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر واسرار الطبيعه وان
من تلك الكتابة مكتوبا انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك وبلوغ القدرة
والانتهاء امر السلطان فليهدمها ولينزل رسمها فان الهدم ايسر من البنا والتفريق
اسهل من التاليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا
خراج مصر لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام وانها قبور الملوك وكان الملك

منهم اذا مات وضع في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم
يبنا اذا مات وضع من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل
الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البنا
على هذا المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في
الارض ويعقد ازج طوله تحت الارض مائة ذراع او اكثر ولكل هرم من هذه الاهرام
باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا
ذا مرقي كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى اسفل فهذه كانت حيلتهم
وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعة وقال في كتاب التنبيه والاشراف والهرمان
اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر يعدان من عجايب بنيان العالم كل واحد
منهما اربعمائة ذراع في سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع
كل ركن من اركانهما يقابل ريحا منها واعظمهما فيهما تناوح الجنوب وهي ريح
المريسي واحد هذين الهرمين قبر اغاذيمون والاخر قبر هرمس وبينهما نحو الف
سنة واغاذيمون المتقدم وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهما
قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجبه راي الصابئة في النبوات لا على طريق
الوحي بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت عن ادناس هذا العالم
فاتحدت بهم مواد علوية فاخبروا عن الكاينات قبل كونها وعن سراير العالم
وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى انها قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم
السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر وهم العرب العاربة من العماليق
وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور اجساد طاهرة وذكر ابو زيد
البلخي انه وجد مكتوب على الاهرام بكتابة خط فعرب فاذا هو بني هذان الهرمان
والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة النبوية فاذا هو ست
وثلثون الف سنة شمسية مرتان ملكون اثنان وسبعون الف سنة شمسية وقال
الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت المالوقت العرق من القرى قرية
فيها بقية سوى بها وبدو ترجمتها وجدت كما هي لم تتغير واهرام الصعيد من
ارض مصر وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب

ان

ان الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر الفسطاط
ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع
وكل حجر من حجارتها ثلثون ذراعا في غلظ عشرة اذرع قد احكم الصاقة ونحته ومنها
عند مدينة فرعون يوسف اهرام اعظم واكبر دوره ثلاثة الاف ذراع وعلوه سبعمائة
ذراع من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم وهرم
اخر يعرف بالهرم المدرج كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي
تجاه الفسطاط قال وقد دخلته وفي داخله قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلا كبيرة
في وسطها بير عمقها عشرة اذرع وهي مربعة ينزل الانسان منها فيجد في كل وجه
من تربيع البير بابا يفضي الى دار كبيرة فيها موتى كثيرة من بني ادم عليهم اكفان كثيرة اكثر
من مائة ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا
طوالا ولم يسقط من اجسادهم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شيخ ولا من شعره ابيض
واجسادهم قوية لا يقدر الانسان ان يزيل عضوا من اعضايهم البتة ولكنهم خفوا
حتى صاروا كالعثا لطول الزمان وفي تلك البير اربعة من الدور مملوة باجساد
الموتى وفيها خفافيش كثيرة وكانوا قد فتنوا انضا جميع الحيوان في الرمال ولقد
وجدت يوما ثيابا ملفوفة كثيرة حزمة مقدار اكثر من ذراع وقد احترقت تلك
الثياب من القدم فازلت الثياب الى ان ظهر خرق صحاح قوية بيض من كتان امثال
العصايب فيها اعلام من الحرير لا تحصى وفي داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه
ولا جسده شي كانه قد مات الان وفي القبة التي في الهرم باب يفضي الى علو الهرم
وليس فيه درج عرضه نحو خمسة اشبار يقال انه صعد فيه في زمان المامون فافضوا
الى قبة صغيرة فيها صورة ادمي من حجر اخضر كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا
هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد ادمي عليه درع من ذهب بانواع الجواهر
وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند راسه حجر ياقوت احمر كبيضة الدجاجة
يضي كلهب النار فاخذه المامون وقد رايت الصنم الذي اخرج منه ذلك الميت ملقا
عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى عشرة وخمسمائة وقال القاضي الجليل
ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي روى علي بن الحسين بن خلف بن قديد عن

يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل من عجم مصر من قرية
من قراها تدعى قفط وكان عالما بامور مصر واحوالها وطالبا لكتبها القديمة
ومعادنها قال وجدنا في كتبها القديمة قال واما الاهرام فان قوما احتفروا واقبروا
في دير ابي هرميس فوجدوا امة ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرق
فاستخرجوه من الخرق فراوا الكتاب لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية الاولى وطلبوا
من يقراوه لهم فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القلمون من ارض الفيوم راهبا يقراه
فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الصحيفة فقراه لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في اول
سنة من ملك ديقلطيانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ في اول سنة من
ملك فيلبش الملك وان فيلبش انتسخه من صحيفة من ذهب خرق كتابها حرفا حرفا
وكان من الكتاب الاول ترجمه له اخوان من القبط احدهما ابلو والاخر برنا وان
الملك فيلبش سالهما عن سبب معرفتهما بما جهله الناس من قراته فذكرا انهما من ولد
رجل من اهل مصر الاوايل لم ينج من الطوفان من اهل مصر احد غيره وكان سبب نجاته
انه اتى نوحا عليه السلام فامن به ولم ياته من اهل مصر غيره فحمله معه في السفينة
فلما نضب ما الطوفان اتى مصر معه نفر من ولد حام بن نوح عليه السلام وكان
بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب اهل مصر الاول فورثناه عنه كابرا عن كابر
وكان تاريخه الذي مضى الى ان انتسخه فلبش الف وثلثمايه واثنين وسبعين سنة
وان الذي انتسخه في صحيفة من ذهب خرق كتابها اخرنا على ما وجده فلبش وان
تاريخه الى ان انتسخه الف وسبعمايه وخمس وثمانون سنة وكان الكتاب المنسوخ
انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فراينا ان افة نازلة من السما وخارجة من الارض
فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ما مفسدا للارض وحيوانها ونباتها
فلما تم التعين من ذلك عندنا قلنا للملك سوريد بن سلهوق مر ببنا اقبور وثنات
وقبر الملك وقبور الاهل بيته فبنى لهم الهرم الشرقي وبنى لاخيه هوجيب الهرم
الغربي وبنى لامه هوجيب الهرم المؤزر وبنيت الاقبور وثنات في اسفل مصر
واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض امور النجوم وعللها والصنعة والهندسة
والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابنا وان

لهذه

هذه الافة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في اول دقيقة من راس
السرطان وتكون الكواكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر
في اول دقيقة من راس الحمل وقرفوس (زحل) في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل
وراوس (المشتري) في الحوت في تسعة وعشرين درجة وثمانية وعشرين دقيقة وارس (المريخ) في الحوت
في تسعة وعشرين درجة وثلث دقايق وافروديطي (الزهرة) في الحوت في ثمانية وعشرين
درجة ودقايق وهرمس (عطارد) في الحوت في سبعة وعشرين ودقايق والجوزهر في الميزان
واوج القمر في الاسد في خمس درج ودقايق ثم نظروا هل يكون بعد هذه الافة كون
مضر بالعالم فاصبنا الكواكب تدل على ان افة نازلة من السما الى الارض وانها
ضد الافة الاولى وهي نار محرقة اقطار العالم ثم نظروا متى يكون هذا الكون المضر
فراينا يكون عند حلول قلب الاسد في اخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الاسد
ويكون الليوس (الشمس) معه في دقيقة واحدة متصلة بقرونس (زحل) من تثليث (القوس) الرامي ويكون
راوس المشتري في اول الاسد في اخر احتراقه ومعه ارس في دقيقة ويكون سلس (القمر)
في الدلو مقابلا للاملس ومعه الذنب في اثنين وعشرين ويكون كسوف شديد له مكث
يواري القمر ويكون هرمس في بعده الابعد امامها ثقيلين اما افروديطي فللاستقامة
واما هرمس فللرجعة قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه عن هاتين الافتين
قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثي سلس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا
استتم ادواره تحللت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم واي يوم فيه انحلال
الفلك قالوا اليوم الثاني من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس فلما مات
الملك سوريد بن دفن في الهرم الشرقي ودفن هوجيب في الهرم الغربي ودفن كورس
في الهرم الذي اسفله من حجارة اسوان واعلاه كذان ولهذه الاهرام ابواب في ازاج
تحت الارض طول كل ازج مائة وخمسون ذراعا فاما باب الهرم الشرقي فمن الناحية
البحرية واما باب ازج الهرم الغربي فمن الناحية الغربية واما باب ازج الهرم المؤزر
فمن الناحية القبلية وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف وان
مترجم هذا الكتاب من القبطي الى العربي اجمل التاريخات الى اول يوم من توت وهو
يوم الاحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومايتين من سني العرب فبلغنا ربعه

الاف وثلثمايه واحدى وعشرين سنه لسني الشمس ثم ننظر كم مضى للطوفان الى يومه
هذا فوجده الف وسبعمايه واحدي واربعين سنه وتسعه وخمسين يوما وثلاث عشره
ساعه واربعه اخماس ساعة وتسعه وخمسين جزا من اربعمايه جزو من ساعه فالقاها
من الجمله فبقي معه ثلثمايه وتسع وتسعون سنه ومايتان وخمسه ايام وعشر ساعات
واحدى وعشرون جزا من اربعمايه جز من ساعه فعلم ان هذا الكتاب المورخ كتب
قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسر من الساعه واما الهرم
الذي بدير ابي هرميس فانه قبر قوماس وكان فارس اهل مصر وكان يعد بالف فارس
فاذا لقيهم لم يقوموا له وانهزموا وانه مات فجزع عليه الملك جزعا بلغ منه واكتابت
لموته الرعيه فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذي
بني به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا
بالفيوم وليس ينفد ويشبه له شبه من الطين واما قبر الملك صاحب قرياس هذا
فانه الهرم الكبير من الاهرام التي في بحري دير ابي هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب
فيه بالازورد يكون اللوح ذراعين في ذراع وكله مملوكه بامثل كتاب البرابي الى باب
الهرم يصعد اليه بدرج بعضها صحيح لم ينخرم وفي هذا الهرم ذخاير صاحبه من الذهب
وحجارة الزمرد وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه راه بين وقال
ابن عفير عن اشياخه ان جنادين مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح عليه السلام ملك الاسكندريه وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ
ثلثمايه سنه وهو الذي سار وبنى الاهرام وزبر فيها انا جناد بن مياد بن شمر
ابن شداد الشاد بذراعه الواد المونذ الاوتاد الجامع الصخر في البلاد المجيد الاجياد
الناصب العماد المكتد المكتاد بجهامه اسم يشبه جاد اسه ذلك اذا عسى بلد البلاد
سبعه ملوك اجناس السواد تاريخ هذا الزبر الف سنه واربعمايه سنه عداد وقال
ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان شداد بن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين
ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفه في الاهرام ولا خبرا اثبت وقال
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما احسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعد
الطوفان لكان علمها عند الناس وقال عبد الله بن شبرمه الجهني لما نزلت العمالقة ارض

مصر

مصر حين اخرجتها جرهم من مكه بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنت فيها العجايب
ولم تزل بمصر حتى اخرجها ملك بن ذعر الخزاعي وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام
الى المغرب اربعمايه مدينه سوى القرى من مصر الى المغرب في غربي الاهرام وقال
ابن عفير لم تزل مشايخ مصر يقولون الاهرام بناها شداد وهو الذي بنى المغار وجند
الاجناد فالمغار والاجناد هي الدفاين وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم
دفن معه ماله كاينا ما كان وان كان صانعا دفن معه الته وكانت الصابيه
تحج الى الاهرام وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الاثار الباقيه عن القرون الخاليه
والفرس والمجوس تنكر الطوفان واقر به في بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام
والمغرب منه شي في زمان طهمورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان
ولم يبلغ ممالك المشرق وان اهل المغرب لما انذر به حكماوهم بنوا ابنيه كالهرمين
بمصر ليدخلوها عند الافه وان اثار ما الطوفان وتاثيرات الامواج كانت بينه على
انصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال انه لما نضب ما الطوفان لم يوجد
تحت الماء ابنيه سوى بها وند وحدت كما هي واهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها
هرمس الاول الذي يسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته
على ان سينزل بالارض افه وانه سيبقى بقيه من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى
هو واهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها وقال ابو الصلت الاندلسي
في رسالته وقد ذكر اخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طايفه
من ذوي المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسه والنجوم ويدل على ذلك ما
خلفوه من الصنايع البديعه المعجزه كالاهرام والبرابي فانها من الاثار التي حيرت
الاذهان الثاقبه واستعجزت الافكار الراجحه وتركتها شغلا بالتعجب منها
والتفكر فيها وفي مثلها يقول ابو العلا احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي
بها اباه   تضل العقول الهبرزيات رشدها   ولا يسلم الراي القويم من الافن
وقد كان ارباب الفصاحه كلما   راوا حسنا عدوه من صنعة الجن
واي شي اعجب واغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدره على
بنا جسم من اعظم الحجارة مربع القاعده مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثماية ذراع

وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول
كل ضلع منها اربعمائة ذراع وستون وهو مع هذا العظم من احكام الصنعة
واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم تؤثر فيه الى الان عصف الرياح وهطل
السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط
من الجانب الغربي على ما شاهدناه منهما وقد ذكرت عجايب مصر وما على وجه الارض
شي الا وانا ارثي له من الليل والنهار الا الهرمان فاني ارثي لليل والنهار منهما
وهذان الهرمان لهما اشراف على ارض مصر واطلال على بطايحها واصعاد في
جوها وهما اللذان اراد ابو الطيب المتنبي بقوله

اين الذي الهرمان من بنيانه　　من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الاثار عن سكانها　　حينا ويدركها الفنا فتتبع

واتفق يوما ان خرجنا اليهما فلما طفنا واستدرنا حولهما كثر تعجبنا منهما فقال
بعضنا　بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا　　على طول ما ابصرت من هرمي مصر
انافا باعنان السما واشرفا　　على الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا　　كانهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام اثروا ان يتميزوا بها على ساير الملوك
بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا ان يبقى ذكرهم بسببها على تطاول
الدهور وتراخي العصور ولما وصل الخليفة المامون الى مصر امر بنقبها فنقب
احد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعنا طويل فوجدوا داخله
مراقي ومهاوي يهول امرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في اعلاه بيتا مكعبا
طول كل ضلع من اضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما
كشف غطاه لم يجد فيه غير رمة بالية قد اتت عليها العصور الخالية فعند ذلك
امر المامون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة
والمؤونة شديدة ومن الناس من زعم ان هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة
والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان
ابن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من

احوال

احوال الكواكب على كون الطوفان فامر ببنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحايف
العلوم وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها
ويقال ان الذي بناها ملك يقال له سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال اخرون
ان الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرؤيا راها والقبط تنكر
دخول العمالقة بلد مصر ويحكون ان بانيها سوريد لرؤيا راها وهي ان افة تنزل من
السما وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة اشهر وغشاهما بالديباج الملون
وكتب عليهما قد بنيناهما في ستة اشهر قل لمن ياتي من بعدنا يهدمهما في ستمائة سنة
فالهدم ايسر من البنيان وكسوناهما الديباج الملون فليكسهما حصرا فالحصر
اهون من الديباج ورايت سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من اعلاها
الى اسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيها لا يعرف اليوم احرفها ولا
تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف بها والاغراق في العبارة
عنها وعن صفة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان
تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امرا لامرئ　　فلا تغل في وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنون　　فيه الى الغرض الابعد
فيصغر من حيث عظمته　　لفضل المغيب على المشهد　انتهى

ويقال ان المامون امر من صعد الهرم الكبير وادلى حبلا طوله الف ذراع بالذراع
الملكي وهو ذراع وخمسان وتربيعه اربعمائة ذراع في مثلها وكان صعوده في
ثلاث ساعات من النهار رواية ووجد مقدار راس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال
ويقال انه وجد على الشخص المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى
سلوكها من الذهب وان تحت الطلا الذي عليه قد رسم من مر وصبر ويقال
انه وجد في موضع من هذا الهرم ايوان في صدره ثلاثة ابواب على ثلاثة بيوت
طول كل باب منها عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع من رخام منحوت محكم الهندام
وعلى صفحاته خط ازرق لم يحسنوا قراءته وانهم اقاموا ثلاثة ايام يعملون الحيلة
في فتح هذه الابواب الى ان راوا امامها على عشرة اذرع منها ثلاثة اعمدة قايمة

من مرمر وفي كل عمود حرق في طوله وفي صورة اخرى صورة طاير ففي الاول من هذه العمد صورة حمام من حجر اخضر وفي الاوسط صورة بازي من حجر اصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر احمر فحركوا البازي فتحرك الباب الذي في مقابلته فرفعوا البازي قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الاخرين فارتفع البابان الاخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاث سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلل وعند راسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الاخر عدة رفوف من حجارة عليها اسفاط من حجارة فيها اواني من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة باصناف الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها اسفاط من حجارة فيها لامة الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة اشبار وطول كل درع من تلك الدروع اثني عشر شبرا ومدخل في البيضة راسان من روس الناس فامر المامون ان لا يتعرض للاموات وحمل ما وجد في البيوت وامر فحطت التماثيل التي في العمد فانطبقت الابواب كما كانت ويقال كانت عدة الاهرام امام ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة فسطاط مصر ثلاثة اكبرها دوره الف ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المامون وجد فيه لما فتحه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو مملو بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عربي وكان انا عمرنا هذا الهرم في الفيوم والحنا لمن يهدمه في الفيوم والهدم اسهل من العمارة وكسوناه جميعه الديباج والحنا لمن يكسوه بالحصر والحصر ايسر من الديباج وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فامر المامون ان يحسب ما صرف على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص ويقال انه وجد فيه صورة ادمي من حجر اخضر كالدهنج قد اطبق كالدواة ففتح واذا فيه جسد انسان عليه درع من ذهب مرصع بياقوت احمر في قدر بيضة الدجاجة فاخذه المامون وقال هذا اخذ من خراج الدنيا وذكر بعض مورخي مصر ان هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل ملقا عند دار الملك بمدينة

مصر

مصر الى سنة احدى عشرة وخمسمائة من سني الهجرة وكان عند مدينة فرعون هوماين وعند ميدوم هرم وهو اخرها وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سني الهجرة ظهر بقرية بوصير من ناحية الجيزة بيت هرمس فتحه القاضي ابن الشهرزوري واخذ منه اشيا من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج واصنام من نحاس وقال ابن خردادبه ومن عجيب البنيان الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما اربعمائة ذراع وكلما ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول اربعمائة ذراع في عرض اربعمائة ذراع مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما اني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فان الهدم ايسر من البنا فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما وقال في كتاب عجايب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها نظير من مثال يطمح الناظر للديار المصرية بهذين ويحسبهما المتامل ان مكارم اهلها قد اعدتهما للتكرم ابلوحين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجايبهما تظن انه حديث خرافة وقد اكثر الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة على سمت مصر القديمة وتمد نحو من مسافة ثلاثة ايام وفي بوصير منها شي كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطواشي بها الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر في الجيزة وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة قلتها واما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة في خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو المشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض واما الثالث فينقص عنهما نحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يوثر فيه الحديد الا في الزمان الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا ابتليه وافردته بالنظر هالك مراه وحسر الناظر في تامله وقد سلك في بنا الاهرام

طرز عجيب من الشكل والإتقان ولذلك صبرت على ممر الأيام بل على ممر الأزمان فإنك
إذا تأملتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد
أفرغت عليها مجهودها والأنفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات
الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلاً هي غاية إمكانها حتى إنها تكاد تحدث عن
قومها وتخبر عن سيرتهم بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم وتترجم عن سيرهم وأخبارهم
وذلك أن وضعها على شكل مخروط ويبتدئ من قاعدة مربعة وينتهي إلى نقطة ومن
خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته
ويتحامل بعضه على بعض وليس له جهة أخرى يتساقط عليها ومن عجيب وضعه أنه
شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الأربع فإن الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها
الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين
أربعمائة ذراع بالذراع السوداء وسطح المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشرة أذرع
في مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى سهماً في قطر أحدهما وفي سمكه فسقط السهم
دون نصف المسافة وذكر أن ذرع سطحها أحد عشر ذراعاً بذراع اليد وفي أحد هذين
الهرمين مدخل يلجه الناس يفضي بهم إلى مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار
ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلجه فإن أناساً كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه
فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا إلى ما يعجزون عن سلوكه فأما المسلوك فيه
المطروق كثيراً فزلاقة تفضي إلى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر
وهذا المدخل ليس هو الباب في أصل البناء وإنما هو منقوب نقباً صودف اتفاقاً
وذكر أن المأمون فتحه وحكى من دخله وصعد إلى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا حدثوا
بعظيم ما شاهدوه وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها وتعظم فيه حتى تكون قدر
الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضوء
بحجارة جافية يكون طول الحجر منها من عشرة أذرع إلى عشرين ذراعاً وسمكه ذراعان
إلى ثلاثة أذرع وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام
ليس في الإمكان أصح منه بحيث لا تجد بينها مدخل إبرة ولا خلل شعرة وبينها طين
كأنه الورقة لا يدرى ما هو ولا صنعه وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول

الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جداً حتى لو نقل
ما عليها فقط إلى صحف لكانت تكون قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت في بعض كتب الصابئة
القديمة أن أحد هذين الهرمين قبر أغاذيمون والآخر قبر هرمس ويزعمون أنهما نبيان
عظيمان وأن أغاذيمون أقدم وأعظم وأنه كان يحج إليهما ويهدى إليهما من أقطار البلاد
وكان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه
سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر فأخرج إليه النقابين
والحجارين وجماعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه فخيموا عنده وحشروا
الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم
يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق
يدفعونه بالأسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والأشطان فإذا سقط
سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الأرض ويغوص
في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه الأسافين بعد ما ينقبون
لها موضعاً ويثبتونها فيه فيتقطع قطعاً ويسحب كل قطعة على العجل حتى تلقى في
ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال ثواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم
ووهنت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغيته بل شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل
وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ومع ذلك فإن الرائي لحجارة الهدم يظن
أن قد استؤصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب
منه وحين ما شوهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر سئل مقدم الحجارين
فقيل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً إلى مكانه وهندامه
هل كان يمكنكم فأقسم بالله تعالى أنهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك وبإزاء
الأهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار لعل الفارس يدخلها برمحه
ويتخللها يوماً أجمع ولا ينتهي لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها
مقاطع حجارة الأهرام وأما مقاطع حجارة الأهرام الصوان الأحمر فيقال إنها
بالقلزم وبأسوان وعند هذه الأهرام آثار أبنية جبابرة ومغاير كثيرة متقنة
وقلما ترى من ذلك شيئاً إلا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول انتهى

ولله در الفقيه عمارة اليمني حيث يقول

خليلي ما تحت السماء بنية   تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما   على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها   ولم يتنزه في المراد بها فكري

وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في ذي الحجه سنه تسع وثمانين وثلثمايه

انظر الى الهرمين اذ برزا   للعين في علو وفي صعد
وكانما الارض العريضه اذ   ظمئت لطول الحران الكبد
حسرت على الثديين بارزة   تدعو الاله لفرقة الولد
فاجابها بالنيل مشبعها   ريا وشفاها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها   خير الانام بقومها الا و د

وقال سيف الدين بن جباره

لله اي غريبة وعجيبة   في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها   ونضت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة   من غير ما عمد ولا اطناب
مثل العرايس حرد والنوابع   عنهم ولم ينطق من الاعجاب

وقال اخر
انظر الى الهرمين واسمع منهما   ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سر الليالي منهما   نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذي   فعل الزمان باول وباخر
واذا هما بدر العيني ناظر   وصفا له اذ في جواد عابر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي

الست ترى الاهرام دام بناها   وبقى لدينا العالم الانس والجن
كان الرحا الافلاك اكوارها   على قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقال
قد كان للماضين من سكان مصرهم   والفضل عنهم فضله والعلم فيهم علمهم
ثم انقضت اعلامهم وعلمهم واحتظوا   وانظر ترا ها طاهرا بادي عليها الهرم

وقال
خليلي لا باق على الحدثان من   الاول الباقي فحدث ثاني

الى هرمي مصر تناهت قوى الورى   وقد هرمت في دهرها الهرمان
فلا تعجبا ان قد هرمت فانما   زماني بفقدان الشباب رماني
وعوجا بقرطاجنه فانظرا بها   حنايا العادين تحسبان
وايوان كسرى فانظراه فانه   تحركها الصدق كل اوان
فلا تحسبا ان الفنا تخطى   الاكلها تحت البسيطه فاني

وجدت بخط الشيخ بها الدين احمد بن يحيى بن ابي حجله التلمساني انشدني القاضي محي الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنه خمس وخمسين وسبعمايه واجاد ما شا

ام باني الاهرام كم من واعظ   صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرتني قولا تقادم عهده   اين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد ان   تمتد فوق الافق عن كروانه
لو ان كسرى جالس في سفحها   لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده   مددا ولم تاسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عند هبوبها   والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة   فبنى الاهرام من اوثانه
او قايل بعضي يرجع نفسه   من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها للنوره والجسم   قبر امن من اذى طوفانه
او انها للسايرات مراصد   يختار راصدها اعز مكانه
او انها وضعت بيوت كواكب   احكام فرس الدهر او يونانه
او انهم نقشوا على حيطانها   علما يحار الفكر في تبيانه
في قلب رايها لبعلم نفسها   فلكم يعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له ابو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف ابو الاسلهيب ويقول اهل مصر اليوم ابو الهول قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى راسه فقط تسميه العامة ابي الهول ويقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على بلد الجيزه وقال في كتاب عجايب البنيان وعند

الاهرام راس وعنق بارزه من الارض في غايه العظم تسميه الناس ابا الهول ويزعمون
ان جثته مدفونه تحت الارض ومقتضى القياس بالنسبه الى راسه ان يكون طوله
سبعين ذراع فصاعدا وفي وجهه حمره ودهان يلمع عليه رونق الطراوه وهو
حسن الصوره مقبولها عليه مسحه بها وجمال كانه يضحك تبسما وسئل بعض الفضلا
عن عجيب ما راى فقال تناسب وجه ابي الهول فان اعضا وجهه كالانف والعين
والاذن متناسبه كما تصنع الطبيعه الصور متناسبه فان انف الطفل مثلا
يناسبه وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان يشوهها وكذلك
انف الرجل لو كان للصبي لتشوهت صورته وعلى هذا ساير الاعضا فكل عضو
ينبغي ان يكون على مقدار ما هيته بالقياس الى تلك الصوره وعلى نسبتها والعجب
من مصور كيف قدر ان يحفظ التناسب للاعضا مع عظمها وانه ليس في اعمال
الطبيعه ما يحاكيه ويقابله في بر مصر قريب من دار الملك صنم عظيم الخلقه والهيئه
متناسب الاعضا كما وصف وفي حجره مولود وعلى راسها ماجور الجميع صوان
مانع ويزعم الناس انه امراه وانها سريه ابي الهول المذكور ولها يدرب منسوب
اليها ويقال لو وضع على راس ابي الهول خيط ومد الى سريه ابي الهول لكان على
راسها مستقيما ويقال ان ابا الهول طلسم الرمل يمنعه عن النيل وان السريه
طلسم الماء يمنعه عن مصر وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع اوله
باول السوق الكبير تجاه درب عمار ويعرف الصنم بسريه فرعون وذكر انه طلسم
النيل لئلا يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان ظهر
بلهيب الى الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبل المشرق وقد نزل
في سنه احدى عشره وسبعمايه امير يعرف بيلاط في نفر من الحجارين والقطاعين
وكسروا الصنم المعروف بالسريه وقطعوا اعضاها وكسروا الصنم المعروف بالسريه
وقواعدها طنا ان يكون تحته مال فلم يوجد سوى اعتاب من حجر عظيم فحفر تحتها
الى الما فلم يوجد شي وجعل من حجره قواعد تحت اسيه للعمد الصوان التي بالجامع
المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصري وازيل عين هذا الصنم
من مكانه والله اعلم وفي زمننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صايم الدهر من جمله

صوفيه الخانقاه الصلاحيه سعيد السعدا قام في نحو من سنه ثمانين وسبعمايه يغير
اشيا من المنكر وسار الى الاهرام وشوه وجه ابي الهول وشعثه وهو على ذلك الى
اليوم ومن حينيذ غلب الرمل على اراضي كثيره بالجيزه واهل تلك النواحي يرون ان
سبب غلبه الرمل على الاراضي فساد وجه ابي الهول ولله عاقبه الامور
وما احسن قول ظافر الحداد

تامل حله الاهرام واعجب … وعندهما ابو الهول العجيب
وما النيل تحتهما دموع … وصوت الريح عندهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب … تخلف فهو محزون كييب

ويقال ان اتريب بن قبطيم بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح اوصى اخاه صا عند موته
ان يحمله في سفينه ويدفنه بجزيره في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير ان
يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من
حربهم خمس سنين مضى بهم حتى اوقفهم على قبر اتريب فحفروه فلم يجدوا به شيا
وقد نقلته الشياطين الى موضع ابي الهول ودفنته هناك بجانب قبر ابيه وجده
بيصر فازدادوا له تهمه وعادوا الى مدينه منف واجتربوا فاتاهم ابليس فدلهم
على قبر اتريب حيث نقله فاخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان
على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه ثم عبدوا من الاصنام وقتلوا صا
ودفنوه على شاطي النيل فكان النيل اذا زاد لا يعلو قبره فافتتن به طايفه
وقالوا قد قتل صا ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما سجدوا لملك اتريب فعمد
اخرون الى الحجر فنحتوه على صوره اشمومر وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين
وجعلوا يسجدون له فصار اهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابيه تعظم
ابا الهول ويقربون له الديكه البيض ويبخرونه بالصندروس

ذكر الجبال

اعلم ان ارض مصر باسرها محصوره بين جبلين اخذين من الجنوب الى الشمال
قليلي الارتفاع واحدهما اعظم من الاخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقي
المعروف بجبل لوقا والغربي جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافه

بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها واوسع ما يكون باسفل ارض مصر وهذان
الجبلان اقرعان لا ينبت فيهما النبات كما يكون في جبال البلدان الاخر وعلو ذلك
انهما بورقيان مالحان لان قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبة الموافقة في التكوين
ولان قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الابار فيهما مالحة
وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما فان ارض مصر يابسة الطبع قليلة الامطار
وجبل لوقا في مشرق ارض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذه الريح ويعوق
ايضا اشراق الشمس على ارض مصر اذا كانت على الافق وتتعدد اسماء هذين الجبلين
بحسب مواضعهما من الاقليم فيطل على الفسطاط والقاهرة الجبل المقطم

ذكر الجبل المقطم

اعلم ان جبل المقطم اوله بالمشرق
من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى ياتي فرغانة الى جبال البتم الممتد
بها نهر الصغد الى ان يصل الجبل الى جيحون فيقطع ويمضي في وسطه بين شعبتين
منه وكانه قطع ثم في وسطه ويستمر الجبل الى الجوزجان ويأخذ على الطالقان
الى اعمال مرو والروذ الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال اصبهان
ويستمر الى ان يصل الى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور
فيمر على سائر دجلة ويتصل بجبل الجودي موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان
ولا يزال هذا الجبل مستمرا من اعمال آمد وميافارقين حتى يمر بثغور حلب فيسمى
هناك جبل اللكام الى ان يعدي الثغور فيسمى بهرا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم
يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى
المقطم ثم يتشعب ويتصل اواخر شعبة منها بالمغرب ويقال انه عرف بمقطم بن
مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وجبل المقطم يمر على جانبي النيل الى النوبة
ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالمغرب الى ارض نفزاوة ويمضي مغربا الى سجلماسة
ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر وقال ابراهيم بن وصيف شاه
وذكر مجيء مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح الى ارض مصر وكشف اصحاب افليمون
الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التي هي بخط البرابي واثاروا لهم المعادن من
الذهب والزبرجد والفيروزج والاسبادشم وغير ذلك ووصفوا لهم عمل

الصنعة

الصنعة يعني الكيمياء فجعل مصرايم امرها الى رجل من اهل بيته يقال له مقطام
الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقيل له جبل المقطم
يعني جبل مقطام الحكيم وقال البكري المقطم بضم اوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء
المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاعي المقطم ذكر ابو
عبد الله اليمني ان هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بيصر وكان عبدا صالحا فانفرد
بعبادة الله عز وجل فيه فسمي الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف لمصر ولد اسمه
المقطم والذي ذكره العلماء ان المقطم ماخوذ من القطم وهو القطع فكانه لما كان
منقطع الشجر والنبات سمي مقطما ذكر ذلك علي بن الحسن الهنائي الدوسي المنبوز
بكراع وغيره وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد قال سال
المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار وفي نسخة
بعشرين الف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال اكتب بذلك الى امير المومنين
فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به
ما اعطاك وهي لا تزدرع ولا يستنبط بها ماء فسأله فقال انا لنجد صفتها في
الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة
الا المومنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء فكان اول من قبر
فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو وما ذلك وما
على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم وذكر عمر بن ابي عمر الكندي
في كتاب فضائل مصر ان عمرو بن العاص سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس
فقال له ما بال جبلكم هذا اقرع ليس عليه نبات كجبال الشام فلو شققنا في اسفله
نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا في الكتب انه كان اكثر
الجبال اشجارا ونبتا وفاكهة وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح
عليه السلام فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الى الجبال
اني مكلم نبيا من انبيائي على جبل منكم فسمت الجبال كلها وتشامخت الا جبل بيت
المقدس فانه هبط وتصاغر فاوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به اخبر فقال
اعظاما واجلالا لك يا رب فامر الله سبحانه الجبال ان يحبوه كل جبل بـ

عليه من النبت وجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما ترى فاوحى الله اليه اني معوضك
على فعلك بشجر الجنة او غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب اني لا اعلم شجر الجنة غير المسلمين فاجعله لهم
مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمرو ما على هذا صالحتني فقطع له
عمرو قطيعا نحو الحبش يدفن فيه النصارى قال وروى ان موسى عليه السلام سجد
وسجدت معه كل شجرة من المقطم الى طرا وروى انه مكتوب في التوراة واد اذا فتح مقدس
يريد وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة وان موسى عليه السلام
كان يناجي ربه بذلك الوادي ~~وروي انه مكتوب في التوراة~~ وان اسد بن موسى قال
شهدت جنازة مع ابن لهيعة فجلسنا حوله فرفع راسه فنظر الى الجبل فقال ان
عيسى بن مريم عليه السلام مر بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد
وسطه بشريط وامه الى جانبه فالتفت اليها وقال يا امه هذه مقبرة امة
محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس ان كعب
الاحبار سال رجلا يريد الى مصر فقال له اهد لي تربة من سفح مقطمها فاتاه منه
بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة امر به فجعل في لحده تحت جنبه وروى عن كعب
انه سئل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى اليحموم وقال ابن لهيعة
والمقطم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك فمن اليحموم وفي هذا
الجبل نحو القاهرة شيء من البلار وهو يمتد الى اقاصي بلد السودان

ذكر الجبل الاحمر

هذا الجبل مطل على القاهرة من
شرقيها الشمالي ويعرف باليحموم قال القضاعي اليحاميم هي الجبال المعروفة
المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجبانتها وسميت هذه الجبال الى بعض
طريق الحج وقيل لها اليحاميم لاختلاف الوانها واليحموم في كلام العرب الاسود
المظلم وقال ابن عبد الحكم عن شفي بن عبيد انه لما قدم مصر واهل مصر
قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية ابي عون التي في العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم
في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم وقال ابن عبد الظاهر الجبل
الاحمر ذكر القضاعي ان اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا ارى جبلا يطل على

القاهرة

القاهرة غيره وقال البكري اليحموم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحربي اليحموم جبل
بمصر وروي من طريق ابي قبيل عن عبد الله بن عمرو انه سال كعبا عن المقطم املعون هو
قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم وذكر البكري ايضا ان عابد
بالباء الموحدة والدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع
الطولوني قال القضاعي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم وهو الذي عليه جامع
ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب اختطت عند الفتح بهذا الجبل
فعرف بجبل يشكر لذلك وقال ابن عبد الظاهر جامع ابن طولون على جبل يشكر وهو
مكان مشهور باجابة الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه
وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على البركتين
اعني البركة التي تعرف اليوم ببركة الفيل والبركة التي تعرف ببركة قارون وعلى هذا
الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور ۵

الكبش

جبل بجوار جبل يشكر كان قديما مشرفا على النيل من غربيه ثم لما
اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح ارض مصر صار الكبش من جملة خطة الحمراء
القصوى وسمي بالكبش

الشرف

اسم لثلاثة مواضع فاثنان منها فيما بين القاهرة
ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذي بظاهر القاهرة فاحدهما
عليه الان قلعة الجبل وهو من جملة جبل المقطم والاخر فيما بين الجامع الطولوني
بلغ ص
ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير وبحريه فيما الكوم الجارح وخط الجامع
الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر واما الشرف الثالث
فيعرف اليوم بالرصد وهو شرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند
ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند اي معتمد ۵

ذكر الرصد

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة
ومن قبليه على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه
سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان
من جملة العسكر والشرف الذي يعرف بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم

عرف بالرصد من اجل ان الافضل ابا القسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي اقام
فوقه كرة لرصد الكواكب وعرف من حينئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل الى
الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي من الشام تقويما ثم لما استانف من السنين
لاستقبال سنة خمسمائة من سني الهجرة قبل مائة تقويم او نحوها وكان منجمو الحضرة
يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثم وسهلون وغيرهم مطلق لهم الجاري في كل شهر والرسوم
والكسوة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم يجتهد في حسابه وما تصل قدرته
اليه فاذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينهم وبين التقويمات المحضرة
من الشام فيوجد بينهم اختلاف كثير فانكر ذلك فلما كان غرة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة
عند احضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب واهل العلم وسالهم عن السبب
في الخلف بين التقاويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل على راي الزيج الممتحن الماموني ونحن
نعمل على راي الزيج الحاكمي لقرب عهده وبين المتقدم والمتاخر تفاوت وخلف وقد
اجمع القدماء ان القريب العهد اصح من المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب
وتحدثوا في معنى ذلك بما هو مذكور في موضعه واشاروا عليه بعمل رصد مستجد يصحح
به الحساب ويخرج المعوز والتفاوت ويحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجليلة
والسمعة الشريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيره
الشيخ الاجل ابو الحسن الاجل بن ابي اسامة هذا القاضي ابن ابي العيش الطرابلسي المهندس
العالم الفاضل وكان ابن ابي العيش صهره وزوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر
كبير المال وساعده على ذلك القائد ابو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الافضل
ودعي بالمامون ابن البطائحي فاستصوب الافضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك
ويستدعي ما يحتاج اليه فكان اول ما بداه لما احضر لذلك ان مدح نفسه وكان الافضل
غيورا على كل شيء اشد ما عليه من يفتخر او يلبس شيئا مذكورا ثم قال هذه الالات
عظيمة وخطرها جسيم ولا كل احد يقدم عليها ولا يحسنها واكثر الكلام والتوسعة
وقال يحتاج الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتطيب نفسه للمباشرة
وينشرح صدره ويتقدح خاطره لما يعمل في حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد
اكثر في مدح نفسه واراده وما تعاملنا بعد لا حاجة الى معاملته فاستشار القائد

ابن البطائحي وقال هذا من بلغ الغرض باسهل ماخذ واقرب وقت واسرعه والطف
معنى ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولي خزائن السلاح والسروج والصناعات
وغير ذلك فاحضر للوقت فاتفق له من الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الالات
ومن ابتداها من الاول وذكر القدماء في ابتداء العالم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى
اخرهم شرحا مستوفا كانه يحفظه ظاهرا او يقراه من كتاب فاعجب الافضل والحاضرين
وقال له اي شيء تحتاج فقال ما احتاج كبير امر والامور سهلة كلما احتاجه في خزائن
السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والالات وكلما احتاج استدعيه اولا
اولا والنفقات واجرة الصناع سوالها عندي فاعجب به وقال يطلق له جار لنفسه
فقال انا مستخدم في عدة خدم بجواري تكفيني وانا مملوك الدولة ما احتاج الى جار واذا
بلغت الغرض وانتهت الاشغال فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد
يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليه الا مثل ما
ينفق على مسجد ومستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال هاتوا ورقة فكتب فيها
المملوك يقبل الارض وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة
باطلاق مائتي قنطار من النحاس البحر وثمانين قنطارا من النحاس القضيب الاندلسي
واربعين قنطارا من النحاس الاحمر ومن الرصاص الف قنطار ومن الحطب ومن
الحديد الفولاذ من الصناعة ما العلة يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة
مائة دينار على يد شاهد ينفق به فاذا فرغت استدعي غيرها واحتاج اختيار
موضع يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناع فيه ويباشره السلطان فيما
يتوقف عليه وما يستامر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك واراد ان يخلع عليه
فقال القائد هذا فيما بعد اذا شوهدت اعماله فخدم من اول الحال الى اخرها
ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه كان يستحي ان يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا
باجمعهم يملون طول المدة والنفقة فقتل الافضل بثاني سنة وتغيرت الاحوال
ثم انهم اختاروا للرصد مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيدا عن الحوائج فاجمعوا
على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير وكان قد انصرف على المسجد خاصة
ستة الاف دينار فحمروا في مسجد الفيلة ينقروا في الجبل مكان الصهريج الان

فعمل منه قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلثون ذراعا ولهيد سموه
وحوزوه ايلما وعمل حوله عشر هوج على كل هوجة منفاخان وفي كل هوجة احد عشر
قنطارا نحاسا واقل واكثر الجميع مائة قنطار وكسر وسموها على الهوج وطرح فيهن
النار من العصر ونفخوا الى الثانية من النهار وحضر الافضل بكره وجلس على كرسي
فلما تهيات الهوج ودارت امر الافضل بفتحهن وقد وقف على كل هوجة رجل
وامروا بفتحهن في لحظة ففتحن وسال النحاس كلما الى القالب وكان قد بقي فيه بعض
النداوه فلما استقر به النحاس بحرارته تفقع المكان الندى فلم تتم الحلقة ولما برد
وكشف عنه اذا هي تامة ما خلا المكان الندي فلم فضجر الافضل وضاق صدره
ورما الصناع بكيس فيه الف درهم بغضب وركب فلاطفه ابن قرقه وقال مثل
هذه الالة العظيمة التي ما سمع وقط بمثلها لو اعيد سبكها عشر مرات حتى يصحها
كان كثيرا فقال له الافضل اهتم في اعادتها فسبكت وصحت ولم يحضر الافضل في المرة
الثانية ففرح بصحتها وعملت ورفعت الى سطح مسجد القبلة واحضر لها جميع صناع
النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديانات وهو بركار عجيب بني في وسط الحلقة
مسطبة حجارة متقنة لرجل البركار وهو قايم مثل عروس الطاحون وفيه ساعد
مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سنديان جيد وطرف الساعد مهيا
لعدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والحروز
واقام في التصحيح فيها واخذوا ايديهن بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصناع والمهندسين
وارباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقد تحت
الحلقة اقبا وثيقة وارادوا اقامتها على سطح مسجد القبلة فلم يتهيا لهم فانهم
وجدوا المشرق الاول بروح الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي
مجاور الانطاكي المعروف ايضا بالرصد وكان الافضل بنا ما الطف من جامع القبلة
الى المسجد الجيوشي وقد احضرت الصواري الطوال العظام والسرياقات والمنجنيقات
من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض اصحاب
الركاب والجند حتى دلوه وحملوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وتاني يوم حضروا
باجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه واقاموا الحلقة وجعلوا تحت اكنافها عمودين

من رخام سبكوهما بالرصاص من اسفلها واعلاهما حتى لا يرتخي الثقل النحاس وجعل في
الوسط عمود رخام وباعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكبير لتدور عليه
العضادة وعملت من نحاس فلما رست ولا دارت عملوها من خشب ساج وقطعهن
واطرافهن من نحاس صفايح لتخف الدوران ثم رصد وابهى الشمس بعد كلفه وكانت
الحلقة ترخي الدرجة والدقايق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق العمود الرخام
ليمسك رخوها وعلموا بعد ذلك فكانت تختلف لسنده ما كان يحرزونها بالشوابل
والعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كرسيه وهو يرعش والقايد يحمله
الى فوق ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترعش فيرصد واقدامه وفي خلال
ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمايه وقيل للافضل عن ابن
قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال الافضل لو اختصرت منهن
كان اهون فقال وحق نعمتك لو امكنني ان اعمل حلقة تكون رجلها الواحدة على
الاهرام والاخرى على التنور فعلت فكلما كبرت الالة صح التحرير ان هذا في العالم العلوي
تم اكثره واعليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهدم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشي
كان قطرها اقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فكلما كملت قتل
الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الاجرة والمون وما لا بد منه سوى نحو
مائة وستين دينارا فلما امتت الوزارة للمامون البطايحي احب ان يكملها ويقال
له الرصد المامون الصحيح كما قيل للاول الرصد المامون الممتحن فاخرج الامر بنقل الرصد
الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالحمالين والاسطولية وطوايف
الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغدا جملة دراهم فلما صار فوق العجل مصوابه
على الخندق من ورا الفتح على المساطب الى مسجد الدخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في
دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم ان يصدم فيتغير فنصبوا الصواري على
عقد باب النصر من داخل الباب ومكاثرة الرجال في جذب المناخين من اسفل
ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير الى السطح الفوقاني
واوقفوا الله العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح
الجرف فصح لهم ما ارادوا من حال الشمس فطلب اهتموا بعمل ذات حلق تكون قطرهن

خمسة اذرع وسبكت في فندق بالعطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سهلا عند ما لحقهم من العنا العظيم في الحلقة الكبيرة وفي الحلقة الوسطى وبجرد المامون لعملها والحث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر جعفر بن حسداي وابو البركات بن ابي الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المامون اطلع الي كل يوم واي شي طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده بما اطمعوه فيه من ان يقال الرصد الماموني المصحح فلو اراد الله ان يبقي المامون قليلا لكان كمل رصد جميع الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسماية وكان من جملة ما عد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل اطمعته نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد الماموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الامر باحكام الله واما العامة والعوغا فكانوا يقولون ارادوا ان يخاطبوا زحل وارادوا ان يعلموا الغيب وقالوا احبوا منهم عمل هذا السحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المامون بطل وانكر الخليفة على عمله فلم يجسر احد ان يذكره وامر فكسر وحمل الى المناخات وهرب المستخدمون ومن كان فيه وكان الحاضر فيه من المهندسين برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتاخر منهم احد الشيخ ابو جعفر بن حسداي والقاضي ابن ابي العيش والخطير ابو الحسن علي بن سليمن بن البواب والشيخ ابو المنجى بن سند الساعاتي الاسكندراني المهندس وابو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثم وابي نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقلعي وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة نهار فيحضر صاحب الديوان ابن ابي الليث وكان ابن حسداي يتاخر في بعض الايام فانه كان امرا عظيما صاحب كبريا وهيبة وفي كل يوم يبعث المامون من يتفقد الجماعة ويطالعه بمن كان منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب اخبار لا ينامون ولا يكادون يفوتهم شي من احوال الخاصة والعامة لمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد من الاعمال من يانيه بساير اخبارها انتهى وانا ادركت هذا الموضع الذي يعرف الى اليوم بالرصد حيث جامع الفيلة عامرا فيه عدة مساجد ومساكن وبه اناس مقيمون دايما وقد خرب بعد ان

وصار

وصار لا انيس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاون قد انشا فيه سواقي لنقل الما من اماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الاثار النبوية فاذا صار الما في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواقي هناك قد انشيت الى ان يصير الى القلعة ثانيا ولم يتمكن مما اراده من ذلك كما ذكر في اخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب ومازال موضع هذا الرصد متنزها لاهل مصر ويقال ان المعز لدين الله معد لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقايد جوهر اذ فاتك بنا القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلثة ايام ولياليهن لطيب هوايه ولله در القايل

مالليلة عاش صدوري بها ❊ ومات من يحسدنا بالكمد
وبت بالمعشوق في المشتهى ❊ وبات من يرقبنا بالرصد

ذكر مداين ارض مصر

قال ابن سيده مدن بالمكان اقام والمدينة الحصن يبنى في اصطمة الارض مشتق من ذلك والجمع مداين ومدن ومن هنا حكم ابو الحسن فيما حكى الفارسي عنه ان مدينة فعيلة وقال العلامة اثير الدين ابو حيان المدينة مشتقة معروفة من مدن فهي فعيلة ومن ذهب الى انها مفعلة من دان فقوله ضعيف لاجماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مداين بالهمز ولا يحفظ مداين بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها مفعلة ويقطع بانها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة واعلم ان مداين مصر كثيرة منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر واول مدينة عرف اسمها في ارض مصر مدينة امسوس وقد محى الطوفان رسمها ولها اخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وبها كان ملك القبط والفراعنة الى ان خربها بختنصر فلما قام الاسكندر ابن فلبش المقدوني بمملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى ان قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح ارض مصر واختط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى ان قدم جوهر القايد من المغرب بعساكر المعز لدين الله

اى تمم معد وملك مصر واختط القاهرة وصارت دار المملكة بمصر الى ان زالت الدولة
الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فبنى قلعة الجبل وصارت
القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا وفى ارض مصر عدة مداين للسبت دار ملك وهى
مدينة الفيوم ومدينة لاص ومدينة اهناس ومدينة البهنسى ومدينة
القيس ومدينة طحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة
سيوط ومدينة قاوه ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة
قنا ومدينة دندره ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة
ارمنت ومدينة ادفو وثغر اسوان وادركناه مدينة هذه مداين الوجه
القبلى وكان اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم اسفل
الارض يسمون البيما وفى الوجه البحرى مدينة نوب من الحوف الشرقى باسفل الارض
ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة بنو ومن قراها ناحية زنكلون
ومدينة نمى ومدينة بسطة ويعرف اليوم موضعها بتل بسطة ومدينة فربيط
ومدينة السنون ومدينة المنوف ومدينة طوه ومدينة منوف ايضا ومدينة
سخا ومدينة الاوسيه وهى دميره ومدينة تنده ومدينة الافراجون ومن جملة
قراها نشا ومدينة نقيزه ومدينة سا ومدينة سنر ابساط ومدينة سمنود
ومدينة نوسا ومدينة سنبتى ومدينة التحوم وقد غلب على كوره البجوم الرمال
والسباخ وتعرف اليوم تيها قريه ادكو على ساحل البحر بين سكندريه ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة الفرما ومدينة العريش ومدينة
صا ومدينة ترنوط ومدينة قرطسا ومدينة اخو ومدينة رشيد ومدينة مريوط
ومدينة لوبيه ومراقيه وليس بعد لوبيه ومراقيه الا ارض انطابلس وهى برقه
وفى كور القبله مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله
ومدينة مدين واكثر هذه المداين قد خرب ومنها ما له اخبار معروفه وقد
استجدت فى الاسلام بعض مداين وسياتى من اخبار ذلك ان شا الله ما يلقى وديار
مصر اليوم وجهان قبلى وبحرى جملتها خمس عشره ولايه فالوجه القبلى اكرمها
ولها تسعة اعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وعوب قوله واسوان حد

المملكة

المملكة من الجنوب وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاويه
وعمل البهنسا وعمل الفيوم وعمل الجيزه وعمل اطفيح والوجه البحرى سته اعمال
عمل البحيره وهو متصل البر بالاسكندريه وبرقه وعمل الغربيه وهى جزيره واحده
يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفيه ومنها ابيار التى تسمى
جزيره بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقيه وعمل اشموم طناح ومنها الدقهليه
والمرتاحيه وهنا موقع ثغر البرلس وثغور رشيد والمنصوره وفى هذا الوجه الاسكندريه
ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما وذكر ابو الحسن المسعودى فى كتاب اخبار
الزمان ان الكوكر وهى امه من اهل بابل ملكوا الارض وقسموا الصعيد على ثمانين
كوره وجعلوه اربعه اقسام وكان عدد مدن مصر الداخله فى كورها ثلاثين مدينه
فيها جميع العجايب والكور منها اخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن
بيصر قسم الارض بين اولاده فاعطى ولده اشمون من حد بلده الى راس البحر الى دمياط
واعطى لولده انصنا من حد انصنا الى الجنادل واعطى لولده صا من صا اسفل
الارض الى الاسكندريه واعطى لولده منوف وسط الارض السفلى منف وما
حولها واعطى لولده قفط غربى الصعيد الى الجنادل واعطى لولده اتريب شرقى
الارض الى البريه بريه فاران واعطى لبناته الثلاثه وهن الفرما وسربا … م
وبدوره بقاعا من ارض مصر محدده فيما بين اخوتهن

ذكر مدينة امسوس وعجايبها وملوكها

قال الاستاذ ابرهيم بن وصيف الكاتب فى كتاب اخبار مصر وعجايبها وكانت
مصر القديمة اسمها امسوس واول من ملك ارض مصر نقراوش يعنى نقراوش
ملك قومه الجبابره مصرايم الاولين من كابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم
عليه السلام ركب فى نيف وسبعين راكبا من بنى غرباب جبابرة كلهم يطلبون
موضعا يقطنون فيه فرارا عن بنى ابيهم عندما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا
وبغت عليهم بنو قابيل بن ادم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما راوا
سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فاقاموا فيه وبنوا الابنيه المحكمه وبنا نقراوش
مصر وسماها باسم ابيه مصرايم ثم تركها وامر ببنا مدينه سموها امسوس

وقال ابن وصيف شاه وكان قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها زوايل
ابن ادم عليه السلام فبنى الاعلام واقام الاساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن
ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنى المداين فكل علم جليل كان في ايدي المصريين
انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة فنسرها فلمون
الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة ونقراوش هو الذي بنا مدينة
امسوس وعمل بها عجايب كثيرة منها طاير يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين
وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى يهيئون لها
ومنها صنم من حجر اسود في وسط المدينة تجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة
سارق لا يقدر ان يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيوخذ
وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها سحاب يطلع وكل من استمطرها
امطرت عليه ماشا وعمل على حد البلاد اصناما من نحاس مجوفة وملاها كبريت
ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك الاصنام من
افواهها نارا احرقته وعمل فوق جبل بطرس منارا تغور بالملح وتسقي ما حوله
من المزارع ولم تزل هذه الانار حتى ازالها الطوفان ويقال انه هو الذي اصلح
مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبة جماعة
هندسوه وشقوا انهارا عظيمة منه وبنوا عليها المدن وغرسوا الغروس واحب
ان يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستوا ووقف على البحر الاسود
الزفتي وراى النيل يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج
منه الى بطايح ويقال انه هو الذي عمل التماثيل الذي هناك وعاد الى امسوس
وقسم البلاد بين اولاده فجعل لابنه الاكبر واسمه نقارس الجانب الغربي ولابنه
شور بالجانب الشرقي وبنا لابنه الاصغر واسمه مصرام مدينة برسان واسكنه
فيها واقام ملكا على مصر مايه وثمانين سنة ولما مات لطخ جسده بادوية ماسكة
وجعل في تابوت من ذهب لا يحصى وعمل له ناووس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه
كنوزا واكسيرا واواني من ذهب لا يحصى ذلك لكثرته وزبروا على الناووس تاريخ
موته واقاموا عليه طلسما يمنعه من الحشرات المفسدة نقارش

ابن نقراوش وكان كاتبه في علم الكهانة والطلسمات وهو اول من عمل بمصر هيكلا وجعل
فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره والبسه
كل السياب الفاخرة واقام لها خدامه وسدنته وخرج من امسوس مغربا حتى بلغ
البحر المحيط واقام عليه اساطين على روسها اصنام فسرح عونها في النيل
ومضى على بلاد السودان الى النيل وامر بنا حايط على جنب النيل وعمل له ابواب
يخرج منها الما وبنا في صحرا الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على اساطين بشرفات
من حجارة ملونة شفافة وفي كل مدينة عدة خزاين من الحكمة وفي احدها صنم للشمس
على صورة انسان وجسد طاير من ذهب وعيناه من جوهر اصفر وهو جالس على
سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي احدها صنم راسه راس انسان
بجسد طاير ومعه صورة امراة جالسة قد عملت من زيبق معقود ولها ذوابتان
وفي يديها مراة وعلى راسها صورة كوكب وقد رفعت المراة بيديها الى وجهها
وفي احدها مطهرة فيها سبعة الوان من سايل يرد اليها ولا يغير بعضها لون
بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس
كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعني عطارد وهو ينظر الى ما بيده بين يديه
من توستاذر على قوايم من كبريت احمر وفي وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها
صورة عقاب من زبرجد اخضر وعيناه من ياقوت اصفر وبين يديه حية زرقا
من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت راسها كانها تنفخ عليه وجعل فيها
صفة المريخ وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد اخضر وجعل فيها
عمودا من جوهر اخضر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها
قبة من اذرك على اربعة اعمدة من جزع ازرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر
متحاذيين في صورة رجل وامراة متحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت احمر فيها
صورة الزهرة على هيئة امراة ممسكة بظفايرها وتحتها رجل من زبرجد اخضر
في يده كتاب فيه علم من علومهم كانه يقراه عليها وجعل في بقية الخزاين من
كنوز الاموال والجواهر والحلي واكسير الصنعة وصنوف الادوية والسموم
القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طلسما يمنع من دخولها وانفذ

لها سراديب تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول كل سرب ثلثه اميال وبنا
ايضا مدينه بارض مصر اسمها صالحه وعمل فيها جنه صنع حيطانها بالجواهر الملونه
وبالذهب وغرس فيها اصناف الاشجار واجرى تحتها الانهار وغرس فيها شجره
مولده تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبه من رخام احمر على راسها صنم يدور مع الشمس
ووكل بها شياطين اذا خرج احد من بيته في الليل هلك واقام بها اساطين زبر عليها
جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينه سراديب
تتصل بسراديب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينه عشرون
ميلا فلم تزل هذه المداين حتى افسدها الطوفان ولما مات بعد مايه وتسع سنين
من ملكه على مصر عمل في ناوس مطلسم ودفن فيه وملك بعده اخوه
ابن نقراوش الجبار مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس
من مرمر مموه بذهب احمر في وسطه قرص من جوهر ازرق عليه صوره الشمس
من ذهب احمر وعلى راسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضي اكثر من السراج
ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعه نصب
عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل خطها من نحاس وزبر عليه
انا مصرايم الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقه
واقمت الصور الناطقه ونصبت الاعلام الهايله على البحار السايله ليعلم من بعدي
انه لا يملك احد ملكي ثم عاد الى امسوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنه
واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن ادم وكان كاهنا ساحرا فلما
مضت المده احب اهل مصر ان يروه فجمعهم عيقام بعدما اعلم مصرايم فظهر لهم في
اعلا مجلس مزين باصناف الزينه في صوره هايله ملات قلوبهم رعبا فخروا
له ساجدين ودعوا له ثم احضر لهم الطعام فاكلوا وشربوا وامرهم بالرجوع
الى مواضعهم ولم يروه بعدها ثم هلك وملك بعده خليفته عيقام وقد حكى عنه اهل
مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال ان ادريس عليه السلام رفع في ايامه
وانه راى في علمه كون الطوفان فاستخلف خط الاسلوا فقصر في سفح جبل القمر من نحاس
وجعل فيه خمسه وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ما النيل من حلوقها وتنصب في بطحا

تلك الى القصر وسار اليه من امسوس فشاهد حكمه بنيانه وزخرفه حيطانه وما
فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان قصرا يسرج فيه المصابيح وتنصب
فيه الموايد وعليها من كل الاطعمه الفاخره في الاواني النفيسه ما لو اكل منها عسكر
لما نقصت ذره ولا يعرف من عملها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركه من ما
جامد الظاهر وترى حركته من ورا جمده فاعجبه ما راى وعاد الى امسوس
واستخلف ابنه عرباق وقلده الملك واوصاه وعاد الى ذلك القصر واقام به حتى
هلك والى عيقام هذا ينتمي مصحف القبط الذي فيه تواريخهم وجميع ما يجري في اخر
الدهر فقام من بعده ابنه عرباق فعمل اعمالا عجيبه منها شجره صفرا لها
اغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها اخذته تلك الخطاطيف ولا
تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كذان اسود سماه عبد
زحل كانوا يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى
ينصف من نفسه ولو اقام سنه ومن كانت له حاجه قام ليلا ونظر الى الكوكب وتضرع
وذكر اسم عرباق فاذا اصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجره من حديد ذات اغصان
ولطخها بدوا مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها
حتى يتمكن من صيدها وكان اذا غضب على اهل اقليم سلط عليهم الوحوش والسباع
ونارا تحرق ما لهم من الاملاك ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وانه
ساحره عظيمه واغتصب النسا الحسان واسكنهن فيها فعملت عليه امراه منهن
وسمته فهلك وملك بعده لوجيم بن نقراوش ويقال له بل هوش بن نقراوش
الجبار ويعرف بلوجيم الغني وهو الذي اخذ الملك من عرباق بن عيقام الكاهن
ورده لبني نقراوش بعدما اخرج عنهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانه
والطلسمات فعمل اعمالا عجيبه منها ان الغداف والغراب كثر في ايامه واتلف
الزرع فعمل اربع منارات في جوانب مدينه امسوس الاربعه وعلى كل مناره صوره
غراب في فمه حيه فقد النوت عليه ونفرت عنهم الطيور المضره من جسده ولم تقربهم
حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيره منصفا للرعيه عادلا مقربا
للكهنه ولما مات دفن في ناووس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم لمنعه وملك

بعده حصلم وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل اعمالا عجيبه وهو اول من عمل مقياسا
لزيادة ما النيل بان جمع ارباب العلوم والهندسه فقدروا بيتا من رخام على حافه
النيل وفي وسطه بركه صغيره من نحاس فيها ما موزون وعليها من جانبيها عقابان
من نحاس احدهما ذكر والاخر انثى فاذا كان اول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا
البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصفر احد العقابين
فان صفر الذكر كان الما تاما وان صفرت الانثى كان الما ناقصا فيستعدون
عند ذلك لغلا الاسعار بما يصلحون به شانهم وهو الذي بنى القنطره ببلاد النوبه
على النيل ولما مات عمل له ناووس وجعل معه كنوزه وعليه طلسم وملك بعده ابنه
هوصال ويقال هرصال ومعناه خادم الزهره ويقال سوصال بن
لوجيم الملك المغرا ووثني من بني نقراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد
في ايامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجايب منها انه بنى
مدينه وعمل في وسطها صنم للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل
سربا تحت النيل يشق الارض وخرج منه مستكرا حتى بلغ مدينه بابل وكشف اعمال
الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه وولد له عشرون ولدا فجعل مع كل واحد
منهم قاطر وهو راس الكهنة واقام في الملك مايه وسبع عشره سنه لم يزل الهياكل
واقام اولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي اعطاه اياه ابوه مدة سبع سنين بعد
على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه بردشال وقيل تدرسان فلما ملك بغى جميع احتمعوا
اخوته الى المداين الداخله في الغرب واقتصر على امراة من بنات عمه وكانت ساحره
وعمل له قصرا من خشب منقوش فيه صور الكواكب وبسطه باحسن الفرش وحمله على
الما وصار يجلس فيه فبينما هو فيه ذات يوم اذ هبت ريح شديده فاضطرب منها
الما فانقلب القصر وتكسر وغرق هو ومن كان معه في القصر وملك بعده اخوه نمرود
الجبار ويقال سمرود بن هوصال فاحسن السيره وانصف الرعيه وبسط العدل
وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز اخيهم فسر الناس به وطلب امراة اخيه الساحره ففرت
منه الى مدينه ببلاد الصعيد وامتنعت عليه بسحرها واقامت مدة فاجتمع السحره
اليها وكان اسمه توميدون وحملوه على طلب الملك فسار وخرج اليه سمرود اخوه

فاسلوا

فاستلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله وملك من بعده فقام توميدون
ابن تدرسان بالملك في مدينه اسوس وكان عالما فاضلا يقوى بسحر امه وعملت له
اعمالا عجيبه منها قبه من زجاج على هيئة الكره تدور بدوران الفلك وصورت فيها
صور الكواكب فكانوا يعرفون بها اسرار الطبايع وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحره
بعد ستين سنه من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه النتن والحشرات ودفن تحت صنم القمر
ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح ويخبرهم بعجايب
ويجيب عما يسال عنه ولما مات توميدون بعد ماية سنه من ملكه عمل له صورة من
زجاج مسمومة بنصفين وادخل فيها بعد ما طلي بالادويه المانعه من النتن واطبقت
الصوره عليه حتى التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في
كل سنه عيد وملك بعده ابنه شرياق ويقال فيه سرياق وكان كاتبه في علم الكهانه
والسحر والطلسمات فعمل اعمالا عجيبه منها على باب مدينه اسوس هيئة بط من نحاس
قايمه على اسطوانه اذا دخل غريب من ناحيه من النواحي صفقت بجناحيها وصرخت
فيوخذ ذلك الغريب ويكشف امره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا الى مداين
الغرب وبنى عليه اعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بني مراش بن ادم ويقال
من بني صوا بن ادم خرج من ناحيه العراق في ايامه وغلب على بلاد الشام وقصد
مصر لياخذ ملكها فقيل له انك لا تقدر عليها لسحر اهلها فتنكر ودخل في جماعه
من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى اول حد مصر حبسه الموكلون بذلك
الحد هو ومن معه حتى يامر الملك فيهم بامره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد راى في
منامه كانه على منار عال وكان طايرا عظيما انقض عليه ليختطفه فحاد عنه حتى
كاد يسقط من المنار فجاوزه الطاير وسلم منه فاتته مدعورا وقص رؤياه على كبير
الكهنه فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك وينظر في نجومه فراى الملك الذي يطلب
ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين
وصلوا الى حد مصر فامر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجايب مصر كلها ليروها
فاوثقوهم وساروا بهم واوقفوهم على عجايب ارض مصر وما فيها من الطلسمات حتى
بلغوا الى الاسكندريه ثم الى اسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شرياق

مقيما بها فعندما وصلوا اليه اظهرت السحرة التماثيل العجيبه فدخلوا عليه وحوله
الكاهنه وبين يديه نار لا يصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريا لم تضره ومن كان مريبا بالملك
سوا او اضمر له مكروها احذته النار فسبق القوم في وسط النار واحدا واحدا امن عند ان
تضرهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعندما دنا من النار احذته بحرها فولى هاربا واتبعوه حتى
احذوه واوقفوه بين يدي سرياق فلم يزل به حتى اعترف فامر بصلبه فصلب على الحصن
الذي احذ منه ونودي عليه هذا جزا من طلب ما لا يصل اليه وعفى عن الباقين فساروا من
مصر وتحدثوا بما راوه من العجايب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات
سرياق بعد ما ملك مصر مايه سنه وثلاث سنين فحمل في ناووس ومعه امواله وطلسم
يحفظه ممن يقصده وملك بعده ابنه سهلوق وكان عالما بالكهانه والطلسمات فقسم
ما النيل بموازين يصرفه الى كل ناحيه قسطها ورتب الدوله وعمل بيت النار وهو اول
من عمل بيت النار وعمل بامسوس عجايب بعضها شجرة على اعالي الجبال تقسم الرياح التي تمنع
من اراد مصر باذي او فساد من جني او انسي او سبع او طاير وعمل بالمدينه قبه مركبه
على سبعه اركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفي وسط القبه قبه من صفر
وفي اعلاها صور الكواكب السبعه وتحت القبه قبه اخرى معلقه على سبع اساطين
وعلى الباب الاول من القبه اسد ولبوه من صفر وبعد ان بطنان كان يذبح لهما جروا اسود
ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثاني ثور وبقره يذبح لهما عجلا ويبخرهما بشعره وعلى الباب
الثالث خنزير وخنزيره يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش وشاه
يذبح لهما سخلة ويبخرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبه يذبح لهما فرخ ثعلب
ويبخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وانثاه يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما
بريشه وعلى الباب السابع نسر وانثاه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه ويلطخ كل منهما
بدم ما ذبح له ويحرق ساير القرابين ويضع رمادها تحت اعتاب ابواب القبه
وجعل لهذه القبه سدنه يشتغلون بالعبادة ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب
لكل مرتبه منهم باب من ابواب تلك القبه فكان الخصم اذا تقدم الى شي من تلك الصور
وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا يتخلص حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر للذكر والانثى
للانثى فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبه بامسوس حتى ازالها

الطوفان

الطوفان ويقال انه راى اباه في النوم وهو يامره ان ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر
فان فيه كوة صغيرة كذا على بابها افعى لها راسان اذا اقبل اليها كشرت في وجهه
فخذ معك طايرين صغيرين ذكرا وانثى فاذبحهما لها والقمهما اياها فانها تاخذ
براسيها وتنحى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجد فيها امراة عظيمه من نور
حار يابس فانها تسطع لك وتحس بحرارتها فلا تدن منها تحترق ولكن اقعد
حذاها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك تشرف بذلك
وتدلك على كنوز جدك مصرايم فانها حافظة لها فلما انتبه عمل ما امره ابوه فلما قعد
بجانب المراة وسلم قالت له اتعرفني قال لا قالت انا صورة النار المعبودة في الامم الخاليه
وقد اردت ان تحيي لي ذكري وتجدد لي بيتا تعمل لي فيه نارا دايمة بقدر واحد وتتخذ
لها عيدا في كل سنه تحضره انت وقومك فانك ان فعلت ذلك هديت بذا ابيك بها اشرفا
وسلطانا الى ملكك وامنع عنك من يطلبك بسو وادلك على كنوز جدك مصرايم فضمن
لها ان يفعل كلما امرته به فدلته على الكنوز التي تحت المداين المعلقه وعلمته كيف يصل
اليها وكيف يحترس من الارواح الموكلة بها وما يحجبه منها ثم قال لها كيف لي بان اراك في
وقت اخر قالت انه لا تعد فان الافعى لا تمكنك ولكن تجد في بيتك بلدا فاني اتيك بسر ذلك
وغابت عنه وخرج ففعل ما امرته به من عمل بيت النار واخذ كنوز مصرايم ولما مات
جعل في ناووس ومعه ساير كنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده وملك بعده
ابنه سوريد وكان حكيما فاضلا وهو اول من جبا الخراج بمصر واول من امر بالانفاق
على المرضى والزمنى من خزانته واول من سن رفعه الصياح وعمل اعمالا عجيبه منها
مراه من اخلاط كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف ما احدث فيها من الحوادث وما
يخصب منها وما يجدب واقام هذه المراه في وسط مدينه امسوس وكانت من نحاس
وعمل في امسوس صورة امراه جالسه وفي حجرها صبي ترضعه فكانت المراه من
نسا مصر اذا اصابها عله في موضع من جسدها اتت هذه الصوره ومسحت ذلك
الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصوره فتزول عنها العله وان قل
لبنها مسحت ثديها بثدي الصوره فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج
الصوره فيكثر حيضها وان كثر دمها مسحت اسفل ركبها بمثل ذلك من الصوره وان

عسرت ولاده امراة مسحت راس الصبي الذي في حجر الصوره فتضع حملها وان ارادت التحبب
الى زوجها مسحت وجهها وتقول افعل كذا وكذا واذا وضعت الزانيه يدها عليها
ارتعدت حتى تتوب ولم تزل هذه الصوره الى ان ازالها الطوفان وفي كتب القبط
انها وجدت بعد الطوفان وان اكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنما من اخلاط
لمن فكان من اصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بما وشرب
الما فانه يبرا وسوريد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى
شداد بن عاد والقبط تنكر ان تكون العاديه دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما
مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاث مايه
سنه وانه ملك بعده مايه وسبع وتسعين سنه وملك بعده ابنه هرجيب
وكان كابيه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل اعمالا عجيبه واستخرج معادن
كثيره واظهر علم الكيميا وبنى اهرام دهشور وحمل اليها اموالا عظيمه وجواهر
نفيسه وعقاقير وسمومات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشنج رجل رجلا فامر
بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فملك المسروق له رق السارق ولما مات دفن في
الهرم ومعه جميع امواله وذخايره وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوش
وكان كابيه في الحكمه الا انه كان جبارا فاسقا سفاكا للدم ينتزع النسا من ازواجهن
وينتج ذلك لخواصه وعمل اعمالا عجيبه واستخرج كنوزا وبنى قصورا من ذهب وفضه
واجرى بينها الانهار وجعل حصباها من اصناف الجواهر النفيسه وسلط رجلا
جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربه الامم الغريبه فقتل منهم خلايق
ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل
طالب وملك بعده ابنه افروس وكان كابيه في العلم والحكمه ولما ملك اظهر
العدل واحسن في السيره ورد النسا اللاتي غصبن في ايام ابيه على ازواجهن وعمل
قبه طولها خمسون ذراعا في عرض ثلاثه اذرع وركب في جوانبها طيورا من صفر
تصفر باصوات مطربه مختلفه لا تفتر ساعه وعمل في وسط مدينه امسوس
منارا عليه راس انسان من صفر كلما مضى من النهار او الليل ساعه صاح صيحه
يعلم من سمعها بمضي ساعه وعمل منارا عليه قبه من صفر مذهب ولطخها بلطوخا

فاذا

فاذا غربت الشمس اشتعلت القبه نورا تضي له مدينه امسوس طول الليل حتى تصير
مثل النهار ولا يطفيها الرياح ولا الامطار فاذا طلع النهار خمد ضوها واهدى
لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد
الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قايما على قاعدة وهو مصنوع مصفح بالذهب
ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر
فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبنا بصحرا الغرب منارا كثيره واودعها كنوزا
عظيمه ونكح ثلثمايه امراة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد اعقم الارحام لما يريد
من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهايم ولما مات وضع في
ناووس بالجبل الشرقي ومعه امواله وطلسم عليه وملك بعده ابنه ارمالينوس
فعمل اعمالا عجيبه وبنا مدنا ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان
وكان جبارا فابعده وجعله على جيش ساريه عنه فقهر ملوكا وقتل امما عظيمه وغنم
اموالا كثيره وعاد فشغفت به امراه من نسا الملك ومازالت به حتى اجتمع بها
وتعاقدا على ذلك بعد ثم خاف الملك ان يعطبها فعملت المراه لارماليوس
سما في شرابه فهلك منه وملك بعده فرعان بن مسور فلم ينازعه احد لشجاعته
وسياسته ولم يطل ايامه حتى راى فليمون الكاهن كان طيورا بيضا قد نزلت
من السما وهي تقول من اراد النجاه فليلحق بصاحب السفينه وكان عنده علم بحدوث
الطوفان من ايام سوريد وبنايه الاهرام لاجل ذلك فاتخذ الناس سرادب
تحت الارض مصفحه بالزجاج واحتبست الرياح فيها بتدبير وعمل منها فرعان
لنفسه ولاهله عدة ثم ان كرسان جمع اهله وولده وتلامذته ولحق بنوح عليه السلام
وآمن به واقام معه حتى ركب في السفينه وجا الطوفان في ايام فرعان فاغرق
ارض مصر كلها وخرب عمايرها وازال ملك العالم كلها واقام الما عليها سنه
اشهر ووصل الى انصاف الهرمين العظيمين وسياتي خبر ذلك ان شا الله عند
ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال
والنسا وانه كتب الى الدرمسيل بن محويل بن بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام
وانه استخف بالكهنة والهياكل ففسدت في ايامه ارض مصر ونقص الزرع

واحذبت النواحي لا تهالكه في ضلاله وظلمه واقباله على لهوه ولعبه وان الناس ابتدوا
به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما اقبل الطوفان وسحب الامطار قام سكران له
يريد الهرب الى الهرم فتخلخلت الارض به وطلب الابواب فخانته رجلاه وسقط نحو
حتى هلك وهلك من دخل الاسراب الخ والله اعلم

ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربي النيل
على مسافة اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهي اول مدينة عمرت بارض مصر
بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة امسوس التي تقدم ذكرها الى
ان خربها بختنصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة
على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع
البيان في تفسير القران عن السدي انه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب
مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب
مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب فركب
في اثره فادركه المقيل في ارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت
اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي يقول الله تعالى ذكره ودخل المدينة على حين
غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن مصر بعد
ان غرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي اول مدينة
عمرت بعد الغرق هو وولده وهم ثلثون نفسا منهم اربعة اولاد له قد بلغوا وتزوجوا
وهم مصر وفارق وماج وباج بنو بيصر وكان مصر اكبرهم فلذلك سميت مافه ومافه
بلسان القبط ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هناك منازل
كثيرة وقال ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة
فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة
من الحديد والصفر وفيها كانت الانهار تجري من تحت سريره وهي اربعة ويروى
ان مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت
منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاوا ويرسلونه كيف شاوا واذلك قوله
تعالى حكاية عن فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون

وكان

وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى ان سقطت فيما سقط من الاصنام في الساعة
التي اشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام في يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو
يطوف حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى صنم
منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم
الا وقع وفي تلك الساعة سقطت فيها اصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقي اصحابها
متحيرين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت اصنام مدينة منف ساقطة
من ساعتئذ وفيها الصنمان العظيمان المجاوران للبيت الاخضر الذي كان به صنم العزيز
وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما ثم قطعت الاصنام والبيت الاخضر
من بعد سنة ستمائة ويقال كانت مدينة منف ثلاثين ميلا طولا في عشرين ميلا عرض
وان بعض بني يافث بن نوح عمل في ايام مصرايم الة يحمل الماء حتى يلقيه على اعلا سور
مدينة منف وذلك انه جعلها درجا مجوفة كلما وصل الماء الى درجة امتلات الاخرى
حتى يصعد الماء الى اعلى السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى
خارج المدينة وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة
واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجه بابه صور حيات ناشرة صدورها
لو اجتمع الوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابئة تقول
انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة
وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخو العمري بعد سنة خمسين
وسبعمائة ومنه شيء في خانكاته وجامعه اللذين بخط الصليبة خارج القاهرة
وقال ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتابه تحفة الالباب ورايت في قصر
فرعون بيتا كبيرا من صخرة واحدة خضراء كالاس فيه صورة الافلاك والنجوم لم ير عجب
احسن منه وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك
لمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من
الفسطاط فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها فكانت
دار العلم ومقر الحكمة الى ان فتحها المسلمون في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختط
عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط فانتقل اهل مصر وعنهم من

العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا وقال
الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر اخبار مدينه امسوس وخراب
عمائر ارض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الما كان اول من ملك مصر بعد
الطوفان بيصر بن حام بن نوح وكان معه ثلثون من الجبابرة من اهله وولده
فاجتمعوا وبنوا مدينه منف ونزلوا بها وكان فليمون الكاهن الذي تقدم ذكره في
خبر مدينه امسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته لبيصر المذكور وجا معه الى مصر
وولدت منه ولدا اسماه مصرايم فلما مات بيصر دفن في موضع دير ابي هرميس ويقال
دير ابي هرمس غربي الاهرام ويقال انها اول مقبره دفن بها بارض مصر وكان موته
بعد الف وثمانمايه وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بني مصر
مدينه سماها باسمه فجاه رجل من بني يافث فعمل له سورا فايما وصنعه درجا واجرى
الما الى ان بقي يصعد الى اعلا السور كلما انقطع ثم ينزل ذلك الما من اعلا السور الى
المدينه فينتفع به فيها بغير سقيه ولا كلفه ثم يخرج من ناحيه اخرى وكتب على السور
هذه صنعه من يموت لا صنعه من يدوم وملك بعد بيصر ابنه مصرايم بن بيصر
فاظهره فليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراه خطهم واطلعه على حكمهم وبنى مصرايم
المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينه عظيمه سماها درسان وهي العريش
ونكح امراة من اولاد الكهنه فولدت له ولدا اسماه قفطيم وبنى مدينه رقوده مكان
الاسكندريه ولما مات مصرايم جعل له سربا طوله مايه وخمسون ذراعا وبسط
بالمرمر الابيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفايح الذهب وله اربعه ابواب على
كل باب تمثال من ذهب على راسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب
قوايمه من زبرجد ونقش في صدر كل تمثال ايات مانعه وجلسوا جسده في جسد
من زبرجد اخضر سنه تابوت طوله اربعون ذراعا دفن فيه ومعه جميع ما كان في
خزاينه من ذهب وفضه وجوهر ومنها الف قطعه من زبرجد مخروط والف
تمثال من جوهر نفيس والف برنيه من ذهب مملوه در انفيس والف انيه من ذهب
وعده سبايك من فضه وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات
مصرايم بن حام بن نوح بعد الفين وستمايه عام وقيل بعد سبعمايه سنه مضت من

الطوفان

الطوفان ولم يعبد الاصنام وصار الى جنه لا هرم فيها ولا سقم ولا هم ولا حزن وكتبوا اسم الله
الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا الملك الذي ياتي في اخر الزمان يدين بدين الملك الديان
ويومن بالبعث والفرقان والنبي الداعي الى الايمان في اخر الزمان وسقفوا فوق السرب
بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين ويقال
كان مصر بن بيصر مع جده نوح عليه السلام في السفينه فدعا له ان يسكنه الله
الارض الطيبه المباركه التي هي ام البلاد وغوث العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل
له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فسالة
عنها فوصفها له واخبره بها وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر
وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وملك بعده ابنه قبطيم
ابن مصرايم وهو اول من عمل العجايب بعد الطوفان واستخرج المعادن وشق الانهار
ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات ويقال ان مصرايم لما مات اختلف اولاده
من بعده وكان قبط اصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بان من غلب منهم اخاه
اخذ الملك فتحارب اشموم واتريب فغلب اتريب ثم تحارب صا هو واشموم فغلب
اشموم ثم تحارب قبط وصا فغلب قبط فاخذ قبط الملك بعد ابيه واطاعه اخوته
وسكن بمدينه منف دار ملك ابيه وتزوج امراه وولدت له اربعه اولادهم قفطريم
واشمون واتريب وصا فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين اولاده
الاربعه عند وفاته فجعل لولده قفطريم من اسوان الى قفط وجعل لولده اشمون
من مدينه قفط الى مدينه منف وجعل لولده اتريب الحوف كله وجعل لولده صا
من ناحيه البحيره الى المغرب وجعل امرهم الى قفطريم وامر كل واحد منهم ان يبني لنفسه
مدينه في حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه منافذ
للريح فصارت تنخرق فيه بدوي عظيم واقام في السرب روسا من نحاس مطليه تضي
كالسرج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده بهذا السرب في جرن من ذهب بعدما
البس ثيابا منسوجه بالدر والمرجان واقيم عند راسه عمود من مرمر عليه جوهره تضي
وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونه حواها مصاحف الحكمه وعملت عنده امواله وكنوزه
وذخايره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه وانتقل كل من اولاده الى حيزه فانتقل صا باهله

واولاده وسكن مدينه صا الاتي ذكرها ويقال كانت البلنه في ايام قبط وانه الهمه
الله تعالى اللغه القبطيه وانه اقام ملكا اربعمايه وثمانين سنه ومات فدفن
بارض الواحات وملك بعده اخوه اشمن بن مصر وقيل بل اسكن في حياته
ابنه قفطريم في حيزه فشرع في العمارة وكان جبارا اعظم الخلق فاثار من المعادن
ما لم يثره احد قبله وبنى مدينه دندره وعمل في جبل قفط منارا عاليا يري منه البحر
الشرقي ووجد هناك معادن من الزيبق وعمل البركه التي يسميها صياده الطير
واقام ملكا اربعمايه وثمانين سنه ومات وهلك عاد بالريح في اخر ايامه وفي ايامه
اثارت الشياطين الاصنام التي غرقها الطوفان فعبدت وذكر ابن عبد الحكم بعد
مصر بن بيصر قفط بن مصر وان الذي ملك بعد قفط اخاه اشمن ثم اتريب بن مصر ثم
صا بن مصر ثم ابنه تدارس بن صا ثم ابنه مالنق بن تدارس ثم ابنه حربتا بن مالنق
ثم ابنه كلكن بن حربتا ويقال ان اشمن لما ملك بعد اخيه سار اليه شداد بن
هداد بن شداد بن عاد وملك ارض مصر وهدم مبانيها وبنا اهراما ومضى
الى موضع الاسكندريه فبناها واقام دهرا ثم خرجت العادية من ارض مصر
فعاد اشمن الى ملكه وانه ملك بعده اخوه صا ثم ملك بعد صا ابنه تدارس
وفي ايامه بعث الله صالحا الى ثمود ومات فملك ابنه مالنق البودسير
وكان من الجبابرة العظام عمل اعمالا عظيمه منها منارا فوقه قبه لها اربعة
اركان في كل ركن كوه يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنه دخان ملتف
في الوان شتى يستدلون بكل لون على شي فان خرج الدخان اخضر دل على العماره والخصب
في تلك السنة وان خرج ابيض دل على الجدب وقلة الخير وان خرج احمر دل على
الحروب وقصد الاعدا وان خرج اصفر دل على النيران وافات تحدث من الملك
وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج
مختلطا دل على كثرة الظلم وبغي الناس بعضهم على بعض وعمل شجره من نحاس
تجذب سائر الوحوش حتى تصل اليها فلا تستطيع الحركه الى ان توخذ فشبع اهل
مصر من لحوم الوحوش واتفق ان غرابا نقر عين صبي من اولاد الكهنة فقلعها
فعمل شجره من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حيه وعلى ظهره

اسطر

اسطو وكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت
في ايامه على ارض مصر من ناحية الغرب فعمل صنما من صوان اسود على قاعدة منه
وفوق كتفه ففتحها مسحاة ونقش على وجهه وصدره وذراعيه كتابه وجعل وجهه
الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت مع الرياح الى ورائها وصارت تلالا
عاليه وبعث بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس
وعدل جانبي النيل وكان قبله يفيض في مواضع وينقطع في مواضع وسار
مغربا لينظر ما وراء ذلك فوقع على ارض واسعه يتخرق فيها الما والاشجار
فبنى فيها منتزهات واقام بها وحول اليها عدة من اهله فعمروا واملك النواحي
حتى صارت ارض الغرب كلها معموره ثم خالطتهم البربر وجرت بينهم حروب كثيرة افنتهم
فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب عن الناس
وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان اول من تحقق بالكهانه وغير
الدين وعبد الكواكب البودسير وتزعم القبط ان الكواكب كانت تخاطبه وان له
عجايب كثيره منها انه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه وكان يظهر لهم وقتا
بعد وقت مرة في كل سنه وهو وقت حلول الشمس برج الحمل ويدخل الناس اليه
فخاطبهم ولهم يرونه فيامرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفه امره وكان يجلس في بعض اوقات
السنه فيخاطبهم من حيث لا يرونه ثم يتشكل فيه من فضه مطليه بذهب فيجلس في
اعلاها وله وجه عظيم يخاطبهم وكان يجلس في السحاب بوجه احمر في صوره انسان
فاقام كذلك مده ثم غاب عنهم فلم يروه واقاموا برهة بغير ملك ثم راوا صورته في
هيكل الشمس عند حلولها برج الحمل فامرهم ان يقلدوا الملك عديم بن قفطيم واعلمهم
بانه لا يعود اليهم ففعلوا ذلك فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون وكان كاهنا
ساحرا فعمل اعمالا عجيبه منها انه كان يجلس في السحاب فيروه في صورة انسان
عظيم واقام مده على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا بغير ملك ثم راوا صوره
بحذا جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرتهم ان يقلدوا الملك عديم بن قفطيم
واعلمهم انه ما بقي يعود اليهم فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطيم وكان جبارا

عظيما وهو اول من صلب بمصر وذلك ان رجلا وامراة زنيا فصلبهن وجعل ظهر كل
منهن لظهر الاخر وبنى اربع مداين ودفن بها كنوزا عظيمه وجعل عليهن طلسمات وعمله
عجايب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى المشرق حتى لا تغلب البحر على ارض مصر
وعمل قنطرة على النيل في ارض النوبه واقام ملكا ماية واربعين سنه ومات وعمره
سبعماية وثلاثون سنه وملك بعده ابنه سداث بن عديم وهو الذي تسميه
العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال انه الذي بنى الاهرام اللذين بشرقيه
وعمل اعمالا عظيمه وطلسمات عجيبه وبنى في الجانب الشرقي مداين وفي ايامه بنيت
قوص وغزا الحبشه وسبا منهم واقام ملكا تسعين سنه وهو اول من اتخذ الجوارح
وصاد بها وولد الكلاب السلوقيه وعمل في مركبه سفودا تماسيح مصنوعه تنصب
اليهن التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويعمل من جلودها في السفن واتفق
انه طرد صيدا فكبا به فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه
من جبل عال فتقطع فراى انه نصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في نا ووس ودفن
معه امواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة ان
يخرج عن الواجب ولا يفعل ما لا يجوز له فعله هذا نا ووس سداث بن عديم فعل
ما لا يحل له فعله فكوفي عليه بمثله وملك بعده ابنه سهلوق وكان حكيما
فاضلا كاهنا عمل اعمالا عجيبة وبنا اشيا معجبة منهن انه عمل كوكبا لصور الكواكب
على ثلاثه فراسخ من منف وكنز من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن مالم
يفتح به على غيره وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض اخر فانتهى في
اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته اسرابا ومغاير ودفن فيهن امواله وزبر
عليهن حتى انه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر الف عجله ذهبا وجواهر
واقام اربع سنين يرسل في كل سنه عجلا كثيره يدفنهن ويقتسانا ر العجل تركي
فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا وبنا هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنى
مدينه منف لبناته وكن ثلاثين بنتا وانه الزم الناس بحمل الكيمي فكانوا
يعيرون من عملهن ليلا ونهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو
الذي بنى مدينه عين شمس وقسم خراج مصر ارباعا فجعل الربع للملك والربع للجند

والربع ينفق في مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثه تحدث وهو الذي قسم ارض
مصر على مايه وثلاث كور واقام ملكا احدى وتسعين سنه ومات فملك بعده عديم
ابن منقاوس وكان جبارا لا يطاق وفي ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس
السحر والقبط تزعم انهما نزلا بارض مصر ثم تحولا الى بابل ثم ملك بعده اخوه
شاوس بن منقاوس وكان عالما كاهنا فاضلا كاتبا بنا مواضع كثيره في الجبال
والصحاري وكنز فيهن كنوزا عظيمه واقام عليهن اعلاما وبنى في صحرا الغرب مدينه
واقام لها منارا وكنز حولها كنوزا عظيمه وجعل فيها شجره تطلع كل لون من الفاكهة
وهو اول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمه ويستخرج كتبهن ولذا كان كل من ملك
منهم يجتهد في ان يعمل له غريبه من الاعمال لم يعمل لمن كان قبله ويثبت في كتبهم ويزبر
على الحجارة والملامات فملك بعده ابنه هرميس وكان قليل الحكمه فلم يعمل شيء
مما عمله اباوه ومات وقد اقام احدى عشره سنه فملك بعده اشمون بن قبطيم بن مصر
ابن بيصر بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق
الى حد البحر الملح مما يحاذي برقه وهو احد حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود اخميم
وكانت منزلته بمدينه الاشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلهن وبنى في
شرقي النيل مدينه انصنا وبنا بها قصرا عظيما واتخذ بها اشنه وملاعب وعجايب
كثيره وبنى مدينه طحواطيس وهو اول من لعب بالكره والصولجان ويقال انه بنا
مدنا كثيره عمل فيهن عجايب منها مدينه في سفح الجبل لها اربعه ابواب من كل ناحيه
باب فعلى الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة ثور وعلى الباب
الشمالي صورة اسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات
تنطق فاذا اقدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل
شكل من هذه الاشكال الاربعه صنفا من الكنوز وغرس في هذه المدينه شجره مولده
تثمر كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثلاثون ذراعا فوقه قبه تتلون كل يوم
لونا حتى يمضي سبعه ايام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينه تكتسي من تلك
الالوان شعاعا مثل لونها واجرى حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من
كل لون واقام حول المدينه طلسمات في هيئة اناس وسباع كالقرده واسكن هذه

المدينه السحريه فعرفت بمدينه السحره وكانوا يعملون فيها اصناف السحر وبنا بالقرب
منها مدينة عرفت بذات العجايب وبنا مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل
وبنا سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه الذي بنى مدينه عين شمس
وانه ملك ثماني مايه سنه وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد سبعماية سنه واقاموا
بمصر تسعين سنه فاصابهم وباء فخرجوا منها الى الدثنه بطريق الحجاز الى وادي القرى
فعاد اشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو اول من عمل النوروز بمصر
وفي زمانه بنيت مدينه البهنسا ولما مات جعل له ناوسا في اخرجه الاشمونين
ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمه وعجايبه الكبيره منها الف بربيه من العقاقير
المدبره لفنون الاعمال وزبروا عليه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنعه
ممن يقصده وملك بعده ابنه صا ثم بعد صا ابنه تدارس وقيل ملك منافيوس
كان شجاعا فاضلا فاستانف العماره وبنا القرى ونصب الاعلام وعمل العجايب الهايله
وبنا مداين منها مدينه اخميم وحول الكهنة اليها واقام ملكا نيفا واربعين سنة
ومات فدفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه وملك بعده ابنه وقد اختلف في اسمه
وكان فاضلا حازما معظما عند اهل مصر وهو اول من عمل المارستان واول من
عمل الميدان للرياضه وفي ايامه بنيت مدينه سنتريه في صحرا الواحات ثم ان نساه
تغايرن عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن في ناووس ومعه امواله وعمل عليه
طلسم يحفظه وملك بعده ابنه مرقوره وكان حكيما كاهنا وهو اول من ذلل
السباع وركبها وبنا المدن وعمر الهياكل واقام الاصنام ولما مات جعل له ناووس
في صحرا الغرب ودفن معه ماله وملك بعده ابنه بلاطس وكان صبيا فدبرت امه
امر الملك وكانت حازمه فجرت الامور على احسن ما يكون واظهرت العدل ووضعت
عن الناس الخراج فاحبوها ولما كبر ابنها احب الصيد فعملت له امه اعمالا عجيبه واقام
ملكا ثلاث عشره سنه وحدثت وفاته وانتقل الملك الى اعمامه فملك بعده اتريب
ابن قبطيم بن مصرايم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى
مدينة اتريب وعاش خمسماية سنه منها مده ملكه ثلثمايه وستون سنه ويقال ان
النيل وقف في ايام اتريب مايه واربعين سنه حتى اكلت البهايم بارض مصر ولم يبق

بها بهيمه وروي اتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضها من الجوع ومات عامه اهل
مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخا ودام مده مايتي سنه وابيع كل اردب بدانق
واقل ولما مات اتريب اخوه صا فقتله وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه وملك
من بعده ابنته تدوره وكانت كاهنه ساحره فساست الملك احسن سياسه
ودبرت المملكه اجود تدبير وعملت طلسمات عجيبه منها طلسم منع الوحش والطيران
يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا ووقعت في زمانها صيحه ارتجت لها
الارض فهلكت وملك بعدها اخوها قلموت بن اتريب وكان حكيما فاضلا
فبنا البنيان وعمل الطلسمات وفي ايامه بنيت مدينه تنيس الاولى وبنيت مدينه
دمياط واقام ملكا تسعين سنه ومات فدفن في ناووس وملك بعده ابنه
فرسون وكان فاضلا كاهنا بنى المداين وجدد الهياكل وكان حدثا فقصده بعض
ملوك حمير في جموع عظيمه فخرج اليه ولقيه بمدينه ايله وقاتله قتالا شديدا حتى
تفانا من الفريقين معظمهما واظهر المصريون اشيا من سحرهم فانهزم الحميري في
طايفه يسيره وقتل فرسون عامه اصحابه واخذ ما كان معهم وعاد مظفرا الى
مدينه منف وعمل منارا على بحر القلزم في راسه مراه تجذب المراكب الى الساحل
حتى يوخذ منها ما هو مقرر عليها من المال واقام ملكا مايتي سنه وستين سنه
ومات ودفن في ناووس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبه تحتوي على اثنى
عشر بيتا في كل بيت اعجوبه ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه وملك بعده
نحو اربعه وصار الملك الى صا بن قبطيم وكان اصغر ولد ابيه واحبهم اليه
ولما مات ملك بعده نوبيه الكاهنه وكانت ساحره فكانت تجلس على
سرير من نار فاذا تحاكم اليها احد وكان صادقا مشى على تلك النار من غير ان يضره
وان كان كاذبا اخذته النار وكانت تصور كل يوم في صور كثيره الاشكال ثم
بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في سوره انابيب من نحاس مجوف وكتبت على كل
انبوب فنا من الفنون التي يتحاكم الناس بها اليها فكان من اتاها في محاكمه وقف
عند الانبوب الذي فيه محاكمته وتكلم بما يريده ويسال عنه بصوت خفي فاذا فرغ
جعل اذنه في الانبوب فياتيه منه جواب ما ساله ولم يزل هذا القصر والانابيب

حتى الملته بخت نصر وملك بعدها مرقونس وكان فاضلا حكيما وكانت امه ابنة
ملك النوبة فعملت عجايب وصنع في ايامه كل غريبة وملك ثلاثا وسبعين سنة
ومات وعمره مايتان واربعون سنة فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس واربعين
سنة وكان جبارا طامح العين فاتى امراة ابيه وانكشف امره معها وكان اكبر همه
اللهو واللعب فجمع كل ملهى في مملكته ورفض العلوم واهمل امر الهياكل والكهنة
وترك النظر في احوال الناس وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها واتلف اكثر الاموال
في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى ان سموه فاتى بعد مائة وعشرين سنة وملك
بعده ابنه صا ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو اخو ايساد ولما ملك
سكن منف ووعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل عجايب وطلسمات
ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملهين واهل الشر ونصب العقاب الذي عمله
ابوه وشرف هيكله ودعا اليه وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر
اعلاما كثيرة وجعل على الاطراف اصحاب اخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم
وعمل على جانبي النيل منابر توقد عليها اذا احزنهم امر او قصدهم احد وجعل بحافتي
بحر الملح منارا يعلم به امر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم
بالاسكندرية وكان لما ملك البلد باسره جمع الكهنة ونظر في النجوم وكان بها
حاذقا فراى ان مصر لا بد ان تغرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل ياتي من ناحية
الشام فجمع كل ما على مصر وبنى مدينة في الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك
منه مدينة منف وقدم معه الف مركب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل الى النيل
من رشيد حتى اخذ منف وفر منه صا الى المداين الداخلة وتحصن بها من عدوه
فامتنعت بالطلسمات اياما كثيرة ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع
الى منف فتتبع الكهنة وقتل كثيرا منهم واقام ملكا سبعة وستين سنة وعاش
مائة وسبعين سنة وملك ابنه تدارس واستولى على الاحياز كلها وصفا له ملك
مصر وكان محنكا مجربا ذا ايد وقوة ومعرفة بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل
والهلك فيها ما حسنا وبنا بيتا للزهرة على نحو بيتهم من ارض مصر يسموا النوبة
وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا

وسبى بعض اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجد في النيل بلمبانه
سفينة فلقي السودان وكانوا زهاء الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم واسر منهم خلقا
كثيرا وساق الفيلة والنمور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها
اسمه ومسيره وظفره وفي ايامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذي
انزل النوبة حيث هي وذلك انه لما اوغل في ارض الحبشة وقتل امم السودان وجد
فيهم امة تقرا صحف ادم وشيث وادريس فمن عليهم وتركهم ومات بمنف وملك ابنه مالبق
كلكن وكان عاقلا كريما حسن الوجه مجربا مخالفا لابيه واهل مصر في عبادة
الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين اجداده قبطيم ومصرايم وكانت
القبط تذمه لذلك وامر الناس باتخاذ كل فارة من الخيل واقتنت السلاح والة
الاسفار وانشا في بحر الغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر فلقي
البربر فهزمهم واستاصل اكثرهم وبلغ افريقية وسار الى الاندلس يريد الافرنجة
فلم يمر بامة الا ابادها فحشد له ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب صلحه واهدى
اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر انه راى بسفرته
اعجوبة وعمل اعلاما على البحر زبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع
فتلقاه اهل مصر باصناف الرياحين وانواع اللهو وفرشت له الطرقات بفاخر
الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحدا حتى مات فملك ابنه حربيتا وكان
لينا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك
بعده الى دين قومه وغزا الهند والسودان بعدما عمل مائة سفينة على عمل سفن
الهند وتجهز وحمل معه امراته ووجوه اصحابه واستخلف ابنه كلكن على مصر
وكان صبيا وجعل معه وزيرا وكاهنا فمر على ساحل اليمن وعاث في مداينه
وبلغ سرنديب واوقع باهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فاذعن له
اهلها وتنقل في تلك الجزاير سنين فيقال انه اقام في سفرته سبع عشرة سنة
ورجع غانما فهابه الملوك وبنا على هيكلا واقام بها الاصنام للكواكب ثم غزا
نواحي الشام فاطاعه اهله ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا
يحملونه اليه ورفع اقدار الكهنة ومصاحفهم وكان بر كان هذا الطفو لمحونه الكواكب

له ومات وقد ملك خمسا وستين سنة فقام ابنه كلكن وعقد له بالاسكندرية
فاقام بها شهرا ثم قدم الى منف وكان اصاميا يسوسه اهل مصر وكان يحب الحكمة
واظهار العجايب ويقرب اهلها ويحبهم وعمل الكيميا وخزن اموالا عظيمة بصحارى
الغرب وهو اول من اظهر عمل الكيميا بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه
من الملوك امروا بترك صنعتها فعملها كلكن وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب
في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان زمانه الف الف ونصفه عشر الف
الف مثقال فاستغنوا عن اثارة المعادن وعمل ايضا من الحجارة الملونة التي تشف
شيا كثيرا وعمل من الفيروزج اشيا واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم
الملوك وغلب جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما تغيب عنهم وكان نمرود ابرهيم
عليه السلام في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره وكان النمرود جبارا
مشوه الخلق يسكن السواد من العراق واتاه الله قوة وقدرة وبطشا فغلب على كثير
من الامم فتقول القبط ان النمرود لما استزار كلكن وجه اليه ان يلقاه بموضع كذا فصار
الى الموضع على اربعة افراس تحمله ذوات اجنحة وقد احاط به نور كالنار وحوله صور
هايلة وقد حل بها وهو متوشح بثعبان متحزم ببعضه وقد فغر فاه وهو بيده قضيب
اس اخضر فلما راه النمرود هاله واقر له بجليل الحكمة وساله ان يكون ظهيرا له ويقول
انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على راسه فاذا دهم اهل
البلد امر اجتمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا ياكل ولا يشرب ثم استتر مدة حتى توهموا
انه هلك فطمع فيه الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادي
هبيب فاقبل حتى جللهم من سحره شي كالغمام شديد الحر فاقاموا تحته اياما متحيرين
ثم طار الى مصر وامرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا هم ودوابهم فهابته
الكهنة مهابة لم يهابوها احدا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره وقال ابن عبد
الحكم ان كلكن بن خربتا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له فملك اخوه ماليا بن خربتا
قال ابن وصيف شاه وقام ابنه مالك وكان شرها كثير الاكل والشرب
مغرما بالرفاهية غير ناظر في شي من الحكمة وجعل امر البلد الى وزيره واشتغل
بالنسا وكانت له من النسا ثمانون امراة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران

فقتله

فقتله وقتل امراة كانت عنده وملك بعده ابنه طوطيس ويقال انه عمرو بن امرؤ
القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن
الريان وانه احد فراعنة مصر من ولد دان بن وهلوج بن امراز بن اسود بن سام بن
نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول بن لاوذ بن سام بن نوح وكان جبارا
جريا شديد الباس مهابا والقبط تزعم انه اول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابرهيم
عليه السلام ويقولون ان الفراعنة سبعة هو اولهم وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل
حتى ينتهي الى مرقا السفن في البحر الملح وكان يحمل اليها جرام اسمعيل التي اعطاها
ابرهيم عليه السلام الحنطة واصناف الغلات فيصل الى جدة فاحيى بلد الحجاز مدة
ويقال ان كل ما حليت به الكعبة من ذلك العصر مما اهداه ملك مصر ولكثرة ما
حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم الصادوق وفي كتاب هروشيس ان سلطان
المصريين في زمن ابرهيم الخليل كان بايدي قوم يدعون بني فاليق بن دارش وذا م
ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابو اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد
دان بن وهلوج بن امراز بن اسود بن سام بن نوح قال والمشهور انهم من العماليق
منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب
فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان وقال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون
لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة فخافت لكثرة قتله الناس وقتلته
بسم وله في الملك مدة سبعين سنة وملكت بعده حوريا فوعدت الناس
الحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة وروسا السحرة ورفعت
اقدارهم وحدثت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا
من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وحوريا اول امراة ملكت مصر
من ولد نوح عليه السلام وماتت فملك بعدها ابنة عمها زالف بنت ماموم
وكانت عذرا عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها امين الاتريبي واستنصر
ملك العمالقة فسار معه قاعدا فاخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا
حتى فني منهم كثير من الناس ثم انهزم اصحاب دليفة الى منف وهم في اثرهم فخرجت
زالف الى الصعيد ونزلت الاشمونين وكانت بينها وبين عساكر العمالقة حروب

انهزموا منهم وخرجوا عن منف بعدما عاثوا فيهم وعدوا الى الحوف فاستعبدوا
به وصارت مصر بينهم بنصفين ثم ان زالفا عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة
اشهر حتى انهزمت الى قوص واثخن خلقهم فلما ايقنت انها توخذ سمت نفسها
فهلكت وقال ابن عبد الحكم ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلف ابنته حرويا
ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت حرويا فاستخلفت ابنة عمها
زالفا ابنة مامومن بن ماليا فعمرت دهرا طويلا وكثروا ونموا وملوا ارض مصر
كلها وطمعت فيهم العمالقة فغزاهم الوليد بن دومع فقاتلهم قتالا شديدا ثم
رضوا ان يملكوه عليهم فملكهم نحوا من مائة سنة فطغى وتكبر واظهر الفاحشة
فسلط الله عليه سبعا فافترسه واكل لحمه والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة
وملك ابسان وتجبر وقتل خلقا من جاريه وكان الوليد بن دومع العمليقي
قد خرج في جيش كبير فبعث غلاما يقال له عون الى مصر ففتحها ثم قدم بعده
واستباح اهل مصر واخذ اموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فراى جبل القمر
واقام في غيبته اربعين سنة ورجع الى مصر وقد خالفه عون وقد منه فاستعبد
اهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك وملك ابنه الريان
ابن الوليد بن دومع احد العمالقة وكان اقوى اهل الارض في زمانه واعظمهم
ملكا والعمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام
والقبط تسميه نهراوس وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث
ابن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع بن عابر بن اسليحي بن لوذ بن سام بن نوح
وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى لابويه واسمه برخوا وكان عظيم
الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل واسقط عنهم الخراج لثلاث سنين
وفرق المال فيهم وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال
له العزيز وكان عاقلا اديبا مستعملا للعدل والعمارة وامر ان ينصب له سرير
من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه يكفي
نهراوس ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فاقام على تصفية سنة
والبلد عامر فقصده رجل من العمالقة وسار الى مصر وهو في جيوشه فخرج اليه

وقاتله

وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث هنالك فهابته الملوك
ولاطفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وخرج لغزو
بلاد المغرب في تسعمائة الف ومر بارض البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر
وسار الى الجنوب فقدم النوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه
ما ذكر عند ذكر الفيوم وملك بعده ابنه دريوش ويقال له دارم بن الريان
وهو الفرعون الرابع فخالف سنة ابيه وكان يوسف خليفته يقبل منه تارة
ويخالفه تارة وظهر في ايامه معدن فضة فاثار منه شيئا عظيما وفي ايامه مات
يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على اذى الناس واخذ اموالهم فبلغ
ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجبر حتى افتض كل امراة جميلة بمدينة منف
من اهلها فكان لا يسمع بامراة حسناء في موضع الا وجه فحملت اليه فاضطرب
الناس وشغبوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والاسواق فغدا عليهم وقتل
منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجمعوا على خلعه فبرز لهم واسقط عنهم خراج
ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكنوا وفي ايامه ثار القبط على بني اسرائيل
وطلبوا من الوزير ان يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى امسكوا وبلغ الملك ذلك
وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد اهل مصر فشغبوا عليه وحشدوا له وحاربوه
فقتل بينهم خلق كثير وظفر بمن بغى فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى
اعظم ما كان عليه من اخذ الاموال والفساد واستخدام اشراف القبط وبني
اسرائيل واجمع الكل على ذمه فركب النيل للنزهة وثارت به ريح عاصف فغرق
فلم يوجد الا صاحبه سطوف وقيل فيما بين طرا وحلوان فقدم الوزير ابنه
معاذيوس وكان صبيا ويقال له معدان فاسقط عن الناس ما اسقطه
ابوه من الخراج ووعدهم الاحسان فاستقام له الامر وانس الناس وهو
خامس الفراعنة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثر بنوا اسرائيل وعابوا
الاصنام فافردوا ناحية من البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم واقطعوا موضعا في
قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا به معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام
ومنع من الضريبة التي كانت على اهل الشام لملك مصر فاجتمع الناس الى

معدان وحبوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا انه قام
في هيكل رجل العبادة فتجلى له رجل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على
اهل بلدك وحبوتك القدرة عليهم وعلى غيرك وسارفعك الي فلا تخل
من ذكري فعظم عند نفسه وتجبر وامر الناس ان يسموه ربا وترفع عن ان ينظر
في شي من امر الملك وجعل ابنه اكسامس فقام ابنه اكسامس
في الملك ويقال كاشم بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والاعمال
وامر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على الناس في ارزاقهم
وامر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها واوانيها وزاد في القرابين وكفوه
الذي يقال له كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي
وهو خامس الفراعنة وسموا فراعنة بفرعان الاول فصار اسما لكل من تجبر
وعلا امره فطال ملكه واقام اعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومنابر
للوقودات وطلسمات واقام سبع سنين ما حمل امر فلما مات وزر ابنه واستخلف
رجلا من اهل بيت المملكة يقال له طلما بن قومس كان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا
حكيما متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك واصلح امر الملك وبني
مدنا من الجانبين وراى في نجومه انه سيكون حدث فبنا ناحيه رقوده
والصعيد ملاعب ومصانع وشكا اليه القبط من الاسرايليين فقال هم
عبيدك فاذلوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربرعات وقتل وسبى وفي
ايامه بنيت منارة مدينة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من
القرى والاجنة والمصانع ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين
سنة منها احدى عشرة سنة يدبر امره طلما فلما مات اضطرب الناس
دابهم اطلما انه سمه فقام وولى لاطس بن اكسامس وكان حدثا
معجبا صلفا فامر ونهى والزم الناس اعمالهم وقال انا سيقيم ما استقمتم
وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم وصرف طلما عن
خلافته واستخلف غيره وانفذ طلما الى الصعيد في جماعة من الاسرايليين
وجدد بنا الهياكل وبنا القرى واثار معادن كثيرة وكنزا في صحرا الشرق

عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا امره وامر ان لا يجلس احد في مجلسه ولا في
قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على ارجلهم حتى يمضون وزاد في اذى الناس
والعنف بهم ومنع فضول ما بايديهم وقصرهم على القوت وجمع اموالهم
وطلب النسا واتخذ كثيرا منهن وفعل اكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بني
اسرايل وقتل جماعة من الكهنة فابغضه الخاص والعام وثار طلما بالصعيد
وكاتب وجوه الناس فكتب لاطس يصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف
حتى دخل منف طلما بن قومس فرعون موسى ويقال ان اسمه الوليد بن مصعب
ابن اراهون بن الهلوت بن فاران بن عمرو بن عملاق بن يلمع بن عابر بن اسليحاس بن لوذ
ابن سام بن نوح وانه من العمالقة وكان قصيرا طويل اللحية اشهل العين صغير العين
اليسرى اعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب اهل بيته مشهور عندهم
وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكر في كنيسة ذموه وقال ابن عبد الحكم ولما اغرق
الله فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف الناس احد ولم يبق الا العبيد
والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان
يولين امراة يقال لها دلوكه فملكت دلوكه ابنة ريا ويقال دلوكة ابنة زبان
وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وهي يومئذ بنت مائة وستين
سنة فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها في ستة اشهر وهو حائط
العجوز حصنت به مصر من الاعدا فكان من حد رفح الى حد افريقية الى الواحات الى
بلد النوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم يقدون النار ووقودا لا يطفى
ابدا وفي ايامها بنت بيت وزن الساحرة البرابي وسط منف فملكتهم دلوكة عشرين
سنة حتى بلغ صبي من ابنا اكابرهم يقال له دركون بن لاطس ثم مات واستخلف
ابنه بودس ثم توفي بودس بن دركون فاستخلف اخاه لقاس بن بدارس فلم يملك الا
ثلاث سنين حتى مات فاستخلف اخاه مرينا بن مرسوس ثم توفي فاستخلف استمارس
ابن مرينا فطغى وتكبر وسفك الدم واظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وبايعوا
رجلا من اشرافهم يقال له بلوطس بن منا كيل فملكهم اربعين سنة ثم توفي فقام ابنه
مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف اخاه مينا كيل بن بلوطس بن منا كيل فملكهم زمانا

ثم توفي واستخلف ابنه توله بن ميناكيل فملكهم مائه وعشرين سنه وهو الاعرج الذي
سبي ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تكبر وطغى وبلغ مبلغا لم
يبلغه احد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات وقيل له الاعرج لانه لما غزا
بيت المقدس ونهبه وسبى ملكه يوشيا بن امون بن منشا بن حزقيا هم ان
يصعد على كرسي نبي الله سليمن بن داود وكان بلولب لا يمكن احدا ان يصعد عليه الا
برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت
ولم يزل يجمع بها الى ان مات فلذلك سمي الاعرج فاستخلف مرنيوس بن توله فملكهم
زمانا ثم توفي واستخلف ابنه فرقوره فملكهم ستين سنه ثم توفي واستخلف اخاه
نقاس بن مرنيوس وانهدم البربا في زمنه فلم يقدر احد على اصلاحه ثم توفي
نقاس واستخلف ابنه قومليس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله
وخرب مدينة منف وغيرها من المداين وسبى اهل مصر ولم يترك بها احدا حتى
بقيت ارض مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن وذكر في ترجمة كتاب
هروشيلش الاندلسي في وصف الدول والحروب ان فيما بين غرق فرعون موسى
الى مائة وسبع سنين كان لمصر ملك يسمى نوشنودش كان يقتل الغربا والاضياف
ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماهم قربانا لها وان بعد غرق فرعون الى ثمانيه وثمان
وعشرين سنة كان لمصر ملك يسمى برونيه وكان عظيم المملكة قوي السلطان
اخذ بالحروب الكثير نواحي الجنوب براوبحرا وهو اول من حارب الروم الذين قيل لهم
بعد ذلك القوط وكان قد ارسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فجاوبوه
ليس من الراي المحمود للملك الغني محاربة قوم فقرا لكثرة نوازل الحرب واختلاف
حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا ننتظر مجيك بل نسرع لغارتك واسعوا قولهم
عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا اليه مسرعين وهزموا جيوشه وانتهبوا عساكره
واموالة وعدده وجميع ذخايره ومضوا فنهبوا ارض مصر حتى كادوا يغلبون
عليها لولا وحول عرضت لهم منعتهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب
متصلة حتى ازالوا العلل وجعلوهم يودون اليهم المغارم واقاموا محاربين
لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنه ولم ينصرفوا من بلادهم حتى انهم من نسايهم

تقلن لهم اما ان تنصرفوا واما ان نتخذ الازواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا
فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلات ايديهم اموالا واوقارا جمة وقد خلفوا وراهم
ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك
دلوكه حتى اخرجهم منها نبي الله سليمن بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط
وان جالوت بن بالود لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر ومن
ملوك مدين فانزله ملك مصر بالجانب الغربي فاقام بها مدة ثم سار الى بلاد
المغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكه وابنها مدة ثمانيه وسته
وعشرين سنه وعدتهم سبعه وعشرون ملكا اولهم ديوسفولبطا ومدته ثمان
وسبعون سنه وقيل ثمان وثمانون سنه ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين
سنه وقام بعده سوماناس مدة مايه وسنه ثم ملك بفجراطس اربع سنين ثم
الاناقوناس تسع سنين ثم اسخورليس ست سنين ثم فسينا خمس تسع سنين
ثم فسوساس خمسا وثلاثين سنه ثم ملك سونا خوسيس احدى وعشرين سنه
ثم اسارليون خمس عشرة سنه ثم طافا لونبلس ثلاث عشرة سنه ثم قطافا ناسطلس
خمسا وعشرين سنه ثم اسارانون سبع سنين ثم ملك فساموس عشر سنين
ثم اوفانيواس اربعا واربعين سنه ثم ساباقور ثنتي عشرة سنه ثم سيخس الحلبي
ثنتي عشرة سنه ثم طراخوس الحبشي عشرين سنه ثم ملك امراس الحبشي ثنتي عشرة
سنه ثم اسطافنياس سبع سنين ثم تاحقاسوس ست سنين ثم ملك ناحوا ثماني
سنين ثم فساما مطليقوس اربعا واربعين سنه ثم ملك نحوقا ست سنين ثم
فساموناس سبع عشرة سنه ثم وافرس خمسا وعشرين سنه ثم اماسلس اثنتين
واربعين سنة وملك بعد هولاء مصر خمسه ملوك من ملوك بابل ولهم امسطيوش
ست سنين ثم مافرطاس سبع سنين ثم اوحرس اثني عشرة سنه ثم فساموث
مدة سنين ثم مافرطاس ملك موماطوس سبع سنين ثم ملك ثلاثة ملوك من
اثورهم الجرامقه الذين ملكوا الموصل وبنوا الجزيره وهم ناقاطانيوس ثلاث
عشرة سنه ثم طوس سبع سنين ثم ناقاطانياس ثماني عشرة سنه ثم انتقل
ملك مصر منهم الى الاسكندر بن فلبس اليوناني وهذا سما رومية ولعل

او بعضهم مداخل فيمن تقدم ذكره ممن ملك مصر بعد ملوكه وبين بخت نصر وبين
الطوفان الف سنه وثلثمايه وست وخمسون سنه واشهر ويجتمع من حساب ما
وقع في التوراة ان بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من
السنين الف وسبعمايه واربع وثمانون سنه وهذا اخلاف ما نقله المسعودي

ذكر مدينه الاسكندريه

هذه المدينه من اعظم مداين الدنيا واقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فاول
ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصرايم بن بيصر بن نوح وكان يقال لها
اذ ذاك مدينه رقوده ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جددها
الاسكندر بن فيلبس المجدوني الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب
بخت نصر مدينه منف بمايه وعشر سنين شمسيه فعرفت به ومن جددها
الاسكندر المذكور انتقل تخت الملك من مدينه منف الى الاسكندريه فصارت
دار المملكه بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص
بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندريه وصارت ديار مصر ارض اسلام
فانتقل تخت الملك حينئذ من الاسكندريه الى فسطاط مصر وصار الفسطاط
من بعد الاسكندريه دار مملكه ديار مصر وسنقص من اخبار الاسكندريه
ما وصل اليه علمي ان شاء الله وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان
ان الكوكه وهي امه في غابر الدهر من اهل ابليه ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين
كوره واربعه اقسام كل قسم عمل وسواد كل عمل مدينه بها ملك يجلس على
منبر من ذهب وله برب وهي بيت الحكمه وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من
ذهب وجعلوا الاسكندريه واسمها رقوده خمس عشره كوره وجعلوا فيها كبار
الكهنه ونصبوا في هياكلها من اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها فكان
مايتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمان كور على اربعه اقسام وثلاثين
مدينه فيها جميع العجايب وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزاير
والبحار والمدن ان مدينه الاسكندريه لبرج الاسد ودليلها المريخ وساعات
اربع عشره ساعة وطولها ستون درجه ونصف درجه يكون ذلك ار بع

ساعات

ساعات مستويه وثلث عشر ساعه وفي كتاب وصيف شاه في ذكر اخبار مصرايم
ابن بيصر بن نوح وعلومهم ايضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد
زروعهم واجنتهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على عبر
البحر مدنا منها مدينه رقوده مكان الاسكندريه وجعلوا في وسطها قبه على
اساطين من نحاس مذهب والقبه ملبسه ونصبوا فوقها مراه من اخلاط شتى
قطرها خمسه اشبار وارتفاع القبه مايه ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم
التي حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المراه عملا فالقت شعاعها
على ذلك الشي فاحرقته فلم تزل الى ان غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما
عمل المناره تشبيها بها وكان عليها ايضا مراه يرى فيها من يقصدهم من بلد
الروم فاحتال عليها بعض ملوكهم ووجه اليها من ازالها وكانت من زجاج مدبر
قال وذكر بعض القبط ان رجلا من بني الكهنه الذين قتلهم ايساد ملك مصر
صار الى ملك كان في بلاد الافرنجه فذكر له كثره كنوز مصر وعجايبها وضمن له ان
يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد
فلما اتصل بصاابن مرقونس اخي ايساد وهو ملك مصر يومئذ ان صاحب بلاد
الافرنجه يتجهز اليه عمد الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فاصعد اليه اكثر كنوزه
وبنى عليها قبابا مصفحه بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجه في الف مركب
فكانت لا يمر بشي من اعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونه
ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندريه الاولى فعاث في نواحيها وهدم اكثر معالمها
الى ان دخل النيل من ناحيه رشيد وصعد الى منف واهل النواحي يحاربونه
وهو ينهب ما مر به ويقتل ما قدر عليه الى ان طلب المداين الداخله لاخذ كنوزها
فوجدها ممتنعه بالطلسمات الشداد والمياه العميقه والخنادق والسداخات
فاقام عليها اياما كثيره فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من اجل ان
جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع اهل النواحي وقتلوا من اصحابه الذين بالمراكب
خلقا واحرقوا بعض المراكب وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فاتت رياح غرقت
اكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد جرح فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك

صار الى منف واقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزاير
وبنى بها ابنية الملوك وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا واقام ملكا سبعا وستين
سنة ومات وعمره مايه وسبعون سنة ودفن بمنف في وسطها تحت الارض
ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل اباوه منها اربعة
الاف مثقال ذهبا على صور حيوانات بريه وبحريه وتمثال عقاب من حجر
اخضر وتمثال تنين من ذهب وزبر عليه اسمه وغلبته للملوك وسيرته
وعهد الى ابنه تدارس في لوح الملاطلسة جوريا ابنة طوطيس اول فراعنة
مصر وهو فرعون ابرهيم الخليل على سرير الملك بعد قتلها لابيها وعدت
الناس بالاحسان واحدثت في جمع الاموال فاجتمع لها ما لم يجمع لملك وقدمت
الكهنة واهل الحكمة ورؤسا السحرة ورفعت اقدارهم وامرت بتجديد الهياكل
وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال
له انداحس فعقد على راسه تاجا واجتمع اليه جماعة فانفذت اليه جيشا
فهزموه وقتلوا اكثر اصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث
بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت جوريا الخزاين وفرقت الاموال وقوت السحرة
فعملوا اعمالهم وقدم انداحس بجيوش الكنعانيين وعليها قايد منهم يقال له حيرون
فلما نزلوا ارض مصر بعثت ظيرا لها من عقلا النسا الى القايد سرا من انداحس
تعرفه رغبتها في تزويجه وانها لا تختار احدا من اهل بيتها وانه ان قتل
انداحس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسم انداحس بسم
انفذته اليه فقتله وبعثت اليه بعد قتل انداحس انه لا يجوز ان تزوجك
حتى تظهر قوتك في بلدي وتبني لي مدينة عجيبة وكان افتخارهم حينئذ
بالبنيان واقامة الاعلام وعمل العجايب وقالت انتقل من موضعك الى
غربي بلدي فثمة اثار لنا كثيرة فاقتف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبنى
مدينة في صحرا الغرب يقال لها قندومه واجرى اليها من النيل نهرا وغرس
حولها غروسا كثيرة واقام بها منارا عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة
والزجاج والرخام وهي تمده بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتهاديه وهو

لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة اخرى حصينة كانت لاوايلنا وقد خربت
منها اماكنه وتشعثت حصونها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى انتقل انا
الى هذه المدينة التي تبنيها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فانفذ الى جيشك
حتى اصير اليك وابعد عن بيتي واهل بيتي فاني اكره ان يدخل علي بالعرب
منهم فمضى وجد في عمل الاسكندرية الثانية واهل التاريخ يذكرون ان الذي
قصدها الوليد بن دومع العمليقي ثاني الفراعنة وكان سبب قصدها انه كانت
به علة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مايها حتى يرى ما يلايمه فوجه الى مملكة
مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مايها والطافها وعاد اليه
يعرفه حال مصر فسار اليها في جيش كثيف وكاتب المملكة يخطبها لنفسه فاجابته
والطفته وشرطت عليه ان يبني لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها
مهرا لها فاجابها وسار الى ناحية الغرب فبعثت اليه اصناف الرياحين
والفواكه وخلفت وجوه الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج
العادية منها فنقل ما كان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع اساس
مدينة عظيمة وبعث اليها مايه الف فاعل واقام في بنيانها مدة وانفق جميع
ما كان معه من المال وكلما بنا شيا خرج من البحر دواب فتقلعه فاذا اصبح لم يجد
من البنا شيا فاهتم لذلك وكان مستهوريا وقد انفذت اليه الف راس من المعز
اللبون يستعمل البانها في مطبخه وكانت مع راع يثق به يرعاها هناك فكان
اذا اراد ان ينصرف عند المسا خرجت اليه من البحر جارية حسنا فتشوق بنفسه
اليها فاذا كلمها شرطت عليه ان يصارعها فان صرعها كانت له وان صرعته
اخذت من المعزى راسا فكانت تطول الايام تصرعه وتاخذ الغنم حتى اخذت
اكثر من نصفها وتغير باقيها لشغله بحب الجارية عن رعيها ونحل جسمه فمر به
صاحبه وساله عن حاله فاخبره الخبر خوفا من سطوته فلبس ثياب الراعي وتولى
رعية الغنم موصيا الى المسا فخرجت الجارية وشرطت عليه الشرط فاجابها
وصارعها فصرعها وشدها فقالت له ان كان لا بد من اخذي فسلمني لصاحبي
الاول فانه الطف بي وقد عذبته مدة فردها اليه وقال له سلها عن هذا

البنيان الذي بنيته وبزال من ليلته ومن يفعل ذلك وهل في بنائه من حيلة فسال
الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تخرج بنيانكم قال فهل من حيلة قالت نعم
تعملون توابيت من زجاج كثيفة عظيمة وتجعلون فيها قوما يحسنون التصوير
ويكون معهم صحف وانفاس وزاد يكفيهم اياما وتحمل التوابيت في المراكب بعدما
تشد بالحبال فاذا توسطوا الما امروا المصورين ان يصوروا جميع ما يرونه ثم ترفع
تلك التوابيت فاذا وقفتم على تلك الصور فاعملوا لها اشباها من صفر او حجارة او
رصاص وانصبوها قدام البنيان الذي تبنونه من جانب البحر فان تلك الدواب
اذا خرجت ورات صورها هربت ولم تعد فعرف الراعي صاحبه ذلك ففعله وتم
البنيان وبنا المدينة وقال قوم ان صاحب البنا والغنم جيرون المؤتفكي
كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد حوريا وقتلهم وملك مصر
وذكروا ان الاموال التي كانت مع جيرون نفدت كلها في تلك المدينة ولم تتم فامر
الداعي ان تخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله
سبعة عمد على رووسها تماثيل من صفر قيام فقرب لكل تمثال منها ثورا سمينا
والطخ العمود الذي تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه وشي من نحاتة قرونه
واظلافه وقل له هذا قربانك فاطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة
التي يتوجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلا القمر واستقامة
زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فالطخها بمرارة الثور
واقلعها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا في اخره خزانة مقفلة ومفتاح
القفل تحت عتبة الباب فخذه ما شئت والطخ الباب بقية المرارة ودخن
الثور وبخره بنحاتة قرونه واظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم في
عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعرض للصنم
نفسه ولا ما عليه وكذلك بكل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه
نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سر به وامتثله فوجد ما لا
يدرك وصفه ووجد من العجايب شيا كثيرا فتمم بنا المدينة وبلغ ذلك حوريا
فساءها وكانت قد ارادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيه

وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر من
اكتحل من ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود شعره واضا بصره حتى
يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا اظهر غيمت السما وامطرت ومثال
غراب من حجر اذا سيل عن شي صوت واجاب عنه ووجد في كل خزانة عشر اعجوبات
فلما فرغ من بنا المدينة وجه الى حوريا يخطبها على القدوم اليه فحملت اليه فرشا
فاخرا تبسطه في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقسم جيشك اثلاثا فانفذ الى
ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فانفذ الثلث الاخر فاذا اخرت نصف الطريق فانفذ
الثلث الباقي ليكونوا من ورائي لئلا يراني احد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك
الا صبية تثق بهم يخدمونك فاني اوافيك في جوار يكفينك الخدمة ولا احتشم من
نفعل وافامت تحمل اليه الجهاز والاموال حتى علم انها توجه اليها ثلث جيشه
فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وانزلهم جواريها وحشمها وقدموا اليهم
الاطعمة والاشربة والطيب وانواع اللهو فلم يصبح منهم احد حيا وسارت فلقيتهم
الثلث الاخر ففعلت بهم مثل ذلك وهي توجه اليه انها انفذت جيشه الى قصرها
ومملكتها تحفظونها وصارت حتى دخلت هي عليه وطرقه وجواريها فنفخت
طرها في وجهه نفخة بهتت اليه ووثبت عليه بما كان معها فاربعدت عصاه
وقال من ظن انه يغلب النسا فقد كذبته نفسه وغلبته النسا لما نها فقصدت
عروقه وقالت دما الملوك شفا واخذت راسه فوجهت به الى قصرها ونصبته
عليه وحولت تلك الاموال الى مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت
عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها
واطاعوها وهادوها وعملت بمصر عجايب كثيرة وبنت على حد مصر من ناحية
النوبة حصنا وقنطرة يجري ما النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها دلوكة
بنت ناموم وماتت وقال ابن خرداذبة روي ان الاسكندرية بنيت في ثلثماية
سنة وان اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود مخافة
على ابصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في
البحر وانه كان فيها سوى اهلها ستماية الف من اليهود خول لاهلها وقال

وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والاسكندرية الى
برقة فكان الرجل يسير في ارض مصر فلا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات
ولا يسير الا في ظلال تستره من حر الشمس وعمل الملك صا بن قفطيم في تلك الصحاري
قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل انهارا وكان ملك من الجانب الغربي
الى حد المغرب في عمارة متصلة فلما انقرض اوليك القوم بقيت اثارهم في تلك الصحاري
وخربت تلك المنازل وباد اهلها ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكي ما راه فيها
من الاثار والعجايب وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية واسس بناها
ذو القرنين الرومي واسمه الاسكندروس به سميت الاسكندرية وهو اول من عمل الوشي
وكان ابوه اول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبة اليوناني
من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وكان من اهل لوبية كورة من كور
مصر الغربية قال ابن لهيعة واهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ... تدين له الملوك وتحسد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... اسباب علم من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

ويروى قد كان ذو القرنين قبلي مسلما وحدثني عثمن بن صالح حدثني عبد الله بن وهب
عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن سعد بن مسعود التجيبي عن شيخين من قومه قال
كنا بالاسكندرية فاستطلنا يومنا فقلنا لو انطلقنا الى عقبة ابن عامر
نتحدث عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا في داره فاخبرناه انا استطلنا
يومنا فقال وانا مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم اقبل علينا فقال
كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اخدمه فاذا انا برجال من اهل الكتاب
معهم مصاحف او كتب فقالوا استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم
يسالوني عما لا ادري انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوءا
فتوضا ثم قام الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في
وجهه والبشر ثم انصرف فقال ادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فادخله

قال

قال فادخلتهم فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شيتم اخبرتكم
عما اردتم ان تسلوني قبل ان تتكلموا وان احببتم تكلمتم واخبرتكم قالوا بل اخبرنا قبل
ان نتكلم قال جيتم تسالوني عن ذي القرنين وساخبركم كما تجدونه مكتوبا
عندكم ان اول امره انه غلام من الروم اعطي ملكا فسار حتى اتى ساحل البحر من
ارض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنايه اتاه
ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحتك فقال ارى مدينتي وارى
مداين معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتي مع المداين فلا
اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال ارى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك
انما تلك الارض كلها والذي ترى محيطا بها هو البحر وانما اراد ربك ان يريك
الارض وقد جعل لك سلطانا فيها وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار
حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم اتى السدين وهما
جبلان لينان يزلق عنهما كل شي فبنى السد ثم اجاز ياجوج وماجوج فوجد قوما
وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون ياجوج وماجوج ثم قطعهم فوجد امة قصارا
يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد امة من الغرانيق يقاتلون
القوم القصار ثم مضى فوجد امة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم
افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد ان امره هكذا كما ذكرت وانا نجدها
كذا في كتابنا وعن خالد بن معدان الكلاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال
خالد وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تسموا بالانبيا حتى تسميتم بالملايكة وقال قتادة عن الحسن
كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وانما سمي ذو القرنين ان عليا
رضي الله عنه سيل فقال لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا احب الله
فاحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعثه الله عز وجل الى قومه فضربوه على
قرنه فمات فاحياه الله ثم بعثه الى قومه فضربوه على قرنه فمات فسمي ذا القرنين
ويقال انما سمي ذا القرنين لانه جاوز قرن الشمس من المغرب والمشرق ويقال

انما سمي ذا القرنين لانه كان له غديرتان من راسه من شعر يطا فيهما وقيل بل
كان له قرنان صغيران تواريهما العمامه وعن ابن شهاب انما سمي ذا القرنين انه بلغ
قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
انه قال كان اول شان الاسكندريه ان فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان
اول من عمرها وبنى فيها فلم تزل على بنايه ومصانعه ثم تداولها الملوك ملوك
مصر بعده فبنت دلوكه ابنه زبا منارة الاسكندريه ومنارة بوقير بعد فرعون
فلما ظهر سليمن بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلسا وبنا فيها
مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بنا الملوك والفراعنه وغيرهم
الا بنا سليمن لم يهدمه ولم يغيره واصلح ما كان رث منه واقر المناره على حالها
ثم بنى الاسكندريه من اول بنائها بعضه بعضا ثم تداولتها الملوك بعده
من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بنا يضيفه الى الاسكندريه يعرف به
وينسب اليه قال ابن لهيعه وبلغني انه وجد بالاسكندريه حجر مكتوب فيه انا
انا شداد بن عاد وانا الذي نصب العماد وشيد الاحاد وسد بذراعه الواد
بنيتهن اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة في اللين مثل الطين وفي روايه
وكنزت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا لن يخرجه احد حتى يخرجه امه محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن لهيعه والاحاد كالمغار وقال ابو علي القالي في كتاب الامالي
وانشد ابن الاعرابي وغيره

تسألني عن السنين كم لي ... فقلت لو عمرت عمر الحسل
او عمر نوح زمن الفطحل ... وفي روايه لو انني اوتيت علم الحكل الحكل
علم سليمن كلام النمل ... وعشت دهرا زمن الفطحل
ايام كان الصخر مثل الوحل ... للشت رهن هرم او قتل

وقال اخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب وعندهم ان زمن الفطحل زمان
كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن
لم يخلق بعد وقوله علم الحكل الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان هذا الرجز لرؤبه بن العجاج
ابن رؤبه بن لبيد بن صخر بن كنيف بن عمي بن بكر بن ربيعه بن سعد بن مالك بن سعد بن

مالك زيد

زيد مناة بن تميم وذلك انه ورد ماء لعكل فراى فتاة فاعجبته فخطبها فقالت ارى سنا
فهل من مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا ال عكل الكبر او
امعارا فقال رؤبه لما ازدرت نقدي وقلت ابلي تالفت واتصلت بعكل
خطبي وهزت راسها تستبلي سالتني عن السنين كم لي
فقلت لو عمرت عمر الحسل او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل وفي روايه لو اوتيت علم الحكل علم سليمن كلام النمل
وسالت ابا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال يزعم العرب انه زمان كانت فيه الحجارة رطبه
قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى الاسكندريه شداد بن عاد والله اعلم وكانت
الاسكندريه ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منه وهي موضع المناره وما والاها
والاسكندريه وهي موضع قصبة الاسكندريه اليوم ونقيطه وكان على كل واحده
منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على
الاسكندريه سبعة حصون منيعه وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنا
الاسكندريه رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة
فمن اجل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها
بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر ادخل الرجل الذي يخيط بالليل في ضو القمر في
بياض الرخام الخيط في جحر الابره ويقال بقيت الاسكندريه يلتمع ثلثمائة سنة وسكنت
ثلثمائة سنه وخربت ثلثمائة سنه ولقد مكثت سبعين سنه ما يدخلها احد الا وعلى
بصره خرقه سودا من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنه ما يسرج
فيها قال وكانت الاسكندريه بيضا تضي بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس
لم يخرج احد منهم من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطي البحر فكان
يخرج من البحر شي فياخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جاريه فتشبث
بشعرها وما نعته نفسها فقوي عليها وذهب بها الى منزله فانست بهم فرايتهم لا يخرجون
بعد غروب الشمس فسالتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيات لهم الطلسمات
فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندريه وقيل كان الرخام قد سخر
لهم حتى يكون من بكرة النهار بمنزلة العجين فاذا انتصف النهار اشتد وقال المسعودي

ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار حتى يختار
ارضا صحيحة الهوا والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها اثر
بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو
القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد انا شداد بن عاد شددت بساعدي الواد وقطعت
عظيم العماد وشوامخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
واردت ان ابني هنا مدينة كارم وانقل اليها كل ذي قدم وكرم من جميع العشاير والامم
وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابني ما اعجلني وعما اردت قطعني ومع
وقوع ما طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن داري لا لقهر ملك جبار
ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الاثار وسلطان
العزيز الجبار فمن راى اثري وعرف خبري وطول عمري ونفاذ بصري وشدة حذري فلا
يغتر بالدنيا بعدي فانها غرارة غدارة تاخذ منه ما تعطي وتسترجع منه ما تولي
وكلام كثير يرى فنا الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر مفكرا اشد بر
هذا الكلام ويعتبر ثم بعث يحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها
اميالا وجمع اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار
من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما يلي مصبه نحو اقناس
وحمل اليه ايضا من جزيرة رودس وامر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور
المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قايمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا
منوطة بعضها ببعض ووصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان امام مضربه وعلق على العمود
جرسا عظيما مصوتا وامر الناس والقوام على البنيان والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا صوت
ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا جرسوا على ان يضعوا الاساس
المدينة دفعة واحدة من ساير اقطارها واحب الاسكندر ان يجعل ذلك في وقت يختاره طالع
سعد فخفق الاسكندر براسه واخذته نعسة في حال الارتقاب للوقت المحمود فجا غراب فجلس
على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت
عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات هندسية وحيل حكمية فلما راى الصناع
تلك الحبال قد تحركت وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج

بالتحميد

بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك فاعجب
وقال اردت امرا واراد الله غيره ويابى الله الا ما يريد اردت طول بقايها واراد الله سرعة
فنايها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما احكم بناها وثبت اساسها
وجن الليل عليهم خرجت دواب البحر فاتت على جميع البنيان فقال الاسكندر حين اصبح
هذا ابتدا الخراب في عمارتها وتحقق مراد البارى سبحانه في زوالها وتطير من فعل الدواب
فلم يزل البنا في كل يوم يبني ويحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون
وقد خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر ما الذي يصنع
واية حيلة تنفع في ذلك حتى تدفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة عند خلوه
بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب
طوله عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد احاط بها
خشب التابوت باستدارتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة
للما حذرا من دخول الما الى التابوت وقد جعل فيها مواضع للحبال ودخل الاسكندر في
التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم باتقان التصوير وامر ان يسد عليه الابواب وان يطلى
بما ذكرنا من الاطلية وامر بمركبين عظيمين فاخرجا الى لجة البحر وعلق في التابوت من اسفله
مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوي بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين
والصق بخشب بينهما لئلا يفترقا وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حبالها فغاص
التابوت حتى انتهى الى قرار البحر فنظر الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشاف
في صفا ما البحر فاذا بصور الشياطين على مثال الناس ومنهم من له مثل رووس السباع
وفي ايديهم الفووس ومع بعضهم وفي ايدي بعضهم المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع
المدينة والفعلة وما في ايديهم من الات البنا فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها
بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها ونسوة خلقها وقدودها ثم حرك الحبال
فلما احس بذلك من في المركبين جذبوا الحبال واستقوا التابوت فخرج الاسكندر وامر
صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت
على العمد بشاطي البحر ثم امر فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والافات من البحر فنظرت
الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت ولم تفسد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت

وامر الاسكندر ان يكتب على ابوابها هذه الاسكندريه اردت ان ابنيها على الفلاح
والنجاح واليمن والسعاده والسرور والثبات في الدهور ولم يرد البارى عز وجل ملك
السموات والارض ومفني الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنائها وشيدت سورها
واتاني الله عز وجل من كل شي علما وحكمه وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر علي في العالم
شي مما اردته ولا امتنع عني شي مما طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا لي وصلاحا لعباده
من اهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شي ورسم بعد هذه الكتابه
كلما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الافات والعمران والخراب
وما يوول امرها اليه الى وقت دثور العالم وكان بنا الاسكندريه طبقات وتحتها
قناطر معتطره فكان تدور المدينه يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور
جميع تلك الازاج والقناطر التي تحت المدينه وقد عمل لتلك العقود والازاج مخارق
ومتنفسات للضيا ومنافذ للهوا وقد كانت الاسكندريه تضي بالليل بغير مصباح
لشده بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وازقتها معتطره كلها
لا يصيب اهلها شي من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجاره المختلفي اللون بينها
خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق في المدينه شقاق الحرير الاخضر لاختطاف
بياض الرخام ابصار الناس لشده بياضه فلما احكم بناها وسكنها اهلها كانت افات البحر
وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندرانيين تختطف بالليل اهل المدينه
فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على اعمده
هنالك تدعى المسال وهي باقيه الى هذه الغايه كل واحد من هذه الاعمده على هيه السروه
وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا واشكالا وكتابه
قال مولفه فيما تقدم من حكايه ابن وصيف شاه ما يشبه هذا مما نقله المسعودي من ان
الاسكندر هو الذي عمل الناموس حتى صور اشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف
باخبار اهل مصر ولذلك ما ذكر المسعودي من ان المسال من عمل الاسكندر وهم ايضا بل هذه
المسال هي المنابر التي كان يبنون عليها والاعلام التي كانت ملوك مصر القدما ينصبونها وهي من اعمال
ملوك القبط الاول ومن اعمال الفراعنه الذين ملكوا مصر من قديم الزمان ذكر الاسكندر
هو الاسكندر بن فلبش بن امينته ويقال بن هرقلش الجبار الذي هو ابن الاسكندر الاعظم ولي

والاصل كاسه

ابوه

ابوه فلبش الملك في بلد مجذونيه خمسا وعشرين سنه استنبط فيها ضروبا من المكر وابدع
انواعا من الشر يتقدم فيها كل من ولي الملك بها قبله وكان في اول امره قد جعله اخوه الاسكندر
رهينه عند امير من الروم فاقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب
الفلسفه فلما قتل اخو الاسكندر اجتمع الناس على توليه فلبش وولوه ما ترافقام
في السلطان مقاما عظيما وحارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البربيه فقتل بها من الناس
الافا وغلب على مداين فاجتمع له جمع لا ينفد وجيش لا يرام فاذل جميع الروم وذهبت
عينه في بعض الحروب وعم البلدان والمداين غاره وهدما وسبيا فانتهى بالتحشد
جميع اهل بلد الروم وعبا عسكرا فيه مايتا الف راجل وخمسون الف فارس
سوى من كان معه من اصحابه المجذونيين ومن غيرها من اجناس اليونانيين يريد
غزو الفرس فبيناه يجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنه له فقال لها قلوبطره من ختنه
اخي امراته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيوم من يحدث قواده اذ
سيل اي الميتات احق ان يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل الشريف
القوي الظافر المجرب ان يريد بنفسه الا يتمنى الموت الا بالسيف فجاه لئلا تعذبه
المرض وتخل قوته الاوجاع فتخل له ما تمنى به في تلك العرس وذلك انه حضر
لعبا كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فبيناه في ذلك اذ اقصده
احد احداث الروم بطعنه فقتله بها تاثرا لابيه عندما تمكن منه متفردا فولي
الاسكندر الملك بعد ابيه فلبش فكان اول شي اظهر فيه قوته وعزمه في
بلد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعه المجذونيين الى طاعه الفرس فدرسهم
واستاصلهم وخرب مدنهم وجعلهم سبيا مبيعا وجعل سائر بلادهم وكورهم
تودي اليه الخراج ثم قتل جميع اختانه واكثر اقاربه في وقت تعبيته لمحاربه
الفرس وكان جميع عسكره اثنين وثلاثين الف فارس وستين الف راجل وكانت
مراكبه خمسمايه مركب وثمانين مركبا فحرك بهذه العده كبار ملوك الدنيا وسار
الى الاسكندريه ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قربانا وخرج يريد
محاربه دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في اول ملاقاته اياه ستمايه الف
مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقيعه شنعا ونكبه ذهبت

قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا
وتسعون راجلا ومضى الاسكندر ففتح مدائن وانتهب ما فيها فبلغه ان دارا قد عبا
واقبل نحوه بجمع عظيم فخاف ان يلحقه في مضايق الجبال التي كان فيها فقطع نحوا من مائة
ميل في سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرطوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى انقبض
عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة الف راجل ومائة الف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر
يفزع لكثرة ما كان مع دارا وقلة ما كان معه واستحر القتال بينهم وباشر القواد الحرب
بانفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق الفضاء باهله فباشر كلا
الملكين الحرب بانفسهما دارا والاسكندر وكان الاسكندر اكمل اهل زمانه فروسية
واشجعهم واقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتمادت الحرب حتى انهزم دارا
ونزلت الوقيعة بالفرس فقتل من رجالهم نحو من مائتين الفا ومن فرسانهم نحو من عشرة الاف
واسر منهم نحو من اربعين الف ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلا
ومائة وخمسون فارسا فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس واصاب فيه من الذهب
والفضة والامتعة الشريفة ما لا يحصى كثرة واصيب من جملة الاسارى ام دارا وزوجته
واخته وابنتاه فطلب دارا فديتهن من الاسكندر بنصف ملكه فلم يجبه الى ذلك
فعبى دارا عسكره ثالثة وحشد الفرس من عند اخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من
الامم فبعث الاسكندر قائدا بجيوش واسطول للغارة على بلد الفرس ومضى الاسكندر
الى الشام فتلقاه هنالك ملوك الدنيا خاضعين له فعفى عن بعض ونفى بعضا
وقتل بعضا ومضى الى احواز طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان
واهلها بذخ فوثقوا بعون اهل افريقية لهم فحصرها سبعة اشهر حتى افتتحها
ومضى منها الى رودس والى مصر فانتهب الجميع وبنى مدينة الاسكندرية بارض مصر وقال
هيرودسلوس وله في مسيره هذا اخبار طويلة وسياسات تركنا ذكرها هنا لتطويل كتابنا بها
ثم ان دارا لما يئس من مصالحته اقبل في اربعمائة الف راجل ومائة الف فارس
فلقي الاسكندر من ناحية مصر في اعمال مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهد
الروم على ما كانوا اضمروه واعتادوه من الغلبة والظفر واجتهد امر الفرس على التوطين
على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فلم ما تجلى عن معركة كان القتل
فيها اكثر منه في تلك المعركة فلما نظر دارا الى اصحابه تتغلب عليهم

عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى
يقتل معترضا للقتل فلطف به بعض قواده حتى سللوه فانهزم وذهبت قوة الفرس
وعزهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلد المشرق كله في طاعة الروم وانقطع ملك
الفرس مدة اربعمائة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر بتحصيل ما اصاب في
عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على اهل عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة
الفرس التي كانت راس ملكهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها
وانتهب ما فيها فبلغه عن دارا انه صار عند قومه مكبلا في كبول من فضة فانتهض
وخرج في ستة الاف فوجده بالطريق مجروحا جراحات كثيرة فلم يلبث ان هلك منها
فاظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وامر بدفنه في مقابر الملوك فكان في امر هذه
الثلاث المعارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ انه قتل فيها من اهل مملكة واحدة
نحو من خمسة عشر الف الف بين راكب وراجل من اهل بلد فارس وهي العراق وقد
كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من ستين سنة نحو تسعة عشر الف الف
الى الف الف ما بين راكب وراجل من اهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر
وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين دوخهم الاسكندر اجمعين وكان سلطان الدنيا
مقسوما بين قواده بعد ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم كله وعم اهله ببعض
البلايا القطيعة وبعض ما التوطين عليها والمباشرة لاهوالها واوصى عند
وفاته ان يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس بقولة للاعداء ان معناه
الحربي فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه ويقال انه كان
ازرق اشقر وهو اول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له الخرافات
يريد بذلك تحفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك في السمر واتخاذ
المضحكين والمخرفين

ذكر تاريخ الاسكندر

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم
بذي القرنين على سني الروم وعليه يعمل اكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن
ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس ولما ورد بيت المقدس امر اليهود
بترك تاريخ موسى وداود عليهما السلام والتحول الى تاريخه فاجابوه وانتقلوا الى تاريخه

واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد ان عملوه من السنه السادسة والعشرين لميلاده وهو
اول وقت تحركه لسمو الف سنه من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ
ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين وكانوا قبله يورخون بخروج يونان بن يورس عن بابل
الى المغرب واول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول ويوافقه اليوم الرابع
من بابه ومبدا الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى ان يصبح الصباح
وتطلع الشمس فعدكل يوم بليلته ومبادي الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري
عليه دايما وعدة شهور سنتهم اثنى عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه
اسماوها كانون الاول احد وثلثون يوما كانون الثاني احد وثلثون يوما
شباط ثمانيه وعشرون يوما وربع اذار احد وثلثون يوما نيسان ثلاثون يوما
ايار احد وثلثون يوما ايلول ثلاثون يوما فسبعة اشهر كل شهر منها احد وثلثون
حزيران احد وثلثون يوما تموز احد وثلثون يوما اب احد وثلثون يوما واربعة
اشهر كل شهر منها ثلاثون يوما وشهر واحد ثمانيه وعشرون يوما وربع يوم
وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانيه وعشرون يوما وجعلوه
في السنه الرابعه تسعه وعشرين يوما فيكون عدد ايام سنتهم ثلثمايه وخمسه وستين
يوما وربع يوم ويجعلون سنيهم ثلاث سنين متواليات ثلثمايه وخمسه وستين يوما
ويجعلون السنه الرابعه ثلثمايه وسته وستين يوما ويسمون السنه الكبيسه وانما
زادوا الربع يوم في كل سنة ليقرب عدد ايام سنتهم من عدد ايام السنه الشمسية حتى
تجري امورهم على نظام واحد فيكون شهور البرد وشهور الحر واوان الزرع ولقاح
الشجر وجني الثمر في وقت معلوم من السنة لا تتغير وقت شي من ذلك البته وكان
ابتدا الكبيس في السنه الثالثه من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ
الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنه التي هاجر فيها محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه الى المدينه تسعمايه سنه وثلاث
وثلاثين سنه ومايه وخمسه وخمسين يوما وبينه وبين يوم الجمعه اول يوم من الطوفان
الفا سنه وسبعمايه واثنتان وتسعون سنه ومايه وثلاث وتسعون يوما وبينه
وبين ابتدا ملك بختنصر وبين اول تاريخ الاسكندر اربعمايه وخمس وثلاثون سنة شمسية

ايام

ومائتا يوم وثمانيه وثلثون يوما وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشيه في كتاب
الفلاحة النبطيه الشهر المسمى تموز فيما ذكر النبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت
له قصه عجيبه طويله وهو انه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر
وان الملك قتله وعاش بعد القتله له ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها يعيش ثم
مات في اخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط
الذين كانوا سكان اقليم بابل قبل الكسدانيين وذلك ان تموز هذا ليس من الكسدانيين
وذلك ان تموز هذا ليس من الكسدانيين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرامقه
وانما هو من الحسباسين الاولين وكذلك يقولون في كل شهورهم انها اسما رجال مضوا وان
تشرين الاول وتشرين الثاني اسما اخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول
وكانون الثاني وان شباط اسم رجل نكح الف امراة ابكارا كلهن ولم يسل نسلا ولا ولد ولدا
فجعلوه في اخر الشهور لنقصانه عن النسل فصار النقصان من العدد فيه والصابيون من
البابليين والحرانيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على تموز في الشهر المسمى
تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعددون تعديدا عظيما وخاصه النسا فانهن
ثمن هنا جميعا ينحن ويبكين على تموز ويهذون في امره هذيانا طويلا وليس عندهم
علم من امره اكثر من ان يقولوا هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد
المنسوب الى تموز ويقال ان نوفوس اول من ملك مدينه رومية وانه اقام ملكا
ثلاث واربعين سنه وشهر شباط في شهور الروم كلها انها كانت الى ذلك الزمان
عشرة اشهر كل شهر سته وثلثون يوما وكان سبب نقص شباط يومين وقوع غارة
في ايام قسطنطين بين جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فربوربوس التالي نصرة
قسطنطين واخذه مملكة الروم وامر بفربوربوس فنودي عليه اعيا مردنا وتقسيرنا اخرج
باشباط ثم غرق في البحر وسموا شهر فربوربوس ليكون تذكارا يسوله فان هذا الفعل
كان في يومي التاسع والعشرين والثلاثين من شباط فنقصوهما من شباط وزادوهما
في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منها احدا وثلاثين يوما ثم بعد زمان جاء ملك اخر
فقال لا يحسن ان يكون شباط في وسط السنه فنقله الى اواخرها ولم تزل الروم من ذلك
الوقت يتطيرون من شباط وللنصارى ذكر ان يعلونه لرجل يسمى حورجليس احد حواري

عيسى عليه السلام دعى ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك العقوبات فلا ادرى وقع الى النصارى فقصد لموز فابدلوا مكانه اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت لان الصابئين يعملون ذكران لموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملونه لجورجيس في اخر نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت الى زمانه عشرة اشهر كل شهر سنة وثلاثون يوما ٥

ذكر الفرق بين الاسكندر وذي القرنين وانهما رجلان

اعلم ان المحقق عند العلماء الاخباريين ان ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا الايات عربي قد كثر ذكره في اشعار العرب وان اسمه الصعب ابن ذي مرائد بن الحارث بن الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي منح بن عامر الملطاط ابن سلسك بن وائل بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العربا وكان ذو القرنين تبعا متوجا ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن ان الاسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد فان لفظة ذو عربية وذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن وذاك رومي يوناني قال ابو جعفر الطبري كان الخضر في ايام افريدون الملك من اثفيان في قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان ايام ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل ان الخضر بلغ مع ذي القرنين ايام سيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه فخلد وهو حي عندهم الى الان وقال اخرون ان ذو القرنين الذي على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو افريدون بن اثفيان وعلى مقدمته كان الخضر وقال ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان في معرفة ملوك الازمان بعد ما ذكر نسب ذي القرنين الذي قلناه وكان تبعا متوجا لما ولي الملك تجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر ببيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها واوتي من كل شيء سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على ياجوج وماجوج ومات بالعراق واما الاسكندر

فانه

فانه يوناني ويعرف بالاسكندر المجدوني سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذي القرنين ممن كان فقال من حمير هو الصعب بن ذي مرائد الذي مكنه الله في الارض واتاه من كل شيء سببا فبلغ قرني الشمس وراس الارض وبنى السد على ياجوج وماجوج قيل له فالاسكندر قال كان رجلا روميا صائغا حكيما بنى على البحر في افريقية منارا واخذ ارض رومة واتى بحر العرب واكثر عليه الاثار في المغرب من المصانع والمدن وسئل كعب الاحبار عن ذي القرنين فقال الصحيح عندنا من احبارنا واسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذي مرائد والاسكندر كان رجلا من بني يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ورجال الاسكندر ادركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس وارسطاطاليس وقال الهمداني في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبا زيدا فولد زيد عريبا ومالكا وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبا اخو حمير وكهلان فاولد عميكرب ابا مالك فدرج ومهليل ابني عميكرب ~~بن سبا اخو حمير وكهلان فاولد عميكرب~~ فولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهليل بن عميكرب بن سبا وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهميسع ويكنى ابا الصعب وهو ذو القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير رضي الله عنه

فمن ذا يعادونا من الناس معشرا ... كراما فذو القرنين منا وحاتم
وفيه يقول الحارثي

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه ... في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذي القرنين يقبله ... اهل الحجى فاحق القول ما قبلا

وفيه يقول ابن ابي ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تغربا ... واصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا ... وفي ردم ياجوج بنى ثم نصبا
بعسكر مثل الليل يحصى لحسبا ... وذلك ذو القرنين مفخر كهلان

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة ابن الخيار بن مالك وفي ذي القرنين اقاويل كثيرة وقال الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي في كتاب تفسير القران الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس يامره بامره وينهيه بنهيه واعتقاد ارسطاطاليس

قرفه ٥ خولنجان ٣ كبابه ٣ قرنفل ٣ جوزبوا ٣ قاقله ٣ هيل ٣

زعفران ٣ اشنه ٤ سنبل ٤ بادرنجبويه ٥ گاوزبان ٥ فلنجمشك ٣ ورد ٣

قشر اترج ٤ دارفلفل ٤ بهمسار ٢ ساحي ١ واسطو ١ بهمن احمر ٣

بسباسه ٥ لسان العصفور ١ خصية الثعلب ٣ سعد كوفي ٣ كارسرح ٣

عنبر ٢ مسك نصف ل فرفيون ال عصاره ٥ لعال ١ مرواريد ٢

كهربا ١ بسد ١ ذهب نصف ل فضه نصف ل

١٤٥

مشهور وذو القرنين نبي فكيف يعتدي نبي ما مر كافر في هذا اشكال وقال الحافظ في كتاب
الحيوان ان ذا القرنين كانت امه فيري ادمية وابوه عبري من الملكة ولذلك لما سمع عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينادي يا ذا القرنين قال أفرغتم من اسما الملائكه فارتفعتم الي
اسما الانبيا وروي المختار بن ابي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال
ذلك الملك الامرط

ذكر من ولي الملك بالاسكندريه بعد الاسكندر

قال في كتاب هروسيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثني عشرة سنه فكانت الدنيا
ما سورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان
مثله معهم كمثل الاسد الذي صيده بين يدي اشباله فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده
وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقيه كلها وبلد الغرب الى قادس لصاحب
خيله الذي ولي مكانه وهو بطلميوس بن لاوي ويقال بطلميوس بن ارنب المنطقي وذكر
ممالك بقيه القواد من اقصى بلاد الهند الى اخر بلاد المغرب ثم قال فثارت بينهم بعده حروب
وسببها رساله كانت خرجت من عند الاسكندر بان يرجع جميع الغرب المنفيين الى بلادهم
ويسقط عنهم الرق والعبوديه فاستقل ذلك ملك الروم اذ خافوا ان يكون الخلفاء المنفيون
اذا رجعوا الى بلدانهم ومواطنهم يطلبون النقمة لانفسهم وكان هذا الامر سبب خروجهم
عن طاعه سلطان المجدونيين وقال غيره وبطلميوس هذا اسبا بني بعدما غزا فلسطين
ثم اطلقهم وحباهم بانيه حولهم وصفحت في بيت المقدس وملك عشرين سنه قال وبطلميوس
ابن لاوي وقال غيره ولي اربعين سنه وقيل ثماني وثلاثين سنه وقيل ان اسمه فيلدلفس
وهو محب الاب قال وكان مجدونيا وهو الذي غنم اليهود وانتقل كثير منهم الى مصر وفي
زمانه كان رسون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا واقبل برديقا احد
قواد الاسكندر الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم فتفرق سلطان مجدونيه الى بلد
مجدونيه على قسمين ثم ان بطلميوس جمع عساكر مصر وافريقيه فلاقا برديقا فهزمه
واصاب عسكره ثم قتله واصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر
وقال غيره وكان بطلميوس هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو اول من اقتنى
البزاة ولعب بها وضراها وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها ولما مات ملك
الاسكندريه بعده بطلميوس الثاني واسمه فلذلفس ويقال له محب الاخ وكان

سنه ملكه ثمانيا وثلاثين سنه وهو الذي اطلق اليهود الذين كانوا ماسورين بارض مصر
ورد الاواني المقدسه على عزير النبي وهو الذي تخير السبعين مترجما من علما اليهود
الذين ترجموا كتب التوراه والانبيا من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني والطيني
وكان فيلسوفا منجما ومات فولي بعده ابنه بطلميوس انطيطس المعروف بمحب
الاب ستا وعشرين سنه ثم ولي بعده اخوه بطلميوس فلياطر سبع عشره سنه
وهو الذي قتل من اليهود نحوا من ستين الفا وتغلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك
والنجوم وكتاب المجسطي ثم ملك بعده ابنه بطلميوس ابيفانيس محب الام
اربعا وعشرين سنه ثم ولي بعده ابنه بطلميوس فلوماطر وهو الصانع خمسا
وثلثين سنه وهو الذي غلب ملك الشام وحمل على اليهود انواع البلا والعذاب ثم ملك
الاسكندريه بعده ابنه بطلميوس ابرماطس وهو الاسكندراني تسعا وعشرين
سنه وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحرقت مدينه قرطاجنه بالنار
واقامت النار فيها سبعه عشر يوما وهدمت وحولت اساساتها حتى صار رماد
اسوارها غبارا وذلك الى ستمايه سنه من وقت بنيانها ومع جميع اهلها رفقا الا
قليلا من خيارهم واشرافهم وكان المتولي لتخريبها قواد رومه ثم ولي بعده ابنه بطلميوس
سوطر الذي يقال له الحديد سبع عشره سنه وكان قبيح السيره تزوج باخته ثم فارقها
على اقبح حال مما تزوجها عليه في حياته ثم تزوج ربيبته التي كانت بنت اخته ثم زوجها
من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحشه حتى نفاه اهل الاسكندريه فمات منفيا
وولي اخوه بطلميوس الاسكندر وهو احوال عشر سنين ثم ولي بعده ابنه
بطلميوس ديونيسيوس ثمان وثلاثين سنه وفي زمانه غلب قايد الرومانيين على
بيت المقدس وجعل اليهود يودون الجزيه وظهرت في ذلك الزمان علامات
في السما مهوله منها انه ظهر في السما ناحيه مطلع الشمس من مدينه رومه ثم يلي
ناحيه الجنوب نار ملتهبه عظيمه وكسر قوم خبزا في صحن لهم فانفجر من الخبز دم سايل وبرد
بمدينه رومه مده سبعه ايام متواليه بردا كان يوجد في داخله حجاره وشقاق وانفتحت
الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه لهيب اشتعل حتى ظنوه بلغ السما ونظر اهل رومه
بوسطه الى عمود من الارض الى السما لونه لون الذهب وكان من عظمه يكاد الشمس ان يغطيه سنه

ثم ولي الاسكندرية بعده كلوباطره سنتين فلامت مملكة الاسكندرية وانقضت الدوله
المجدونيه الى اول ملك قيصر الذي هو اول ملوك الروم الثانيين مايتين واحدى وثمانين
سنه فبعث قيصر قايلين بعساكر كبيره لفتح مصر فتزوج احدهم كلوباطرة ابنة ديونيشيش
الملقب بطلميوس وقتل القايد الاخر فخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور
آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوباطرة
وولدها وقتل القايد الذي تزوجها ويقال بل سمت نفسها عندما تحققت غلب
قيصر لها ويقال كانت ذات حزم ومعرفه وتدبير وانها حفرت خليج الاسكندرية
واجرت فيه الماء من مصر وبنت بالاسكندرية ابنيه عجيبه منها هيكل زحل وعملت
فيه صنما من نحاس اسود فكان اهل الاسكندرية ومصر يعملون له عيدا في اليوم
الثاني عشر من هاتور ويحج اليه اليونان من ساير الاقطار ويذبحون له ذبايح لا
تحصى كثره فلما ظهرت ملة النصارى في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسه ولم
تزل الى ان هدمتها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى ارض مصر في سنه
ثمان وخمسين وثلثمايه من سني الهجرة النبوية ويقال ان كلوباطرة هي التي بنت حايط
العجوز وسيتعان يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا
اخر بانصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنه وليس بصحيح وبموت كلوباطرة انقطعت
مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من اهل مدينة رومه ثم تحت يد ملوك الروم
من اهل قسطنطينيه فلم تزل تحت ايديهم يولون فيها من قبلهم من شاوا ويقيم الى
الاسكندرية ويقيم بها الى ان قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن
والاسكندرية وجميع ارض مصر ويقال معنا كلوباطره الباكيه فكان جميع المدة التي
ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وبين قدوم عمرو بن العاص الى مصر
وفتحها ستمايه سنه ونصفا وسبعين سنه وفي خلال هذه المدة توجهت ملوك
الفرس على القياصره وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على ارض مصر والاسكندرية
في ايام كسرى ابرويز بن هرمز فبعث قايدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم
واقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينيه
بجمع الاموال من ساير مملكته واخذ حماه ودمشق وصار الى بيت المقدس وتحزبت

الفرس

الفرس امر سيار بها وسار منها الى ارض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس
واقام بها سبعون ثم عاد الى قسطنطينيه فاستمرت مصر بعده بيد ابناء الروم حتى
ملكها المسلمون ويقال ان كل ما بمصر من آجر فهو للفرس وما فيها من بقايا حجر فهو للروم والله اعلم

ذكر منار الاسكندرية

قال المسعودي فاما منار الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين
ممن عني باخبار بلدهم ان الاسكندر بن فيلبس المقدوني هو الذي بناها ومنهم من راى
ان دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من راى
ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من راى ان الذي بنى مدينة روميه
هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية
الى الاسكندر لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا في
ذلك اخبارا كثيره يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم تطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب
ملكا يرد اليه في بلده ويغزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وان الذي بناها
جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو
داخل في البحر من البر وجعل على اعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد اشار
بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك واذا علت في الفلك فاصبعه
مشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلى يدور معها حيث دارت ومنها
تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز ان يرى
بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين او ثلاثة
فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم فيرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما
مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها
وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان انفذ
خادما من خواص خدمه ذا راي ودهاء جاسوسا من الى بعض الثغور فورد بالة حسنة
ومعه جماعة فجي الى الوليد واخبره انه من خواص الملك وانه اراد قتله لموجدة وحال
بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش ورغب في الاسلام فاسلم على يدي الوليد
وتقرب من قلبه وتنصح اليه في دفاين استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام

مكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاين فلما صار الى الوليد بذلك الاموال والجواهر شرهت
نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا امير المومنين ان هاهنا اموالا وجواهر ودفاين للملوك
فساله الوليد عن الخبر فقال تحت منار الاسكندريه اموال الارض وذلك ان الاسكندر
احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها الازاج
تحت الارض وقنطر لها الاقبا والقناطر والسراديب واودعها تلك الذخاير من
العين والورق والجوهر وبنى فوق ذلك هذا المنار وكان طوله في الهوا الف ذراع
والمراه في علوه والدبادب جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضو تلك المراه
صوتوا لمن قرب منهم ونشروا اعلاما فراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد
فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من ثقاته وخواصه
فهدم نصف المناره من اعلاها وازيلت المراه فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيده
وحيله في امرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما
يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد اعده وواطا على ذلك فتمت حيلته وبقيت
المناره على ما ذكرنا في هذا الوقت وهو سنه اثنتين وثلاثين وثلثمايه وكان حوالي
منار الاسكندريه في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتيم
انواعا من الجواهر فقال ان ذلك من الات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها
امه ورمت بها في تلك المواضع من البحر ومنهم من راى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع
من الجواهر وغرقه حول المنار لكيلا يخلو من الناس حولها لان من شان الجوهر ان
يكون مطلوبا ابدا في كل عصر ويقال ان هذا المنار انما جعلت المراه في اعلاه لان ملوك
الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندريه فجعل من كان بالاسكندريه
من الملوك تلك المراه ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها تتيه فيها
الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد
ذكر ان المغاربه حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم
على خيولهم الى المنار فتاهوا فيها وفي طريق يتوصل الى مهاوي تهوي الى السرطان الزجاج
وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل
ان تهورهم كان على كراسي لها قدامها وفي المنار مسجد في هذا الوقت مرابط فيه مطوعه

المصريين وغيرهم وفي سنه تسع وسبعين وماية سقط راس المنار من زلزله ويقال
ان منار الاسكندريه كان مبنيا بحجارة مهندمه مضببه برصاص على قناطر من الزجاج
وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان في المنار ثلثماية بيت بعضها فوق بعض وكانت
الدابه تصعد بحملها فوق سائر البيوت من داخل المنار ولهذه البيوت طاقات تشرف
على البحر وكان على الجانب الشرقي من المنار كتابة عربت فاذا هي بنت هذه المنظره قريتا
بنت مرتيوس اليونانيه لرصد الكواكب وقال اخرون وصف شاه وقد ذكر اخبار مصر ان
ابن بيصر بن حام بن نوح وسوا على غير البحر مدنا منها رقوده مكان الاسكندريه
وجعلوا في وسطها قبه على اساطين من نحاس مذهب والقبه مذهبه ونصبوا
فوقها مراه من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبه ماية ذراع
فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهمهم او من البحر عملوا لتلك المراه
عملا فالقت شعاعها على ذلك الشي فاحرقته فلم على حالها الى ان غلب عليها
البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنار الذي كان تشبيها بها وقد كان
ايضا عليه مراه يرى فيها من يقصدهم من بلد الروم فاحتال بعض ملوك الروم
فوجه من ازالها وكانت من زجاج مدبر وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف
وقد كان وزير المتوكل عبد الله بن يحيى بن خاقان لما امر المستعين بنفيه الى برقه في سنه
ثمان واربعين وماتين صار الى الاسكندريه من بلاد مصر فراى جرم الشمس على علو
المنارة التي بها وقت المغيب فقدر انه يلزمه ان لا يفطر اذا كان صايما او تغرب
الشمس من جميع اقطار الارض فامر انسانا ان يصعد الى اعالي منارة الاسكندريه
ومعه حجر وان يتامل موضع سقوط الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك
فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشا الاخره فجعل افطاره فيما بعد اذا صام
في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من راى لا يفطر الا بعد عشا الاخره
وعنده ان هذا فرضه وان الرتبتين مستويتان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم
بالفرض ومجاري المشرق والمغرب وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاثار العلويه
ان بناحية المشرق الصيفي جبلا شامخا جدا وان من علامة ارتفاعه ان الشمس لا تغيب
عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات

ومنارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك
اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فلبش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من
الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا في اعاليها مراة عظيمة من نوع
الاحجار المشفة ليشاهد منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز
الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك في تلك المراة فيستعدون لهم قبل ورودهم
وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب مايتان وثلاثون ذراعا وكان طولها
قديما نحوا من اربعمائة ذراع فتهدمت على طول الازمان وترادف الزلازل والامطار
لان بلد الاسكندرية تمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر اذ كان الاغلب عليها
الا تمطر الا اليسير وبناؤها بثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث مربع
الشكل بناؤه باحجار بيض يكون نحوا من مائة ذراع وعشرة اذرع على التقريب ثم من
بعد ذلك مثمن الشكل مبني بالاجر والجص نحو من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء
يدور فيه الانسان واعلاه مدور وكان احمد بن طولون رم منه شيا وجعل في اعلاه
قبة من الخشب ليصعد اليها من داخلها وهي مبسوطة مورّبة بغير درج وفي الجهة
الشمالية من المنار كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني يكون طول كل حرف ذراعا
في عرض شبر ويكون مقدارها على وجه الارض نحوا من مائة ذراع وماء البحر قد بلغ اصلها
وقد كان تهدم احد اركانها الغربية مما يلي البحر فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن
طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت نحو ميل وهي على طرف لسان
من الارض قد ركبه البحر من جنبتيه وهي مبنية على فم مينا الاسكندرية وليس بالمينا
القديم لان القديم في المدينة العتيقة لا ترسي فيه المراكب لبعده عن العمران والمينا
هو الموضع الذي ترسي فيه مراكب البحر واهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم
شاهدوا بين المنار وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنار في هذا الوقت فغلب عليه
ماء البحر في المدة اليسيرة وان ذلك في زيادة قال وتهدم في شهر رمضان سنة اربع
واربعين وثلثمائة نحو من ثلاثين ذراعا من اعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير
من الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن
بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا مهولة فظيعة اقامت نحو نصف ساعة زمانية

وذلك

وذلك لنصف يوم السبت لثمان عشرة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون
الاخر والتاسع من طوبه وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العدس يخرج سائر
اهل الاسكندرية الى المنار بماكلهم ولا بد ان يكون فيها عدس فيفتح باب المنار
ويدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف
النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو وكان في المنارة
قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد فاذا
راى اهل المنار ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا راها الحرس ضربوا
الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو ويقال ان المنار كان
بعيدا عن البحر فلما كان في ايام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع
كثيرة وكنائس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها بعد ذلك ويأخذ منها
شيا بعد شي وذكر بعضهم انه قاسه فكان مايتي ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وهي
ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحدى وعشرون ذراعا ونصف ذراع
والطبقة الثانية مثمنة وهي احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة
مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وذكر ابن جبير في رحلته ان منار
الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلا وانه ذرع احد جوانبه الاربع في سنة
ثمان وسبعين وخمسمائة فاناف على خمسين باعا وان طول المنار ازيد من مائة وخمسين
قامة وفي اعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي
بنى منارة الاسكندرية كلوبطرا الملكة وهي التي ساقت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية
ولم يكن يبلغها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا فتاله اللاهون فحفرته
حتى ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعه ولما استولى احمد بن طولون على
الاسكندرية بنى في اعلا المنار قبة من خشب فاخذتها الرياح وفي ايام الملك
الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فامر ببنا ما انهدم في سنة ثلاث
وسبعين وستمائة وبنى في مكان هذه القبة مسجدا وهدم في ذي الحجة سنة اثنتين
وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بني في شهور ثلاث وسبعمائة على يد الامير ركن
الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا ولله در الوجيه الذروي حيث

يقول في منار الاسكندريه

وسامية الارجاء تهدي اخا السرى ❊ ضياء اذا ما حندس الليل اظلما
لبست بها برداً من الانس صافياً ❊ فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة ❊ الاحظ فيها من صحابي انجما
تخيل ان البحر تحتي غمامة ❊ واني قد خيمت في كبد السما

وقال ابن ولاقس من ابيات

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا ❊ كانما فيه للنسرين اوكار
راسي القرار سامي الفرع في يده ❊ للنون والنور اخبار واخبار
اطلقت فيه عنان النظم فاطردت ❊ خيل لها في مديح الشهر مضمار

وقال الوزير ابو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه

لله ذر منار اسكندرية كم ❊ يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف في عرنينه شمم ❊ كانه باهت في دارة الافق
للمنشآت الجواري عنده ونية ❊ كوقع النوم في اجفان ذي ارق

وقال عمر بن ابي عمر الكندي في فضايل مصر وذكر اهل العلم ان المنار كان في وسط الاسكندريه حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه الا ترى الاسنه والاساسات في البحر الى الان عيانا وقال عبد الله بن عمرو عجايب الدنيا اربعه مرآه كانت معلقه بمناره الاسكندريه وكان يجلس الجالس تحتها فيرى من القسطنطينيه وبينها عرض البحر وذكر الثلاثه

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندريه وغيره من العجايب

قال القضاعي ومن عجايب مصر الاسكندريه وما بها من العجايب فمن عجايبها المناره والسواري والملعب الذين كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنه ثم يرمون بالكره فلا تقع في حجر احد الا ملك مصر وحضر عيدا من اعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكره في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام وكان يحضر هذا الملعب الف الف من الناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرى كتاب سمعوه جميعا او لعب لون من اللعب راوه عن اخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب العليه والسفليه وقال ابن عبد الحكم فلما كان سنة ثمان عشره من الهجره وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابيه

خلا به عمرو بن العاص فاستاذنه في المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهليه مصر وعرف طرقها وراى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها انه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندريه قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعيه الابل نوبا بينهم فبينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربه له فشرب حتى روي ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حيه عظيمه فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حيه عظيمه قد انجاه الله منها فقال لعمرو ما هذه فاخبره عمرو انه رماها فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل راسه وقال قد احياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحيه فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجوا ان تصيب في تجارتك قال رجايي ان اصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين فاملي ان اصيب بعيرا اخر فيكون ثلاثة ابعره فقال له الشماس ارايت دية احدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل قال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنانير قال يكون الف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت لاصلي في كنيسة بيت المقدس واسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادي فهل لك ان تتبعني الى بلادي ولك عهد الله وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله عز وجل احياني بك مرتين فقال له عمرو اين بلادك قال مصر في مدينه يقال لها الاسكندريه فقال له عمرو لم اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال عمرو وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك الله علي بالعهد والميثاق ان اني لك وان اردك الى اصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثي في ذلك قال شهرا ننطلق معي ذاهبين عشرا ونقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علي ان احفظك ذاهبا وان ابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انظرني حتى

اشاور اصحابي في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم
تقيموا علي حتى ارجع اليكم ولكم علي العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبني رجل منكم
انس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر
حتى انتهى الى مصر فراى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما اعجبه
ذلك فقال الشماس ما رايت مثل عمرو ومضى الى الاسكندريه فنظر عمرو الى كثرة ما
فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبا ووافق دخول
عمرو الاسكندريه عيدا فيها عظيما تجتمع فيه ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب
مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اختبروا من تلك الاكرة على ما
وضعها من مضى منهم ان من وقعت الاكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم
فلما قدم عمرو الاسكندريه اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه
اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم
يتلقونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو فعجبوا من
ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابي يملكنا
هذا ما لا يكون ابدا وان ذلك الشماس مشى في اهل الاسكندريه واعلمهم ان عمرا
احياه مرتين وانه قد ضمن له الفي دينار وسالهم ان يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا
ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا
وزودهما واكرمهما حتى رجع وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل
مصر ومخرجها وراى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى
اصحابه دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو فكان اول
مال اعتقدته وتاملته

ذكر عمود السواري

هذا العمود حجر احمر منقط وهو من الصوان المانع وكان حوله نحو اربعمايه عمود كسرها
قراجا والي الاسكندريه في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ورماها
بشاطي البحر ليوعر على العدو سلوكه اذا قدموا ويذكر ان هذا العمود من جملة اعمدة
كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذي كان يدرس به الحكمة وانه كان دار علم وفيه
خزانة كتب حرقها عمرو بن العاص باشارة عمر بن الخطاب ويقال ان ارتفاع هذا العمود

تسعون ذراعا وقطره خمسه اذرع وذكر بعضهم ان طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعا
وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلاثه اذرع وعشرون ذراعا ونصف ذراع
فجمله ذلك خمسه وثمانون ذراعا وثلث ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا
وطول القاعده العليا سبعة اذرع ونصف قال المسعودي وفي الجانب
الشرقي من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوايل تقطع منه العمد وغيرها
وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمد والقواعد والروس التي يسميها اهل
مصر الاسوانيه ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانيه
بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندريه والعمود الضخم الكبير الذي لا يعلم
بالعالم عمود مثله وقد رايت في جبل اسوان اخا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم
ينفصل من الجبل ولم يحل ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به ان ينفصل من الجبل ثم يحمل
الى حيث يريد القوم انتهى وكان بالاسكندريه من العمد الرخام وانواع الاحجار
والرخام الذي لا يقل القطعة منه الا الوف ناس وقد علقت بين السما والارض على فوق
الما ذراع وفوق روس اساطين دائر الاسوان ما بين الخمس عشره ذراعا الى عشرين
ذراعا والحجر فوقه عشره اذرع في سمك عشره اذرع بغرايب الالوان وكان بالاسكندريه
قصر عظيم لا نظير له في معمور الارض على ربوه عظيمه بازا باب البلد طوله خمسمايه ذراع
وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بنا واتقنه كل عضاده منه حجر واحد
وعتبته حجر واحد وكان فيه نحو مايه اسطوانه وبازايه اسطوانه عظيمه لم يسمع بمثلها
غلظها سته وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك اعلاها قاذف حجر وعليها راس
محكم الصناعه يدل على انه كان من فوق ذلك بنا وتحتها قاعده حجر احمر محكم الصناعه
عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانيه اشبار والاسطوانه منزله في عمود
من حديد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رايتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة
فطحنتها لشدة حركتها وكانت هذه الاسطوانه احدى عجايب الدنيا وقد زعم
قوم انها مما عملته الجن لسليمن بن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما
يستعظموا عمله الى انه من صنع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدما من اهل
مصر وكانت في وسط قبه ومن حولها اساطين وعلى الجميع قبه من حجر واحد

رخام ابيض كاحسن ما انت راء من الصنايع ويقال ان بعض من ملك مصر دخل
الاسكندرية فاعجبه هذا القصر واراد ان يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين
ليقيموا القصر على هيئته فما منهم الا من اعترف بعجزه عن عمل مثله الا شيخ منهم فانه التزم
ان يصنع مثله فسر الملك بذلك واذن له في طلب ما يحتاج اليه من الالات والمؤن
والرجال فقال ائتوني بثورين مطيقين وعجلة كبيرة فللحال اتي بذلك فمضى الى المقابر
القديمة وحفر منها قبرا اخرج منه جمجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما
جرها الثوران مع قوتهما الا بعد جهد وعنا فلما وقف بها بين يدي الملك قال
اصلح الله سيدنا ان اتيتني برؤوس مثل هذا الراس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن
الملك عند ذلك عجز اهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر وقد ذكر انه كان
بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية ارطال ويقال ان
عمود السواري الموجود الان خارج مدينة الاسكندرية احد سبعة اعمدة اتى باحدها الثبوت
ابن مرة العادي وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبلي اسوان الى الاسكندرية
فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال لستني
فاتيته بصنف مليكي وجا بعمود اخر جحدر بن سنان الثمودي وكان قويا فحمله من اسوان
تحت ابطه وجا بعده رجال كل رجل بعمود فاقام العمد السبعة الجارود بن قطن المؤتفكي
وكان بنا بعدما اختاروا لها طالعا سعيدا كما هي عادتهم في عامة اعمالهم وقد ذكر غير
واحد ان الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها اعمدة بناعط ومارب وسيون
ومآثر اليمن واعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شي كان يتكلم قال امية بن ابي الصلت

واذ هم لا لبوس لهم عراة * واذ صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السواري من جملة اعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك
حين انتهت علوم اهل الغرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب الاسطوان
وكانوا ببعلبك واصحاب المظال وهم بانطاكية واصحاب البرابي وكانوا بصعيد مصر
والمشاؤون وكانوا بالمقدونية وكاني بمن قل علمه يتكو على ابن اد بهذا الفصل ويراه
من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشنك حكايتي له واسمع
قول الله سبحانه عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح وزادكم

في الخلق بسطة اي طولا وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان اطولهم مائة
ذراع واقصرهم ستون ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق ابائهم وقيل على خلق قوم
نوح وقال وهب بن منبه كان راس احدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل تفرخ
فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة ان كان الرجل
من قوم عاد ليتخذ المصراعين لو اجتمع خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان احدهم
ليغمز بقدمه الارض فتدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري
عن ابن حجيرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في قحف رجل من العماليق
وعن زيد بن اسلم بلغني ان الضبعة واولادها ربضت في حجاج عين رجل من العماليق وقال
تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد
وقولك يعني الحسن رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ومنه
قوله عز وجل ارم ذات العماد اي الطوال وقال اللغوي وسموا ذات العماد لانهم كانوا
اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطا عن ابن عباس وقال
بعضهم سموا ذات العماد لطول قامتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد وقال
مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا وفي كشاف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد
في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة
فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم وقد ذكر غير واحد انه وجد في خلافة المقتدر بالله ابي
الفضل جعفر بن المعتضد كنز فيه ضلع انسان طوله اربعة عشر شبرا في عرض واعلم
ان عقول بني ادم ضيقة وقد نشات نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم منهم بما يتجاوز
مقدار عقولهم او مبلغ احساسهم بما ليس عندهم اصل يقيسونه عليه الا ما شاهدونه
ربما القوه وعجلوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم
فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله او رده وكيف يرد مثل هذه
الاخبار وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله ادم ستون ذراعا
في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الان وذكر محمد بن عبد الرحيم بن سليمن بن ربيع القيسي
الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك ان الضحاك بن
علوان لما هرب منه لامر ابن عامر الى ناحية الشام ارسل في طلبه امرين مع كل امير

طايفه من الجبابرة خرج احدهما قاصدا الى بلغار والاخر الى باسقرد فاقام اوليك الجبارون
في ارض بلغار وفي باسقرد قال الاقليشي وقد رايت صورهم في باسقرد ورايت قبورهم
بها فكان مما رايته منه احدهم طول سنه اربعة اشبار وعرضه شبران وقد كان عندي
في باسقرد نصف اصل الثنية اخرجت لي من فكه الاسفل فكان عرضها شبر او وزنها
الف مثقال ومايتا مثقال انا وزنتها بيدي وهي الان في داري في باسقرد وكان
دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وفي بيت بعض اصحابي في باسقرد عضد
احدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا واضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار واكثر
كاللوح الرخام واخرج الي نصف رسخ يد احدهم فلم اقدر ان ارفعه بيد واحدة حتى
ارفعه بيدي جميعا قال ولقد رايت في بلد بلغار سنه ثلاثين وخمسمائه من نسل
العاديين رجلا طويلا كان طوله اكثر من سبعة اذرع وكان يسمى دنقي وكان ياخذ الفرس
تحت ابطه كما ياخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال بتلك الناحية يقاتل
بشجرة من خشب البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها الفيل قتله وكان خيرا متواضع
كلما التقاني سلم علي ورحب بي واكرمني وكان راسي لا يصل الى حقوه وكان له اخت
على طوله رايتها في بلغار مرارا عدة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان ان هذه المراة
الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه ادم وكان من اقوى اهل بلغار ضمته
الى صدرها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعهما
الا حمام واحدة واسعة الابواب انتهى وقد حدثني الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد
ابن محمد القرماني عن ابيه انه شاهد قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من افريقية فاذا
جثة رجل قد عظم راسه كتور من عظمه ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند
وهو قلم عاد وحروفه مقطعة ما نصه انا كوش بن كنعان بن الملوك من ال عاد ملكت
بهذه الارض الف مدينة وبنيت بها على الف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة الاف
حمر وصفر وشهب وبيض ودهم لم يغن عني ذلك شيا وجاني صايح فصاح بي
صيحة اخرجني من الدنيا فمن كان عاقلا من جا بعدي فليعتبر ٥ وانشد ٥
٥ يا واقفا بموسم ربع قد وهى ٥ قف واعتبر ان كنت من اهل النهى ٥
٥ يا لامس كنا فوقه واليوم صرنا تحته ٥ فلكل حد غاية ولكل امر منتهى ٥

قال فامر السلطان ابو بكر بن يحيى الحفصي صاحب تونس بطمه قطم القبر قال مولفه
وانا ادركت شيا من ذلك وهو انه ترافع في بعض الايام طايفة من الحجارين الى
السلطان الملك الظاهر برقوق اعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على
مال وجدوه بجبل المقطم وهو انهم كانوا يقطعون الحجارة من مغارة بها الى قلعة الجبل
من بحريها فانكشف لهم حجر اسود عليه كتابة فاجمعوا على قطع ما بين يدي هذا
الحجر طمعا في وجود مال فانتهى لهم القطع الى عمود عظم قايم في قلب الجبل فلم يزالوا يعملون
معاولهم عليه حتى تكسر وقطع فاذا هو مجوف وانسان قايم على قدميه بطوله
ودنانير لهم من جهة راسه دنانير كثيرة فاقتسموها وتنافسوا في قسمتها واختلفوا
حتى اشتهر امرهم وارتفعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود
وقد تكسر فاخذ منهم ما وجد بايديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر
وتسامع الناس بالحجر فاقبلوا الى المغار وعبثوا برمة الميت فاخبرني من شاهد
سنا من اسنان هذا الميت انه اسود بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما
بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجي هذا من حساب عشرين ذراعا طوله وانه يزيد
ودملج سن واحدة من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كاللقمة الكبيرة واخبرني
السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني
المعروف بابن عدنان وبابن ابي الجن انه وقف في سنه اربع عشرة وثمانمائة بمقبرة
باب الصغير من دمشق على قبر لم يدفن فيه ميت لهم فلما تهد القبر ولم يبق الا ان يدلي
فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلهم
نزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله ميت
قد صار كالرماد واخبرني ايضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث
شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرته فبلغ رطلين
وتسع اواق بالرطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحوا وقيتين بالشامي فيكون
على هذا زنة هذا الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصري ٥

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

قال عمر بن ابي عمر الكندي اجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على مدينة ثلاث

طبقات عند الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سال رجلا
من علماء الروم عنها وعن عدد اهلها فقال والله ايها الامير ما ادرك علم هذا احد
من الملوك والذي احدثك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم امر باحصائهم فكانوا
ستمائة الف قال فما هذا الخراب الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس
حين ملكوا مصر انه امر بفرض دينار على كل محتلم لعمران الاسكندرية فاتاه كبرا
اهلها وعلماؤهم وقالوا ايها الملك لا تتعب فان الاسكندر اقام على بنائها ثلثمائة
سنة وعمرت ثلثمائة سنة وان الخراب منذ ثلثمائة سنة ولقد اقام اهلها سبعين
سنة لا يمشون فيها بنهار الا بخرق سود في ايديهم خوفا على ابصارهم من شدة بياضها
ومن فضائلها قال بعض المفسرين من اهل العلم ان المدينة التي وصفها الله
عز وجل في كتابه الكريم فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال
احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يا مصري اين تسكن قلت اسكن الفسطاط
فقال اتاتي الاسكندرية قال نعم قال تلك كنانة الله يحمل فيها خيار سهامه وقال
عبد الله بن مرزوق الصدفي لما نعي الي ابن عمي خالد بن يزيد وكان توفي بالاسكندرية
لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد متفرقين كلهم
يقول اليس مات بالاسكندرية فاقول نعم فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه
اجر رباطه ما قامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الملك بن سطرن
في الاهوية والبلدان وترتيب الاقاليم والامصار انه لم تطل اعمار الناس في بلد من البلدان
طول ما بمريوطس كورة الاسكندرية ووادي فرغانة وقال الحسن بن رضوان
واما الاسكندرية وتنيس وامثال هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد
عندهم وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم وليس يعرض
لهم ما يعرض لاهل الفسطاط من غلظ الطبع والحمارية وقد وصف اهل الاسكندرية
بالبخل لـ... جلال الدين مكرم بن ابي الحسن بن احمد بن حبقة الخزرجي ملك الحفاظ

تنزيل اسكندرية ليس يقرا ... بغير الما او بغت السوارب
وتحفة ضيف بكرم بالمهو ا ... الملاتن والاشارة للمراكب
وذكر البحر والامواج فيه ... ووصف مراكب الروم الكبار

فلا يطمع نزيلهم بخبز ... فما فيها لذا الكاف قاري

وقال ابن خرداذبه من الفسطاط الى ذات الساحل اربعة وعشرون ميلا ثم الى
ترنوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك اثنان وعشرون ميلا ثم الى الرافقة اربعة
وعشرون ميلا مع النيل ثم الى قرطسا ثلاثون ميلا ثم الى كريون اربعة وعشرون
ميلا ثم الى الاسكندرية اربعة وعشرون ميلا وقال اخر طريق الاسكندرية اذا
نضب ما النيل اخذ بين المدائن والضياع وذلك اذا خرجت من شطنوف الى سبك
العبيد وهو منزله فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة
منوف وهي كبيرة فيها حمامات واسواق وبها قوم بنا فيهم يسار ووجوه من الناس
وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق
صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات واسواق
وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكتان الكثير وزيت الحجل
الى قوج عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى سنهور وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق
ستة عشر سقسا ومن سنهور الى سنهور وهي مدينة ذات اقليم كبير وبها حمامات
واسواق وعامل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى البحوم وهو اقليم وبها
حمامات وفنادق واسواق ستة عشر سقسا ومن البحوم الى نستراوة وكانت مدينة
حسنة على بحيرة البشمور عشرون سقسا ومن نستراوة الى البرلس وهي مدينة كثيرة
الصيد من البحيرة وبها حمامات عشر سقسات ومن البرلس الى اخنا وهي حصن على
شط بحر الملح عشر سقسات ومن اخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب
النيل في البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها اسواق
صالحة وحمام وبها نخل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية وهذه الطريق الاخذ
من شطنوف الى رشيد انما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والثياب المنسوجة
بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى اقطار الارض وفي كتاب الاسكندرية ما يباع
الكتان منه اذا عمل تستيا بالكل رتبة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطراز فيباع منه
وزنه مرات عدة ويقال لها الشرب

ذكر فتح الاسكندرية

قال ابو عمر والكندي لما حاز المسلمون الحصن بما فيه اجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية

فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جمادى الاخرة منها وذكر
سيف بن عمر ان عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن
مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم ان تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم
فراسلوهم وتربصوا اهل عين شمس وسبا المسلمون من بين ذلك وقال ابن عبد الحكم
ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الاسكندرية قال
الليث بن سعد ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر اهلها ثلاثة اشهر والح عليهم
وخافوه وساله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على ان يستنظر راي الملك فحدثنا
يزيد بن ابي حبيب ان مقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على ان يسير
من الروم من اراد المسير ويقر من اراد الاقامة من الروم على امر قد سماه فبلغ ذلك
هرقل ملك الروم فتسخط اشد التسخط وانكر اشد الانكار وبعث الجيوش فاغلقوا
الاسكندرية واذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال اسالك ثلاثا فقال ما هن
قال لا تبذل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحتهم فاستغشوني ولا تنقض بالقبط فان
النقض لم يات من قبلهم وان تامرني اذا مت فادفني في ابي يحنس فقال عمرو هذه اهونهن
علي قال فخرج عمرو بالمسلمين حين امكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء
القبط وقد اصلحوا لهم الطرق واقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط اعوانا
على ما ارادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم
مراكب كثيرة من ارض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو بن
العاص من الفسطاط متوجها الى الاسكندرية فلم يجد منهم احدا حتى بلغ ترنوط فلقي بها طائفة
من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله تعالى ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم
بكوم شريك فاقتتلوا به ثلاثة ايام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم اكتافهم
ويقال بل ارسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في آثارهم فادركهم عند الكوم الذي
يقال له كوم شريك فقاتلهم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو بترنوط
فالجؤوه الى الكوم فاعتصم به واحاطت الروم به فلما راى ذلك شريك بن سمي امر ابا
ناعمة مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الفرس الاشقر الذي يقال له اشقر صدف
وكان لا يجارى سرعة فانحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى اتى الى عمرو

فاخبره

فاخبره فاقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا
قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان
عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فاصابت عبد الله
ابن عمرو جراحات كثيرة فقال يا وردان لو تقهقرت قليلا نصيب الروح فقال وردان
الروح تريد الروح امامك وليس هو خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يساله عن جراحه فقال اقول لها اذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي
فرجع الرسول الى عمرو فاخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا هذا البيت لعمرو بن الاطنابة
وهو ان رجلا من بني النجار كان يجوار معاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا اقتل به الا عمرو بن
الاطنابة وهو يومئذ اشرف الخزرج فقال

الا من مبلغ الاكفاء عني * وقد يهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطري * من القول المرعى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما اثر اللسان الى الجروح
ابت لي عفتي وابا ملادى * واخذي الحمد بالثمن الربيح
واعطائي على المكروه مالي * واقدامي على البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي او تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف * ونفس لم تقر على القبيح

الشطب سعف النخلة الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن او فزع
وجاشت دارت للغثيان وقيل هما بمعنى ارتفع والمشيح المباد والمنكمش وصلى
عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم
حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليها حصون مبنية لا ترام حصن دون
حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة
فاقام شهرين ثم تحول فاخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه
فقتل من المسلمين يومئذ اثنا عشر رجلا ورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية في
المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ان

ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندريه
وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندريه فقال الملك لين غلبوا
على الاسكندريه لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه
الى الاسكندريه حتى يباشر قتالها بنفسه اعظاما لها وامر ان لا يتخلف احد من
الروم وقال ما بقا الروم بعد الاسكندريه فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته
وكفى المسلمين مونته وكان موته في سنه تسع عشره فكسر الله بموته شوكه الروم فرجع
كثير ممن كان توجه الى الاسكندريه وقال الليث مات هرقل في سنه عشرين وفيها
فتحت قيساريه الشام قال واستاسدت العرب عند ذلك والحت بالقتال على
اهل الاسكندريه فقاتلوهم قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندريه
فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهره واحتزوا راسه ومضوا به فجعل المهريون يغضبون
ويقولون لا ندفنه ابدا الا براسه فقال عمرو تغضبون كانكم تغضبون على من يبالي
بغضبكم احملوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا براسه يرموكم براس
صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجلا من بطارقتهم فاحتزوا راسه
ورموا به الروم فرمت الروم براس المهري اليهم فقال دونكم الان فادفنوا صاحبكم وكان
عمرو يقول ثلث قبايل من مصر اما مهره فقوم يقتلون ولا يقتلون واما غافق فقوم يقتلون
ولا يقتلون واما بلي فاكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضلها فارسا
وقال رجل لعمرو لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حايطهم فقال عمرو استطع
ان تخبي مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رابطه بلدك ثم
امرانه فقال اذا تخذوا ارباطا كثيرة ولما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمه
ابن مخلد فصرعه الرومي والقاه عن فرسه وهوى اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه
وكان مسلمه لا يقام لسبيله ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على المسلمين
وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمه كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما
بال الرجل المسته الذي يشبه النسا يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب
ذلك مسلمه ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندريه فقاتلهم العرب في
الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى اخرجوهم جميعا من الحصن واغلقوا عليهم باب

الحصن اخذهم عمرو بن العاص والاخر مسلمه ولم يحفظ الاخرين وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا
يدري الروم من هم فلما راى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجوا الى ديماس من حماماتهم
فدخلوا به فاحترزوا به فامروا روميا ان يكلمهم بالعربيه فقال لهم انكم قد صرتم بايدينا
اسارى فاستاسروا ولا تقتلوا انفسكم فامتنعوا عليهم ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منا
رجالا اسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادي بكم اصحابنا ولا نقتلكم فابوا عليه فلما راى
ذلك الرومي منهم قال لهم هل لكم الى خصله وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استاسرتم
لنا وامكنتمونا من انفسكم فان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم الى اصحابكم فرضوا
بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمه وصاحب لهما في الحصن في الديماس فتداعوا الى
البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل
منكم لصاحبنا فاراد عمرو ان يبرز فمنعه مسلمه وقال ما هذا اخطات مرتين تشذ من
اصحابك وانت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقه نحوك لا يدرون ما امرك
ثم لا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فانك ان قتلت كان ذلك بلا على اصحابك مكانك
وانا اكفيك ان شا الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمه
والرومي فتجاولا ساعه ثم اعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمه واصحابه ووفا لهم الروم
بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم ان امير القوم فيهم حتى
بلغهم بعد ذلك فاسفوا على ذلك واكلوا ايديهم تغيظا على ما فاتهم فلما خرجوا استحيا
عمرو مما كان قال لمسلمه حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت
لك فاستغفر له وقال عمرو ما افحشت قط الا ثلاث مرار مرتين في الجاهليه وهذه
الثالثه وما منهن مره الا وقد ندمت واستحييت وما واحده منهن اشد مما استحييت
مما قلت لك والله اني لارجو ان لا اعود الى الرابعه ما بقيت قال واقام عمرو
محاصر الاسكندريه اشهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابطوا
بالفتح الا لما احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص اما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر
انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم
فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعه
نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا غيرهم

ساعة عن عزمهم فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر
والنية وقدم اولئك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعا ان يكون لهم صدمة
كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل فيها
الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسالونه النصر على عدوهم فلما اتى عمرو
ابن العاص الكتاب جمع الناس وقرا عليهم كتاب عمر رضي الله عنه ثم دعا اولئك النفر
فقدمهم امام الناس وامر الناس ان يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا الى الله جل
وعز ويسالوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة بن
مخلد فقال اشر علي في قتال هولاء فقال له مسلمة ارى ان تنظر الى رجل له معرفة وتجارب
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر
القتال ويكفيكه فقال عمرو ومن ذلك قال عبادة بن الصامت فدعا عمرو عبادة فاتاه
وهو راكب على فرسه فلما دنا منه اراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت
ناولني سنان رمحك فناوله اياه فنزع عمرو عمامته عن راسه وعقد له وولاه قتال
الروم فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من
يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل تسعة اشهر وخمسة اشهر
قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو
الكندي وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة اشهر ثم افتتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال
بل فتحها عمرو لمستهل سنة احدى وعشرين قال القضاعي عن الليث اقام عمرو
بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا
في ذي القعدة وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية
هرب الروم في البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى من
معه في طلب من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية
فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرو فكر راجعا ففتحها
واقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية
عنوة بغير عقد ولا عهد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبح رايه ويامره
ان لا يجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها

هذا

هذا ان رجلا يقال له ابن بسامة كان بوابا فسال عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه
وارضه واهل بيته ويفتح له الباب فاجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب
فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من امر الاسكندرية ما كان الى ان فتحت اثنان
وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معوية بن حديج وافدا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يبشره بالفتح فقال له معوية الا تكتب معي فقال له عمرو وما اصنع بالكتاب الست
رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رايت وحضرت فلما قدم على عمر واخبره بفتح الاسكندرية
خر عمر ساجدا لله وقال الحمد لله وقال معوية بن حديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فانخت راحلتي بباب
المسجد ثم دخلت المسجد فبينا انا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب
فراتني شاحبا علي ثياب السفر فاتتني فقالت من انت قال فقلت انا معوية بن حديج
رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم اقبلت تشتد اسمع حفيف ازارها على ساقيها
حتى دنت مني فقالت قم فاجب امير المومنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت فاذا
بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالاخرى فقال ما عندك فقلت خير
يا امير المومنين فتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن اذن في الناس
الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فاخبر اصحابك فقمت فاخبرتهم ثم صلى ودخل
منزله واستقبل القبلة ودعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فاتت
بخبز وزيت فقال كل فاكلت على حياء ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت اكلا
لاكلت معك فاصبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فاتت بتمر في طبق فقال
كل فاكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معوية حين اتيت المسجد قال قلت امير المومنين
قايل قال بئس ما قلت او بئس ما ظننت لئن نمت النهار لاضيعن الرعية ولئن نمت
الليل لاضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معوية ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك
الى عمر بن الخطاب اما بعد فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها
اربعة الاف منية باربعة الاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة
ملهى للملوك وعن ابي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر الف بقال
يبيعون البقل الاخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو او في الليلة

التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون الف يهودي وكان بالاسكندرية فيما احصي من الحمامات
اثني عشر الف ديماس اصغر ديماس منها يسع الف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان
عدة من بالاسكندرية من الروم مايتي الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا
السفن وكان بها مايه مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون الف مع ما قدروا
عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصي يوميذ
ستمايه الف سوى النسا والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم وكان اكثر الناس
يريدون قسمها فقال عمرو لا اقدر على قسمها حتى اكتب الى امير المومنين فكتب اليه
يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم
يكون خراجهم فيا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فاقرها عمرو واحصى اهلها وفرض
عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل الا انه يلزم
بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يودون الخراج
والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم
يكن لهم صلح ولا ذمة وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منهن قرية يقال لها
بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة
وغيرها فردهم عمر بن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة وعن يزيد
ابن ابي حبيب سبا اهل بلهيب وسلطيس وقرطسا وسخا فتفرقوا وبلغ اولهم المدينة
حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بردهم فرد من وجد منهم وفي رواية
ان عمر بن الخطاب كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في ايديكم فخيروه بين الاسلام
فان اسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه وبين
قريته فكان البلهيبي خيره يوميذ فاختار الاسلام وفي رواية ان اهل سلطيس ومصيل
وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا
هولا لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه
عمر ان تجعل الاسكندرية وهولا الثلاث قريات ذمة للمسلمين وتضربوا عليهم الخراج
ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فيا ولا عبيدا
ففعلوا ذلك ويقال انما ردهم عمر رضي الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة

جبى

جبى عمرو جزية الاسكندرية ستمايه الف دينار لانه وجدها ثلثمايه الف من اهل الذمة فقدر
عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر الف
دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين الف دينار ويقال
ان عمرو بن العاص استبقى اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل اليونه

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم

قال ابن عبد الحكم فاما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت اخائذ من اخذ منزلا
نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية اقبل هو وعبادة بن
الصامت حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معاوية بن حديج ننزل فنزل
عمرو القصر ونزل ابو ذر منزلا كان عند المصلى الذي كان عند مسجد عمرو مما يلي البحر وقد
انهدم ونزل معوية بن حديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت بنا فلم يزل فيه حتى خرج
من الاسكندرية ويقال ان ابا الدردا كان معه والله اعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع
عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع في السواحل والنصف
مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة اشهر ويعقب
بعدهم شاتية ستة اشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من اصحابه واتخذوا فيه
اخائذ وعن يزيد بن ابي حبيب ان المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا
ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل ياتي المنزل الذي كان صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه
فلما غزوا قال عمرو اني اخاف ان تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند
الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحه في دار فهي له ولبني ابيه فكان
الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل منها ثم ياتي الاخر فيركز رمحه في بعض بيوت
الدار وكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها
الروم وعليهم مرمتها فكان يزيد بن ابي حبيب يقول لا يحل من كرائها شي ولا يباع
ولا يورث منها شي انما كانت لهم يسكنونها في رباطهم وعن ابي حبيب ان عمرو بن العاص
لما فتح الاسكندرية وراى بيوتها وبناها مفروغا منها هم ان يسكنها وقال
مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستاذنه في ذلك فسال
عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ما قال نعم يا امير المومنين اذا جرى النيل

فكتب عمر الى عمرو انى لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى و بينهم فى شتاء ولا صيف
فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن
الخطاب الى سعد بن ابى وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو
ابن العاص وهو نازل بالاسكندرية ان لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى ما اردت ان
اركب اليكم راحلتى حتى اقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن ابى وقاص من مداين كسرى
الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن
العاص من الاسكندرية الى الفسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة
غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكانت على الولاة لا تغفلها وتكثف
رابطتها ولا تامن الروم عليها وكتب عثمن رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن ابى
سرح قد علمت كيف كان هم امير المومنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين
فالزم بالاسكندرية رابطتها ثم اجر عليهم ارزاقهم واعقب بينهم فى كل ستة اشهر
قال وقد كانت الاسكندرية انتقضت وجات الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب
حتى ارسلوا بالاسكندرية فاجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث
وقد كان عثمن رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن ابى سرح فلما
نزلت الروم سال اهل مصر عثمن ان يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة
بالحرب وهيبة فى العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص لين
اظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية توتى من كل مكان فخرج اليهم
عمرو فى البر والبحر وضوا الى المقوقس من اطاعه من القبط فاما الروم فلم يطعه منهم
احد فقال خارجة بن حذافة ناهضهم قبل ان يكثر مددهم ولا امن ان تنتقض مصر
كلها فقال عمرو لا ولكن ادعهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبوا من مروا به فيخزى الله بعضهم
ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية
فيشربون خمورها وياكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يعرض لهم عمرو حتى
بلغوا نقيوس فلقوهم فى البر والبحر فبدات الروم والقبط فرموا بالنشاب فى الماء
رميا شديدا حتى اصابت النشاب فرس عمرو فى لبته وهو فى البر فعقر فنزل عنه
عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البر فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستاخر

المسلمون عنهم شيئا وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سمى فى
خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من ارض
الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زبيد يقال
له حومل يكنى ابا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم القى البطريق الرمح واخذ
السيف والقى حومل رمحه واخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة وجعل عمرو يصيح ابا مذحج
فيجيبه لبيك والناس على شاطى النيل فى البر على تعبيتهم وصفوفهم فتجاولا ساعة
بالسيفين ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا ويخترط حومل خنجرا كان فى
منطقته او فى ذراعه فضرب به نحر العلج او ترقوته فاثبته ووقع عليه فاخذ
سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بايام رحمه الله عليه فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودى
نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم وطلبهم المسلمون حتى
الحقوا بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصى وقتلهم عمرو حتى امعن فى
مدينتهم فكلم فى ذلك فامر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه
السيف مسجدا وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة سمى بذلك
لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها كله وجمع ما اصاب منهم فجاءه
اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هولاء
اللصوص فاخذوا متاعنا ودوابنا وهو قايم فى يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم
من متاع عرفوه واقاموا عليه البينة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت
كان لنا ان تقاتل عنا لانا فى ذمتك ولم ننقض فاما من نقض فابعده الله فندم عمرو
وقال يا ليتنى كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية
هذا ان طلما صاحب اخنا قدم على عمرو فقال اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصبر
لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتنى من الركن الى السقف ما اخبرتك
انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب
اخنا وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله واسر فاتى به الى عمرو فقال له الناس اقتله
فقال لا بل انطلق فجينا بجيش اخر فسوره وتوجه وكساه برنس ارجوان فرضى باداء
الجزية فقيل له لو اتيت ملك الروم فقال لو اتيته لقتلنى وقال قتلت اصحابى وعن

اى قبيل ان عتبة بن ابى سفيان عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفى على الاسكندرية وبعث
معه اثنى عشر الف فكتب علقمة الى معوية بن ابى سفيان يشكو عتبة حين غرّر به
وبمن معه فكتب اليه معوية انى قد امددتك بعشرة آلاف من اهل الشام وبخمسة
آلاف من اهل المدينة فكان فى الاسكندرية سبعة وعشرون الف وفى رواية ان
علقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر الف فكتب الى معوية انك
خلفتنى بالاسكندرية وليس معى الا اثنا عشر الفا ما يكاد بعض يرى بعضا من القلة
فكتب اليه معوية انى قد امددتك بعبد الله بن مطيع فى اربعة آلاف من اهل المدينة
وامرت معن بن يزيد السلمى ان يكون بالرملة فى اربعة آلاف ممسكين باعنة خيولهم متى
يبلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال عمرو بن لهيعة وكان عمرو بن العاص يقول ولاية
مصر جامعة تعدل الخلافة وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التى
تعرف اليوم بخربة وردان واختلف علينا السبب الذى خربت له فحدثنا سعيد
ابن عفير ان عمرو لما توجه الى نقيوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح
فاختطفه اهل الخربة فغيبوه ففقده عمرو وسال عنه وقفا اثره فوجدوه فى بعض
دورهم فامر باخرابها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبانا كلهم فغدروا
بقوم من ساقة عمرو فقتلوهم بعد ان بلغ عمرو الكريون فاقام عمرو ووجه اليهم وردان
فقتلهم وخربها فهى خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل توثب وخبث فارسل
عمرو الى ارضهم فاخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها ثم دعاهم فكلمهم فلم يجيبوه الى
شىء فامر باخراجهم ثم امر بالتراب ففرش ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شىء ففعل ذلك مرارا فلما
راى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا تصلح الا ان توطأ فامر باخرابها فلما هزم الله الروم
اراد عثمن رضى الله عنه عمرو بن العاص ان يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على
الخراج فقال عمرو انا اذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها فابى عمرو وكان فتح عمرو
هذا عنوة وقسرا فى خلافة عثمن سنة خمس وعشرين وسنة وبين الفتح الاول اربع سنين
وقال الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنين وعشرين وكان فتحها الآخر
سنة خمس وعشرين واقاما يخيس من البيت يقاتلون سبع سنين بعد فتح مصر
يفتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا عبد الله بن ابى سرح ذا الصوارى فى سنة

اربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصوارى
انزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة فى البر فلما مضوا اتى آت الى عبد الله بن سعد فقال
ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل فى الف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب
المسلمين يومئذ مائتى مركب ونيف فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال
قد بلغنى ان ابن هرقل قد اقبل اليكم فى الف مركب فاشيروا على فما كلمه رجل من المسلمين
فجلس قليلا ليرجع اليهم افئدتهم ثم قام الثانية فكلمهم فما كلمه احد فجلس ثم قام الثالثة
فقال انه لم يبق شىء فاشيروا على فقام رجل من اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن
سعد فقال ايها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شحنته وقد خرج
النصف الآخر الى البر مع بسر فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتاخر ابن هرقل لئلا
تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد
اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم اتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفد
النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة قال غلبت الروم ثم اتوه قال فعلوا قالوا قد
نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم
وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله
يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم
فقام علقمة بن يزيد الغطيفى وكان مع عبد الله بن سعد فى المركب فضرب السلسلة
بسيفه فقطعها فسال عبد الله امراته بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن ليشرح
وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب من رايت اشد
قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى ابيها
فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها راى وان تركها افعل فكلم عبد الله علقمة
فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة
ابن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب ابن ابرهة وماتت تحته وقيل
بعثت الروم الى قسطنطين بن هرقل فى سنة خمس وثلاثين فقالوا انترك الاسكندرية
فى ايدى العرب وهى مدينتنا الكبرى فقال ما اصنع بكم ما تقدرون ان تملكوا ساعة

اذ القسم العربي قالوا اخرج على ان نموت فتبايعوا على ذلك فخرج في الف مركب يريد
الاسكندرية فسار في ايام غالبة من الريح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين
نجا بمركبه فالقته الريح بصقلية فسالوه عن امره فاخبرهم فقالوا شمت النصرانية وافنيت
رجالها لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فاصابنا هذا
فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم تذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه
غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المراكب قال ابو عمرو الكندي وانما سميت غزوة
ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها

ذكر بحيرة الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كورا كلها لامراة المقوقس فكانت تاخذ
خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثر الخمر عليها حتى ضاقت ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخمر
اعطوني دنانير فقالوا ليس عندنا فارسلت عليهم الما فغرقتها فصارت بحيرة يصاد
فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم
صارت بحيرة طولها اقلاع يوم في عرض يوم ويصير اليها الما من اشتوم في البحر
الرومي ويخرج منها الى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان احدهما الحديثة والاخرى
اذكو وهي كثيرة المقاثي والنخل وكلها في الرمل ويصب في هذه البحيرة خليج من النيل
يسمى الكافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك
يوجد في هذه البحيرة في الاسكندرية غاية في الكثرة يباع بافل القيم واخس الاثمان
ثم انقطع الما عن هذه البحيرة

ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلوبطرة الملكة هي التي ساقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم
يكن يبلغها الما فحفرته حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرخام من اوله
الى اخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال ابو الحسن المخزومي في كتاب المنهاج اما خليج
الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بوذره وليس على شي منها سد بوسيحوج
محله سنوك اسمنيه او درين محله قرنوا محله حسن سنبه طراد وتعرف بالقاعة
محلتا نصر ومسروق فاما ترعة نقانة فانها تفتح بعد سبعة ايام من توت والترعة
الحديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بوذره تفتح بعد سبعة ايام من توت
وترعة بوكي وترعة بو السحما وترعة الهتوفية ليس على شي من ذلك سد وترعة

الشراك تفتح بعد تسعة ايام من توت وترعة ابو خراسة وترعة الربيط يشرب منها
دسبور وسنجراط وسو بنوبد ومنية حماد وسماده وبعض محلة مارية وترعة فليشة بلخا
تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة بان تفتح في النوروز وترعة بسويط ومقطع نسمه
تفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع باطس تفتح في تاسع عشر توت ولما سد
المقطع المذكور عملت بعد ذلك ترعة تروى الصفقة القبلية منها فتفتح في يوم
النوروز ولما استجدت ترعة اقلاقة وخرجت في ارض باطس جرت العادة اذا
رويت الصفقة القبلية من اقلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من باطس
الى التروك وترعة القارورة محدثة وترعة تقرها تفتح في ثاني عشر توت وترعة
اقلاقة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيده تفتح في سادس توت تراع بحر دمهور
تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروى منه بعض طاموس وبعض كنيسة
الغيط وبعض قرطسا ودمهور ترعة القوادس منها يشرب سنبار النخلة وكوم
التلول وتراع سنبار النخلة تفتح على اعالها من اول توت وترعة سطر تفتح خامس
عشر مسرى وترعة قبيل تفتح في ثامن توت وترعة سلتوبه تفتح في ثامن عشر توت
وبحر دمنوبه تفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية الزقون وسفط كرداسه
ودمنوبه ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمنوبه تفتح في تاسع توت ويقيم الما عليها
سبعة عشر يوما ويفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم عليها الما ثمانية يوما ويسد
بعد ذلك على دمنوبه سبعة ايام وعلى صفط وسنية الزقون ترعة برسيق كانت
تفتح في اول توت محلة برسيق ليس عليها سد محلة الكروم تفتح في ثامن توت ومنها
يشرب عدة اماكن وفي محلة الكروم وكفورها وهي دمليسة وكوم الولايد وكوم الصحرا
ودبراس والصفاصف وما خرج عن كفورها وهو تلبس والكلون من حقوق محلة
نبل ومنها يشرب الجهة الغربية سنبار ليس عليها سد والشراعي ليس عليها
سد وترعة قاليه كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الان سد وترعة بلقطر
وكفورها كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الان سد ترعة الراهب ليس عليها
سد وترعة دسونس المقارضي تسمى الخلفاسة وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة سرجا
والمعلقية وترعة بيبلانة وبنشاي واخر تراع البحيرة وترعة الكريون تفتح في تاسع

توت وترعة السلموني كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الان سد وترعة ارساح
تفتح في ثاني عشرين وترعة ابلوقة تفتح في سادس توت واما حوف رمسيس فان بحر
رمسيس كان يضرب السد فيه على براع رمسيس من اول النيل الى سابع عشر توت
والذي يشرب على السد المذكور من النواحي والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفيشان
وبعض اسنه النقيدي وبعض خربتا وبعض البلكوس وبعض بولين وبعض
محلة واقد والبيضا وبعض طلاس ثم يفتح على سد دكروكم وهو محدث يقيم الما عليه
عشرة ايام ويشرب منه دكروكم ومحلة نحو ومنية ابيانى وبعض صفنيه ثم يقطع
على سد العطامي وهو محدث ومنه يشرب بعض جنوبيه وتلبانه البحرية والسرة
وابو حمار والهوطام يقطع سد سوس وابو دينار وترعة طرنيه فيشرب
منه دنشال وطلوس يقيم عليها الما ستة ايام ومنه يشرب منه عطية وسلطيس
واما بحر دمنهور فانه يسلط على سلطيس السابع عشر توت ومنه يشرب
سلطيس وزهرا وبعض طاموس وبعض قرطسا وبعض كنيسة الغيط ودمنهور
ثم يقطع سد بلدبيه وهو محدث فيقيم ثمانية ايام ويشرب منه بلدبيه ودفرنس
والعمرية والسرين ثم يفتح ويسد على محلة حمص ومحلة كيل ومحلة نمير ثم يقطع
على سد سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة ايام بعد اختلاط الماء ببحر دمنهور
ورمسيس ثم يقطع على جسر ملوله ومنه يشرب تروجه وارسيس والمراسي وغابة
الاعساس وبعض سمروا ومحلة بمروسي هناك الى ان ينقص النيل واما ترعة
طرنيه فهي محدثة واذا روت طرنيه تطلق على سوس ام دينار ثم يقطع على
طاموس بمقدار ذراع ثم يطلق في النيل العالي على ارض قرافس ويطلق الما على
قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطرنيه اذا خرج الما منه يسقي منه في اول النيل
والى ان يضرب جسر شبرا وسيم فيسقي منه شبرا وسيم وبعض البلكوس وحبرة الزعفران
وبعض بولين ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومنية معنين وتل العطامي
ومحلة واقد ثم يقطع على جسر دلنجه ومنه يشرب بعض خربتا وبعض فليشان
وبعض بولين والبيض ودست وتلبانه الابراج وتل بعث والحدين والمهدية
وابسوم وابو صماره والحصن وفلاوه بني عبيد وطوخ دخانيه ودرشابه واسفنا

ودلنجه وتلمى وطنبه ثم يقطع على منية وزرافه البحرو المحروق وبعض حبارس وافريز
وابو سمادة وام الصروع خليج ابن زلوم ويعرف بخليج ابن طلوم وسد مخرج المعدي
لا يفتح الى عشرة ايام من توت ومنه يشرب شابور وكنيسة مبارك وبعض
سرسلقه وبعض دموشه ومنية بريد وحوض الماصلي وحصة سلمون وبعض
سنيت وبعض المعدي وبعض قلشان ثم يفتح فيشرب منه املبط وبعض ابناي
وبعض كنيسة عبد الملك وبعض ارمنيه ومليسنا وبعض محلة عبيد وسفط
خالد وبرنامه وسنتابوبه وكيمان شراس وبعض دمستوه ويقام الحراس على
جسر سفط خالد الى ان يتكامل شرب سفط خالد فيقطع جسر سفط
ويشرب من خليج الاسكندرية وما ينقص منه اهل الباطن واهل البحيرة في محاج
راودية فيكون ذلك بالمصلحة وهم قبيل من زناته ولواته ومجانه وبني نزال
وقبايل البربر ويزرعون عليه فيسقون في منهم الخراج وبين مسارق الهرما من ناحية
هو حوفا قوس وبين اخرها شويه من خليج الاسكندرية مسيرة شهر كان
عامرا كله في محلول ومعقود الى بعد الخمسين والثمانمائة من سني الهجرة وقد خرب
معظم ذلك وقال ابو بكر الطرطوشي عمن حدثه من مشايخ الثغر انه قال شاهدت
الاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يعلو الما به كثرة تصيده
الاطفال بالخرق فحجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب حتى كان لا يرى فيه
الا الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا وقال ابو عمر الكندي في كتاب الموالي عن
الحارث بن مسكين انه تقلد قضا مصر من قبل امير المومنين الواثق بالله في سنة تسع
وثلاثين ومايتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد الكتاب
بحفره في ربيع الاخر سنة خمس واربعين ومايتين وقال جامع السيرة الطولونية
وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومايتين امر احمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية
وقال المسعودي وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل اثنين وثلثين
وثلثمايه وقد كان بالاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليه
عظم ما النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة
والجنان المتصلة بارض برقة وكانت السفن تجري في النيل وتصل باسواق الاسكندرية

وقد بلط ارض خليجها في المدينة بالحجارة والمرمر وانقطع الما عنها لعوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من الابار وصار النيل على يوم منهم وذكر المسبحي ان الحاكم بامر الله ابا علي منصور بن العزيز اطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة اربع واربعمائة خمسة عشر الف دينار فحفر كله وفي سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس بالامير علي امير جاندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلا فوهته بالطين وقل الما في الاسكندرية فابتدا الحفر من المعدية وانشا هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة اربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الامير علم الدين سنجر المسروري ثم سار بجماعة الامرا والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامرا وجميع الناس الى ان زالت الرمال التي كانت على الساحل بين المعدية وفم الخليج ثم عدى الى مارينار وغرق مراكب هناك وبنى عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة ثم تعطل استمرار جريان الما فيه بطول السنة وصار يجف سريعا بعد شهرين او نحوهما من دخول الما اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزنون فيها الما الى ان كانت سنة عشر وسبعمائة قدم الامير بدر الدين بكتوت الخزندار المعروف بامير شكار متولي الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون حفره وذكر له ما في ذلك من المنافع اولها حمل الغلال واصناف المتجر الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير للكلف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ما على حافتي الخليج من الاراضي بانشا الضياع والسواقي فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا بالتهب انتفاع الناس به في عمارة بساتينهم وشرب مايه دائما فاعجب السلطان ذلك وندب الامير بدر الدين محمد بن كندغدي بن الوزيري مع بكتوت لعمله وتقدم الى جميع امرا الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعاتهم للعمل في الحفير وكتب لولاة الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين الف راجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة وافرز لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها حتى كمل في قياس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شنبار ثمانية الاف قصبة حاكمية ومن شنبار الى الاسكندرية

مثلها وكان الخليج الاصلي يدخل الما اليه من حد شنبار فجعل فم هذا البحر يرمي اليه وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثماني قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفروا ايضا على نظر الخليج المستجد فصارا بحرا واحدا وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبني تحت الصهاريج شي كثير جدا فلم يتعرض السلطان لشي منه وانعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي جاوز البحيرة غلب عليه الما وصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من اسفله ثم كثرت المراكب والسواقي حتى نزحته الا ان عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه بطول السنة واستغنى اهل الاسكندرية عن شرب ما الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة الف فدان زرعت بعدما كانت سباخا وما ينيف على ستمايه ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم وفوق الاربعين ضيعة وازيد من الف غيط بالاسكندرية وعمر منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم الى سكنى ما استجد عليه ومنه ولما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الما على اراضي السباخ فاقام ثلاثة اشهر حتى بنى رصيفا ركب اساسه بالحجر والرصاص واعلاه بالحجر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وانشا خانا ينزل له الناس ورتب به الخفرا ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين الف دينار مصرية سوى ما اخذ من الحجارة التي نقضت من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجده من الرصاص يسرب في اسفل هذا القصر يتوصل من يمشي فيه الى قرب البحر وسوى ما انعم به عليه من الرصاص الموجود في الخليج ولم يزل الخليج فيه الما طول السنة الى بعد سنة سبعين وسبعمائة فانقطع الما منه وصار الما لا يدخل اليه الا في ايام زيادة ما النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من اجل هذا اكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت على هذا الخليج وسبب انقطاع الما عنه غلبة الرمل على الاشتوم الذي كان يعبر منه ما بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقيه الرياح في الخليج فانطمه وعلا قاعه وقصد من ادركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيا ذلك الى ان كانت

سلطنة الملك الاشرف برسباي ندب لحفره الامير سوباشي الكركي المعروف بقاشق
فتوجه اليه وجمع لحفره من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمان مائة وخمسة
وسبعين رجلا ابتدوا في حفره من حادي عشر جمادى الاول سنة ست وعشرين وثمانمائة
الى حادي عشر شعبان لتمام تسعين يوما فانتهى عملهم ومشى الما في الخليج حتى انتهى الى
حده من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كثيرا وحسب
ما انفق على العمال من الحفر من ارباب النواحي التي على الخليج ومن ارباب البساتين
بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد
وعندما قدم الامير سوباشي الى قلعة الجبل خلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب
الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في ايام
النيل فقط

ذكر جمل حوادث الاسكندرية

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله
الخزاعي امير مصر وبين عبد العزيز بن الوزير الجروي الثائر بتنيس فعقد المطلب على
الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن
محمد بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد
ثلاثة اشهر باخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب
الاندلسيين قد قفلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل
قرطبة بوقعة الربض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين وثمانين ومائة فاخرج
جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة الاف وكان سبب
ثورتهم ان قصابا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فانفوا من ذلك وصاروا
الى ما صاروا اليه وذلك انهم نزلوا بر مل الاسكندرية ليبتاعوا ما يصلحهم
وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامرا تمنعهم دخول الاسكندرية انما كان
الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروي
يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعا له فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين
فدعاهم الى القيام معه في اخراج الفضل عنها فبادروا معه فاخرج الفضل
ودعا الى الجروي فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين واخرجوهم وردوا

الفضل

الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب اخاه وولى
عليها اسحق بن ابرهيم بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بابي ذكر
ابن جنادة المعافري فلما اشتمل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري
على مصر وثب عمر بن ملاك على ابي ذكر واخرجه من الاسكندرية ودعا للجروي واقبل
الاندلسيون اليه فافسدوا فامرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية
طائفة يسمون بالصوفية يامرون بالمعروف ويعارضون السلطان في اموره فراس
عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفي فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة
واعتضدوا بلخم وكانت لخم اعز من في ناحية الاسكندرية فخوصم ابو عبد الرحمن الصوفي
الى عمر بن ملاك في امراة فقضى على ابي عبد الرحمن فوجد في نفسه من ذلك وخرج الى
الاندلسيين فالف بينهم وبين لخم ورجا اهل الاندلس ان يدركوا ثارا من عمر بن ملاك
فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة الاف فحصروه في قصره وخشي ان القضاة لا تمنعه
منهم وخاف ان يدخلوا عليه عنوة فيفتضح في حرمه فاغتسل وتحنط وتكفن وامر اهله
ان يدلوه اليهم فدلي فاخذته السيوف فقتل ثم دلي اخوه محمد بن عبد الملك الذي يلقب
حيوس فقتل ثم دلي اليهم عبد الله البطال بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن
معوية بن حديج فقتل ثم دلي اليهم اخوه ابو هبيرة الحارث فقتل ثم دلي اليهم حديج بن
عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذي القعدة ثم فسد ما بين لخم والاندلس
عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لخم وظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذي
الحجة يولونها ابا عبد الرحمن الصوفي فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله
فعزله الاندلسيون وولي رجلا منهم يعرف بالكناني ثم حارب بنو مدلج الاندلسيين وظفر
بهم الاندلسيون ونفوهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدلج على الرجوع الى ارض الاسكندرية حتى
طلب السري من الاندلسيين ان يردوهم فاذنوا لهم ورجعوا وكان ابو قبيل يقول ان
هلاك الاسكندرية من اربعين مركبا مسلمين وليسوا المسلمين تاتي في اخر الصيف اخوف
من عليها من الروم فقال له ما هذه الاربعون مركبا في قدر الخلق لو كانت نيرانا
تضطرب فقال اسكت ويلك منهم ومن فيهم يكون خراب الاسكندرية وما حولها
وبلغ عبد العزيز الجروي قتل ابن ملاك فسار في خمسين الفا حتى نزل على حصن الاسكندرية

وحصرها حتى اجهد من فيها فبلغه ان السري بن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكر راجعا في المحرم
سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون السري لما خلع اهل مصر المامون ودعوا
لابرهيم بن المهدي وقام الجروي بذلك فسار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها
صلحا ودعا له بها ثم سار عنها الى الفسطاط فحارب السري وقتل ابنه ثم انصرف فثار
الاندلسيون بعامل الجروي واخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروي ودعوا للسري
فسار اليهم الجروي في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وامدتهم
بنو مدلج وهم في نحو من مائتي الف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها
وكانت بين السري وبين اهل الصعيد حروب ثم ان الجروي سار الى الاسكندرية مسيرة
الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة اشهر من اول شعبان سنة اربع
ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس واصاب الجروي فلقة من حجر منجنيقه فمات سلخ صفر
سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه علي فلم تزل الفتن من الاندلسيين متصلة الى ان قدم
عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل امير المومنين المامون واخرج عبيد الله بن السري من مصر
وسار الى الاسكندرية في قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين
فحاصرها بضع عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بامان وصالحه الاندلسيون على ان يسيروا
من الاسكندرية حيث احبوا على ان لا يخرجوا في مراكبهم احدا من اهل مصر ولا عبدا ولا ابق
فان فعلوا فقد حلت له دماوهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم
مراكب فوجد فيها جماعة من الذين اشترط عليهم ان لا يخرجوهم فامر باحراق مراكبهم فسالوه
ان يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الامير معهم ابو
حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى ان غزاها الروم
سنة خمسين واربعين وثلثمائة وملكوها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس
ابن اسد بن سامان ورجع الى الفسطاط في جمادى الاخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض
اسفل الارض في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى
ابن منصور الرافقي امير مصر وبعث بعبيد الله بن يزيد السيبي الى الغربية فانهزم
الى الاسكندرية واستجاش عليه بنو مدلج وحصروه في شوال فسار الافشين وارتحل
في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقيته طائفة من بني مدلج فهزمهم من بين

واسر

واسر منهم وقتل ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة ففر منه روساوها
وكان عليها معوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج فاصلح امرها
ثم خرج الى اهل البشرود فامتنعوا عليه حتى قدم المامون الى مصر فصار الى البشرود
والافشين معا واوقع بالقبط كما تقدم ذكره ولما ولى ابرهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب
افريقية في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار
تسير في الطرق وهي امنة وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كان يوقد النار
من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة
وبينهما مسيرة اشهر وفي سنة اثنتين وثلثمائة دخل حباسة في جيوش افريقية الى
الاسكندرية في المحرم ومعه مائة الف او زيادة عليها وقدمت الجيوش من المشرق مددا
لتكين امير مصر وسار حباسة من الاسكندرية ونودي بالنفير في الفسطاط لعشر
بقين من جمادى الاخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة احد من الخاصة والعامة الا من
عجز عن الحركة لمرض او عذر واتاهم حباسة فلقوه وهزموه ثم دال عليهم فقتل من اهل مصر
نحو من عشرة الاف واقاموا امرهم مضطربين فاقبل مونس الخادم وفر حباسة الى
افريقية من العراق في رمضان بجيوش كثيرة وصرف تكين في ذي القعدة وولى ذكا الاعور
في صفر سنة ثلاث وثلثمائة فخرج في جيوشه الى الاسكندرية وتتبع كل من يوما اليه
بمكاتبة صاحب افريقية فسجن منهم وقتل كثيرا وجلا اهل لوبية ومراقية الى
الاسكندرية في شوال سنة اربع وثلثمائة خوفا من صاحب برقة وفي سنة
سبع وثلثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله من افريقية مع ابنه ابي القسم الى
لوبية فهرب اهل الاسكندرية وجلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكا الاعور
في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر وفر اهل القوة
من الفسطاط فخرج ذكا امير مصر الى الجيزة وعسكر بها ثم مرض ومات على مصافه
بالجيزة في ربيع الاول فولي تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقتدر ونزل الجيزة
واقبلت مراكب صاحب افريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم ثمل الخادم
صاحب مراكب طرسوس فالتقى برشيد في شوال واقتتلا فبعث الله ريحا على مراكب
سليمان القتها الى البر فتكسر اكثرها واخذ من فيها اخذا باليد وقتل اكثرهم

واسر من بقي وسيقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وسار ابو القسم بن المهدي
من الاسكندرية الى الفيوم وملك جزيرة الاشمونين والفيوم وازال عنه جند مصر
فمضى مؤنس الخادم في مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من اهل افريقية فظفر
بهم ونقل اهل الاسكندرية الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى في مراكبه الى
اللاهون ولحقته العساكر فدخلوا الى الفيوم في صفر سنة تسع وثلثمائة فخرج ابو
القسم بن المهدي الى برقة ولم يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى الفسطاط ولم
تزل الاسكندرية واعمالها في اضطراب الى ان قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد
جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكها وما برحت الى ان قام بها نزار بن
المستنصر وكان من امره ما قد ذكر عند ذكر خزائن القصر وفي سنة ست عشرة وخمسمائة
اجتمع بالاسكندرية ثلاثة الاف من تجار الفرنج وقدمت بطسة الى الميناء فيها ستة من
ملوك الفرنج متنكرين وهموا ان يثوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوه فتوجه الملك
العادل ابو بكر بن ايوب اليهم وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطسة واستصفى
اموالهم وسجنهم وسجن الملكين وحرب بعضهم حتى اطلقهم السلطان بسائرهم وعاد الى
القاهرة وفي سنة اربع وخمسين وخمسمائة بنا الملك الصالح طلائع بن رزيك
على تنيس حصنا من لبن وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة
البابين بين الوزير شاور واسد الدين شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم
طائفة الى الاسكندرية ثم لما كانت كسرة شيركوه على شاور وانهزم منه الى القاهرة
ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال
والي الثغر وقاضيه الاشرف بن الحباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا
بقدومه وسلموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن اخيه صلاح
الدين يوسف بن ايوب على الثغر في الف فارس فنزل عليه شاور ومعه مري ملك
الفرنج فقام معه اهل الثغر واستعدوا للقتال بها وكان مما احضروه اربعة وعشرون
الف قوس فوعدهم شاور ان يضع عنهم المكوس والجواجب ويعطيهم الخمس ان
اسلموه صلاح الدين فابوا ذلك وطال الحصار بهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه
اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كثيرة فبعث اليه شاور ونزل له خمسة

الاف دينار على ان يرجع الى الشام فاجابه الى ذلك وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين الى
مري ملك الفرنج وجلس معه فاراد شاور ان يسلمه صلاح الدين فلم يوافقه فسيره
الى عمه شيركوه من البحر على عكا من معه الى دمشق ودخل شاور الى الاسكندرية في
سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر الى الشام وقبض على ابن الحباب وعوقب
حتى فداه اهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج الى رشيد لهذا وقد امتنع
الفقيه ابو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالمنار فوقف عليهم شاور فقال له ابن
عوف اعذرنا بامير الجيوش وسامحنا مما فعلناه فعفى عنهم وولى القاضي الاشرف
ابا القسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا على الاموال وخرج من معه مري ملك الفرنج
الى القاهرة ثم توجه مري الى بلاده ونزل على حيفا وفي سنة احدى وسبعين
وستمائة ورد الخبر بحركة الفرنج الى ثغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بامر
السواني ونصب على اسوار الاسكندرية نحوا من مائة منجنيق وفي يوم الخميس خامس
شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر يخرج
للفرجة وتعرض الى صبي امرد يراوده عن نفسه فانكر ذلك بعض من هناك من المسلمين
وقال هذا ما يحل فاخذ الفرنجي حجرا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس
فاتوه فقام للفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق الى ان ركب متولي الثغر واغلق ابواب
المدينة وطلب من اثار الفتنة ففروا وعاد الى داره وترك الابواب مغلقة وكان
بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عادتهم في حوائجهم فحيل بينهم وبين بيوتهم وجا
الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون فمضى اعيان البلد الى المتولي وما
زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا ابا دين وهم مزدحمون فمات منهم زيادة على عشرة ارؤس
وتلفت عصابة جماعة وذهب من عمائم الناس ومناديلهم وغير ذلك شيء كثير وعظم البكا
والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالي ليكشف احوال الناس فتكاثروا عليه
ورجموه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقاتلهم من اعلا الدار حتى سفكت بينهما دما كثيرة
واحرقوا داره ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستنجد والي دمنهور ومن حوله من العربان
فاتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر الى السلطان بخروج اهل الاسكندرية عن
الطاعة فاشتد غضبه وخشي من اطلاقهم الامرا المسجونين وبعث الى القضاة فجمعهم واستفتاهم

في قتاله فلقتوا ايما نحب وخرج اليهم الوزير مغلطاي الجمالي وطوغان شاد الدواوين والامير
امير جندار وعدة من المماليك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة
دما اهل الفساد ومصادرة جماعة واخذ اموال اهل البلد والقبض على الاسلحة
المعدة بها للغزاة وسكنا القاضي والشهود وحمل الامرا المسجونين الى القاهرة
فساروا في عاشره وقدموا الثغر بعد ثلاثة ايام ونزل الوزير بالخمس وفرض على الناس
خمسماية الف دينار مصرية واحضر قاضي القضاة عماد الدين وباشر في الحديد وانكر عليه
كونهما شهر النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فانكرا وقوع هذا منهما وانما كان من
غيرهما وانهما لم يكن في قدرتهما رد السواد الاعظم فضرب نايبه ابن التنسي ضربا مبرحا والزمه
بحمل سبعماية الف درهم والزم القاضي بخمسماية الف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف في مكاتبة
السلطان واعتذر عنه وبراه حتى عفي عنه وشنع العامة فوسط منهم بلا بين رجلا في يوم الجمعة
ثالث عشره فسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدة عماير واشتد الخوف
مدة عشرين يوما وكتب السلطان يتوالى بالايقاع باهل الثغر واخذ اموالهم
والوزير يحسن في الجواب الى ان جهز الامرا المسجونين وسار من الثغر وقد استعرض
ما به من السلاح فوجد ستة الاف عدة كاملة فجعلها جميعا في قاعة وختم عليها
وبلغت الجباية من الناس ما ينيف على مايتين وستين الف دينار فكانت هذه من المحن
العظيمة والحوادث الشنيعة

ذكر مدينة اتريب

هذه المدينة بناها اتريب بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح قال ابن وصيف شاه
وكان اتريب قد انتقل الى جهة بعد موت ابيه قبطيم ولزم المدينة التي كان ابوه بناها
له وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شارعها الاعظم ثلاث
قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفيها
وجعل على كل باب مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرف
وشق في غربيها نهرا وعقد قناطر عليه وجعل بين غربيها مجالس متصلة وحولها
المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض مزروعة من جميع الاجنة والبساتين
وعلى كل باب من الابواب اعجوبة من تماثيل واصنام متحركة واصنام تمنع من يؤذي وجعل
في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها احد من اهل الخير قهقه الشيطان

الذي عن يمنة الباب وان كان من اهل الشر بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل
في كل منتزه منها من الوحش الالفة والطيور المغردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة
صورا تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرايا ترى البلاد البعيدة وبنى حذاها في الشرق
مدينة وجعل فيها ملاعبا واصناما بارزة في صور مختلفة وفي وسطها بركة اذا مر بها
الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يوخذ وجعل له حصنا باثني عشر بابا على كل باب تمثال
يعمل اعجوبة وعمل حوالها اجنة وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلسا منقوشا على
ثماني اساطين وفوقه قبة عليها طاير منشور الجناحين يصفر كل يوم ثلاث تصفيرات
بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس واقام فيها اصناما وعجايب كثيرة وبنى مدنا كثيرة
واقام رجلا يقال له برسان يعمل الكيميا وضرب منها دنانير في كل دينار سبعة مثاقيل
عليها صورته وعاش اتريب ملكا ثمانية وستين سنة وبلغ من العمر خمسماية سنة
وعمل له ناووس في جبل بالمشرق وحفر له تحته سربا بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير
من ذهب مرصع وحملت اليه ذخايره وجعلوا على بابه صورة تنين لا يدنو منه احد الا
اهلكه وسقفوا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه وتاريخ وقته وقال ابن الكندي اربع
كور لمصر ليس على وجه الارض افضل منها ولا تحت السما لهن نظير كورة الفيوم وكورة
اتريب وكورة سمنود وكورة انصنا وكورة اتريب من جملة كور اسفل الارض وهي مايه وثماني
قرى وكان يقال مداين السحرة من ديار مصر وهي ارمنت وبنا وبوصير وانصنا
وصا واتريب وصا

ذكر مدينة تنيس

تنيس بكسر التا المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة وياء اخر الحروف
وسين مهملة بلدة من بلاد مصر في وسط الما وهي من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن
نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قبط احد ملوك القبط في القدم قال ابن
وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته فدبرت الملك وساسته بايد وقوة خمسة
وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن اختها قليمون الملك فرد الوزرا الى
مراتبهم واقام الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رايهم وجد في العمارات وطلب
الحكم وفي ايامه بنيت تنيس الاولى التي غرقها البحر وكان بينها وبينه بيت كثير وحولها
الزروع والشجر والكروم وقرى ومعاصر للخمر وعمارة لم يكن احسن منها فامر الملك

ان يبني له وسطها مجالس وينصب له عليها قباب وتزين باحسن الزينة والنقوش
وامر بغرسها واصلاحها وكان اذا ابتدا النيل يجري ينتقل الملك اليها فاقام بها الى النوروز
ورجع وكان للملك بها امناء يقسمون الماء ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى
حصون بدور وقناطر وكان كل ملك ياتي يامر بعمارتها والزيادة فيها وجعلها له متنزها
ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا
رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل الاية كانتا لاخوين من اهل
بيت الملك اقطعهما ذلك الموضع فاحسنا عمارته وهندسته وبنيانه وكان الملك يتنزه
عليهما ويوتى بغرائب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة المستطيبة فعجب
بذلك المكان احد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان
الاخر ممسكا فسخر من اخيه اذا فرق ما له وكلما باع من قسمه شيئا اشتراه منه حتى بقي لا يملك
شيئا وصارت تلك الجنة لاخيه واحتاج الى سواله فانتهره وطرده وعيره بالتبذير
وقال قد كنت نصحتك وامرتك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعني امساكي وصرت اكثر منك
مالا وولدا وولي عنه مسرورا بماله وجنته فامر الله عز وجل البحر فركب تلك القرى وغرقها
جميعها فاقبل صاحبها يولول ويدعوا بالثبور ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا قال الله
جل وجلاله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله الاية وفي زمان قليمون الملك بنت دملوط ملك
قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه ناووسا في الجبل الشرقي وحول اليه الاموال والجواهر
وساير الذخاير وجعل من داخله تماثيل تدور بكواكب في ايديها سيوف من دخل
قطعته وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس مذهب بلوالب من اتاه دخلاه وزبر
عليه هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصريم عمر دهرا واتاه الموت فما استطاع له
دفعا فمن وصل اليه فلا يسلبه ما عليه وليأخذ ما بين يديه ويقال ان تنيس اخت
لدمياط وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وبحيرة تنيس كانت ارضا لم يكن
بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت
فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن
اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وكان
الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جنانهم اذا شاوا وكذلك

زروعهم

زروعهم وسايره يصب الى البحر من جميع خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان
بين البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوك
الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس في البحر سير طويل
حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس فلما مضت لدقلطيانوس
من مملكته مايتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي
تسمى اليوم بحيرة تنيس فاغرقته ويزيد في كل عام حتى اغرقها جميعها فما كان من
القرى التي في قرارها غرق واما الذي كان منها على ارتفاع من الارض فبقيت منها
تونة وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى
التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيقبرونهم واحدا فوق واحد وكان
استحكام غرق هذه الارض باجمعها قبل ان يفتح مصر بماية سنة

تونة

وكان من جملة معاملة مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع
بها من جملة الطراز كسوة الكعبة احيانا قال الفاكهي ورايت ايضا كسوة لهرون الرشيد
من قباطي مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون امير
المومنين اكرمه الله مما امر به الفضل بن الربيع ان يعمل في طراز تونة سنة تسعين
ومايه **سمناي** قرية من قرى تنيس علت عليها بحيرة تنيس فصارت
جزيرة فلما كان في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وثمانماية كشف عن حجارة
واجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها اسم الامام الحاكم بامر الله ومنها
المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام
الحاكم بامر الله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ما عليه اسم
المستنصر وهو الاكثر اخبرني بذلك من شاهده وراه **بورا** كانت فيما بين تنيس
ودمياط واليها ينسب السمك الذي يقال له البوري واليها ينسب ايضا سوء البوري
الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية وفي سنة عشرة وستماية وصل العدو اليها
بشوانيه وسباها تقدمت اليها القطايع التي كانت على رشيد فسارعتها العدو
القيس بفتح القاف وبعدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القسية
اثارها الى اليوم باقية على بحر الملح فيما بين السوادة وبين الوراده وبعدها من

مدينة الفرما قريب من سنة بر دي في البر وهناك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي
يقطع الفرج عنده الطريق على المارة وما الغرب من التل سباخ ينبت فيه ملح تحمله
الغربان الى غزة والرملة ويقرب هذا السباخ آثار تزرع عندها مقاثي لعرباك
ملك البوادي قال وقد كان للملك من ملوك الامم التي كانت دارها الفرما مع اركون
من اراكنة البلدين وما اتصل بها من الارض حروب عملت فيها حنادق وجهانات
فتحت من النيل الى البحر يمنع كل واحد من الآخر فكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل
واستيلائه على هذه الارض وقال في كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها
مائة باب وقال ابن بطلان تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر يسيله الى الجنوب
عن وسط الاقليم الرابع خمس درج وارضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب اهله من
مياه مخزونة في صهاريج تملا في كل سنة عند غلوه ما البحر بدخول ما النيل اليها
وجميع حاجاتهم مجلوبة اليها في المراكب واكثر اغذية اهلها السمك والجبن والبان
البقر فان ضمان الجبن السلطاني ستمائة دينار حسابا عن كل الف قالب دينار ونصف
وضمان السمك عشرة آلاف دينار واخلاق اهلها سهلة منقادة وطبائعهم مائلة
الى الرطوبة والانوثة قال ابو السري انه كان يولد بها في كل سنة مائتا مخنث وهم
يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة واكثرهم يبيتون سكارى وهم قليلون الرياضة
لضيق البلد وابدانهم ممتلية اخلاطا وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي اقام
باهلها ثلاثين سنة وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من
العرب المتنصرة فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فنزلوا اليهم في نحو عشرين الفا من
العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب الت الى وقوع ابي ثور في
ايدي المسلمين وانهزام اصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا
الغنائم وساروا الى الفرما وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للاوائل وكان
اهلها مياسير اصحاب ثروة واكثرهم حاكة وبها تحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها
في الدنيا وكان يصنع فيها للخليفة بمصر ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه الغزل سدا
ولحمة غير اوقيتين وينسج باقيه من الذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة
تبلغ قيمته الف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج

بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا اطلق يشرب منه
من يشار والفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس ومخاضته وكانت تنيس
من اجل مدن مصر وان كانت شطا ودقوا ودميرة وتونة وما قاربهم من تلك الجزائر
يعمل بها الرفيع فليس ذلك يقارب التنيسي والدمياطي والشطوي وكان الحمل منها
الى بغداد سنة ستين وثلثمائة يبلغ من عشرين الف دينار الى ثلاثين الف دينار لحمل
العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المال استاصل ذلك بالمواثيق وكان
يسكن بجزيرة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون السماني
وغير ذلك من الطير على ابواب دورهم والسماني طير يخرج من البحر يقع في تلك الشباك
وكانت السفن تركب من تنيس الى الفرما وهي على ساحل البحر فلم تزل تنيس بيد المسلمين
الى ان كانت امرة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في رمضان سنة
احدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن سلمة المرادي اميرها في جمع من الموالي
ولهم يقول الشاعر ألم تربع فتخبرك الرجال بما لاقى بتنيس الموالي ولما مات
هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين واراد الغدر والنكث بالمامون كان على
مصر حاتم بن هرثمة بن اعين من قبل الامين فلما ثار عليه اهل تنو وتمي بعث اليهم بالسري
ابن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبا الثائرين في شوال سنة اربع وتسعين
ومائة ثم ولي الامرة جابر بن الاشعث الطائي مصر من قبل حاتم بن هرثمة وكان جابر
لينا فلما تشاعد ما بين محمد الامين وبين اخيه عبد الله المامون وخلع محمد اخاه من ولاية
العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالناطق ودعي له تكلم
الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمامون فبعث اليهم جابر ينهاهم عن ذلك ويخوفهم عواقب
الفتن واقبل السري بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر في ايام الرشيد
من جند الليث بن الفضل وكان خاملا لا يرتفع ذكره فقام في خلع محمد الامين وكتب
المامون الى اشراف مصر يدعوهم الى القيام بدعوته فاجابوه وبايعوا المامون في رجب
سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فاخرجوه وولوا عباد بن محمد فبلغ ذلك محمد
الامين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشي وكان رئيس قيس الحوف
فانقاد اهل الحوف كلهم معه يمنهم وقيسهم واظهروا دعوة الامين وخلع المامون

وساروا الى الفسطاط لمحاربة اهله واقتتلوا فكانت بينهم قتلى ثم انصرفوا وعادوا
مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروي وسيره في جيش لمحاربة القوم في
دارهم فخرج في ذي القعدة سنة ~~سبع~~ وتسعين ومائة وحاربهم بشطنوف فانهزم الجروي
ومضى في قومه من لخم وجذام الى فاقوس فقال له قومه الا تدعو لنفسك فما انت بدون
هاولا الذين غلبوا على الارض فمضى بهم الى تنيس فنزلها ثم بعث بعماله يجبون الخراج
من اسفل الارض فبعث ربيعة بن قيس ببيعته من الجبايه وسار اهل الحوف في المحرم
سنة ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع من الفريقين وبلغ اهل الحوف
قتل الامين فتفرقوا وولي امر مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المامون فدخل
في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد له على حرب اسفل الارض
ثم صرف المطلب وولي العباس بن موسى بن عيسى في شوال فولى عبد العزيز الشرطه
فلما ثار الجند واعادوا المطلب في المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروي الى تنيس واقبل
العباس بن موسى بن عيسى من مكه الى الحوف فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى
الى الجروي بتنيس فاستشاره فاشار عليه ان ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس في جمادى الآخره
وبها مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان اهل الاحواف للمطلب
وبايعوه وساروا الى جب عميره وسالموه عندما القوه وبعث الى الجروي يامره
بالشخوص الى الفسطاط فامتنع من ذلك وسار في مراكبه الى شطنوف فبعث اليه
المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسالونه الصلح فاجابهم اليه ثم راى منهم الغدر
بهم فتسقطوا له فمضى راجعا الى تنيس فاتبعوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف
السري فخرج اليه في زلاج وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النيل مقابل سند
فا وقد اعد الجروي في باطن زلاجه الحبال وامر اصحابه بصدفوا اذا الصق زلاجه بزلاج السري
ان يجروا الحبال اليهم فلصق الجروي بزلاج السري فربطه في زلاجه وجر الحبال واسر
السري ومضى به الى تنيس فحبسه بها وذلك في جمادى الاولى ثم كر الجروي وقاتل فلقيته
جموع المطلب بسفط سليط في رجب فظفر ولما عزل عمرو بن ملال عن الاسكندريه
ثار بها الاندلسيون ودعى الى الجروي فاقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا
بدم اخيه العباس في المحرم سنة مائتين فنزل على عبد العزيز الجروي فسار معه في

جيوش

جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الجيزه فخرج اليه المطلب في اهل مصر فحاربوه في
صفر فرجع الجروي الى شطنوف ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظفر المطلب على ابي
الحرمله فرج الاسود وهو الذي كاتب عبد الله بن موسى وحضه على المسير وطلبه ففر
الى الجروي وجد المطلب في امر الجروي فاخرج الجروي السري بن الحكم من السجن وعاهده
وعاقده على ان يثور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فاطلقه والقى الى اهل
مصر انه كتابا ورد بولايته فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع
المصريون من ولايته فنزل داره بالحمراء وامده قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم
وقتل منهم وطلب المطلب منه الامان فامنه وخرج من مصر واستبد السري بن الحكم
بامر مصر في مستهل شهر رمضان فلما ثار الاندلسيون على عمرو بن ملال بالاسكندريه
سار اليهم الجروي في خمسين الفا فبعث السري الى تنيس بعثا فكر الجروي راجعا الى تنيس
في محرم سنة احدى ومائتين فلما ثار الجند بالسري في ربيع الاول وبايعوا سليمن بن غالب
قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر علي بن حمزة بن جعفر بن سليمن بن علي بن عبد الله
ابن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد ان يبايعه ولحق بالجروي ثم لحق به ايضا
سليمن بن غالب فكان معه وعاد السري الى ولاية مصر في شعبان وقوي سلطانه
فلما كان في المحرم سنة اثنتين ومائتين ورد كتاب المامون اليه يامره بالبيعة لولي عهده
علي بن موسى الرضا فبويع له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي ببغداد وكتب
الى وجوه الجند بمصر يامرهم بخلع المامون وولي عهده وبالوثوب بالسري فقام بذلك
الحارث بن زرعة بن محرم بالفسطاط وعبد العزيز بن الوزير الجروي باسفل الارض
وسلمة بن عبد الملك الطحاوي الازدي بالصعيد وخالفوا السري ودعوا الى ابراهيم بن
المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي فحاربه السري وظفر
به في صفر ولحق كل من كره بيعة علي الرضا بالجروي فلحقته بتنيس وشتد سلطانه
فسار الى الاسكندريه وملكها ودعي له بها وببلاد الصعيد ثم سار في جمع كثير
لمحاربة السري واستعد كل منهما لصاحبه باعظم ما قدر عليه فبعث اليه السري
ابنه ميمون فالتقيا بشطنوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين
واقبل الجروي في مراكبه الى الفسطاط ليحرقها فخرج اليه اهل المسجد وسالوه الكف

فانصرف عنها وحارب الاسكندرية عشر مرة وقتل بها من حجر اصابه من منجنيق في آخر
صفر سنة خمس ومائتين ومات السري بعده بثلاثة اشهر في آخر جمادى الاولى وقام
بعد الجروي ابنه علي بن عبد العزيز الجروي فحارب ابا النصر محمد بن السري امير مصر بعد
ابيه بسطنوف ثم التقيا بدمنهور فقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا تسعة آلاف
وانهزم ابن السري الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروي ثم عادت فدخل ابو حرملة
بينهما حتى اصطلحا ومات ابن السري في شعبان سنة ست ومائتين وولي بعده اخوه
عبيد الله بن السري فكف عن ابن الجروي وبعث المامون بخالد بن يزيد الشيباني الى مصر
في جيش من ربيعة فامتنع عبيد بن السري من التسليم له وما بعده فاقتتلوا ايضا فوس وانضم
علي بن الجروي الى خالد بن يزيد واقام له الانزال واعانه وسار حتى نزل على خندق
عبيد بن السري فاقتتلا في شهر ربيع سنة سبع ومائتين وجرت بينهما حروب بعد ذلك
آلت الى ان رجع خالد الى ارض الحوف فكره ذلك ابن الجروي ومكر به حتى اخرجه من عمله
الى غربي النيل فنزل نقيز وانصرف ابن الجروي الى تنيس فصار خالد في ضر وجهد
وعسكر له ابن السري في شهر رمضان واسره واخرجه من مصر الى مكة في البحر
وبعث المامون بولاية عبيد بن السري على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدها
وغربيها وبولاية علي بن عبد العزيز الجروي تنيس مع الحوف الشرقي وضمنه
خراجه واقبل ابن الجروي على استخراج خراجه من اهل الحوف فمانعوه وكتبوا الى
ابن السري يستنجدونه عليه فامدهم بناحيته فالتقت بكورة بنا في بلقينة فاقتتلوا في
صفر سنة تسع ومائتين وامتدت الحرب بينهم الى انسلاخ ربيع الاول وهم متصافون
فانصرف ابن الجروي فيمن معه الى دمياط فسار ابن السري الى المحلة ثم بعقوب وبنها
وبعث الى تنيس ودمياط فملكها ولحق ابن الجروي بالفرما وسار منها الى العريش
فنزل فيما بينها وبين غزة ثم عاد واغار على الفرما في جمادى الآخرة فمر اصحاب ابن
السري عن تنيس وسار ابن الجروي الى سطنوف فخرج اليه ابن السري واقتتلا فكان
لابن الجروي اول النهار ثم اتاه كمين ابن السري فانهزم وذلك في رجب فمضى الى العريش
وسار ابن السري الى تنيس ودمياط ثم اقبل ابن الجروي في المحرم سنة عشر ومائتين
وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السري البعوث فحاربهم فيهما في ذلك

ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر فتلقاه ابن الجروي بالاموال والانزال وانضم معه ونزل
بلبيس فامتنع ابن السري ودافع ابن طاهر فتراخى له وبعث بجبي المال ونزل زفيتا
وبعث الى سطنوف بعيسى الجلودي على جسر عقده من زفيتا وجعل ابن الجروي على
سفنه التي جاءته من الشام لمعرفته بالحرب فهدم مراكب ابن السري في المحرم سنة
احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد بن السري في صفر وخلع عليه واجازه بعشرة
آلاف دينار وامره بالخروج الى المامون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر وفي سنة
سبع وسبعين ومائتين ولد بتنيس معزى جديا له قرون علاه وراسه مع صدره وبدنه
ومقدمه بصوف ابيض ومؤخره بشعر اسود وذنبه ذنب شاة وولدت امراة
بحاه لها راس مدور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذي الحجة من هذه
السنة حدث بتنيس رعد وبرق وريح شديدة وسواد عظيم في الجو ثم ظهر وقت
السحر في السماء عمود نار احمر بين السماء والارض اشد حمرة وخرج غبار كاد ان ياخذ
بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك نحو خمسة
ايام وفي سنة اثنين وثلثين وثلثمائة حضر الى قاضي تنيس ابي محمد عبد الله
ابن ابي الدرس رجل وامراة وطالبت المراة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت
بها منذ خمسة ايام فوجدت لها ما للرجال وما للنساء فبعث القاضي اليها امراة
تشرف عليها فاخبرت ان لها فوق الفرج ذكرا وخصيتين والفرج تحتهما والذكر
اقلف وانها رابعة الحيض وطلقها الزوج قال ابو عمر الكندي حدثني ابو نصر احمد بن
علي قال حدثني ياسين بن عبد الاحد قال سمعت ابي يقول لما دخل عبد الله بن طاهر
مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن ابي قبيل عن تبيع قال
يا اهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر ثم الامرد
ثم ياتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع يبلغ رايته البحر الاخضر يملاها عدلا
فقد كان ذلك كانت الفتنة فوليها السري وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو نصر
والامرد عبيد الله بن السري واتى عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر
سار الى الاسكندرية واصلح امرها واخرج ابن الجروي الى العراق ثم قدم به الافشين
الى مصر في ذي الحجة سنة خمس عشرة وقد امر الافشين ان يطالبه بالاموال التي عنده

فان دفعت اليه والا قتله وطالبه فلم يدفع اليه شيا فقدمه بعد الاضحى بثلاث فقتله
وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومايتين ثار يحيى بن الوزير في تنيس فخرج اليه المظفر
ابن كيدر امير مصر فقاتله في بحيرة تنيس واسره وتفرق عنه اصحابه وفي سنة تسع وثلثين
ومايتين امر المتوكل ببنا حصن على البحر بتنيس فتولى عمارته عنبسة بن اسحق امير مصر وانفق
فيه وفي حصن دمياط والفرما مالا عظيما وفي سنة تسع واربعين ومايتين عذبت
بحيرة تنيس صيفا وشتا ثم عادت ملحا صيفا وشتا وكانت قبل ذلك تقيم ستة اشهر
عذبة وستة اشهر ملحا وفي سنة ثمان واربعين وخمسماية وصلت مراكب من
صقلية فنهبوا مدينة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلثماية صيد باشتوم تنيس
حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول راسه تسع اذرع ودايرة بطنه
مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فمه تسع وعشرون شبرا وعرض ذنبه نصف خمس اذرع
وله يدان يجدف بهما طول كل يد ثلاث اذرع وهو املس اغبر غليظ الجلد مخطط البطن
ببياض وسواد ولسانه احمر وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه امشاط تشبه
الذبل وله عينان كعيني البقر وامر امير تنيس ابو اسحق بن بويه به فشق بطنه وملح
بماية اردب ملح ورفع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف
الملح وهو قايم غير منحن وحمل الى القصر حتى رآه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن
عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلثماية شاهد اهل تنيس شبه اعمدة من نار
تلتهب في آفاق السما من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله حتى اصبحوا
وخفيت تلك النيران وفيها صيد ببحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه
راس وعينان وعنق وصدر على صورة اسد ويداه في صدره بمخالب ونصفه الادنى
صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفي سنة تسع وسبعين وثلثماية ولدت
جارية ستا براسين احدهما بوجه ابيض مستدير والآخر بوجه اسمر فيه سهولة في كل وجه
عينان وكانت ترضعهما وكل من ذلك مركب على عنق واحد في جسد واحد بيدين
ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لامها صلة ثم عادت الى
تنيس وماتت بعد شهور وفي سنة احدى وسبعين وخمسماية وصل الى تنيس
من اسطول صقلية نحو اربعين مركبا فحصروها يومين واقلعوا ثم وصل اليها من صقلية

في سنة ثلاث وسبعين ايضا نحو اربعين مركبا وقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها وكان
محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد جعل بينه وبين مراكبه فتحة في طايفة من المسلمين
الى المصلى بتنيس فلما جنهم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في غفلة فاخذ منهم
مايه وعشرين فقطع روسهم فاصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من به من المسلمين
فقتل من المسلمين نحو السبعين وصار من بقي منهم الى دمياط فاقام الفرنج على تنيس والقوا
فيها النار فاحرقوها وساروا وقد امتلات ايديهم بالغنايم والاسرى الى جهة
الاسكندرية بعدما اقاموا بتنيس اربعة ايام ثم لما كان في سنة وخمسماية
نزل الفرنج عسقلان في عشر جواري على اعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له القرقاس
جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل اخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف
عندما سار الى بلاد الشام ثم مضى الفرنج وعاد فنهبوا واسروا فثار به المسلمون وقاتلوه
فظفرهم الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه وفي سنة
سبع وسبعين وخمسماية امر السلطان بعمارة قلعة تنيس وتجديد الالات بها
عندما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقدر العمارة سورها القديم على
اساساته الباقية فيه مبلغ ثلاثة الاف دينار عن ثمن اصناف واجر وفي سنة
ثلاث وثمانين وخمسماية كتب باخلا تنيس ونقل اهلها الى دمياط فاخليت في صفر
من الذراري والاثقال ولم يترك بها سوى المقاتلة في قلعتها وفي شوال من سنة
اربع وعشرين وستماية امر الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب بهدم مدينة
تنيس وكانت من المدن الجليلة يعمل بها الثياب السرية ويصنع بها كسوة الكعبة
قال الفاكهي في كتاب اخبار مكة ورايت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة
مكتوب عليها مما امر به السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي بامر
الفضل بن سهل ذي الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين وماية
ورايت شقة من قباطي مصر في وسطها الا انهم كتبوا في اركان البيت بخط دقيق اسود
مما امر به امير المومنين المامون سنة ست ومايتين ورايت كسوة من كسا
المهدي مكتوب عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد امير المومنين
اطال الله بقاه مما امر به اسمعيل بن ابرهيم ان يصنع في طراز تنيس على يدي

الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوب عليها
بسم الله بركة مما أمر به عبد الله المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمن بن بصيح في
طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع وخمسين ومائة
قال المسبحي في حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفي ذي القعدة ورد يحيى بن اليمان
من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهي أسفاط وتخوت وصناديق مال وخيل
وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتين للكعبة وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربعمائة
وردت هدية تنيس الواردة في كل سنة منها خمسين بوق مزينة ومائة رأس من الخيل
بسروجها ولجمها ومحافف وصناديق عدة وثلاث قباب وستة عماريات ومنجوقات
وتنور وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما فقد الحاكم أسندت أخته
السيدة ست الملك إلى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويعجل بحمله
وقيل إنه كان ألف ألف دينار وألفي ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين
وأمر الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك إليها وبه استعانت على ما دبرت وفي سنة
خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر على الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبي هاشم علي بن
الحاكم بأمر الله أن السودان ... بتنيس وطلبوا أرزاقهم وضيقوا على العامل
حتى هرب وأنهم عاثوا في البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم إلى الناس وقطعوا الطرقات
وأخذوا من المودع ألف وخمسمائة دينار فقام الجرجرائي وقعد وقال كيف يعمل هذا
بخزانة السلطان وسيان فعل هذا بتنيس وبيت المال وسير خمسين فارسا للقبض على
الجناة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن
من عمارتها إلى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة أربع وعشرين
وستمائة فاستمرت خرابا ولم يبق منها الآن رسوم في وسط البحيرة وكان من جملة
كورة تنيس بورا ومنها ... وأبوان وسمنة وبحيرة الآن يصاد منها السمك وهي
قليلة العمق يسار فيها بالمعادي ويلتقي السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة
بريح واحدة وقلع كل واحدة منهما مملوء بالريح سيرهما إلى البحر مسلو وبوسط البحيرة عدة
جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاي ثم باء موحدة يسكنها
طائفة من الصيادين وفي بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيذ ملوحته وما هو

ملح وقد تخلو أيام النيل

ذكر مدينة صا

قال ابن وصيف شاه
ولما قسم قبطيم بن مصرايم الأرض بين أشمن وأترب وقفط وصا انتقل كل واحد إلى
قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه وهو بلد البحيرة والإسكندرية
حتى ينتهي إلى برقة ونزل مدينة صا وقيل إنه بنى الإسكندرية وكان صا أصغر ولد أبيه
وأحبهم إليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبنى المداين والبلدان وإظهار كل
العجائب كما صنع إخوته وطلب الزيادة في ذلك وكان مرهون الهندي صاحب
بابه فبنى له من حد صا إلى حد لوبية ومراقية على البحر أعلاما وجعل على رؤوس تلك
الأعلام مرايا من أخلاط شتى فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاهم ومنها
ما إذا قصدهم عدو من الجزائر وأصابتها الشمس ألقت شعاعها على مراكبهم فأحرقتها
ومنها ما يرى المداين التي تحاذيها من عدوة البحر وما يعمله أهلها ومنها ما
ينظر فيها إلى إقليم مصر فيعلم منه ما يخصب وما يجدب في كل سنة وجعل فيها
حمامات تتقد من نفسها وجعل مستشرفات ومنتزهات وكان في كل يوم في موضع
منها لمن يخصه من خدمه وحشمه وجعل حواليها بساتين وسرح فيها الطيور
المغردة والوحش المستأنس والأنهار المطردة والرياض المونقة وجعل شرفات
قصوره من حجارة ملونة تلمع إذا أصابتها الشمس فتنشر شعاعها على ما حواليها ولم
يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية إلا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد
ورمال الإسكندرية إلى برقة وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد
لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس وعمل في تلك الصحاري
قصورا وغرس فيها غروسا وساق إليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب
الغربي إلى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في
تلك الصحاري وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحاري
يحكي ما رآه من الآثار والعجائب فيها قال مؤلفه حدثني الثقة عمن دخل إلى مدينة
صا ومشى في خرابها قال وجد لبنة طولها ... رثتا ولا واحد منا ما
لم نكسرها فإذا فيها سنبلة قمح وافر كبير كما حصدت ففركها بيده فخرج
منها قمح أبيض كبار حبه حد أي قدر حب اللوبيا فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل

اخرالبرهيتل سنه سبعين وسبعمايه واخذ منهن لبنه طولها ذراع ونصف في
عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبله لم تخن كل محه في مقدار اكبر ما يكون من الحمص فلم
يطق كسرة الا بعد ما رضه بالحجاره رضا ووجد بها صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه
التى في خابيه ما فصار حجرا وكان ذلك عند رجل من بلبيس وما زال به حتى اخذ الصنم منه

رمل الغرابي

اعلم ان هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه
بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراحبلي طي الى ان يتصل مشرقا بالبحر ويمضي من ورا
حبلي طي الى ارض مصر ثم الى بلد النوبه ويمتد الى بلد النوبه ويمتد الى البحر المحيط
مسيره خمسة اشهر ومنه عرق يضرب من القادسيه الى البحرين فيعبر البحرين ثم على
مشارق خورستان وفارس الى ان يرو سجستان ثم مشرقا الى مرو واخذا على
جيحون في بريه خوارزم ويأخذ في بلاد الخولنجيه الى الصين والبحر المحيط في جهة المشرق
وهو على ما وصفته وسعته من المحيط بالمشرق والى المحيط بالمغرب وفيه منه جبال
عظام لا ترتقى وبعضه في ارض سهله ينتقل من مكان الى مكان ومنه اصفر لين الملمس
واحمر قاني وازرق سماوي واسود حالك والكحل منسحق كالسل وابيض كالثلج ومنه
ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش الملمس وزعم بعضهم ان رمل الغرابي ومت
يتصل به من حد العريش الى ارض العباسه حادث وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر
وهو ان شداد بن هداد بن شداد بن عاد احد الملوك العاديه قدم الى ارض مصر
وغلب ملكه جيوشه اشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح ملك مصر وهدم ما بناه
هو وابا وه وبنى لنفسه اهراما ونصب علاما رسم عليها الطلسمات واختط
موضع الاسكندريه واقام هناك دهرا الى ان نزل به وبقومه وبالحجر من ارض
مصر الى جهة وادي القرى فيما بين المدينه النبويه وارض الشام وعمروا الملاعب
والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الامطار والسيول فكان بمصعه كل مصنع سيلا
في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا اصناف الزراعات فيما بين رايه وايله الى
البحر الغربي وامتدت منازلهم من الدثينه الى العريش والجفار في ارض سهله ذات
عيون تجري واشجار مثمره وزروع كثيره فاقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى عتوا
وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الاكثرون قوه الاشدون الاعلون فسلط الله

عليهم



عليهم الريح فاهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى تحلت رملا فما تراه من هذه
الرمال التي بارض الجفار ما بين العباسه حتى المنزله التي تعرف اليوم بالصالحيه الى
العريش من رمل مصانع العاديه وسحاله صخورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمرهم تدميرا
وانكار ذلك لغرابته ففي القران الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشي الهالك البالي
وقيل الرميم نبات الارض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم
والرميم الخلق البالي من كل شي

مراقية

مدينه مراقيه كوره من كور مصر الغربيه
في اخر حد ارض مصر وفي اخر ارض مراقيه تلقى ارض انطابلس وهي برقه وبعدها
من مدينه سنتريه نحو من بريدين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون
جاريه وبها الى اليوم بقيه ونمرها جيد الى الغايه وزرعها اذا بذر نبت من الحبه
الواحده من القمح مايه سنبله واقل ما تنبت سبعين سنبله ولذلك الا رزها فانه
جيد زاكي وبها الى اليوم بساتين ثم عدده وكانت مراقيه في القديم من الزمان سكنها
البربر الذين نفاهم داود عليه السلام من ارض فلسطين فنزلها منهم خلايق ومنها تفرقت
البربر فنزلت زناته ومغيله وضريسه الجبال ونزلت لواته ارض برقه ونزلت
هواره اطرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السوس فلما كان شوال سنه اربع وثمانيه
من سني الهجره المحمديه جلا اهل لوبيه ومراقيه الى الاسكندريه خوفا من صاحب
برقه ولم يزل في اختلال الى ان تلاشت في زمننا وبها بعد ذلك بقيه جيده

كوم شريك

هذا المكان بالقرب من الاسكندريه له ذكر في الاخبار
عرف بشريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء المرادي الغطيفي من الصحابه رضي الله عنهم
وكان على مقدمه عمرو بن العاص في فتح الاسكندريه الثاني فعندما كثرت جموع الروم
الجا شريك الى هذا الكوم باصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا
من جملة حوف رمسيس

غيفا

وغيفا قريه تقارب مدينه بلبيس من الفسطاط
اليها مرحلتان كانت منزله قافله الحاج ويقال ان صواع الملك الذي فقد من مدينه
مصر وجد في رحال اخوه يوسف عليه السلام بغيفا هذه

سمهود

كان بها بيوت
عليه هيئه ورقه فيها كتابه حكى ابن زولاق عن ابي القسم مامون العدل انه نسخ هذه

الكتابة في قرطاس وصوره على درقه قال فما كنت استقبل به احدا الا ولى هاربا وكان
بها ايضا تماثيل وصور من ملك مصر فيهم قوم عليهم شاشيات وبايديهم الحراب وعليهم
مكتوب تعالوا لا تملكون مصر

ذكر مدينة بلبيس

وسميت في التوراة ارض جاسان وبها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهما السلام
فانزل بارض جاسان وهي بلبيس الى العلاقمة من اجل مواشيهم قال ابن سعيد بلبيس واليها
يصل حكم الى الورادة وهي اخر حد مصر واليها ينتهي المعاملة بفضة السواد وبعض الناس
يتعاملون بالفلوس وبعدها الى العريش وهي اول الشام وقيل هي اخر مصر وقال ابو عبيد
البكري بلبيس بفتح اوله واسكان ثانيه بعده باء مثل الاولى مفتوحة ايضا ويا ساكنه
وسين مهمله وهو موضع قرب مصر معروف وذكر ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك
ان بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر اربعة وعشرين ميلا وذكر الواقدي ان المقوقس
زوج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها باموالها وجواريها وغلمانها
وحشمها لتسير اليه حتى يبني عليها في مدينة قيسارية بساحل البحر من الشام فلما خرجت
بعد ما سارت اليها العرب بعد نزلوا على قيسارية وهم محاصرون لها فرجعت الى بلبيس
واقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في الفي فارس الى الفرما لحفظ الطريق ولا يدع
احدا من الروم ولا غيرهم يعبر مصر وبعث المقوقس رسلا الى اطراف بلاده مما يلي الشام
الا يتركوا احدا يدخل ارض مصر مخافة ان يحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب
في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الى مصر نزل
على بلبيس وبها ارمانوسة ابنة المقوقس وقاتل من بها وقتل منهم زهاء الف واسر ثلاثة
الاف وانهزم من بقي الى المقوقس واخذت ارمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان
للقبط في بلبيس فاحب عمرو ملاطفة المقوقس وسير اليه ابنته ارمانوسة مكرمة في
جميع مالها مع قيس بن ابي العاص السهمي فسر بقدومها ثم سار عمرو الى القصر ولم
تزل من مداين مصر الكبار حيث نزل عليها مري ملك الفرنج واخذها عنوة بعد حصار
طويل وقتل منها الافا ولها اخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر
بعد سنة ست وثمانمائة بعد ما ادركناها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين واهلها
اصحاب يسار ونعم سنية

ذكر بلد الوراده

الوراده من جملة الجفار

قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض
والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش اربعة
وعشرون ميلا ثم الى رفح ثم الى الوراده ثمانية عشر ميلا ثم الى العريب عشرون ميلا ثم الى الفرما
اربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المامون للملك كان بالميدان اقصر منه بالفرما
غربي في قرى مصر يقال لها سمي الله والسدرما ثم الى جرجر ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة اربعة
وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى
الى الفسطاط مدينة مصر اربعة وعشرون ميلا وقال صاحب تاريخ دمياط ولما
افتتح المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط وتنيس ساروا الى البقاره فاسلم من بها
وساروا منها الى الوراده فدخل اهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان وقال
القاضي الفاضل في حوادث محرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصلنا الوراد
فبتنا على صبا الوراده ودخلت الوراده فقرات تاريخ منارة جامعها سنة ثمان واربعمائة
واسم الحاكم بامر الله عليها والوراده من جملة الجفار ويقال اخذ اسمها من الورود ولم نزل
جامعها عامرا تقام فيه الجمعة الى بعد الستمائة وبلد الوراد القديم في شرقي الجهة
التي يقال لها اليوم الوراده وبها اثار عمارة ونخل قليل

الصالحية

هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب
ابن شادي بارض السائح والعلاقمة في اول الرمل الذي بين مصر والشام وانشا بها
قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة للعساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة اربع
واربعين وستمائة

ذكر مدينة ايلة

وايلة بفتح اوله على وزن
فعله مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بايلة بنت مدين بن ابرهيم عليه السلام
وايلة اول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة
واهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب
معقود لقيصر قد كان مسلحة ياخذون المكس وبين ايلة وبيت المقدس ست مراحل والطور
الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبني امية
واكثرهم موالي عثمن بن عفان كانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير واداب ومتاجر واسواق
عامرة وكانت كثيرة النخل والزرع وعقبة ايلة لا يصعد اليها من نهور الكبير واصلها

فانه مولى حمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورمّ ما استهدم منها وكان بايلة مساجد كثيرة وبها كثير من اليهود يزعمون ان عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وانه بعثه اليهم امانا لما ثوا يخرجونه ردا عدنيا ملفوفا في الثياب قد امر زمنه قد ستر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والسدي هي ايلة وعن ابن عباس ايضا انها مدين من ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وابن زيد اسم ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونه يقال لها مقناه وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جرفا جرفا قال نعم في قصة ايلة اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وكان من خبر اهل القرية انهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتم عن اخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض وكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الما فياخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل ياخذ خيطا ويضع فيه وهقة ويلقيها في ذنب الحوت وهو يتحرك اليها واسكانها حبل كالطول وفي الطرف الاخر من الخيط وتد ويتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشي به في الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزلت وقالت لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد وقالوا ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فاذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس فجعلت تاتيهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقردة الم ننهكم فيقول براسها نعم قال فما ذا صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقد قيل ان ايلة اصلها مايلة وقد وقع ذكرها في التوريه كذلك وقال الشريف محمد بن اسعد الجواني ذكاله من البربر بطن من المصامدة وقال طائفة ان ذكاله ولد ايلة ويقال ايلة الذي سميت به عقبة ايلة واخوتهم دعقل بن ايلة وانهم يعزون الى

البرارين ويقولون نحن من ستة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم وذكر المسعودي ان يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هوبر بن مالك العمليقي ملك الشام ببلاد ايلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عوف بن سعد الجرهمي

الم تر ان العمليقي بن هوبر ... بايلة امسى لحمه قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل ... ثمانون الفا حاسدون ودرعا

وهي ابيات كثيرة وقال ابن اسحق ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه يحنه ابن روبه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزيه واتاه اهل جربا واذرح فاعطوه الجزيه وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب ليحنه بن روبه بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسوله ليحنه بن روبه واهل ايلة اساقفتهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في تسع سنين من الهجرة

وادي هبيب

هذا الوادي بالجانب الغربي من ارض مصر فيما بين مريوط والفيوم يجلب منه الملح والنطرون عرف بهبيب بن مغفل بن الواقعة بن حرام بن غفار الغفاري احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه ابو سليم الجيشاني واسلم مولى تجيب وسعد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند فتنة عثمن رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء رمضان ولا بين الصلاتين في السفر ويقال لهذا الوادي ايضا وادي الملوك ووادي النطرون وبرية شيهات وبرية الاسقيط وميزان القلوب وكان به مائة دير للنصارى وبقي به سبعة اديرة قد ذكرت عند ذكر الديارات من هذا الكتاب وبهذا الوادي عدة فوائد منها النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراني والملح السلطاني وهو على هيئة الواح الرخام وفيه الوكت والكحل الاسود ويعمل الزجاج وفيه الماسك وهو طين اصفر في داخل حجر اسود يحل في الماء ويشرب لوجع المعدة وفيه البردي لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ما في هيئة البركة وطولها خمس عشرة ذراعا في عرض خمسة اذرع في مغارة بالجبل لا يعلم

من ابن ماتي ولا الى ابن مدهب وهو ما حلو رائق ويذكر انه خرج منه سبعون الف راهب
بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانه مرجعه من الاسكندرية يطلبون
امانه لهم على انفسهم وديارهم فكتب لهم بذلك امانا بقي عندهم وكتب لهم ايضا بحرابه
الوجه البحري فاستمرت بايديهم وان خراجهم جاءت في سنة زيادة على خمسة الاف اردب
وهي الان لا تبلغ مائة اردب ولم تزل مدينة ايلة عامرة اهله وفي سنة خمس عشرة
واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفري ايلة ومعه بعض بني الجراح ونهبها
واخذ منها ثلاثة الاف دينار وعدة غلال وسبى النساء والاطفال ثم انه صرف عن
ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته قال القاضي الفاضل
وفي سنة ست وستين وخمسمائة انشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف مراكب
مفصلة وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كثير لمحاربة قلعة ايلة
وكانت بيد الفرنج واستعوارها فنازلها في ربيع الاول واقام المراكب
واصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر
والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الاخر وقتل من بها من الفرنج واسرهم و
واسكن بها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى
القاهرة في اخر جمادى الاولى وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النائب بقلعة
ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الابرنس لعنه الله الى
ايلة وربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من
عسكر يطلبه من الشام او مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر
بالجبل المقابل القلعة بايلة حتى صارت به مياه استغنى اهل القلعة بها عن
ورود العين مدة شهرين وتاثرت سوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف
اساسها فتداركها اصحابها واصلحوها وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب
اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان الكوكب وهم امة لهم اربعة ملوك ملكوا ارض
ايلة الحجاز ثم بنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا اساس الارض حيطان
وسموها على بلادهم كوره وجعلوها اربعة عمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب
في مدينته وعمل ترب وهي تتكلم وعمل هيكلا لاحد الكواكب وجعلوا فيه اصناما

من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها وقوده فجعلوا لها خمسة عشر
كوره وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في بيعها كلها من اصنام الذهب اكثر مما في
غيرها فكان فيها مائتا صنم من ذهب وسموا الصعيد على ثمانين كوره وجعلوه اربعة
اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب
وقيل ان حمير الاكبر واسمه العرنجج بن سبا الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد ابيه جمع جيوشه وسار يطأ الامم ويدوس
الممالك كما فعل ابوه فامعن في المشرق حتى ابعد ياجوج وماجوج الى مطلع الشمس ثم
قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من اهل اليمن من بني هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد
ابن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم فامر
برفعهم من ارض اليمن وانزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصاد الى اطراف جبل
نجد تقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وبطروا وطغوا فبعث
الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسالوه ان يخرج لهم ناقة من صخرة فاخرجها لهم
فعقروها فاهلكهم الله بالصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين وقد ذكر ان موسى عليه السلام
سار ببني اسرائيل بعد موت اخيه هرون الى ارض اولاد العيص وهي تعرف بجبال
الشراة حيث بلد الشوبك ثم مر منها الى ايلة وتوجه بعد ايام الى برية باب حيث
بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصيون جابر عظيمة

مريوط كورة من كور الاسكندرية كانت تسكنه بياضها لا يكاد يتبين فيها
دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفي ايديهم خرق سود خوفا على
ابصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مريوط في نهاية
العمارة والجنان المتصلة بارض برقة وهي اليوم من بعض قرى الاسكندرية يزرع
بها الفواكه وغيرها وقد وقف الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات
بر الجامع الحاكمي من القاهرة وجامع عمرو بمصر سنة ست وستين وستمائة ثم استاجرها
الملك المؤيد شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة بستانها
وقد تخرب لترداد لبيد عرب برقة اليه فاستمر في ديوان السلطان

ذكر مدينة مدين اعلم ان مدين امة شعيب وهم بنو مدين بن ابراهيم

عليه السلام وامهم قنطورا ابنة يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت
منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وبها البئر من تبوك
وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل عليها بيت وقنطورا وقيل اسم
قبيلة سميت باسم ابيها مدين ويقال المديان بن ابرهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على
ان مدين اعجمي وقيل عربي فان كان عربيا فانه يحتمل ان يكون فعيلا من مدن بالمكان اقام به
وهو بناء نادر وقيل مهمل او مفعلا من دان فتصحيح يشاد وهو ممنوع الصرف على كل حال
سواء كان اسم الارض او اسم القبيلة عجميا او عربيا وقال المسعودي وقد تنازع اهل
الشرايع في قوم شعيب بن نويل بن رعويل بن مر بن عنقا بن مدين بن ابرهيم عليه السلام
وكان لسانه العربية فمنهم من راى انهم من العرب الدائرة والامم البايدة وبعض من
ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من راى انهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن
مدين بن ابرهيم الخليل وان شعيبا اخوهم في النسب وقد كان عدة ملوك تفرقوا في ممالك
متصلة منهم المسمى بابي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشات وهم على
ما ذكرنا بنو المحض بن جندل واحرف الجمل هي اسماء هؤلاء الملوك وهي الاربعة
وعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من
الوجوه فكان ابجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج
وهي ارض الطايف وما اتصل بذلك من ارض نجد وكلمن وسعفص وقرشات ملوكا
بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين ومن الناس من راى انه كان في ملك
جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن
منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح الله عليهم بابا
من السماء من نار ونجا شعيب بمن امن معه الى الموضع المعروف بالايكة وهي غيضة نحو
مدين فلما احس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وايقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن
امن معه وقد اظلتهم سحابة بيضاء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها الم العذاب
فاخرجوا شعيبا ومن امن معه من مواضعهم دار الوهم عن اماكنهم وتوهموا ان ذلك
ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاشتعلت عليهم فرثتهم جارية بنت كلمن ابنة الملك
وكانت بالحجاز فقالت

كلمون

كلمون هد ركني ⁂ هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه ⁂ الحتف نارا وسط ظله
كونت نارا فاضحت ⁂ دار قومي مضمحله

وقال المنتصر بن المنذر المدني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة ⁂ اتيت بها عمرا وحي بني عمرو
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا ⁂ قطورا وفازوا بالمكارم والفخر
ملوك بني حطي وسعفص ذي الندا ⁂ وهوز ارباب الثنية والحجر

قال المسعودي ولهؤلاء الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير وكيفية تغلبهم على
هذه الممالك وتملكهم عليها وابادتهم من كان فيها وعليها قبلهم من الامم وقيل ان
الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله تعالى
وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل
هي غيضة نحو مدين وقيل بل اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا يقولون بين
الحجر واول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال ابو عبيد البكري
الايكة المذكورة في كتاب الله سبحانه التي كانت منازل قوم شعيب روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما روايتان احديهما ان الايكة من مدين الى شعب وبدا والثانية
انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والايكة عند اهل اللغة الشجر
الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد حولها
كما قيل مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم بلد وقال ابن قتيبة وكان
بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حوله مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقال الايكة
الغيضة وليكة البلد حولها وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو
المذكور في كتاب الله تعالى ولهذا وهم بل مدين من ارض مصر وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سرية الى مدين اميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فاصاب سبيا
من اهل مينا قال ابن اسحق ومينا هي السواحل فبيعوا وفرق الامهات والاولاد
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فاخبر خبرهم فقال لا تبيعوهم
الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن اد بن زيد بن عمرو
ابن عريب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى اهل مدين احد بني وايل بن

جذام وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد جذام مرحبا بقوم شعيب
واصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل
الاحول مدين من اعراض المدينة ايضا مثل فدك والفرع ورهاط قال مولفه
وكان بارض مدين عدة مداين كثيرة قد باد اهلها وخربت وبقي منها الى يومنا
هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمان مايه نحو الاربعين مدينة فاما منها ما يعرف
اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فيما يعرف له اسم فيما بين ارض الحجاز وبلاد فلسطين
وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مداين وهي الخلصة
والسنيطه والمدرة والمنية والاعوج والحوروق والبيرين والماين والسبع
والمعلق واعظم هذه المداين العشر مدينتي الخلصة والسنيطه وكم اما ينقل
حجارتها الى غزة ويبنى بها هناك ومن مدن مدين ساحيه بحر القلزم والطور مدينة
فاران ومدينة الرقه ومدينة القلزم ومدينة ايله ومدينة مدين وبمدينة مدين
الى الان اثار عجيبة وعمد عظيمة ووجد في مدينة الاعوج اعوام بضع وستين
وسبعماية جب بقلعتها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مايه باع وبها عدة اسفار
على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وازيد قد غلف بلوحين من خشب وكتابته
بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قراه فاذا هو سفر
من عدة اسفار قد ابتداه بحمد الله ثم قال خروج موسى من ارض مصر الى بلاد مدين
وملوك بني مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة اسماء منها
اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية
هروهسيس وذكر انه تزوج ابنة ابن شعيب واقام عنده ثماني حجج ثم قال له ابن شعيب
قد اتممت لك شرطك وسازيدك من عندي سنتين فضلا مني قال ثم خرج موسى متوجها
الى مصر والملك يومئذ على مدين ابو جاد قال وقوي امر ابو جاد وطغى حتى ملك
الحجاز واليمن وكان له خمسة اولاد هم هوز وحطي وكلمن وصعفص وقرشت فاقام
ابو جد ملكا باليمن مايه سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كلمن باليمن وجعل
ابنه هوز على الحجاز وابنه حطي على ارض مصر وابنه صعفص على الجزيرة وبلادها
حيث الموصل وحران الى ارض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارقها من

خراسان وكان قرشت هو الجبار فيهم وكان صعفص وهوز وكلمن اهل عدل وحلم
وكان حطي صاحب بطش وحرب وكان بنو اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك اولاد
ابو جاد ارض مصر الشام ولا احتووا عليها وكانت مدة ملكهم نحو من مايه وخمسين
سنة فلم يبد له ايهم ابو جد بلما يه سنه وار يدلم ملك بعدهم على بني اسرائيل
روزبب بن هوز وعوزيب بن حطي بن ابو جد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة
من اولاد ابو جد واقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم القوه الى الجب من قلعة الاعوج
حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن
القرباني التونسي المالكي قال حدثني به شتي بن غنيم العامري شيخ لقيته بارض فلسطين
انه شاهد الكتاب وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان ملك بن ذعر
ابن حجر بن جذيلة بن لخم كان له اربعة وعشرون ولدا ذكرا فكثرت اولادهم حتى بنوا
المداين والقرى والحصون وعمروا بلاد مدين كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر
والحجاز وعمروا خمسماية سنة وقيل انما كان استيلا ملوك مدين على مصر خمسماية سنة
بعد غرق فرعون موسى وهلاك دولته بمدة زمان حتى اخرجهم منها نبي الله سليمن بن
داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

ذكر مدينة فاران

هذه
المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العمالقة على تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب
كثيرة لا تحصى مملوة امواتا ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك
ساحل بحر فاران وهو البحر الذي اغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران وبين
التيه مرحلتان ويذكر ان فاران اسم جبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت
في التوريه والمحقق ان فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة
في التوراة وقيل ان فران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فقيل جبال
فاران وبعضهم يقول جبال فران والمشهور ان فران هو فران بن بلي بن عمرو بن الحاف اليه
ينسب معدن فران وكانت مدينة فاران من جملة مداين مدين وبها الى اليوم نخل
كثير قد اكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يمر بها العربان

ذكر ارض الجفار

اعلم ان الجفار اسم لخمس مداين وهي الفرما والبقارة
والوراده والعريش ورفح والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المشي فيه على الناس والدواب

من كثرة رمله وبعد مراحله والجفار تحفر فيه الابل فالحد له هذا الاسم كما قيل للحبل الذي
يجوب به البحر هجار والذي يجر به جار والذي يعقل به عقال والذي يبطن به بطان
والذي يخطم به خطام والذي يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من
الورد والعريش اخذ من العرش وقيل ان رفح اسم رجل وكان يسكن الجفار في القديم جذام
من العربان ويقال ان ارض الجفار كانت في الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارات
كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة اهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر
وكان ماوها غزير اعذبا ثم صارت نخل بحدائق من كل النواحي الى ان دمرها الله تدميرا
فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفح كله قفر يعرف بعضه
برمل الغرابي وقيل انه عديد المرعى لا انيس به يسمى محيل الاحوال

ذكر صعيد مصر

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض
المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل
الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من ارض مصر بهذا الاسم
انما حدث في الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من ارض
مصر ولذلك يقال فيها اعلى الارض ولانها ارض ليس بها رمل ولا سباخ بل كلها
ارض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلي قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه
ولما حضر مصر ايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل
لقفطيم من بلد قفط الى اسوان ولاشمون من بلد اشمون الى منف ولاتريب الحوف كله
ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب
فهو صاحب افريقية وولده الافارق وامر كل واحد من بنيه ان يبني لنفسه مدينة
في موضعه وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد
منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع
قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون
في الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون فما دونها في الشرق والغرب الى منف فسكن
اشمن اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع
لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على اربعة اجزاء جزءين بالصعيد
وجزءين باسفل الارض وقال ابو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوي في كتاب
الطالع السعيد في تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثني عشر يوما
بسير الجمال وعرضه ثلاث ساعات واكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه
في الكورة الشرقية بالبحر الملح واراضي البجة وفي الغربية بالواح وهو كورتان شرقية
وغربية والنيل بينهما فاصل فاول الشرقية من مرج بني همام المتصل ارضها باراضي
جرجا من عمل اخميم واخرها من قبلي اسوان ويليها اول اراضي النوبة وفي هذه الكورة بلاد
قفط وقوص واول الكورة الغربية برديس يتصل ارضها بارض جرجا وفي هذه
الكورة الغربية سمهود واخر الكورة الغربية اسوان ومحاسنه كثرة النخل من الجانبين
تكون مساحة الاراضي التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين الف فدان والمستولي
على اقليم الصعيد المشتري ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمر فغصبها
بعض الولاة فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي
وابيع ثمرها في الغلاء كل ويبة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لامير المومنين هرون
ابن محمد الرشيد لم يستحسن الاكورة سيوط من صعيد مصر فان بها ثلاثون الف فدان في
استواء من الارض لو وقعت فيها قطرة لانتشرت في جميعها وبالصعيد بقايا سحر
قديم حكى الامير تقي الدين قيصبا والي قوص في الايام الناصرية محمد بن قلاوون قال امسكت امراة
ساحرة فقلت لها فقالت لها اريد ان ابصر شيا من سحرك فقالت اجود عملي ان اسحر
العقرب على اسم شخص بعينه فلا بد ان يقع عليه وتصيبه بسمها فيقتله فقلت
اريني هذا واقصديني بسحرك فاخذت عقربا وعملت ما احبت ثم ارسلت العقرب
فتبعني وانا اتنحى عنه وهو يقصدني فجلست على تخت وضعته على بركة ما فاقبل
العقرب الى ذلك الما واخذ في التوصل الى فلم يطق ذلك فمر الى الحائط وصعد فيه
وانا اشاهده حتى وصل الى السقف ومر فيه الى ان صار فوقي والقى نفسه صوبي
وسعى نحوي حتى قرب مني فضربته فقتلته ثم قتلت الساحرة ايضا وارض الصعيد
كثيرة المواشي من الضان وغيره لكثرة نتاجه حتى ان الراس الواحد من نعاج الضان
تولد عنه في عشر سنين الف واربع وعشرون راسا وذلك بتقدير السلامة وان
تلد كلها الاناث وتلد مرة واحدة في كل سنة ولا تلد في كل بطن غير راس واحد والا ان

اعرف نخلة تحمل عشرة ارادب

اعرف ساحرة تحمل العقرب على من شاءت

ولدت في السنه مرتين وكان في كل بطن راسان تضاعف العدد وتامل حساب
ما قلناه تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا ان من اغنام الصعيد ما يلد في السنه ثلاث
مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثه روس وكانت الكثره والغلبه لبلاد الصعيد
لست قبايل وهي بنو هلال وبلي وجهينه وقريش ولواته وبنو كلاب وكان
ينزل مع هولا عده قبايل سواهم من الانصار ومن مزينه وبني دراج وبني كلاب
وثعلبه وجذام وبلغ من عماره الصعيد ان الرجل في الايام الناصريه محمد بن قلاون
وما بعدها كان يسير من القاهره الى اسوان فلا يحتاج الى نفقه بل يجد لكل بلد وناحيه
عده دور للضيافه اذا دخل دارا منها احضر لدابته علفها وجي له بما يليق به من
الاكل ونحوه والامر الان الى ان لا يجد الرجل احدا فيما بين القاهره واسوان يضيفه
لسو الحال ثم تلاشى امر بلاد الصعيد منذ سنه الشراقي في الايام الاشرفيه شعبان
ابن حسين بن محمد بن قلاون سنه ست وسبعين وسبعمايه ومن ابتدا ثلاثين سنه في الايام
الظاهريه برقوق لجور الولاه ولم يزل في ادبار الى ان كانت سنه ست وثمان مايه
وشرقت ارض مصر بقصور مد النيل دهي اهل الصعيد من ذلك ما لا يوصف حتى انه
مات من مدينه قوص سبعه عشر الف انسان ومات من مدينه سيوط احد عشر
الف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينه هو خمسه عشر الف انسان وذلك كله سوى
الطرحا على الطرقات ومن لا يعرف من الغربا ونحوهم ثم دمر في الايام المويديه شيخ فلم
يبق منه الا رسوم بجور الولاه الجهله ونحوهم

ذكر الجنادل وطرف من اخبار ارض النوبه

الجندل ما يقل الرجل من الحجاره وقيل هو الحجر كله الواحده جندله
والجندل الجنادل قال سيبويه وقالوا جندل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البنا
عما لا ينصرف وارض جندله ذات جندل وقيل الجندل المكان الغليظ فيه حجاره ومكان
جندل كثير الجندل قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبه
والمقره وعلوه والبجه والنيل واول بلد النوبه قريه تعرف بالقصر من اسوان
اليها خمسه اميال واخر حصن للمسلمين جزيره تعرف ببلاق بينها وبين قريه النوبه
ميل وهو ساحل بلد النوبه ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا يسلكه
المراكب الا بالحيله ودلاله من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك الا ان

هذه الجبال منقطعه وشعاب معترضه في النيل ولانصبابه فيها خرير عظيم ودوي
يسمع من بعد وبهذه القريه مسلحه وبابا الى بلد النوبه ومنها الى الجنادل الاولى
من بلد النوبه عشر مراحل وهي الناحيه التي تصرف فيها المسلمون ولهم فيما قرب املاك
ويتجرون في اعلاها وفيها جماعه من المسلمين قاطنون لا يفصح احدهم بالعربيه وهي
ناحيه ضيقه شظفه كثيره الجبال وما يخرج عن النيل وقراها مستطيله على شاطيه
وشجرها النخل والمقل واعلاها اوسع من ادناها وفي اعلاها الكروم والنيل
لا يروي مزارعها لارتفاع ارضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثه على
اعناق البقر بالدواليب والقمح عندهم قليل والشعير اكثر والسلت ويعتقبون
الارض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والذره والجاورس
والسمسم واللوبيا وفي هذه الناحيه بجراش مدينه المريس وقلعه ابريم وقلعه اخرى
دونها ولها مينا تعرف بادر انتسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بربا عجيب
ولهذه الناحيه وال من قبل عظيم النوبه يعرف بصاحب الجبل من اجل ولايته لقربه من ارض
الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبه من المسلمين فمعاملته معه في تجاره او هديه او الى مولاه
يقبل الجميع ويكافي عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره واول
الجنادل من بلد النوبه قريه تعرف بسقوى هي ساحل واليها تنتهي مراكب النوبه المصعده
من القصر اول بلدهم ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود
منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها
واشر ناحيه رايتها لهم لصعوبتها وضيقها وشقه مسالكها انما هي جنادل وجبال
معترضه فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب وينضيق في مواضع حتى يكون سعه ما بين
الجانبين خمسين ذراعا وبرها مجاوب ضيقه وجبال شاهقه وطرقات ضيقه حتى لا يمكن
الراكب ان يصعدها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها
وهذه الجبال حصنهم واليها ينزع اهل الناحيه التي تلي المتصله بارض الاسلام وفي
جزايرها نخل يسير وزرع حقير واكثر اكلهم السمك ويدهنون بشحمه وهي من ارض مريس
وصاحب الجبل واليهم والمسلحه بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط
لها حتى ان عظيمهم اذا جازها وقف به المسلحي واوهم انه يفتش عليه حتى يجد الطريق

الى ولده ووزيره فمن دونهم ولا يجوز بها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك
الا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك فلا بيع بينهم ولا شرا وانما هي معاوضة
بالرقيق والمواشي والجمال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد ان يجوزها الا باذن الملك
ومن خالف كان جزاوه القتل كاينا من كان وبهذا الاحتياط يكتم اخبارهم حتى
ان العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسنباذ الذي يحك
به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه باردا يخالف الحجارة
فاذا اشكل عليه نفخ عليه بالفم فيعرف ومن هذه المسلحة الى قرية تعرف بساي جنادل
ايضا وهي احد كراسيهم ولم فيها اسقف وفيها بربا ثم ناحية سقلوذا وتفسيرها
السبع ولاه وهي اشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام في السعة والضيق في
مواضع والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شي من شجر القطن ويعمل منه ثياب
وحشية وبها شجر الزيتون ووالبها من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة يتصرفون وفيها
قلعة تعرف باصطون وهي اول الجنادل الثالثة وهي اشد الجنادل صعوبة لان
فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة ابواب وربما
رجع الى بابين عند انحساره شديد الخرير عجيب المنظر لتحدر الماء عليه من علو الجبل
وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة ابرد الى قرية تعرف بسلو وهي اخر قرى مريس
واول بلد مقرة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسي وهو اخر عمل متملكهم
ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عندنا اسمها الحسن وما رايت على النيل اوسع
منها وقدرت ان سعة النيل فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزاير
تقطعه والانهار بينه تجري بينها على ارض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة
بابرجة حمام ومواشي وانعام واكثر ميرة مدينتهم منها وطيورها المغتبط والنوبي
والببغ وغير ذلك من الطيور الحسان واكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية قال وكنت
معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الخلجان الضيقة وقيل ان
التمساح لا يضر هناك ورايتهم يعبرون اكثر هذه الانهار سباحة ثم سقنذ بعلوها
ناحية ضيقة شبيهة باول بلادهم الا ان فيها جزايرا حسانا وفيها دون المرحلتين
نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكنايس والديارات والنخل الكثير والكروم

والسا

والسواني والزروع ومروج كبار فيها ابل وجمال صهب موبلة للنتاج وكثيرا ما يكثر
الدخول اليها لان طرفها القبلي يحاذي دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار
المملكة الى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط
وبخشب الساج الذي ياتي به النيل في وقت الزيادة اسقالات منحوتة لا يدري من اين
ياتي ولقد رايت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوة
اكثر مما بينها وبين اسوان وفي ذلك من القرى والضياع والجزاير والمواشي والنخل
والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجانب الذي يلي ارض الاسلام وفي
هذه الاماكن جزاير عظام مسيرة ايام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز
يخاف فيها العطش والنيل يعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربها
مسيرة ايام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهي الناحية التي يبلغ العطوف من النيل
الى المعدن المعروف بالشنكة وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خرج العمري وهو ابو عبد
الرحمن عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب كانت له في النوبة والبجة حروب وهدم حبس احمد بن طولون يغلب
على هذه الناحية الى ان كان من امره ما كان وقريب النيل بكثر في هذا الموضع ومن
هذا الموضع طرق الى سواكن وباضع ودهلك وجزاير البحر ومنها عبر من
نجا من بني امية عند هربهم الى النوبة وفيها خلق من البجة يعرفون بالزنافج
انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حيلتهم في الرعي واللغة لا يخالطون
النوبة ولا يسكنون معهم في قراهم وعليهم وال من قبل النوبي

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم

اعلم ان النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة وهم المريس
المجاورون لارض الاسلام وبين اول بلدهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها
جد النوبة ومقرى جد المقرة من اليمن وقيل ان النوبة ومقرى من حمير واكثر اهل
الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل
النصرانية واول ارض المقرة قرية تعرف بتافه على مرحلة من اسوان ومدينة
ملكهم يقال لها نجراش على اقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله

عليه عزام قبل بعثته في ايام فرعون فاخرجنا فرو كانوا اصابيه يعبدون الكواكب
ويصبون التماثيل ثم تنصروا جميع النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هي دار
مملكتهم واول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه
الناحية والٍ من قبل صاحب بلد علوة يعرف بالوحواح والنيل يتشعب من هذه
الناحية على سبعة انهر منها نهر ياتي من ناحية المشرق كدر الما يجف في الصيف حتى
يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الما وزادت البرك التي فيه واقبل
المطر والسيول في ساير البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان اخر هذا النهر عين
عظيمة تاتي من جبل قال مورخ النوبة وحدثني سيمون صاحب عهد بلد علوة انه يوجد
في بطن هذا النهر في الطين حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه قامة
واكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه حبش مولدين العلوة والبجة يقال لهم الدكيون وحبش
يقال لهم بازين ياتي من عندهم طير يعرف بكام ناربن وبعد هولاء اول بلاد الحبشة ثم النيل
الابيض وهو نهر ياتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سالت
من طريق بلد السودان من المغاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر انه يخرج
من جبال الرمل او من جبل الرمل وانه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب
الى ما لا يعرف وانه ليس بابيض واما ان يكون يكتسب ذلك اللون مما يمر عليه او
من نهر اخر ينصب اليه هذا وعليه اجناس من جانبيه ثم النيل الاخضر وهو نهر
ياتي من القبلة مما يلي الشرق شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك
وطعمه يخالف طعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيتان الجميع واحدة
غير ان الطعم مختلف وياتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والقنا وخشب
له رايحة كرايحة اللبان وخشب غلاظ ينحت ويعمل منه بعد اد على شاطيه بيت هذا
الخشب ايضا وقيل انه وجد فيه عود البخور قال ورايت على بعض السقالات المنحوته
الساج التركي ياتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض والاخضر
عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان على الوانهما قريبا من مرحلة ثم يختلطان بعد
ذلك وبينهما امواج كبار عظيمة تتلاطم قال واخذ لي من نقل النيل الابيض
وصبه في النيل الاخضر يبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل ان يختلط وبين هذين

النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية ولذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فاما لها يعرف
عرضها ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا يدرك سعتها لخوف من يسكنها بعضهم
من بعض لان فيها اجناسا كثيرة وخلقا عظيما قال ولقد بلغني ان بعض متملكي بلد
علوة سار فيها يريد اقصاها فلم يات عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا
يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الارض مثل السراديب النهار من شدة حر الشمس
ويسرحون في الليل ومنهم قوم عراة والاربعة الانهار الباقية تاتي ايضا من القبلة
مما يلي الشرق انصافي وقت واحد ولا يعرف لها نهاية ايضا وهي دون النهرين الابيض
والاخضر في العرض وكثرة الخلجان والجزاير وجميع الاربعة الانهار ينصب في الاخضر
وكذلك الاول الذي قدمت ذكره ثم تجتمع مع الابيض والجميع مسكونة عامرة
مسلوك فيها بالسفن واحد هذه الاربعة ياتي من بلد الحبشة قال ولقد اكثرت
السوال عنها وكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على جميع
نهاية هذه الانهار والذي انتهى اليه علم من عرفني عن اخرين الى خراب وانه ياتي في
وقت الزيادة في هذه الانهار المراكب والابواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد
الخراب فاما الزيادة فمجمعون انها من الامطار مع مادة تاتي من ذاتها والدليل على
ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجايبه ان زيادته في
انهار مجتمعة وساير النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان
وبلاد النوبة وعلوة وما وراء ذلك في زمان واحد ووقت واحد واكثر ما وقف عليه
من هذه الزيادة انه زاد وحدث ملا باسوان ولا يوجد نقوص ثم ياتي بعد فاذا
كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم انها سنة ري واذا اقصرت الامطار
علم انها سنة ظما قال واما من طرق بلد الزنج فانهم اخبروني عن مسيرهم في بحر الصين
الى بلد الزنج الى الزنج الشمال مساحلين للجانب الشرقي من جزيرة مصر حتى ينتهوا الى
موضع يعرف براس حفوني وهو عندهم اخر جزيرة مصر فينظرون كوكبا يهتدون
به فيقصدون المغرب يعودون الى البحري ويصير الشمال في وجوههم حتى ياتوا الى
قبلة من بلاد الزنج وهي مدينة متملكهم ويصير قبلتهم للصلاة الى جدة قال وبعض
الانهار الاربعة ياتي من بلاد الزنج لانه ياتي فيها الخشب الزنجي وسويه مدينة العلوي

ستوفي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض والاخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعها
وسترقيها النهر الذي يجف ويسلك بطنه وفيها ابنية حسان ودور واسعة
وكنايس كثيرة الذهب وبساتين ولها ربط فيه جماعة من المسلمين ومتملك علوه
اكثر جالا من متملك المقرة واعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقري
وبلده اخصب واوسع والنخل والكروم عنده يسير والاكثر حبوبهم الذرة البيضا التي
مثل الارز منها خبزهم ومزرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة
العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب
عرابيات ودينهم النصرانية يعاقبة واساقفهم من قبل صاحب الاسكندرية
كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم اقل فهما من النوبة وملكهم
يسترق من شا من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له
ولا يعصون امره على المكروه الواقع بهم وينادون دون الملك يعيش فليكن امره
وهو يتتوج بالذهب والذهب في بلده ومما في بلده من العجايب ان في الجزيرة الكبرى
التي بين البحرين جنسا يعرف بالكرسا لهم ارض واسعة يزرعونها من النيل والمطر
فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه
وزرع في اربعة اركان الخطة شيا وجعل البذر في وسط الخطة وشيا من المزر
وانصرف عنه فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد
حصد يسيرا منه ووضعه في موضع ارادته ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد
حصد باسره وحرث فاذا اراد دراسته وتذريته فعل به كذلك وربما اراد احدهم
ان ينقي زرعه من الحشيش فيغلط بقلع شي من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع
واهل الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين
يزرع جميعها في وقت واحد ومسيرة بلد علوه ومتملكهم من هذه الناحية يوجهون
المراكب فيوسق ونيل وقع بينهم حرب قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة
مشهورة عند جميع النوبة والعلوه وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون
فيه ولا يرتابون به ولولا اشتهاره وانتشاره لما لا اجوز التواطو على مثله لما ذكرت
شيا منه لشناعته فاما اهل الناحية فيزعمون ان الجان يفعل ذلك وانها تظهر

لبعضهم

لبعضهم وتخدمهم بجارة يطاعون لهم ويعمل لهم العجايب وان اصحاب يطيعهم قال ومن
عجايب ما حدثني به متملك المقرة للنوبة انهم يمطرون في الجبال ويلتقطون منه للوقت
سمكا على وجه الارض وسالتهم عن جنسه فذكروا انه صغير القدر بادنان حمر اللون
وقد رايت جماعة واجبا سامن بعد من ذكره اكثرهم يعترفون بالباري سبحانه ويتقربون
اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنهار ومنهم
من يعبد كلما استحسنه من شجرة او بهيمة وذكر انه راى رجلا في مجلس عظيم المقرة ساله
من بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة اشهر وساله عن دينه فقال ربي ورب الملك ورب
الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فاين يكون قال في السما وحده سبحانه
وقال انه اذا ابطا عنهم المطر واصابهم الوبا او وقع بدوابهم افة صعد الجبل ودعوا
الله فيجابوا للوقت ويقضي حاجتهم قبل ان ينزلوا وسالهم هل ارسل فيهم رسول
قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما ايدوا به
من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا
قال مولفه وقد غلب اولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبني
بدنقلة جامع ما وى اليه الغرب واعلم ان على صفة النيل ايضا الكانم ويليها
سلم وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة جدا وفاعلة مملكة بلاد اسمها جيبي اول
مملكة من جهة مصر بلدة اسمها زلا واخرها طولا ملدة يقال لها كاكا وبينها نحو
ثلاثة اشهر وهم مسلمون وملكهم متحجب لا يرى الا يوم العيدين ملكه وعند العصر
وطول السنة لا يكلمه احد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر
وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان واللفت والرطبة ويتعاملون
بقماش ينسج عندهم اسمه ديدي طول كل ثوب عشرة اذرع يشترون به من ربع ذراع
فاكثر ويتعاملون ايضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك يسعر
ذلك القماش وفي جنوبها سعاري وصحاري فيها اشخاص متوحشة كالغول قريبة
من شكل الادمي لا يلحقها الفارس تؤذي الناس وتظهر في الليل شبه قبل نار تضي
فاذا مشى احد ليلحقها تبعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لا يزال امامه فاذا
ثالث يجي فاصابها تشظى منها شرر وتعظم عندهم القطيبة حتى يصنع منها مراكب

تعرف به في النيل وهذه البلاد بين افريقية وبرقة ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب
الاوسط وهي بلاد لخط وسفط وسومراج واول من بث بها الاسلام الهادي العثماني
ادعى انه من ولد عثمن بن عفان رضي الله عنه وصارت بعده للبربريين من بني سيف بن
ذي يزن وهم على مذهب الامام ملك بن انس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يلبسون في
الدين لا يلبسون وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق في سني
اربعين وستمائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في المدارس ان شاء الله

ذكر البجة

ويقال انهم من البربر اعلم ان اول بلد البجة من قرية
تعرف بالخربة معدن الزمرد في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث
مراحل وذكر الحفاظ ان ليس في الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع وهو يوجد
في مغاير بعيدة مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف
الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله عشيم دونه في الصبغ
والجوهر واخر بلاد البجة اول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزيرة اعني جزيرة مصر
الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلاء حيث
ما كان الرعي باخبية من جلود وانسابهم من جهة النساء ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم
متملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن الاخت وابن البنت دون ولد الصلب ويقولون
ان ولادة ابن الاخت وابن البنت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الاخت
وابن البنت اصح وان يكون من زوجها او من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم
قديما رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي اقصى جزيرة
البجة ويركبون النجب الصهب وسيتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيرة عندهم
ايضا والمواشي من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة
بقرون عظام ومنها جم وكباشهم كذلك مهمة لها اليات وغذاهم اللحوم وشرب
اللبن واكلهم الخبز قليل ومنهم من ياكله وابدانهم صحاح وبطونهم خماص والوانهم مشرقة
الصفرة ولهم سرعة في الجري يسابقون في الناس وكذلك جمالهم شديد العدو وصبره
عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل ويقاتلون عليها ويديرونها كما يشتهون
ويقطعون عليها من البلاد ما تتفاوت ذكره ويطاردون عليها الحرب فمن الواحد

منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فاخذها صاحبها وان وقعت في الارض
ضربها الجمل بجرانه الارض فياخذها صاحبها ونبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف
بكار شديد مقدام وله جمل ما سمع بمثله في السرعة وكان اعور وصاحبه كذلك التزم
لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها
في مثله حقيقة فوفا بذلك واشرف على المقطم وضرب الخيل خلفه فلم يلحق وهذا
هو الذي كان يكون في البجة طليعة يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ
اليها في مثله حقيقة فوفا بذلك واشرف على المقطم وكان الطولونية وغيرهم من امراء
مصر يوقفون من سفح جبل المقطم مما يلي الموضع المعروف بالحبش جيشا كثيفا مراعيا
للناس حتى يصلوا من عيدهم في كل عيد وهم اصحاب ذمة فاذا غدر احدهم دفع
المغدور به ثوبا على حربة وقال هذا عرض فلان يعني ابا الغادر فيصير سبة عليه
الى ان يترضاه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرق احدهم الضيف ذبح له فاذا جاوز
ثلاثة نفر نحر لهم من اقرب الانعام اليه سواء كان له او لغيره وان لم يكن شي نحر
راحلة الضيف وعوضه ما هو خير وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديدة
ثلاثة اذرع والعود اربع اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة في عرض السيف
لا يخرجونها من ايديهم الا في بعض الاوقات لان في اخر العود شبيها بالفلكة يمنع خروجها
عن ايديهم وصناع هذه الحراب نساء في موضع لا يخالطهن رجل الا المشتري منهن
فاذا ولدت من احداهن من الطارقين لهن جارية استحيتها وان ولدت غلاما
قتلته ويقلن ان الرجال بلا وحرب ودرقهم من جلود البقر مستعرضة ودرق مقلوبة تعرف
بالاكسومية من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسيهم عربية
كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عنها بنبل مسمومة وهذا السم يعمل من
عروق شجر العلقة يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا ارادوا تجربته شرط
احدهم جسده وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم
لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا اصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس
له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلادهم كلها معادن وكلما صاعدت
كانت اجود الذهب واكثر وفيها معادن للفضة والنحاس والحديد والرصاص

وحجر المغنطيس والمرقشيتا والحمست والزمرد وحجارة تنشط فاذا بليت الشطيه
منه بورت وقدت مثل الفتيله وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب على سواه
والبجه لا تعرض لعمل شي من هذه المعادن وفي ادويتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر
والشيح والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وباقصى بلدهم النخل وشجر الكرم
والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه احد وبها سائر الوحش من السباع والفيله
والنمور والفهود والقرود وعناق الارض والزباد ودابه تشبه الغزال حسنه
المنظر لها قرنان على لون الذهب قليله البقا اذا صيدت ومن الطيور الببغ
والنغيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمارين وغير ذلك وللبيض منهم
رجال الاصغر وع البيضه اليمنى واما النسا فمقطوع اشفار فروجهن وانه يلتحم حتى
يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في
ذلك ان ملكا من الملوك حاربهم فلما تم صلحهم على وشرط عليهم قطع ثدايا ما يولد
لهم من النسا وقطع ذكور ما يولد لهم من الرجال اراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط
وقلبوا المعنى في ان جعلوا قطع الثدايا للرجال والفروج للنسا ومنهم جنس يقلعون
ثناياهم ويقولون لا نتشبه بالحمير ومنهم جنس اخر في اخر بلد البجه يقال لهم البازه نسا
جميعهم يسمون باسم واحد وكذلك الرجال وطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم
بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السما وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من
بعد وتعظم الحيات ببلدهم ويكثر اصنافها وربما تحته في عدبوبا فلا احرجت ذنبها
والتفت على امراة وردت فقتلتها وربما نجمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة
وبها حيه ليس لها راس وطرفاها سوا نقشه يشبه بالكبيرة اذا مشى الانسان على
اثرها مات واذا قتلت وامسك القاتل ما قتلها به من عود او حربه في يده ولم يلقها
من ساعته مات وقتلت حيه منها حبشيه فانقشت الحبشية واذا تامل هذه الحيه
احد وهي ميته او حيه اصابه ضرر لها وفي البجه شر ويسرع اليه ولم في الاسلام وقبله
اذيه على شرق صعيد مصر وخربوا هناك عدة قرى عديده وكان ينفر اعنه مصر تغزوهم
وتوادعهم احيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما ان ملكوا مصر ولهم في
المعدن اثار مشهوره وكان اصحابها بها وقد فتحت مصر قال عبد الرحمن بن عبد الله بن
عبد الحكم

عبد الحكم ومخرج لعبد الله بن سعد بن ابي سرح في انصرافه من النوبه على شاطي النيل
البجه فسال عن شانهم فاخبر انه ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه امرهم وتركهم
ولم يكن لهم عقد ولا صلح وكان اول من هادنهم عبد الله بن الحبحاب السلولي ويذكر
انه وجد في كتاب ابن الحبحاب لهم بثلثماية بكر في كل عام حين ينزلوا الريف مجتازين تجارا
غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يووا عبيد
المسلمين وان يردوا اباقهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يوخذون بهذا وبكل
شاة ياخذها الحاوي فعليه اربعه دنانير وللبقرة عشره وكان وكيلهم مقيما بالريف
رهينه بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم واسلم كثير من
الجنس المعروف بالحدارب اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي صعيد
مصر من اول حدهم الى العلاقي وعيذاب المعروفه الى حده وما ورا ذلك ومعهم جنس
اخر يعرف بالزنافج هم اكثر عددا من الحدارب غير انهم تبع لهم وخفرا وهم يحمونهم ويحبونهم
المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الزنافج في جملته فهم كالعبيد يتوارثونهم
بعد اذ كانت الزنافج قديما اظهر عليهم ثم كثرت ذنوبهم على المسلمين وكانت ولاة
اسوان من العراق فرفع الى امير المومنين المامون خبرهم فاخرج اليهم عبد الله بن الجهم
فكانت له معهم وقايع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون
بمرتبتهم بهجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى امير
المومنين صاحب جيش الغزاه عامل الامير ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد ابقاه
الله في شهر ربيع الاول سنه ست عشره ومايتين لكنون بن عبد العزيز عظيم
البجه باسوان انك سالتني وطلبت الي ان او منك واهل بلدك من البجه واعقد
لك ولهم امانا علي وعلى جميع المسلمين فاجبتك الى ان عقدت لك علي وعلى جميع
المسلمين امانا ما استقمت واستقاموا على ما اعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا
وذلك ان يكون سهل بلدك وجبله من منتهى حد اسوان من ارض مصر الى حد ما
بين دهلك وباضع ملكا للمامون عبد الله بن هرون امير المومنين اعزه الله وانت
وجميع اهل بلدك عبيدا لامير المومنين الا انك تترك في بلدك ملكا على ما انت عليه في البجه
وعلى ان تودي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجه وذلك مايه من الابل

او بلمنايه دينار وازنه داخله في بيت المال والخارج في ذلك لامير المومنين ولولاته
وليس لك ان تحرم منه شيا عليك من الخراج وعلى ان كل احد منكم ان ذكر محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره به او قتل احدا من المسلمين
حرا او عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
وذمة امير المومنين اعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم اهل
الحرب وذراريهم وعلى ان كل احد منكم ان اعان المحاربين على اهل الاسلام بمال او
دله على عورة من عورات المسلمين او اثر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه وعلى
ان احدا منكم ان قتل احدا من المسلمين عمدا او خطا حرا او عبدا او احدا من اهل ذمة
المسلمين او اصاب لاحد من المسلمين او اهل ذمتهم مالا ببلاد البجه او في بلاد الاسلام او
بلاد النوبة او في شي من البلدان برا او بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل
العبد المسلم عشر قيم وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال اصبتموه للمسلمين
واهل الذمة عشرة اضعافه وان دخل احد من المسلمين بلاد البجه تاجرا او مقيما
او مجتازا او حاجا فهو امن منكم كاحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تاووا احدا من اباق
المسلمين فان اتاكم ات فعليكم ان تردوه الى المسلمين وعلى ان تردوا اموال المسلمين اذا
صارت في بلادكم بلا موونة تلزمهم في ذلك وعلى انكم اذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة
او مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلوا المداين والقرى بحال ولا تمنعوا احدا من
المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا
الطريق على احد من المسلمين ولا اهل الذمة ولا تسرقوا المسلم ولا الذمي مالا وعلى
ان لا تهدموا شيا من المساجد التي ابتنا المسلمون بصيحة وهجر وبساير بلادكم طولا
وعرضا فان فعلتم شيا من ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى ان كنون بن عبد العزيز
يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يقوم للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما اصابه
البجه للمسلمين من دم ومال وعلى ان احدا من البجه لا يتعرض حد القصر الى قرية يقال
لها قبان من بلد النوبة حدا اعلمه عقد عبد الله بن الجهم مولى امير المومنين لكنون
ابن عبد العزيز كبير البجه الامان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى ان يوافي
به امير المومنين فان زاغ كنون وعات فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون ان يدخل عمال

امير المومنين بلاد البجه لقبض صدقات اموال من اسلم من البجه وعلى كنون الوفا بما شرط
لعبيد الله بن الجهم واخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما اخذ على خلقه من الوفا والميثاق
ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجه عهد الله عليه ثا وميثاقه وذمة امير المومنين
وذمة ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفا
بما اعطاه عبيد الله بن الجهم ما وفا كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير
كنون او بدل احد من البجه فذمة الله جل اسمه وذمة امير المومنين وذمة الامير
ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريه
منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي من سكان جده وعبد الله
ابن اسمعيل القرشي ثم شهد جماعة من شهود اسوان فاقام البجه على ذلك برهة ثم عادوا
الى الغزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم الى امير المومنين جعفر المتوكل على الله
فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي وسال ان يختار من الرجال ما احب ولم يرغب الى
الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قوية ورجال منتخبة وسارت
المراكب في البحر فاجتمع البجه له في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك
فشغلهم بكتاب طويل لفه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراته فحمل عليهم
وفي اعناق الخيل الاجراس فنفر الجمال بالبجه ولم تثبت لصلصلة الاجراس فركب المسلمون
اقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن اخته وبعث
يطلب الهدنة فصالحهم على ان يطا بساط امير المومنين فسار الى بغداد وقدم
على المتوكل بسر من راى في سنة احدى واربعين وماتين فصولح على اداء الاتاوة
والبقط واشترط عليهم ان لا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن واقام القمي باسوان
مدة وترك في خزاينها ما كان معه من السلاح والة الغزو فلم تزل الولاة تاخذ منه
حتى لم يبقوا شيا فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجه قل شرهم وظهر التبر
للكثرة طلابه وتسامع الناس فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن عبد الله
ابن عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين وماتين ومعه
ربيعة وجهينة وغيرهم فكثرت بهم العمارة في البجه حتى صارت الرواحل التي تحمل
الميرة اليهم من اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب

ومال البجه الى ربيعه وتزوجوا اليهم وقيل ان كهان البجه قبل اسلام من اسلم منهم
ذكرت عن معبودهم الطاعه لربيعه واللون معها فهم على ذلك فلما قتل العمري
استولت ربيعه على الجزيره ووالاهم على ذلك البجه واخرجت من خالفهم من العرب
وتصاهروا الى روسا البجه وبذلك كف ضررهم عن المسلمين والبجه الداخله في
صحرا بلد علوه مما يلي البحر الملح الى اول الحبشه وحالهم في الظعن والمواشي واتباع
الرعي والمعيشه والمراكب والسلاح كحال الحدارب الا ان الحدارب اشجع واهدى
والداخله على كفرهم من عبادة الشيطان والاقتدا بكهانهم ولكل بطن كاهن يضرب قبه
من ادم يتعبد فيها فاذا ارادوا استخباره عما يحتاجون اليه تعرى ودخل الى القبه
مستدبرا ويخرج اليهم وبه اثر جنون وصداع يقول الشيطان يقريكم السلام ويقول
لكم ارحلوا عن هذه الرحله فان الرهط الفلاني يقع بكم وسالتم عن الغزو الى بلد كذا
فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تاخذونها من موضع كذا هي
لي والجاريه الفلانيه التي تجدونها في الخبا الفلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو
هذا القول فيزعمون انه يصدقهم في اكثر ذلك فاذا غنموا اخرجوا له من الغنيمه
ما ذكر ورفعوه الى الكاهن يتولاه ويحرسون الالبان يوقفونها على من لم يعقل واذا ارادوا
الرحيل حمل الكاهن هذه القبه على جمل مفرد فيزعمون ان ذلك الجمل لا يثور الا بجهد
وكذلك يبرح ويتصبب عرقا والخيمه فارغة لا شي فيها وقد بقي في الحدارب من هو
على هذا المذهب ومنهم من تمسك بذلك مع اسلامه قال مورخ النوبه ومنه حصبت
ما تقدم ذكره وقد قرات في خطبة الاجناس لامير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ذكر البجه والكجه ويقول عليهم شديد كلبهم قليل سلبهم والبجه كذلك واما
الكجه فلا اعرفهم الا ما ذكره عبد الله بن احمد مورخ النوبه قال ابو الحسن المسعودي
واما البجه فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا
في ارضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد وتتصل سراياهم ومناسرهم
على النجب الى بلاد النوبه فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبه قبل ذلك اشد من
البجه الى ان قوي الاسلام وظهر وسكن جماعه من المسلمين معدن الذهب وبلاد
العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعه بن نزار بن

معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجه فقويت البجه بمن صاهرها من
من ربيعه وقويت ربيعه بالبجه على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم
ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنه اثنين وثلاثين
وثلثمايه بشر بن مروان بن اسحق من ربيعه يركب في ثلاثة الاف من ربيعه واحلافها
من مضر واليمن وثلاثين الف حراب على النجب من البجه بالحجف البجاويه وهم الحداربه
وهم مسلمون من بين سائر البجه والباقون من البجه كفار يعبدون صنما لهم وبوادي
البجه المتصله بالمعدن الزمرد يتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين
العلاقي والنيل خمس عشره مرحله واقرب العماره اليه مدينه اسوان وجزيره
سواكن اقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير خاض واهلها طايفه
من البجه تسمى الخاسه وهم مسلمون ولهم ملك وقال الهمداني نكح كنعان بن
حام ارتيب بنت بتاويل بن ترس بن يافث فولدت له جبشا والاساود والنوبه
وفزان والزنج والزغاوه واجناس السودان وقيل البجه من ولد حام بن نوح
وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجه قبيله من الحبش والبجه اصحاب
اخبيه من شعر والوانهم اشد سوادا من الحبشه ويتزيون بزي العرب وليس
لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من ارض الحبشه وارض مصر
والنوبه وكانت البجه يعبدون الاصنام ثم اسلموا في اماره عبد الله بن سعد بن
ابي سرح وفيهم كرم وسماحه وهم قبايل وافخاذ لكل فخذ رييس وهم اهل نجعه
وطعامهم اللحم واللبن فقط

ذكر مدينه اسوان

اسوان من قولهم آسي الرجل ياسى اسًى اذا حزن ورجل اسيان واسوان اي
حزين واسوان في اخر بلاد الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبه
وبين ارض مصر وكانت كثيرة الحنطه وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات
والبقول وكانت كثيرة الحيوانات من الابل والبقر والغنم ولحمانها هناك غايه
في الطيب والسمن وكانت اسعارها ابدا رخيصه وبها تجارات وبضايع تحمل منها
الى بلاد النوبه ولا يتصل باسوان من شرقيها بلد اسلامي وفي جنوبها جبل به معدن
الزمرد وهو في بريه منقطعه من العماره وعلى خمسة عشر يوما من اسوان معدن الذهب

ويتصل باسوان من غربيها الواحات ويسلك من اسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب الى الحجاز والى اليمن والهند دار مملكة وبنى مدينة عظيمة تدعا دنقلة والفريق الاخر من النوبة يقال لهم علوة بنوا مدينة عظيمة سموها اسربة والبلد المتصل بمملكته بارض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك يتصل باعمال مصر من ارض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوائل يقطع منه العمد وغيرها فاما العمد والقواعد والروس التي يسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بسنين من السنين ومنها العمد الذي بالاسكندرية وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين الف دينار وقال الكمال جعفر الادفوي وكان باسوان غالبون رسولا من رسل الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحدة ثلاثين الف اردب تمر واخبرني من وقف على مكتوب كان فيه اربعون شريفا خاصة وان مكتوبا اخر راى فيه ستين شريفا دون من عداهم قال ووقفت انا على مكتوب فيه نحو من اربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة وفي ذي الحجة سنة اربع واربعين وثمانمائة اغار ملك النوبة على اسوان وقتل جمعا من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل ابي جودر الاخشيد في محرم سنة خمس واربعين فساروا في البر والبحر فقتلوا بعده من النوبة واسروا منهم وضربت اعناقهم بعدما وقع ملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى اهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس واربعين وثلاثمائة ومائة وخمسين اسيرا وعدة روس وكان بثغر اسوان بنو الكنز من سعة ابرهم مدحون مقصودون صنع لهم الفاضل السديد ابو الحسن بن غرام سيرة ذكر فيها مناقبهم واسما من مدحهم ومن ورد عليهم ولما ارسل السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب جيشا الى كنز الدولة واصحابه بنواحي البلاد ودخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصايد من مدحهم منها قصيدة ابي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وبخدة ان خانه الدهر او سطا ۰ اناس اذا ما اخذ الدل اهنوا
اجاروا فما تحت الكواكب خايف ۰ اجاروا فما فوق البسيطة معدم

وانه

وانه اجاز عليها بالف دينار ووقف عليه ساقيه تساوي الف دينار وكان باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهمل ذلك فتار متملك النوبة في عشرات الاف ونزل تجاه اسوان في جمادى واسر من كان بها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك امر الثغر واستولى عليه اولاد الكنز من بعد سنة سبعين وسبعمائة فافسدوا افسادا كبيرا وكانت لهم مع ولاة اسوان عدة حروب الى ان كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة وخرب اقليم الصعيد ارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق للسلطان بمدينة اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة الى اسوان وحاربت اولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هناك من النسا والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضى بالسبي وقد تركوها خرابا بيابا لا ساكن بها فاستمرت على ذلك بعدما كانت يحكى ويقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ان ابا عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الحميد العمري لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسال التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمان حنجلة التميمي في الف راحلة فيها الجهاز والبر ووذكر ان العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهدته جماعة من شيوخنا الثقات باسوان نخلة بقرية تدعى اسناشي هي من اسوان على مرحلتين ونصف لم ار وشرقيها من جانب النيل قرية تسبور وخارج بابها جبانة وناس يرحلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجد واسيت وهذا الموت في الشتا دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجمعون على رويتها وصحة هذا الخبر وكان بها انواع من التمر وانواع من الرطب منها نوع من الرطب في اشد ما يكون من خضرة السلق وامر هارون الرشيد ان يجمع له الوان من اسوان من كل صنف تمرة واحدة فجمع له ستة ولا يعرف في الدنيا بسر يتمر قبل ان يصير رطبا الا باسوان
بلاق اخر حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل يحيط بها النيل فيها بلد كبيرة

سكنه خلق كثير من الناس وبه نخل عظيم ومنبر في مسجد جامع واليه تنتهي سفن النوبه
وسفن المسلمين من اسوان وبينه وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي اول بلد النوبه
ميل واحد وبينه وبين اسوان اربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل
في البحر لا تسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون
هناك وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبه

ذكر حائط العجوز

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحدق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورائه
خليج تجري فيه الما معقود عليه القناطر عملته دلوكه بنت زبا وقد وهي وتلاشى
ولم يبق منه الا يسير في شط النيل الشرقي ينتهي الى اسوان قال ابو القسم عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون
وجنوده ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق فيها الا العبيد والاجرا والنسا
فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان يولين امراة منهن
يقال لها دلوكه ابنة زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن
وموضع وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فملكوها فخافت ان يتناولها
ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا يمد
عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد
رايت ان ابني حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس من كل ناحية فانا
لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمداين
والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الما واقامت القناطر والترع وجعلت
فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار
على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس
فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اي وجه كان
في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنايه
في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه
بقايا كثيرة

ذكر البقط

البقط ما يقبض من سبي النوبه في كل
عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه اللفظة عربية فهي اما من قولهم في الارض

بقط

بقط من بقل وعشب اي نبذ مرعى فيكون معناه على هذا نبذة من المال او يكون من قولهم
ان في بني تميم بقطا من ربيعة اي فرقة وقطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال
او قطعة منه ومنه بقط الارض فرقها منها وبقط الشي فرقه منه والبقط ان يعطي
الجنة على الثلث والربع والبقط ايضا ما سقط من التمر اذا قطع فاخطاه المخلب فيكون
معناه على هذا بقط ما في ايدي النوبه وكان يوجد منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها
من اسوان خمسة اميال فيما بين بلاق وبلد النوبه وكان القصر فرضة لقوص واول
ما تقرر هذا البقط على النوبه في امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن
ابي سرح بعد فتح مصر الى النوبه سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في عشرين
الفا فمكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يامره بالرجوع اليه فلما مات عمر رضي الله عنه
نقض النوبه الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد
فاخربوا وافسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو على امارة مصر
في خلافة عثمن رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دمقلة حصارا
شديدا ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبه تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك
وطلب ملكهم واسمه قليدروث الصلح وخرج الى عبد الله وابدا ضعفا ومسكنة
وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين
راسا في كل سنة ووعده عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكا قلة الطعام ببلده
وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن ابي السرح
لعظيم النوبه ولجميع اهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبه
من حد ارض اسوان الى حد ارض علوه ان عبد الله بن سعد بن ابي السرح جعل لهم
امانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من اهل صعيد مصر
وغيرهم من المسلمين واهل الذمة انكم معاشر النوبه امنون بامان الله وامان
رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم
ما اقمتم على الشرايط التي بيننا وبينكم على ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه
وندخل بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلادكم او يطرقه من
مسلم او معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل ابق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى

تردوه الى ارض الاسلام وعليكم رد من لجأ اليكم من مسلم محارب للمسلمين وان تخرجوه من
بلادكم الى ارض الاسلام ولا تستميلوا عليه ولا تمنعوا منه وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه
المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه الى
ان ينصرف عنه وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون
راسا تدفعونها الى امام المسلمين من اوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران
واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي اسوان
وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد ارض علوة الى حد ارض اسوان
فان انتم آويتم عبد المسلم او قتلتم مسلما او معاهدا او عرضتم للمسجد الذي ابتناه
المسلمون بفناء مدينتكم بهدم او منعتم شيئا من الثلثمائة راس والستين راسا فقد
برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة
من تعظمونه من اهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك وكتبه عمرو بن
شرحبيل في رمضان سنة احدى وثلاثين وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن العاص
ما صولحوا عليه من البقط قبل نكثهم واهدوا الى عمرو اربعين راسا من الرقيق فلم يقبلها
ورد الهدية الى كبير القبط ويقال له سمقوس فاشترى له بذلك جهازا وخمرا ووجهه
اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا
وثيابا وخيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسما ياخذونه عند دفع البقط
في كل سنة وصارت الاربعون راسا التي اهديت الى عمرو ياخذها والي مصر وعن ابي
خليفة حميد بن هشام البحيري ان الذي صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون راسا لفئ
المسلمين ولصاحب مصر اربعون راسا ويدفع اليهم اربعون اردبا قمحا ولرسله
ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك ومن الخمر الف اقنيز للملك ولرسله ثلثمائة
اقنيز وفرسان من نتاج خيل الامارة ومن اصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي
اربعة اثواب للملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية اثواب ومن المعلمة خمسة
اثواب وجبة مجملة للملك ومن قمص ابي بقطر عشرة اثواب ومن احاصي عشرة اثواب

ومن ثياب غلاظ قال ابو خليفة فليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي
تسمية شيء من هذا وانما اخذت التسمية عن ابي زكريا قال ابو زكريا سمعت والدي
عثمان بن صالح يقول هذا الخبر فحفظت منه ما وقفت عليه وقال حضرت مجلس الامير
عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال انت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب
بقط النوبة قلت نعم فاقبل على محفوظ بن سليمان فقال ما اعجب امر علماء هذه البلدة
وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فما اشفانا احد منهم فقلت اصلح الله
الامير ان الذي طلبت من خبر النوبة عندي قد حفظته من الشيوخ عن الشيوخ الذين حضروا
هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن ابي سرح وبين النوبة ثم حدثته
عن اخبارهم كما سمعت وانكر عطية الخمر فقلت قد انكره عبد العزيز بن مروان وكان
هذا المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد ان تم الصلح بينه وبين
عبد الله بن السري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى
الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسره
ذلك وعن مالك بن انس انه كان يرى ان ارض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز
شرى رقيقهم وكان اصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله بن وهب والليث
ابن سعد ويزيد بن ابي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث
ابن سعد نحن اعرف بارض النوبة من مالك بن انس انما صولحوا على ان لا نغزوهم
ولا نمنع منهم عدوا فلما استرقه مملكهم او غزا بعضهم بعضا فشراه جائز وما
استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار نوبيات
لفرشهم فلم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى
ايام امير المؤمنين المعتصم بالله ابي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكريا
ابن يحنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فتشعث عليهم ولاة المسلمين
ما قرب من بلادهم ومنع من اخراج الجهاز اليهم فلما ملك فرقي ولد كبيرهم زكريا على
ابيه بذله الطاعة لعجزه واستحق فيما يدفع فقال له ابوه فما نستا قال عصيانهم
ومحاربتهم قال ابوه هذا شيء رآه السلف من آبائنا صوابا واخشى ان نعطي هذا
الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني اوجهك الى ملكهم رسولا فانت

يرى بحالنا وحالكم فان رايت لنا بهم طاقة حاربناهم على جهد وان لم يمكن سالته الاحسان
الينا فتخلص فرقي الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن والجسور
بالخيار ويلبس التاج ويمشي باسبابه ولقي المعتصم فنظر الى ما بهره من جمال العراق
في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهده في طريقه فقرب المعتصم فرقي وادناه
واحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافاه باضعافها وقال له تمن ما
شئت فسال في اطلاق المحبوسين فاجابه الى ذلك وكتب على المعتصم ووهب
له الدار التي نزلها بالعراق وامر ان يشترى له في كل منزل من طريقه دار ليكون لرسله
لانه امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فاخذ له بمصر دارا في الجيزة واجرى بمبنى واسال
واجرى له في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرسا وسرجا ولجاما وسيفا محلى وثوبا
مثقلا وعمامة من الخز وقميص شرب ورداء شرب وثيابا للرسله غير مجدوده عند
وصول البقط الى مصر وله حملان وخلع على المتولي لقبض البقط وعليهم رسوم
معلومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير مجدود وهو
عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده اكثر
من البقط وانكر عطية الخمر واسر الحبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط
بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقي في يد النوبة وادعى النوبي على
قوم من اهل اسوان انهم اشتروا املاكا من عبيده فامر المعتصم بالنظر في ذلك فاحضروا
الى البلد والمختار للحكم فيه والتابعين من النوبة وسالاهما عما ادعاه صاحبهم من بيعهم
فانكروا ذلك وقالوا نحن رعيته فزال ما ادعاه وطلب اسماعيل بن ذلك من ازالة
المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على
ارضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم
ما اجراه المعتصم الى ان قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مورخ النوبة
وقال ابو الحسن المسعودي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل الى
مصر ضريبة عليهم وهو ثلاثمائة راس وخمسة وستون راسا لبيت المال لشرط الهدنة
بين النوبة وبين المسلمين وللامير بمصر غير ما ذكرنا اربعون راسا وللخليفة المقيم
باسوان وهو المتولي لقبض البقط عشرون راسا وللحاكم المقيم باسوان الذي

يحضر

يحضر مع امير اسوان قبض البقط خمسة اروس وللاثني عشر شاهدا عدولا من اهل اسوان
يحضرون مع الحاكم قبض البقط اثني عشر راسا من السبي على حسب ما جرى فيه الرسم
في صدر الاسلام في بدو ارتفاع الهدنة بين المسلمين وبين النوبة وقال البلاذري
في كتاب الفتوحات ان المقرر على النوبة اربعمائة راس ياخذون بها طعاما اي غلة
والزمهم امير المومنين المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بثلاثمائة وستين راسا وزرافة
وفي سنة اربع وسبعين وستمائة خرجت داود متملك النوبة واقبل الى ان
قرب من مدينة اسوان وحرق علة سواقي بعد ما افسد بعيذاب فمضى اليه والي
قوص فلم يدركه ونهض على صاحب الجبل في عدة من النوبة وحملهم الى السلطان الملك
الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم وقدم شكنده ابن اخت متملك
النوبة متظلما من خاله داود فجرد السلطان معه الامير شمس الدين اقسنقر الفارقاني
الاستادار والامير عز الدين ايبك الافرم امير جاندار في جماعة كثيرة من العسكر ومن
اجناد الولايات وعربان الوجه القبلي والزراقين والرماة ورجال الحراريق فساروا
في اول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى ارض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بايديهم
الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان قتالا كبيرا انهزم فيه النوبة واغار
الافرم على قلعة الدو وقتل وسبى واوغل الفارقاني في ارض النوبة برا وبحرا يقتل
وياسر بجزائر من المواشي ما لا يعد ونزل بجزيرة ميكائيل براس الجنادل وفر المراكب
من الجنادل فقفز النوبة الى الجزائر وكتب لقمر الدولة نائب داود متملك النوبة امانا
يحلف لشكنده على الطاعة واحضر رجال المريس ومقرة وخاض الافرم الى برج في
الماء وحصره حتى اخذه وقتل به مائتين واسر خارا ود وهرب داود والعسكر في اثره
مدة ثلاثة ايام وهم يقتلون ويأسرون حتى اذعن القوم واسرت ام داود واخته ولم يقدر
على داود فتقرر شكنده عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث
زرافات وخمس فهود من اناثها ومائة هجين صهب واربعمائة راس من البقر المنتجة
على ان تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ما
خلا بلاد الجبال فانها كلها للسلطان لقربها من بلاد اسوان وتكون نحو الربع من
بلاد النوبة وان يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم

الرمان وان يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة دينارا
عينا وكتبت نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك شكنده ونسخة اخرى حلفت بها الرعية
وخرب الامير ان كنايس النوبة واخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين اميرا من امرا النوبة
وافرج عمن كان بايدي النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في اسرهم والبس
شكنده تاج الملك واقعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع ما للداود
ولكل من قتل واسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو اربعمائة
راس من الرقيق في كل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثلثمائة وستون راسا
ولنايبه بمصر اربعون راسا على ان يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط بامام البقط الف اردب
لملكهم وثلثمائة اردب لرسله

ذكر صحرا عيذاب

ذكر صحرا عيذاب

اعلم ان حجاج مصر والمغرب اقاموا زيادة على مايتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها
الله تعالى الا من صحرا عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص
ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحرا الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب
الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب
ثم يسلكون هذه الصحرا الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحرا لا تزال
عامرة آهلة بما يصدر ويرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت احمال البهار كالقرفة
والفلفل ونحو ذلك ليوجد ملقاة بها والقفول صادرة عنها وواردة لا يتعرض لها احد
الى ان ياخذ صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مايتي سنة من
اعوام بضع وخمسين واربعمائة الى اعوام بضع وستين وستمائة وذلك عندما كانت
الشدة العظمى في ايام الخليفة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج في البر
الى ان كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الكعبة وعمل لها
مفتاحا ثم اخرج قافلة الحاج في البر من سنة ... وستين وستمائة فقل سلوك الحجاج
لهذه الصحرا واستمرت بضايع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين
وسبعمائة وتلاشى امر قوص من حينئذ ولهذه الصحرا مسافة من قوص الى عيذاب
سبعة عشر يوما ويفقد فيها الما ثلاثة ايام متوالية وتارة يفقد اربعة ايام
وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة واكثر بيوتها اخصاص وكانت

من

من اعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضايع وتقلع منها
مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها
صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع وعشرين وثمانمائة
صارت جدة اعظم مراسي الدنيا وكذلك لهم من فاتها مرسا حليل وعيذاب في صحرا
لا نبات فيها وكل ما يوكل بها مجلوب اليها حتى الما وكان لاهلها من الحجاج والتجار
فوايد لا تحصى وكان لهم على كل حمل تحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج
الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم
يكن من اهل عيذاب الا من له جلبة فاكثر على قدر يساره وفي بحر عيذاب مغاص اللولو
في جزاير قريبة منها يخرج اليه الغواصون في وقت معين في كل سنة في الزوارق
حتى يوافوه بتلك الجزاير فيقيمون هنالك اياما ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ والمغاص
فيها قريبا القعر وعيش اهل عيذاب عيش البهايم وهم اقرب الى الوحش في اخلاقهم
من الانس وكان الحجاج يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر الهوال العظيمة لان الرياح تلقيهم
في الغالب في مراسي في صحاري بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم البجاة من جبالهم فيكارونهم
الجمال ويسلكون بهم على غير ما فربما هلك اكثرهم عطشا واخذ البجاة ما كان معهم
ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى عيذاب كانه نشر من كفن
قد استحالت هياتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي ومنهم
من تساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلبتهم التي تحمل الحجاج في البحر لا
يستعمل فيها مسمار البتة انما تخيط خشبها بالقنبار وهو يتخذ من شجر النارجيل
ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن او دهن الخروع او دهن القرش
وهو حوت عظيم في البحر يبتلع الغريق وقلاع هذه الجلاب من حصر شجر المقل ولاهل
عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت فانهم يبالغون في اشحان الجلبة بالناس حتى يقعد
بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون
دايما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح واهل عيذاب من البجاة ولهم ملك
منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وادركت قاضيها عندنا بالقاهرة اسود
اللون والبجاة قوم لا دين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم ابدا عراة وعلى عوراتهم

حرق وكثير منهم لا يستترون بعوراتهم وعذاب حرها شديد بسموم محرق **مدينة الاقصر**
هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان اهلها المريس ومنها الحمير المريسية
البليني ذكر الكمال الادفوي انه وقع بين اهل البلاد وبين والي قوص فتوجهوا
الى القاهرة وصرفوه وولي غيره وطلع الخطيب بالبليني صحبته وكان اقطاعه بزمنت
فلما وصل اليها اضافه اهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب في بلادكم
مثل هذا فقال الخطيب حلوى فلما وصل الى اخميم بعد م الخطيب بالبليني وعندما وصل
الوالي اليها اخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شوى قال وبعض الحكام
بها في عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضى
بمدح القاضي وفيها من يقصر رتبته عن ذلك قال وكان بها عدة مسابك للسكر ووصف
اهلها بالمكارم **سمهود** هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل قال
الادفوي كان بسمهود سبعة حجر الاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لا ياكل قصبها
ارجنوس هذه المدينة من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بير
يقال لها بير سوس صغيرة لها عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس احد
شهور القبط لمصر فيفور الما عند مضي ست ساعات من النهار حتى يطفو ثم يعود
الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة النيل في كل سنة بقدر ما علا الما من الارض
فيزعمون ان الامر في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك **ابويط** هذه المدينة
ايضا من جملة البهنساوية كان بها منارة محكمة البنا اذا هزها الرجل تحركت لمبنا
وسمها الاقرب ميلها روية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه **تلوى** هذه المدينة
بالجانب الغربي من النيل وارضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة احجار
لاعتصاره واخر من كان بها اولاد فضيل بلغت زراعتهم في ايام الناصر محمد بن
قلاوون الف وخمسمائة فدان من القصب في كل سنة ولما وقع النشو ناظر الخاص الحوطة
على موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فوجد [illegible] جملة ما لهم اربعة عشر الف
قنطار من القند حملت الى دار القند بمصر سوى العسل والزمهم بحمل ثمانية الاف
قنطار بعد ذلك وافرج عنهم فوجدوا الحاصل لم يهتد اليه النشو فيه عشرة
الاف قنطار من القند حملت الى دار القند بمصر سوى العسل والزمهم بحمل ثمانية

الاف

الاف قنطار بعد ذلك وافرج عنهم فوجدوا الحاصل لم يهتد النشو فيه عشرة الاف قنطار
قند سوى ما لهم من عسل وغلال وغير ذلك

ذكر مدينة انصنا

اعلم ان مدينة انصنا احد مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب
ويقال انه كان مقياسا للنيل وانه من بنا دلوكة احد ملوك مصر وكان كالطيلسان
في دايره عمد على عدة ايام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر المانع ومسافة
ما بين كل عمود من مقدار خطوة انسان وكان ما النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة
عند زيادة الما فاذا بلغ ما النيل الحد الذي كان اذا انتهى حصل منه ري ارض مصر
وكفايتها جلس الملك عند ذلك في مشرف له وصعد القوم من خواصه الى رؤوس الاعمدة
المذكورة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب
وهو ممتلا بالما وقال ابو عبيد البكري ايضا بفتح اوله واسكان ثانيه بعده
صاد مهملة مكسورة ونون والف كورة من كور مصر معروفة منها كانت مارية
سرية النبي صلى الله عليه وسلم ام ابنه ابرهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه
الكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وانه جلبهم منها يوم الموعد للقا موسى عليه
السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل انصنا لطلاسم وضعت بها وانه اذا حاذى
بها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذي بنى مدينة انصنا اشمن بن
مصرايم بن مصر بن حام بن نوح وهي واقعة في شرق النيل وكانت حسنة البساتين
والمتنزهات كثيرة التمر والفواكه وهي الان خراب سوى قال ابو حنيفة الدينوري ولا
ينبت اللبخ الا بانصنا وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما ارعف ناشرها
ويباع اللوح منه بخمسين دينارا ونحوها واذا شد منها لوح بلوح وطرح في الما
سنة التاما وصار لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب وجعل على كل مركب مقدارا من حمل صخره الى القاهرة فنقل باسره
اليها **القيس** اعلم ان القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال
القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد
فسار حتى اتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس بن الحارث المرادي
ثم الكعبي شهد فتح مصر يروي عن عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه

سويد بن ملس وقيل سند بن قيس بن ثعلبه وروى عنه بكر بن سواده وهو الذى فتح القويه بصعيد مصر المعروفه بالقيس فنسبت اليه وقال ابن الكندى ولهم الثياب الصوف والاكسيه المرعز وليس في الدنيا الا بمصر وذكر بعض اهل مصر ان معويه ابن ابي سفيان لما كبر كان لا يدفا فاجمعوا انه لا يدفيه الا اكسيه تعمل بمصر من صوف المرعز العسلي الغير مصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الى غير واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز اهل الدنيا وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في ايام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب فامر متولي البهنساويه بكشفه فجمع له اهل المعرفه بالعوم والغطس فكانوا اياما يكشف عن ما ياتي رجل منهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فامر بعمل مركب طويل رقيق بحيث امكن ادخاله من راس السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبال مربوطه في خوازيق عند راس السرب وعمل مع الرجال الات يعرفون منها اوقات الليل والنهار وعمل شموع وغيرها مما يستخرج به النار ويشتعل به وامرهم ان سلكوا بالمركب في السرب حتى ينفد نصف ما معهم من الزاد فساروا بالمركب في ظلمه وهم يرخون الحبال لما هم بسايرون عنه من الماء جوانب فما زالوا حتى قلت ازوادهم فابطلوا حركه المراكب بالمجاديف الى داخل السرب وجروا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى راس السرب فكانت مده غيبتهم في السرب سته ايام اربعه منها دخولا الى جوفه ويطوفون جوانبه ويومان رجوعا الى راس السرب ولم يقفوا في هذه المده على نهايه السرب فكتب بذلك الامير علا الدين الطنبغا والي البهنسا الى الملك الكامل فتعجب تعجبا كثيرا واشتغل عن ذلك بمحاربه الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعاد الى القاهره خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

ذكر دروط بلهاسه

اعلم ان دروط وهي بفتح الدال المهمله وضم الراء وسكون الواو وطا اسم لثلاث قرى دروط اشموم من الاشمونين ودروط سربام من الاشمونين ايضا ودروط بلهاسه من ناحيه البهنسا من الصعيد وبها جامع انشاه زياد بن المغيره بن زياد بن عمرو العتكي ومات في المحرم سنه احدى وتسعين ومايه فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف

حلف الجود حلفه برفها ... ما برا الله واحدا كزياد
كان غيثا للمصر اذ كان حيا ... واماناً من السنين الشداد

ومات ابنه ابرهيم بن المغيره سنه تسع وتسعين ومايه فقال الشاعر فيه

ابن المغيره ابرهيم من ذهب ... يزداد حسنا على طول الدهارير
لو كان يملك ما في الارض فرقه ... الى العفاه ولم يهمم بتاخير

ومات احمد بن زياد بن المغيره في المحرم سنه ست وثلاثين ومايتين فقال الشاعر فيه

احمد مات ماجدا مفقودا ... ولقد كان احمد محمودا
ورث المجد عن اب ثم عم ... مثله ليس بعده موجودا

اعد اعجوبه بالاطفيحيه الاراحل دار

اسكر

من الاطفيحيه تجاه حلوان وبها الى وقتنا هذا اسكل جمل من الحجر كانما سوي من الجبال واحسن هيه وهو قايم على اربعه وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى فخذه الايمن كتابه يعلمهم وهي احرف مقطعه في ثلاثه اسطر لم على نحو مايه وخمسين خطوه منه جمل اخر مثله سوا ووجهه الى وجه الجمل الاول وليس عليه كتابه وفيما بين الجملين المذكورين هيه اعمده السقف مليت فاشاعر اربعون ركبه موضوعه بالارض هي حجاره عشرين وجميعها من حجاره لا استك من بالهان احمال فاش وبعد مايه وخمسين خطوه منها جمل ثالث على هيه الجملين المذكورين وهو ايضا قايم وظهره الى ظهر الجمل الثاني ووجهه الى الجبل ويقال ان اخر الوادي وليس على هذا الجمل كتابه اخبرني من لا اتهمه برويه ذلك

منيه الخصيب

هذه البلده تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل امير المومنين هرون الرشيد

منيه الناسك

هذه بلده من جمله الاطفيحيه عرفت بالناسك اخي الوزير بهرام الارمني في ايام الخليفه الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد بن محمد ولي من قبل اخيه مدينه سنه تسع وعشرين وخمسمايه وولايه قوص بومند اصل ولما مات مصر تجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشي على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزاره بعده ثار اهل قوص بالناسك في جمادى الاخره سنه احدى وثلاثين وخمسمايه وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله وسحبوه حتى القوه على مزبله وكان نصرانيا

ذكر الجيزة

قال ابن سيده الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز
وجيز والجيزة جانب الوادي وقد يقال فيه الجيزة واعلم ان الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة
البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم احد سوق
عظيم يجلب اليه من النواحي اصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد
جامعة وقد روى الحافظ ابو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في ارضه
ويقال ان مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى الذي قذفته امه فيه
بالنيل وبها النخلة التي ارضعت مريم تحتها عيسى فلم تثمر غيرها وقال ابن عبد الحكم
عن يزيد بن ابي حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في
خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك
ويقول له كيف رضيت ان تفرق اصحابك لم يكن ينبغي لك ان ترضى لاحد من اصحابك ان
يكون بينك وبينهم بحر لا تدري ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم
ما تكره فاجمعهم اليك فاذا ابوا عليك واعجبهم موضعهم بالجيزة واحبوا ما هنالك
فابن عليهم من فيء المسلمين حصنا فعرض عمرو ذلك عليهم فابوا واعجبهم موضعهم بالجيزة
ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها واحبوا ما هنالك فبنى لهم عمرو بن
العاص الحصن بالجيزة في سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه في سنة اثنتين
وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة ان ينضموا الى الفسطاط قالوا
قالوا متقدم قدمناه في سبيل الله ما كنا لنرحل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزة فيهم
مبرح بن شهاب وهمدان وذو اصبح فيهم ابو شمر بن ابرهة وطائفة من الحجر وقال
القضاعي ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة
من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل آل ذي اصبح من
حمير وهم كثير ويافع بن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة
من الازد بني الحجر بن الهنو من الازد وطائفة من الحبشة وديوانهم في الازد
فلما استقر عمرو في الفسطاط امر الذين خلفهم بالجيزة ان ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا

هذا

هذا متقدم قدمناه في سبيل الله واقمنا ما كنا بالذي نرغب عنه ونحن به منذ اشهر
فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك ويخبره ان همدان وآل ذي
اصبح ويافع ومن كان منهم احبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت ان تفرق
عنك اصحابك وبينهم بحر لا تدري ما يفجأهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم اليك
ولا تفرقهم فان ابوا واعجبوا مكانهم فابن عليهم حصنا من فيء المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم
بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فامر عمرو ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك
وقالوا لا حصن احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فاقرع عمرو بينهم
فوقعت القرعة على يافع فبنى فيهم في سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه في سنة
اثنتين وعشرين وامرهم عمرو بالخطط فخط ذو اصبح من حمير في الشرق ومضوا
في الغرب حتى بلغوا ارض الحرث والزرع وكرهوا ان يبنى الحصن فيهم وخطت يافع
ابن الحارث من رعين فتوسطت الجيزة وبني الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن
الحصن انفة منه واختطت بكيل بن جشم بن نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة
في شرقيها واختطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها
واختطت الحبا وبنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة واختطت بنو عوس بن ارحب بن بكيل
في قبلي الجيزة واختطت بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو من الازد فيما بين بكيل ويافع
والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن
في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بامر الامير علي بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنائه
وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو
مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة بالجيزة وشارف بناء هذا الجامع
مع الخازن ابو الحسن بن ابي جعفر الطحاوي واحتاجوا الى عمد للجامع فمضى الخازن في
الليل الى كنيسة باعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها اركانا وحمل العمد الى الجامع
فترك ابو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه منذ ذاك تورعا قال المؤلف وقد كان ابن
الطحاوي يصلي في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده او اكثرها ورخامه من
كنائس الاسكندرية وارياف مصر وبعضه بناه قرة بن شريك عامل الوليد
ابن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار ورواية كان بها احجار رخام قد

صورت فيه التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة اميال علوا وسفلا وفي سنة اربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير ان يتعرض الى شيء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

ذكر سجن يوسف

قال القضاعي سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة اجمع اهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان وفيه اثر نبيين احدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر ان مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعاء يذكر ان كافور الاخشيدي سال ابا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعاء ليدعو فيه فاشار عليه بالدعاء على سطح السجن والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بني على اثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى واخبرنا ابو الحسن علي بن ابراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا ابو محمد عبد الله ابن الورد وكان قد هلكت احته وورثت منها موروثا وكنا نسمع عليه دائما وكان سجن يوسف وقت يمضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا اصحابنا هذا اوان السجن ونريد ان نذهب اليه واخرج عشرة دنانير فناولها لاصحابه وقال لهم ما اشتهيتموه فاشتروه ومضى اصحاب الحديث واشتروا ما ارادوا وعدينا يوم احد الجيزة كلنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جئنا الى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحملني ويطلع بي الى هذا السجن حتى احدثه بحديث لا احدث به لاحد بعده حتى يفارق روحي الدنيا قال الشرفي فاخذت الشيخ وحملته حتى صرت في اعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال ابصر لي بلاطة فاخذ فحمة وكتب حدثني يحيى بن ايوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل اتى الى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من انت الذي منذ دخلت السجن ما رايت احسن وجها منك فقال له انا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال اما علمت ان الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فما قام الى آخر النهار حتى اخرج من السجن قال القضاعي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه ابو محمد احمد بن سلامة الطحاوي وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر اليه لما عنفته في سفره وقال الفقيه ابو اسحق المروزي لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته وذكر المسبحي في حوادث شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة واربعمائة ان العامة والسوقة طافت الاسواق فضربوا بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وارباب الاسواق ما ينفقونه في مضيهم الى سجن يوسف وقال لهم التجار يشغلنا بعد هذه الاوقات ما نبعث من هذا وكان قد اشتد الغلاء فرفعوا حالهم الى الحضرة المطهرة يعني امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله فرسم لسامي الدولة ابي طاهر بن كافي متولي الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم الخروج الى سجن يوسف ووعدوا ان يطلق لهم من الحضرة ضعف ما اطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا في يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى وركب الاتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل الى الصناعة التي بالجسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدا في سائر عسكره الى الجيزة حتى رتب لامير المؤمنين عساكر يكونون معه مقيمة هناك لحفظه لانه عدا يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في اربع عشاريات واربع عشرة بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف واقام هناك يومين وليلتين الى ان عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت منه واقام اهل الاسواق نحو الاسبوعين يطوفون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهدهم امير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم ان لا يعارض احد منهم في ذهابه وعوده وان يعتمد اكرامهم وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك الى ان تكامل جمعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل وتعطل الناس في ذلك اليوم عن اشغالهم ومعايشهم واجتمع في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس اكثر هذا اليوم على ذلك واطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سوقا ونزلوا بمسرور ويخارج مدينة الجيزة موضع يعرف بابي هريرة فيظن من لا علم له انه ابو هريرة الصحابي وليس كذلك

قرية ترسا

قال القضاعي وذكوان القسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج
مصر بني في الجيزة قرية تعرف بترسا والقسم هذا اخرج الى مصر وولي خلافة عن ابيه
عبيد الله بن الحبحاب السلولي على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم امره هشام على
خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة
اربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع لحفص بن الوليد عمرها وخراجها فصار يلي الخراج
والصلاة معا وبترسا هذه كانت وقعة مروان بن محمد الجعدي

منية اندونه

احد قرى الجيزة عرفت باندونة كاتب احمد المدائني الذي كان يتقلد ضياع موسى بن بغا
التي بمصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فاخذ منه خمسين الف
دينار

وسيم

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير
مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسال عبد الله ان ياتيه الى منزله ويحمل له
مائة الف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية
ابي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فاتى عبد الله العزل وولاية قرة
ابن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل
ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد
ركب معه الى المعدية وعدى اصحابه قبله وتاخر فورد الكتاب بعزله فقال
صاحب المال والله لا بد ان تشرف منزلي وتكون ضيفي وتاكل طعامي ووالله لا عاد
لي شي من ذلك ودعا بسفر فاعدى معه

منية عقبة

هذه القرية بالجيزة
عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر
الى معوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما يساله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة
فكتب له معوية بالف ذراع في الف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك
الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من
انفسهم شي ولا من نسائهم ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف
من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معوية يساله بقيعا
في قرية يبني فيه منازل ومساكن فامر له معوية بالف ذراع في الف ذراع فقال
له مواليه ومن كان عنده انظر الى ارض تعجبك واختط فيها وابتن فقال ليس لنا

ذلك انه في عهدهم ستة شروط منها ان لا يؤخذ من ارضهم شي ولا يزاد عليهم ولا يكلفوا غير
طاقتهم ولا يؤخذ ذراريهم وان يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم قال ابو سعيد بن يونس
وهذه الارض التي اقتطعها عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة
ابن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمر
الكندي وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر عقبة بن عامر بن عبس الجهني من جهينة
ابن زيد بن سود بن اسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وقد اختلف في هذا النسب يكنى
ابا حماد وقيل ابا اسيد وابا اسد وقيل ابا عمرو وقيل ابا سعاد وقيل ابا الاسود
وقال خليفة بن خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك
سنة ثمان وثلاثين وهذا اغلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة
ابن عامر الجهني قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي
في اخر خلافة معوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد
واما رواته من التابعين فكثير وقال الكندي ثم وليها عقبة بن عامر من قبل
معوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئا
فقيها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة وكان صاحب بغلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشهباء التي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلمة
ابن مخلد لعشر بقين من ربيع الاول سنة اربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر
وقال ابن يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن بمقبرتها المقطم وكان يخضب بالسواد

ذكر حلوان

يقال انها تنسب الى حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس
ابن بابليون ملك مصر بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على
مقدمة ابرهة ذي المنار احد التبابعة قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون وقع
بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل حلوان داخلا في الصحراء
في موضع منها يقال له ابو قرقورة وهو راس العين التي احتفرها عبد العزيز بن
مروان وساقها الى نخله التي غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز
في كل يوم بخبر ما حدث في البلد من موت وغيره فارسل اليه ذات يوم رسولا فاتاه
فقال له عبد العزيز اسالك ما اسمك قال ابو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز

وغافطة فقال له عبد العزيز اسالك عن اسمك فيقول ابو طالب ما اسمك فقال مدرك
فتفاءل بذلك ومرض في مخرجه ذلك ومات فعنالك فحمل في البحر يراد به الفسطاط
حتى تغير فانزل في بعض حصون ساحل مريس فغسل فيه واخرجت من هنالك جنازه
وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان تغير من ريحه واوصى عبد العزيز ان يمر
بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانى الرعينى صاحب حرسه
وكان صديقا له وقد توفى قبل عبد العزيز فمر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال
جناب وقد لبسوا السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبره وكان نصيب
من عبد العزيز ناحيه فقدم عليه فى مرضه فاذن له فلما راى شدة مرضه انشا يقول

وبت وريسيدنا وسيد غيرنا ٭ ليت التشكي كان بالعوادي ٭
لو كان يقبل فديه لفديته ٭ بالمصطفى من طارفي وتلادي ٭

فلما سمع صوته فتح عينيه وامر له بالف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا
به ثم مات وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز
ابن مروان منه الى الشرقيه متبديا فنزل حلوان فاعجبته فاتخذها وسكنها
وجعل بها الحرس والاعوان والشرط وكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبنى
عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عماره واحكمها وغرس نخلها
وكرمها فقال ابن قيس الرقيات سقيا لحلوان ذي الكروم وما صنف من تينه وعنبه
٭ نخل مواقير بالفنا من ٭ البرني يهتز ثم في شربه ٭
٭ اسود سكانه الحمام فما ٭ تنفك غربانه عن رطبه ٭
ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان واطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه
ويقف على غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عروه الجملي الا قلت ايها الامير كما
قال العبد الصالح ما شاء الله لا قوه الا بالله فقال اذكرتني شكرا يا غلام قل
لا يسأس يزيد في اعطائه عشرة دنانير عبد العزيز بن مروان بن الحكم
ابن ابي العاص بن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ابو الاصبغ امه
ليلى ابنة زبان بن الاصبغ الكلبى روى عن ابى هريره وعقبة بن عامر الجهنى وروى
عنه علي بن رباح وبحير بن ذاخر وعبد الله بن مالك الخولاني وكعب بن علقمه

ووثبه

ووثبه النسائي وابن سعد ولما سار ابوه مروان الى مصر بعثه في جيش الى ايله ليدخل
مصر من تلك الناحيه فبعث اليه ابن جحدم امير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي
فلقي عبد العزيز بشطاف وهي شط عقبة ايله فقاتله فانهزم زهير ومن معه
فلما غلب مروان على مصر في جمادى سنة خمس وستين جعل صلاتها وخراجها الى
ابنه عبد العزيز بعدما اقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا امير المؤمنين
كيف المقام ببلد ليس به احد من بني ابي فقال له مروان يا بني عمهم باحسانك يكونوا
كلهم بنو ابيك واجعل وجهك طلقا تصفوا لك مودتهم واوقع الى كل رئيس منهم
انه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت
معك اخاك بشرا مؤنسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وما عليك
يا بني ان تكون اميرا باقصى الارض اليس ذلك احسن من اغلاق بابك وخمولك في منزلك
واوصاه عند مخرجه من مصر الى الشام فقال اوصيك بتقوى الله في سر امرك
وعلانيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واوصيك ان لا تجعل لداعي
الله عليك سبيلا فان المؤذن يدعوا الى فريضه افترضها الله ان الصلاه كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا واوصيك ان لا تعد الناس موعدا الا انفذته لهم وان حملته
على الاسنه واوصيك ان لا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير فان الله لو اغنى احدا عن
ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذي ياتيه قال الله عز وجل
وشاورهم في الامر وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فوليها
عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفي مروان لهلال رمضان وبويع ابنه
عبد الملك بن مروان فاقر اخاه عبد العزيز ووفد على عبد الملك في سنة سبع
وستين وجعل على الحرس والخيل والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد
سلطانه وكان الرجل اذا اغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه
فضربوه وحبسوه وعبد العزيز اول من عرف بمصر في سنة احدى وسبعين
قال يزيد بن ابي حبيب اول من احدث القعود يوم عرفه في المسجد بعد العصر
عبد العزيز بن مروان وفي سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكه لقتال
عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شراحيل الخولاني وهم ثلاثة الاف رجل

بنتهم عبد الرحمن بن حسن مولى ابن ابزى وهو الذي قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية
في سنة اربع وسبعين ووفد على اخيه عبد الملك في سنة خمس وسبعين وهدم
جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها في سنة سبع وسبعين وامر
بضرب الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز الف جفنة كل يوم تنصب
حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك
اليه ان ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان فابى ذلك وكتب اليه ان
يكن لك ولد فلنا اولاد ويقضي الله ما يشا فغضب عبد الملك وبعث اليه عبد العزيز
بعلي بن رباح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على اخيه فشكاه عبد الملك
فقال فرق الله بيني وبينه فلم يزل به علي حتى رضي فقدم على عبد العزيز فاخبره عن عبد
الملك وعن حاله ثم اخبره بدعوته فقال افعل انا والله مفارقه والله ما دعى دعوة الا
اجيبت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر في امارة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها
ثلاثة اماني فادركتها تمنيت ولاية مصر وان اجمع بين امراتي مسلمة وان يحجبني قيس بن
كليب حاجبه فتوفي مسلمة وقدمت مصر فوليتها وحجبني قيس وتزوجت امراتي مسلمة وتوفي
ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الاخر سنة ست وثمانين فمرض
عبد العزيز وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين
فحمل في النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها وقال ابن ابي مليكة رايت عبد العزيز
ابن مروان حين حضره الموت يقول الا ليتني لم اك شيئا مذكورا الا ليتني كنابتة من
الارض او كراعي ثلة في طرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال الا ارض الا سبعة الاف
دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل ورقيق وكانت ولايته
على مصر عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها في الاسلام قبله
اطول ولاية منه وكان بحلوان في الجبل معادن من صوان يعدى الجبل يحمل فيها الناس
وغيرهم من البر الشرقي بحلوان الى البر الغربي وهذا من الاسرار التي في الخليقة فان
جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير
اذا عمل من شي منها انا يسع من الما اكثر من وزنه فانه يقوم على وجه الما ويحمل ما
عليه ولا يغرق وما برح المسافرون في بحر الهند اذا اظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهتدوا

من

من الكواكب الى معرفة الجهات يعملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون في ترقيق
جسمها جهد القدرة ثم يعمل في الشوكة شي من مغناطيس جيد ويحك فيها بالمغناطيس
فان السمكة اذا وضعت في الما دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها واستدبرت
القطب الشمالي وهذا ايضا من اسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال
تبين منهما المشرق والمغرب وان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال
وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا اتخذت الجهات الاربع عرف مواقع البلاد
منها فيقصدون حسب جهة الناحية التي يريدونها

ذكر مدينة العريش

العريش مدينة فيما بين ارض فلسطين واقليم مصر وهي مدينة قديمة من جملة المدائن
التي اختطت بعد الطوفان قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصرايم بن بيصر
ابن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنا له عريشا من
اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة
وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان
الى البحر فكانت كلها زروع واجنة وعمارة وقال اخر انما سميت بذلك لان بيصر بن حام
ابن نوح عمل في ولده وهم اربعة ومعهم اولادهم فكانوا ثلثين ما بين ذكر وانثى وقدم ابنه بين جم
مصر بن بيصر امامه نحو ارض مصر حتى خرج من حد الشام فتاه هو وسقط مصر في
موضع العريش وقد اشتد تعبه ونام فراى قائلا يبشره في ارض ذات خير ودر وملك بحصوله
وفخر فانتبه فزعا واذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ما فحمد الله
وساله ان يجمعه بابيه واخوته وان يبارك له في ارضه فاستجيب له وقادهم الله
اليه فنزلوا معه في العريش واقاموا به فاخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل
وحمير وبقر وغنم وابل فساقوها حتى اتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا
فيه قرية سميت بالنبطية نافة يعني قرية ثلاثين فنمت ذرية بيصر حتى عمروا
الارض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن وكان الرجل منهم يستخرج
القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة
منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض وفي التوراة ان يوسف يلقي يعقوب عليهما
السلام بمدينة الجبابرة من عين شمس قال في التوراة شرحها ان هذه المدينة هي حوف

رشدين بن سعد عن الليث كان دخول اخوة يوسف عليه السلام وابويه عليه بمدينة
العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف
ارض مصر من جميع جوانبها فلما اصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف ليمتاروا
من مصر اقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني
يريدون البلد لقحط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عريشا يستظلون به من الشمس
حتى يعود الجواب فسمي الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شانهم ما
قد ذكر في موضعه ويقال للعريش ابح وهذا كما ترى واني وصفته اعرف باخبار
مصر وفي سنة خمس عشرة واربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفري العريش
بمعاونة بني الجراح واحرقها واخذ جميع ما فيها وقال القاضي في جمادى الاخرة سنة
سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بان نخل العريش قطع الفرنج اكثره وحملوا جذوعه
الى بلادهم وملكت منه ولم يجدوا بها حطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم ان الجفار
باجمعه كان في ايام فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وان قول الله
تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع
وان العمارة كانت متصلة الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل ان نهاية
التخوم من الشام وان اليه كان ينتهي رعاة ابرهيم عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام
اتخذ عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمي العريش من اجل ذلك
وقيل ان ملكا من ذعو بن جحر بن جديلة بن لخم كان له اربعة وعشرون ولدا امهم
العريش من ملك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبنى بها مدينة وعن كعب
الاحبار ان بالعريش قبور عشرة انبياء

ذكر مدينة الفرما

قال البكري الفرما بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلا وقد يقصر مدينة تلقاء مصر
وقال ابن خالويه في كتاب ليس وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس وكانت مدينة
حصينة وبها قبر جالينوس الحكيم وبنى بها المتوكل حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة
بن اسحق امير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عندما بنى حصن دمياط وحصن
تنيس وانفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس انفذ الى الفرما
ابرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسين الف دينار هرقلية واربعمائة ناقة والف راس

من

من الغنم فرحل عنهم الى البقارة وفي سنة ثلاث واربعين وثلثمائة نزل الروم عليها
فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع واربعين
وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون واخذوا منهم مركبا وقتلوا من فيه واسروا عشرة قال
اليعقوبي الفرما اول مدائن مصر من جهة الشام وبها اخلاط من الناس وبينها
وبين البحر الاخضر ثلاثة اميال وقال ابن الكندي ومنها الفرما وهي اكثر عجايب
واقدم اثارا ويذكر اهل مصر انه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر فغلب
عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع
الابيض بلوسة وقال يحيى بن عثمن كنت مرابطا في الفرما وكان بينها وبين البحر
قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في احصاص على الساحل ثم علا البحر على
ذلك كله وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بتنيس الى الفرما في هدم ابواب
من حجارة شرقي الحصن احتاج ان يعمل منها جيرا فلما قلع منها حجرا وحجرين خرج اهل
الفرما بالسلاح فمنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله تعالى فيها على لسان
يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
والفرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا
فيبتدئ هذا الرطب من حين يولد النخل في الكوانين فلا ينقطع اربعة اشهر حتى
يجيء البلح في الربيع وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن
ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين
درهما ومنه ما طول البسرة نحو الشبر والفتر وقال ابن المامون البطايحي في حوادث
سنة تسع وخمسمائة ووصلت النجابون من والي الشرقية تخبر بان بغدوين ملك
الفرنج وصل الى اعمال الفرما فسير الافضل بن امير الجيوش للوقت الى والي
الشرقية بان يسير المركزية والمقطعين بها ويسير الرجال من العطوفية وان
يسير الوالي بنفسه بعد ان يتقدم الى العربان باسرهم بان يكونوا في الطوالع ويطاردوا
الفرنج ويسارقوهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم امر باخراج الخاص
وتجهيز الاصحاب والحواشي فلما تواصلت العساكر وتقدمهم العربان وطاردوا
الفرنج وعلم بغدوين ان العساكر متواصلة اليه وتحقق ان الاقامة لا يمكنه امر اصحابه

بالنهب والخراب والاحراق وهدم المساجد فاحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد
وعزم على الرحيل فاخذه الله تعالى وعجل بنفسه الى النار فكتم اصحابه موته وساروا
بعد ان شقوا بطنه بعد دفنه وملؤه ملحا حتى بقي الى بلاده فدفنوه بها واما العساكر
الاسلاميه فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد ان خيموا على ظاهر عسقلان
وكتب الى الامير ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق بان يتوجه الى بلاد الفرنج فسار
الى عسقلان وحملت اليه الصيافات وطولع بخبر وصوله فامر بحمل الخيام وعدة
وافره من الخيل والكسوات والبنود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق
ذهب وبدلة طيم وخيمه مكمله كبيره ومرتبه مملوكيه وفرشها وجميع الاتها وما يحتاج
اليه من امر الفضه وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعه مذهبه ومنطقه
ذهب وسيف ذهب وسير برسم شمس الخواص المميزين من الواصلين خلع وسيوف
وسلم ذلك متبت لاحد الحجاب وسير معه فراشين برسم الخيام وامره بضرب الخيمه
الكبيره وفرشها وان يركبوا الى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامرا
الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمه ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبه المنصوبه
ثم يجلس الوالي وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس باجمعهم اجلالا لا
وتعظيما وتخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في اوساطهم
ويقلدا بالسيوف ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالسيوف
والاعلام والرايات المسيره اليهم الى ان يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل
يوم يركب الوالي وامرائه والمقدمون والعساكر الى الخيمه الملوكيه ويتفاوضون
فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وواصلت العساكر الغارات على بلاد
العدو واسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وحصل لشمس الخواص خاصه في هذه
السفره عشرة الاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمه الكبيره بما فيها وكان مقدار ما
حصل له ولاصحابه ثلاثين الف دينار وبلغ المنفق في هذه النوبه وعلى ذهاب بغدوين
وهلاكه مائة الف دينار وفي شهر رجب سنة خمس واربعين وخمسمائة نزل الفرنج على
الفرما في جمع كثير واحرقوها واخربوها ونهبوا اهلها واخر امرها ان الوزير
شاور احرقها لما اخرج منها متوليها فلم احل الصرغام في سنة ... فاسمت

حابا

هذا لم يتم بعد ذلك وكان بالفرما والبقاره والوارده عرب من جذام يقال لهم القاطع
وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوه بن بديل بن حشم بن جذام منهم عبد العزيز بن
الوزير بن ضابي بن مالك بن عامر بن عدي بن حرس بن نفد بن مضر بن القاطع مات
في صفر سنة خمس وماتين وللسري والجروي هذا اخبار لست ابين عليها في كتاب
عملته جواهر الاسقاط في اخبار مدينة الفسطاط وقال ابو الحسن الكندي وبها مجمع البحرين
وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة
ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان اقرب منهما لهذا الموضع بينهما
في السفر مسيرة شهور

ذكر مدينة القلزم

القلزم بضم القاف وسكون اللام
وضم الزاي وميم بليده كانت على ساحل بحر اليمن في اقصاه من جهة مصر وهو كوره من كور
مصر واليها ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة
مصر ثلاثة ايام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم
ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها وابار بعيده وكان بها فرضة مصر والشام
ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قريه ولا مدينه
سوى نخل يسير فيه صيادون للسمك وكذلك من فاران وحيلان الى ايله قال
ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثره ماق الى السويس وبها الراكب السائر من مصر
الى الحجاز وكانت في القديم ساحلا من سواحل الدوله المصريه ورايت شيا من جهة
حسابه من مستخدميه في حواصل القصر وما ينفق في البيد وفاضل وداعيه وخطيبه
والاجناد المركزين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا ما هو لا
وقال المسبحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلثمائه وفي شهر رمضان سامح
امير المؤمنين الحاكم بامر الله اهل مدينة القلزم بما كان يوخذ من مكوس المراكب
وقال ابن خرداذبه عن التجار يركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرما ويحملون
تجاراتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسه وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي
من القلزم الى الجار وجده ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل
الناس في بريه وبحر اسنمر احل الى ايله ويتزودون من الماء لهذه الست مراحل

ويقال ان بين القلزم وبين بحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله
تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان **التيه** ارض بالقرب من ايلة بينها عقبة لا يكاد
الراكب يصعد عليها لصعوبتها الا انها مهدت من زمن خمارويه بن احمد بن
طولون ويسير الراكب مرحلتين في حصى التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث
كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار اربعين فرسخا في مثلها وفيه
تاه بنو اسرائيل اربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا اووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات
موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة ايام واتفق ان المماليك البحرية لما
خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة مر طائفة منهم بالتيه
فتاهوا فيه خمسة ايام ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها
سور وابواب كلها من رخام اخضر فدخلوها وطافوا بها فاذا قد غلب عليها الرمل
حتى طم اسواقها ودورها ووجدوا بها اواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تناثر
من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهب عليها صورة غزال
وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا حجر على صهريج ماء فشربوا منه ماء ابرد من الثلج
ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا طائفة من العربان حملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير
لبعض الصيارفة فاذا عليها انها ضربت في ايام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار
مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد
تارة وينقص اخرى لا يراها الا تائه

ذكر مدينة دمياط

اعلم ان دمياط كورة من كور ارض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت
بدمياط من ولد اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس
عليه السلام كان من اول ما انزل عليه ذو العزة والجبروت انا الله مدين المدائن
الفلك بامري وصنعي اجمع بين العذب والمالح والنار والثلج وذلك بقدرتي ومكنون
علمي الدال والميم والالف والطا قيل هم بالسريانية دمياط فيكون دمياط
كلمة سريانية اصلها دمط اي القدرة اشارة الى مجمع العذب والمالح وقال الاستاذ
ابراهيم بن وصيف شاه بلد قديم بني في زمان قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصرايم
على اسم غلام كانت امه ساحرة لقليمون ولما قدم المسلمون ارض مصر كان على دمياط

رجل

اي مدينة عظيمة لها سور وابواب كلها من رخام

رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك
بدمياط واستعد للحرب فانفذ اليه عمرو بن العاص بالمقداد بن الاسود في طائفة
من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه اصحابه
فاستشارهم في امره وكان عندهم حكيم قد حضر الشورى فقال ايها الملك ان جوهر العقل
لا قيمة له وما استغنى به احد الا هداه الى سبيل النجاة والفوز من الهلاك وهؤلاء العرب
من بدء امرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة
ولسنا باشد من جيوش الشام ولا اعز وامنع وان القوم قد ايدوا بالنصر والظفر
والراي ان تعقد مع القوم صلحا تنال به الامن وحقن الدماء وصيانة الحرم فما انت
باكثر رجالا من المقوقس فلم يعبا الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن
عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات
البلد فاستولى المسلمون عليها فتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين
الا وهم يكبرون على سور البلد فعندما راى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور
لحق بالمسلمين ومعه عدة من اصحابه ففت ذلك في عضد ابيه واستامن للمقداد
فتسلم المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عمرو بن العاص
وخرج شطا وقد اسلم الى البرلس والدميرة واشموم طناح فحشد اهل تلك النواحي
وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز
الى اهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة بعدما انكى فيهم وقتل
منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به الان خارج دمياط وكان قتله
في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك للنصارى هذه الليلة من كل سنة موسم
يجتمع الناس فيه من النواحي عند شطا ويحيونه وهم على ذلك الى اليوم وما زالت
دمياط بيد المسلمين الى ان نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة فاسروا
خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فانفذه الى امير
المؤمنين الوليد بن عبد الملك من اجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما
كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلاثمائة وستين مركبا
فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة من

الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع الروم في البلاد
ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله
وأمير مصر يومئذ عنبسة بن إسحق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين
ومائتين فملكوها وسبوهم وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال
وأهل الذمة فنفر إليهم عنبسة بن إسحق يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس إليهم
فلم يدركوهم ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن
الفضل للمتوكل: أترضى بأن يوطا حريمك عنوة ** وأن يستباح المسلمون ويحربوا

حمار أتى دمياط والروم وثب ** بتنيس منه رأي العين وأقرب

مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ما ** أصابوه من دمياط والحرب ترتب

فما رام من دمياط شبرا ولا درى ** من العجز ما يأتي وما يتجنب

فلا تنسنا إنا بدار مضيعة ** بمصر وإن الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدئ في بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان
سنة تسع وثلاثين ومائتين من حشد الأسطول بمصر ولما كان في سنة تسع طرق الروم
دمياط في نحو مائتي مركب فأقاموا يعيثون في السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون
وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الأخشيدي طرق
الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة في بضع وعشرين مركبا
فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط
سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت تحمل
الملح تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في جوفها ومعهم
المجاريف يجرفون الشحم وتناوله الناس وأقام أهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون
في شحمها وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع
بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بعث
بها بوجير بن رجا وصاحب صقلية فعاثوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والإسكندرية
وأكثروا الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير
السعدي الوزارة الثانية عند ما حضر مري ملك الفرنج إلى القاهرة وحصر

أعرض سمكة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع

وفور

وفور على أهلها المال وأحرقت مدينة الفسطاط فنزل على تنيس وأشتوم ومنية عمر وصاحب
أسطول الفرنج في عشرين شينيا فقتل وأسر وسبى وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب للعاضد وصل الفرنج إلى دمياط في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين
وخمسمائة ولهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت
النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة
وخمسين يوما وكانت نوبة صعبة شديدة واتهم في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين
بممالاة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز
لما قدموا إلى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خشية
من تمكن الغز بها فاستنجدوا إخوانهم أهل صقلية فأمدوهم بالأموال والسلاح وبعثوا
إليهم بعدة وافرة فساروا بالدبابات والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وهم في العدة
التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها برا وبحرا فبعث السلطان صلاح الدين بابن أخيه
تقي الدين عمر وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحارمي في العساكر إلى دمياط وأمدهم
بالأموال والميرة والسلاح واشتد الأمر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة
الفرنج فسير صلاح الدين إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده ويعلمه
بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز إليه
العساكر شيئا بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه إلى بلاد الفرنج التي
بالساحل وأغار عليهم واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على
بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع
الأول بعد ما غرق لهم نحو الثلاثمائة مركب وقلت رجالهم فنيا ووقع فيهم وأحرقوا ما
ثقل عليهم حمله من المنجنيقات وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد
أرسل إلي مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى ما أرسله إلي من الثياب
وغيرها وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة رتبت المقاتلة على البرجين وشدت
المراكب إلى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورم شعث
سور المدينة وسدت ثلمه وأعيدت السلسلة التي بين البرجين فبلغت النفقة
على ذلك ألف دينار وأعتب السور وكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين

ذراعا وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة امر السلطان بقلع اشجار بساتين دمياط وحفر
خنادقها وعمل جسر عند سلسلة البرج وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة
دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة ان الفرنج في سنة اربع عشرة وستمائة
تتابعت امدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى
مدينة عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الافرنج وتعاقدوا على قصد القدس واخذه من
ايدي المسلمين فساروا بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك العادل ابو بكر بن ايوب فخرج
من مصر في العساكر الى الرملة فبرز الافرنج من عكا في جموع عظيمة فسار العادل الى
بيسان فقصده الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فاخذ على عقبة فيق يريد دمشق
وكان اهل بيسان وما حولها قد اطمانوا لنزول السلطان هناك فاقاموا في اماكنهم
وما هو الا ان سار السلطان واذا بالفرنج وضعوا السيف في الناس ونهبوا البلاد
فحازوا من اموال المسلمين ما لا يحصى كثرة واخذوا بيسان وبانياس وساير القرى التي
هناك واقاموا ثلاثة ايام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنايم والسبي وهلك من المسلمين خلق
كثير فاستراح الفرنج بالمرج اياما ثم غاروا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى مرج
عكا فاقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك
العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس لمنع الفرنج من
طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا
الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا الى دمياط في صفر
فنزلوا عليها يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق لثامن
حزيران وهم نحو السبعين الف فارس واربعمائة الف راجل فخيموا تجاه دمياط في البر الغربي
وحفروا على عسكرهم خندقا واقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط فانه
كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر
الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك ان النيل اذا انتهى الى الفسطاط امر عليه في
ناحية الشمال الى شطنوف فاذا صار الى شطنوف انقسم قسمين احدهما يمر في الشمال
الى رشيد ثم يصب في البحر الملح والشطر الاخر يمر من شطنوف الى جوجر ثم يفترق عند
جوجر فرقتين فرقة تمر الى اشموم فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط
تنصب

تنصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط
وبين البر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط وهو جزيرة
يحيط بها ما النيل والبحر وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الالات والمرمات
واقاموا ابراجا يزحفون بها في المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه
تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحونا بالمقاتلة فتحيل
الافرنج عليه وعملوا برجا من الصواري على بطسة كبيرة واقلعوا بها حتى اسندوها
اليه وقاتلوا من به حتى اخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان
خلف اباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في ثالث يوم من ورود
الطاير بخبر نزول الافرنج لخمس خلون منه وامر والي الغربية بجمع العربان وسار في
جمع كثير وخرج الاسطول فاقام تحت دمياط ونزل السلطان بمنزلة العادلية قرب
دمياط وامتدت عساكره الى دمياط لمنع الفرنج من العبور والقتال مستمر والبرج
ممتنع مدة اربعة اشهر والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيا بعد شي
حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك العادل لنزول الافرنج على دمياط واشتد
خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل به المرض ومات في سابع جمادى الاخرة
فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في محفة وجعل عنده خادما وطبيبا راكبا الى
جانب المحفة والشرابدار يصلح الشراب ويحمله الى الخادم فيشربه ويوهم الناس ان
السلطان شربه الى ان دخلوا به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزاين والبيوتات
فاعلم بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله
الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت ابيه وهو بمنزلة العادلية
قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج والحوا في القتال حتى استولوا
على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل
ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من
عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا كثيرا الى ان قطعوه وكان قد انفق على
البرج والجسر ما ينيف على سبعين الف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة
مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في نكاية الفرنج وامر

الملك الكامل ان تغرق عدة من المراكب في النيل حتى يمتنع الفرنج من سلوك النيل
فعمد الافرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما فحفروه وعمقوا
حفره واجروا فيه الما الى البحر الملح واصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على ارض جيزة
دمياط مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بوره
حاذوه وقاتلوه في الما وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا وامنه بطايل ولم يتغير
على اهل دمياط شي لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج
وابواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان يتخطفون الافرنج
في كل ليلة بحيث امتنعوا الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوي طمع العرب في الفرنج حتى صاروا
يخطفونهم نهارا وياخذون الخيم بمن فيها فكمن الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم
خلقا وادرك الناس الشتا وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلا وتزايد
الغم والح الفرنج في القتال وكادوا ان يملكوا فبعث الله ريحا وقطعت مراسي مرمة
الفرنج وكانت من عجايب الدنيا فمرت الى بر المسلمين فاخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد
لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسماية ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة
الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى الافاق سعاة رسولا تستنجد
اهل الاسلام لنصرة المسلمين وتخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فسار وافي شوال
واتته النجدات من حماه وحلب وبينا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد
ابن الامير سيف الدين ابي الحسن علي بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك
الكامل عندما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيف يقفا دون السوء ويطيعونه
وكان اميرا كبيرا مقدما عظيما في الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك
معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم
شجاعا ابي النفس تهابه الملوك وله الوقايع المشهورة وهو من امرا الدولة الصلاحية
يوسفية فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل واقامة اخيه
الملك الفايز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير عز الدين الحميدي والامير اسد
الدين الهكاري والامير مجاهد الدين وجماعة من الامرا فلما بلغ ذلك الملك الكامل
دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين ايديهم ليحلفوا للفايز فلما راوه انفضوا وخشي على

نفسه

نفسه وخرج فاتفق وصول الصاحب صفي الدين بن شكر من آمد الى الكامل فانه كان استدعاه
بعد موت ابيه فتلقاه واكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في
الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية جريدة الى اشموم طناح فنزلها واصبح
العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على اخيه وتركوا اثقالهم
وخيامهم واموالهم واسلحتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الافرنج في الصباح الى مدينة
دمياط ونزلوا البر الشرقي في يوم الثلاثا سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا
مدافع واخذوا ساير ما كان في معسكر المسلمين وكان شيا لا يحيط به الوصف
وداخل السلطان وهم عظيم وكاد ان يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه
واشتد طمع الافرنج في ارض مصر كلها وظنوا انهم قد ملكوها الا ان الله سبحانه
اغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه اخوه الملك المعظم باشموم طناح فاشتد
به ازره وقوي جاشه واطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره
ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستمهله
حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله واعجله فركب معه وسايره حتى خرج به
من العسكر الكاملي ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك واشتهي ان تهبها لنا
واعطاه نفقة وسلمه الى جماعة من اصحابه يثق بهم وقال لهم اخرجوه من الرمل ولا
تفارقوه حتى يخرج الى الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امتثال ما قال المعظم لانه معه
بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فسار وابه الى حماه ثم مضى منها الى الشرق ولما
شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وامر اخاه الفايز ابراهيم
ان يسير الى ملوك الشام في رسالة عن اخيه الملك الكامل لاستنجادهم الى قتال
الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها مسموما على ما قيل فتثبت الملك
الكامل امر الملك وسكن روعه هذا والافرنج قد احاطوا بدمياط برا وبحرا واحدقوا
بها وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم
المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم اشد القتال
ويمانعونهم وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك
الكامل وسار الى بلاد الشام واقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمايل احد

الجانداريه في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الما ويصل الى اهل دمياط
فيعدهم بوصول النجدات فحظي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله والي القاهره
واليه تنسب خزانة شمايل بالقاهره فلم يزل الحال على ذلك الى ان دخلت سنة ست عشره
فجهز الملك المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ابنه المظفر تقي الدين
محمود الى مصر نجده لخاله الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر
وتلقاه الملك الكامل وانزله في ميمنة العسكر منزلة ابيه وجده عند السلطان
صلاح الدين يوسف فالح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل
فنهكتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجه عندهم
عدة دنانير قال الحافظ عبد العظيم المنذري سمعت الشيخ ابا اسحق علي بن فضل
يقول كان لبعض بني حيدره بقره فذبحوها وباعوها في الحصار بثمانمايه دينار
وقال في المعجم المترجم سمعت الامير ابا بكر بن حسن بن حسند يقول كنت بدمياط
في حصار العدو لها فابيع السكر بمايه واربعين دينارا الرطل والدجاجه
بثلاثين دينارا قال واشتريت ثلاث دجاجات بتسعين دينارا والراويه باربعين
درهم والقمح كفو باربعين مثقالا واخذت اختي جملا فكشفت جوفه وملاته دجاجا
وفاكهه وبقلا وغير ذلك وخاطته ورميته في البحر وكتبت الي تقول قد بعثت لكذا
فاذا رايتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا ليلا فاخذناه وكان فيه ما يساوي جمله ففرقته
على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاث جمال على هيئته فظفر بها الفرنج فاخذوها وامتلات
مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت
وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى ان لم يبق سوى قليل من
القمح والشعير فقط فتسور الفرنج السور واخذوا منه البلد في يوم الثلاثا لخمس بقين
من شعبان فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما اخذوا
البلد وضعوا السيف في الناس فتجاوزوا الحد في القتل واسرفوا في مقدار القتلى
وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد اخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طلخا على راس
بحر اشموم وراس بحر دمياط وخيم في المنزله التي صار يقال لها المنصوره وحصن
الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسه وبثوا سراياهم في القرى فقتلوا ونهبوا

وسار

وسير السلطان الكتب الى الافاق يستحث الناس على الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر
وشرع العسكر في بنا الدور والفنادق والحمامات والاسواق بمنزلة المنصوره
وجهز الفرنج من اسروه من المسلمين الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا السلطان تجاه
المنصوره وصار بينه وبينهم بحر اشموم وبحر دمياط وكان الفرنج في مايتي الف راجل
وعشرة الاف فارس فقدم المسلمون شوانيهم امام المنصوره وعدتها مايه قطعة
واجتمع الناس من القاهره ومصر وساير النواحي من اسوان الى القاهره ووصل
الامير حسام الدين يونس والفقيه تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد الرحمن
المحلي فاخرج الناس من القاهره ومصر ونودي بالنفير العام وخرج الامير علا
الدين جلدك وجمال الدين بن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهره الى اخر الحوف
الشرقي فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وانزل السلطان على ناحية شارمساح
الفي فارس في الاف من العربان ليحولوا بين دمياط وبين الفرنج وسارت الشواني
ومعها حراقة كبيره على راس بحر المحله وعليها الامير بدر الدين بن حسون فانقطعت
الميره عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى
الديار المصريه وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم
امم لا تحصى يريدون التوغل في ارض مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها بحدهم
وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجدات بقدوم الملك الاشرف
موسى بن العادل وعلى ساقته الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وانزلهم
عنده بالمنصوره في ثالث عشرين جمادى الاخره سنة ثمان عشره وتتابع مجي الملوك
حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو اربعين الف فارس فحاربوا الفرنج في البر والبحر
واخذوا منهم ست شواني وجلاسه وبطسه واسروا من الفرنج الفين ومايتين
ثم ظفر المسلمون بثلاث قطايع اخر فتضعضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام
فبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند مجي رسلهم اهل الاسكندريه في ثمانية الاف
مقاتل وكان الذي طلبه الفرنج القدس وعسقلان وطبريه وجبله واللاذقيه
وساير ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر
فبذل المسلمون لهم ساير ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج

من الصلح وقالوا لابد من اخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلاثمائة الف دينار عوضا
عما اخربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من اسوار القدس وكان المعظم لما
مات ابوه العادل واستولى الفرنج دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصوره
خاف ان يصل منهم في البحر من ياخذ القدس ويتحصنوا به فامر بتخريب اسواره وكانت
اسواره وابراجه في غاية العظمة والمنعة فاتى الهدم على جميعها ما خلا برج داود
وانتقل اكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل ونقل المعظم ما كان بالقدس
من الاسلحة والالات فامتنع المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقاتلوهم وعبر جماعة
من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج وفجروا مكانا عظيما في النيل وكان
في قوة الزيادة فركب الماء اكثر تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج وبين مدينة دمياط
وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فامر السلطان في الوقت بنصب الجسور عند
اشموم طناح وعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج الى
دمياط اذا ارادوا الوصول اليها فاضطربوا وضاقت عليهم الارض واتفق مع ذلك
وصول مرمة عظيمة للفرنج في البحر حولها عدة حراقات تحميها وقد مليت كلها
بالميرة والاسلحة فقاتلتها شواني المسلمين وظفرها الله بهم فاخذها المسلمون وعند
ما علم الفرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على
اطرافهم فهدموا احشد خيامهم ومجانيقهم والقوا فيها النار وهموا بالزحف على
المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه
الراكبة على الارض وخشوا من الاقامة لقلة اقواتهم فذلوا وسالوا الامان على ان يتركوا
دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه فمنهم من امتنع من
تامين الفرنج وراى ان يوخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطائهم الامان خوفا ممن وراهم
من الفرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وان يعطي كل من الفريقين رهائن فتقرر
ذلك في تاسع شهر رجب سنة ثمان عشرة وسير الفرنج عشرين ملكا رهائن عند الملك
الكامل وبعث الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين ايوب وجماعة من الامراء الى الفرنج
وجلس السلطان مجلسا عظيما لقدوم ملوك الفرنج وقد وقف اخوته واهل بيته
بين يديه وصار في ابهة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط

يسلموها للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون
دمياط وصارت بايديهم قدمت نجدة في البحر للفرنج فكانت من جميل صنع الله تاخرها
حتى ملكت دمياط بايدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوي بها الفرنج فان المسلمين
وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج
الفرنج بولد السلطان وامرائه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك
في الرهن وتقررت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة ثماني سنين وكان مما وقع الصلح
عليه ان كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الاسرى وحلف السلطان واخوته
وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ورحل الملك الكامل الى دمياط باخوته
وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد
السلطان الى مقر ملكه واطلقت الاسرى من ديار مصر فكان فيهم من له من ايام
السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت
بشارة اخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائر الافاق فان الترك كانوا استولوا
على ممالك المشرق واشرف الفرنج على اخذ ديار مصر من ايدي المسلمين وكانت مدة
نزول الفرنج على دمياط الى ان اقلعوا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين واربعة
اشهر وتسعة عشر يوما منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة اشهر
واربعة وعشرون يوما فلما كان في سنة ست واربعين وستمائة حدث بالسلطان
الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم في مابضه تكون منه ناصور
فتح وعسر برؤه فمرض من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا ان
علو همته اقتضت مسيره من ديار مصر الى الشام فسار في محفة ونزل بقلعة
دمشق فورد عليه رسول الانبرطور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية في هيئة
تاجر واخبره سرا بان بواش الذي يقال له ريدا فرنس عازم على المسير الى ارض مصر
واخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل باشموم طناح في
المحرم سنة سبع واربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد والاسلحة
والات القتال شيئا كثيرا خوفا ان يجري على دمياط ما جرى في ايام ابيه فاتخذت
معه ذلك ولما نزل السلطان باشموم كتب الى الامير حسام الدين ابي علي بن ابي علي

المدائني نائبه بديار مصر ان يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع بالاهتمام بذلك
وشحن الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شيا بعد شي
وجهز السلطان الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامرا والعساكر
فنزل بجيزة دمياط من برها الغربي وصار النيل بينه وبينهم فلما كان في الساعة
الثامنه من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر وردت مراكب الفرنج البحرية وفيها
جموعهم العظيمه وقد انضم اليهم افرنج الساحل وارسوا بازا المسلمين وبعث ملكهم
الى السلطان كتابا نصه اما بعد فانه لم يخف عنك اني امير الامة العيسويه كما انه
لا يخفى على انك امير الملة المحمديه وغير خاف عنك ان عندنا اهل جزاير الاندلس
وما يحملوا الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال
ونرمل النسا ونستاسر البنات ونخلي منهم الديار وانت فقد ابديت لك ما فيه الكفاية
وبذلت لك النصح الى النهايه فلو حلفت لي بكل الايمان ودخلت على الاقسا والرهبان
وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في اعز البقاع
اليك فاما ان تكون البلاد لي فيا هديه حصلت في يدي واما ان تكون البلاد لك والغلبه
علي فيدك العليا ممتدة الي وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي
تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضا
فلما قرى الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب القاضي
بها الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله
واله وصحبه اجمعين اما بعد فانه وصل كتابك وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك
وعدد ابطالك فنحن ارباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا
باغ الا دمرناه ولو رات عينك ايها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا
منكم الحصون والسواحل وتخريبنا ديار الاواخر منكم والاوايل لكان لك ان تعض
على انامك بالندم ولا بد ان تزل بك القدم في يوم اوله لنا واخره عليك فهنالك
تسي بك الظنون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فاذا قرات كتابي هذا
فتكون فيه على اول سورة النحل اتى امر الله فلا تستعجلوه وتكون على اخر سورة ص
ولتعلمن نباه بعد حين ونعود الى قول الله تبارك وتعالى وهو اصدق القايلين
كم

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكما ان الباغي له
مصرع وبغيك يصرعك والى البلا يقلبك والسلام وفي يوم السبت غد ورود الفرنج
ضربوا خيامهم في البر الذي فيه عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك ريدافرنس حمرا فناوشهم
المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين م
ازبك الوزيري فلما امسى الليل رحل الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر
المسلمين جبنا وهلعا وصار بهم في بر دمياط وسار الى جهة اشموم طناح فخاف
من كان في مدينة دمياط وخرجوا امامهم على وجوههم في الليل لا يلتفتون الى شي وتركوا
المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في اشموم وهم حفاة عراة جياع
حيارى بمن معهم من النسا والاولاد ومروا هاربين الى القاهرة فاخذ منهم قطاع الطريق
ما عليهم من الثياب وتركوهم عريا فشنعت القاله على الامير فخر الدين من كل احد وعد
جميع ما نزل بالمسلمين من البلا بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونه بالمقاتلة
والازواد العظيمه والاسلحة وغيرها خوفا ان يصيبهم في هذه المدة ما اصابهم في
ايام الملك الكامل فانه ما اتى عليهم اذ ذاك الامن قلة الاقوات بهم ومع ذلك
امتنعت من اهلاك الفرنج اكثر من سنه حتى فني اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد
ولما اصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر وصلوا دمياط فاذا ابواب
المدينة مفتحه ولا احد يدفع عنها فظنوا ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم فدخلوها
فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحه العظيمه
والات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والاموال والامتعه صفوا بغير
كلفه فاصيب الاسلام والمسلمون ببلا لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكليه
وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض
السلطان وعدم حركته واما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير فخر الدين
وقال اما قدرت انت والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج واقام عليه
القيامه لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاغضا وغضب على الكنانيين الذين
كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا ما نعمل اذا كانت عساكر السلطان باجمعهم وامراوهم
هربوا واحرقوا الزردخانه كيف لا نهرب نحن فامر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط

مغرا ان فكانت عدة من شنق من الامرا الثمانية زيادة على خمسين اميرا في ساعة
واحدة ومن جملتهم امير حشم له ابن جميل فسال ان يشنق قبل ابنه فامر السلطان
ان يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب وسال ان يشنق هذا ولا كان يقوى [illegible]
فخاف جماعة من الامرا وهموا باثارة الفتنة على السلطان فاشار عليهم فخر الدين بن
شيخ الشيوخ بان السلطان على خطة فان مات فقد كفيتم امره والا فهو بين ايديكم
واخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها لخمس بقين من صفر
وجعل الستاير على السور وقدمت الشواني تجاه المنصورة وفيها العدد
الكاملة وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من العربان واهل النواحي
ومن المطوعة خلق كثير لا يحصى عددهم واخذوا في الاغارة على الفرنج فملا الفرنج
اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والالات فلما كان اول ربيع الاول قدم الى القاهرة
من اسرى الفرنج الذى تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس
ربيع الاخر ورد منهم سبعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان وعشرون اسيرا
وفي سادس عشره ورد خمسة واربعون اسيرا منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر
جمادى الاولى ورد خمسون اسيرا هذا ومرض السلطان يتزايد وقواه تتناقص حتى
ايس الاطبا منه وفي تاسع عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة واربعون اسيرا واحد
عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب من نستراوه
فلما كان ليلة الاحد رابع عشره مضت من شعبان مات السلطان الملك الصالح
بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بامر العسكر الامير
فخر الدين بن شيخ الشيوخ فان شجر الدر زوجة السلطان لما مات احضرت الامير فخر
الدين والطواشي جمال الدين محسن واليه امر المماليك البحرية والحاشية واعلمتهما بموته
فكتما ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد اشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير
فخر الدين بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس
اقطاي لاحضاره واخذ الامير فخر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح ولابنه المعظم
بولاية العهد من بعده وللامير فخر الدين باتابكية العساكر والقيام بامر الملك حتى
حلفوهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة في ديوان الوزارة عند الامير حسام الدين بن ابي علي يوم

الخميس

الخميس لاثنتي عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهليز السلطاني
بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من راها انه خط السلطان
ومشى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة مدة ولم يتفوه احد بموت السلطان الى ان
كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعا الخطبا في الجمعة
لابنه الملك المعظم بعد الدعا للسلطان وان ينقش اسمه بالسكة فلما علم الفرنج
بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانيهم تحاذيهم في البحر حتى
نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد كتاب
الى القاهرة من العسكر اوله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة في الحث على الجهاد فقرى على منبر جامع القاهرة
وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرهما بالبكا والعويل
وايقن الناس باستيلا الفرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم
يهنوا وخرجوا من القاهرة ومصر وساير الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم
الثلاثا اول شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العلاى امير مجلس
وجماعة ونزل الفرنج شارمساح وفي يوم الاثنين ثامنه نزلوا البرمون فاضطرب
الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره
وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بحر اشموم وخندقوا عليهم
وادارو على خندقهم سورا ستروه بالستاير ونصبوا المجانيق ليرموا بها
على المسلمين وصارت شوانيهم بازايهم في بحر النيل وشواني المسلمين بازا المنصورة
والتحم القتال برا وبحرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة اخبروا بمضايقة
الفرنج وفي يوم عيد الفطر اسر من الفرنج كند من اقارب الملك وابلى عوام المسلمين
في قتال الفرنج بلا كثيرا ونكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل
وقت ويأسرون ويلقوا انفسهم في الما ويعبرون فيه الى الجانب الذى فيه الفرنج
ويتحيلوا في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة اني صح
وعملها على راسه وغطس في الما حتى حاذى بر الافرنج فظنه بعضهم بطيخة
فنزل حتى ياخذها فخطفه واتى به الى المسلمين وفي يوم الاربعا سابع شوال

اخذ المسلمون شينيا للفرنج فيه كند وماتنا رجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب
الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم اربعون فارسا وسير عدة الى القاهرة
تسعة وستين اسيرا منهم ثلاثة من اكابر الداوية وفي يوم الخميس ثاني عشريه احرقت
للفرنج مرمة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر اشموم فيه مخايض فدل
بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثا خامس ذي
القعدة او رابعه ولم يشعر المسلمون الا بهم وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين
قد عبر الحمام فاتاه الصريخ بان الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد
ولا متحفظ وساق ليامر الامرا والاجناد بالركوب في طايفة من مماليكه فلقيه
عدة من الفرنج الداوية فحملوا عليه ففر اصحابه واتته طعنة في جنبه واخذته
السيوف من كل جانب حتى لحق بالله تعالى وفي الحال عدا مماليكه في طايفة الى داره
وكسروا صناديقه وخزاينه ونهبوا امواله وخيوله وساق الفرنج بعد قتل الامير
فخر الدين الى المنصورة فتفرق المسلمون خوفا منهم وتفرقوا يمنة ويسرة وكادت الكسرة
ان تكون ويمحو الفرنج كلمة الاسلام من ارض مصر ووصل الملك ريدافرنس بنفسه
الى باب قصر السلطان ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله سبحانه ان الطايفة المماليك
من البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقداري
حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقا حتى ازاحوهم عن مواقفهم وابلوا في مكافحتهم
بالسيوف والدبابيس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة
في هذه النوبة الفا وخمسماية فارس واما الرجالة فانها كانت وصلت الى
الجسر لتعدي فلو تراخى الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الدا على ان هذه الواقعة
كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما افلت من الفرنج احد فنجا من بقي
منهم وضربوا عليهم سورا وخندقوا خندقا وصارت طايفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم
في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكبسة قد سرحت على جناح
الطاير الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما وورد السوقة وبعض العسكر
ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعا وفي يوم الاربعا سقط الطاير بالبشارة
بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشاير بقلعة

الجبل

الجبل وسار المعظم توران شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت اخر شهر رمضان واستولى
على ما بها ولاربع مضين من شوال سقط الطاير بوصوله الى دمشق وضربت البشاير
في العسكر بالمنصورة وفي قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت
الاخبار بقدومه وخرج الامير حسام الدين بن ابي علي الى لقايه فوافاه بالصالحية
لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة ومن يومئذ اعلن بموت الملك الصالح بعدما كان
قبل ذلك لا ينطق احد بموته البتة بل الامور على حالها والدهليز السلطاني بحاله
والسماط على العادة وشجر الدر ام خليل زوجة السلطان تدبر الامور وتقول
السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فتلقاه الامرا والمماليك واستقر
بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثا تاسع عشر ذي القعدة وفي اثنا هذه المدة
عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر المحلة والقوها فيه وشحنوها بالمقاتلة
فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة وتلك المراكب فيه مكمنة خرجت عليهم
ووقعت الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة واحاط بالفرنج
وظفر باثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتل واسر منهم نحو الالف رجل فانقطعت
الميرة عن الفرنج واشتد عندهم الغلا وصاروا محصورين فلما كان اول يوم من ذي
الحجة اخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق وفر من كان فيها من
المسلمين وفي يوم عرفة برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها
ميرة فاخذت منها اثنين وثلاثين مركبا منها تسعة شواني فوهنت قوة الفرنج
وتزايد الغلا عندهم وشرعوا في طلب الهدنة من المسلمين على ان يسلموا دمياط
وياخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم
السابع والعشرون من ذي الحجة احرق الفرنج اخشابهم كلها واتلفوا مراكبهم
يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعا لثلاث مضين من المحرم سنة ثمان
واربعين وستماية الى دمياط واخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون
اقفيتهم بعد ما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعا وقد احاط المسلمون
بالفرنج وقتلوا واسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عدة من قتل من الفرسان على
فارسكور ما يزيد على عشرة الاف واسر من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة

ساقا هزيمة الف ونهب من المال والذخاير والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز
الملك ريدافرنس واكابر الفرنج الى تل ووقعوا مستسلمين وسالوا الامان فامنهم
الطواشي جمال الدين محسن الصالحي ونزلوا على امانه واحيط بهم وسيقوا الى المنصوره
فقيد ريدافرنس واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي فخر الدين ابرهيم بن
لقمان كاتب الانشا ووكل به الطواشي صبيح المعظمي واعتقل معه اخوه ورتب له
راتب يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطوري احد
من وصل صحبته من الشرق ان يتولى قتل الاسرا فكان يخرج منهم كل ليلة ثلثماية
رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا ولما قبض على الملك ريدافرنس رحل الملك
المعظم من المنصوره ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من خشب
وتراخى في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نايبه بدمشق
ولده توارنشاه   الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ
يفرح المومنون بنصر الله واما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
نبشر المجلس السامي بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو
الدين فانه كان قد استفحل امره واستحكم شره وياس العباد من البلاد والاهل والاولاد
فنودوا ولا تياسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهي سنة
ثمان واربعين وستماية تمم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزاين وبذلنا الاموال
وفرقنا السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم الا الله وجاوا من كل
فج عميق ومكان سحيق فلما راى العدو ذلك ارسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق
بينهم وبين الملك الكامل فابينا ولما كان ليلة الاربعا تركوا خيامهم واموالهم واثقالهم
وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في اثارهم طالبين وما زال السيف يعمل في ادبارهم
عامة الليل وقد حل بهم الخزي والويل فلما اصبحنا يوم الاربعا قتلنا منهم ثلثين
الف غير من القى نفسه في اللجج واما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ
الفرنسيس الى المنية وطلب الامان فامناه واخذناه واكرمناه وتسلمنا دمياط
بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس
فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهي اشكرلاط احمر بفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرايل

ان غفارة الفرنسيس التي ... جات حبا لسيد الامرا
كبياض القرطاس لونا ولكن ... صبغتها سيوفنا بالدما
وقال
اسيد املاك الزمان باسرهم ... تنجزت من نصر الاله وعوده
فلا زال مولانا يبيح حمى العدا ... ويلبس اسلاب الملوك عبيده

واخذ الملك المعظم يتهدد زوجة ابيه شجر الدر ويطالبها بمال ابيه فخافته وكانت
مماليك الملك الصالح تحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس اقطاي الى
حصن كيفا وعده ان يعطيه امرة فلم يف له واعرض مع ذلك عن مماليك ابيه واطرح
امراه وصرف الامير حسام الدين بن ابي علي عن نيابة السلطنة واحضره الى العسكر
ولم يعبا به وابعد غلمان ابيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم في
الوظايف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادمه استادارا وعمل صبيحا وكان
عبدا حبشيا فحلا امير جنداره وامر ان تكون عصاه من ذهب واعطاه مالا جزيلا
واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب روسها بالسيف حتى تنقطع
ويقول هكذا افعل بالبحرية فاما كان فيه هوج وخفة واحتجب على العكوف على
لذاته فنفرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشري المحرم وقد
جلس على السماط فتقدم اليه احد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع
يده ففر الى البرج فاتبعوه عليه وسلوا فيه مصلتة فصعدوا على البرج الخشب فرموه
بالنشاب واطلقوا النار في البرج فالقى بنفسه ومر الى البحر وهو يقول ما اريد
ملككم دعوني ارجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويجيرني وساير
العساكر واقفة فلم يجبه احد والنشاب ياخذه من كل ناحية وادركوه فقطع
بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور ونزل على الشاطي ثلاثة
ايام لم يدفن ولما قتل الملك المعظم اتفق اهل الدولة على اقامة شجر الدر والدة
خليل في مملكة مصر وان يكون مقدم العسكر الامير عز الدين ايبك التركماني الصالحي
وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومي فقدم عليها في قلعة الجبل
واعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل
وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرت الحادثة مع الملك [illegible] ريدافرنس

في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن ابي علي الهذباني فاجاب الى تسليمها وان يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يامرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد ومن كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني على سورها واعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما اقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وتسعة ايام وافرج عن الملك ريدافرنس وعن اخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر واقلعوا الى عكا وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته   مقال صدق عن قؤول نصيح
آجرك الله على ما جرى   من قتل عباد يسوع المسيح
فساقك الحين الى ادهم   ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم   بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم   الا قتيل او اسير جريح
وفقك الله لامثالها   لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا   فرب غش قد اتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة   لاخذ ثار او لنقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها   والقيد باق والطواشي صبيح

وقدر الله ان الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه اخت مصر   فتاهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر   وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا الفال الاحسن ومات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامرا دمياط وردت البشرى الى القاهرة فضربت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقدمت العساكر من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الملك الاشرف موسى بن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين ايبك التركماني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق ارباب الدولة بمصر

والامرا المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في اسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان واربعين وستمائة حتى خربت كلها ومحوا اثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قبليها اخصاص على النيل يسكنها الناس الضعفا وسموها المنشية وهذا السور هو الذي بناه امير المومنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين في سنة تسع وخمسين وستمائة لردم فم بحر دمياط فمضوا وقطعوا كثيرا من القرابيص والقوها في بحر النيل الذي ينصب من شمال دمياط في بحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار ان تدخل منه وانما تنقل ما فيها من البضائع في مراكب نيلية تعرف عند اهل دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير مراكب البحر الملح واقفة باخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم اهل دمياط الان ان سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل في فم البحر او رمل تترى هناك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود وما مر من الوقائع والى يومنا هذا الخوف على المراكب عند ورودها لهذا البحر وكثيرا ما تلف فيه وقد سرت اليه حتى شاهدته ودرسته من اعجب ما يراه الانسان واما دمياط الان فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل هناك اخصاص وما برحت تزداد الى ان صارت بلدة كبيرة ذات اسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورايها البساتين وهي احسن بلاد الله منظرا وقد اخبرني الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي رحمه الله انه لم ير في البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر احسن من دمياط هذه فظننت انه يغلوا في مدحها الى ان شاهدتها فاذا هي احسن بلدا وانزهه وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد   فقد زادني ذكراه وجدا على وجد

ولازالت الانوا تسقى سحابها … ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فما احسن هاتيك الديار وطيبها … فكم قد حوت حسنا تجل عن العد
فلله انهارتحف بروضها … لكالمرهف المصقول او صفحة الخد
وبشنيها الرمان تحكى متيما … تبدل من وصل الاحبة بالصد
فقام على رجليه في الدمع غارقا … يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام يحسب انه … لطول انتظار من حبيب على وعد
ولا سيما تلك النواعير انها … تجدد حزن الواله المدنف الفرد
اطارحها شجوي وصارت كانما … تطارح شكواها مثل الذى ابدى
فقد خلتها الافلاك عمها جوفها … فدور نحص النفع منها وبالسعد
وفي البرك الغرا احسن نوفر … حكى وغدى بالزهو سطوا على الورد
سما من البلور فيها كواكب … عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفي شاطى النيل المقدس نزهة … تعيد شباب الشيب في العيشة الرغد
وتنشى ارتياحا تطرد الهم والاسى … وتنسى ليالي الوصل من طيبها عندي
وفي مرج البحرين ثم عجايب … تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كان التقا النيل بالبحر اذ غدا … ملكين سارا في الجحافل من جند
وقد نزلا للحرب واصطدم اللقا … ولا طعن الا بالمثقفة الملد
فظلا كما باتا وما برحا … دهرا كذا من جليل الخطب في اعظم الجهد
فكم قد مضى لي من افانين لذة … بشاطيها العذب الشهي لذوي الورد
وكم قد نعمنا في البساتين برهة … بعيش هني في امان وفي سعد
وفي البرزخ المانوس كم لي خلوة … وعهد ستطا عن الهم العلم الفرد
هناك ترى عين البصيرة ما ترى … من الفضل والافضال والخير والمجد
فيارب هب لي بفضلك عودة … ومن بها في غير بلوى ولا جهد

وبدمياط جامع كانت المدينة التي هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد الذى اسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح الله ارض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابه مكتوب بالقلم الكوفي انه عمر بعد سنة

خمسما

220

خمسمايه من الهجرة وفيه عدة من العمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف بجامع فتح لنزول شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمن الاسمر التكروري قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد وسفار في الماقى الاسواق احسنا با بن عمران يتناول من احد شيا ونزل في ظاهر الثغر ولزم الصلاه مع الجماعه وترك الناس جميعا ثم اقام بساحة تونه من بحيرة تنيس وهي خراب نحو سبع سنين ورم مسجدها ثم انتقل من تونه الى الجامع دمياط واقام في وكر باسفل المنارة من غير ان يخالط احدا الا اذا اقيمت الصلاه خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه احد بحديث كلمه وهو قايم بعد انصرافه من الصلاه وكانت حاله ابدا اتصال في انفصال وقرب في ابتعاد وانس في نفار وحج فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النزول ويكون مسيره منفردا عنهم لا يكلم احدا الى ان عاد الى دمياط فاخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه من الوطواط سقوفه وساق الما الى صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس واقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط فرتب به اماما يصلي الخمس وسكن في بيت الخطابه وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قراء يتلون القران بكرة واصيلا وقرر فيه رجلا يعرف امعاد ايجد كرفيه الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكانا افضل من الجامع لاقمت به ولو علمت في الارض بلدا يكون الفقير فيه اجمل من دمياط لرحلت اليه واقمت به وكان اذا ورد عليه احد من الفقرا ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه شيا يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان يوثر في السر الفقرا والارامل ولا يسال احدا شيا ولا يقبل غالبا واذا قبل ما يفتح الله عليه اثر به وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنه والتورع عن الفتنه وترك الدعاوي واطراح ستر حاله والتحفظ في اقواله وافعاله وكان لا يرى واحدا في الليل ولا يعلم احد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دايما قول ان شا الله مكان قول عنه والله ثم

ان الشيخ عبد العزيز الدميري اشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة فتزوج
في اخر عمره بامراتين لم يدخل على واحدة منهن منكرا للسنة ولا اكل عندهما ولا شرب
قط وكان ليله ظرفا للعبادة لكنه ياتي اليهن احيانا وينقطع احيانا لاستغراق
زمنه كله في القيام بوظايف العبادات وايثار الخلوة وكان خواص خدمه لا
يعلمون بصومه من فطره وانما يحمل اليه ما ياكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط
اكلا وكان يحب الفقرا ويوثر حال المسكنة ويطارح على الخمول والخفا ويتواضع مع
الفقرا ويتعاظم على العظما والاغنيا وكان يقرا في المصحف ويطالع الكتب ولم
يره احد يخط بيده شيا وكانت تلاوته القران بخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة
قط ولا اخذ على احد عهدا ولا لبس طاقية ولا قال انا شيخ ولا انا فقير ومتى قال في كلامه
انا قطع لما وقع منه واستعاذ بالله من قول انا ولا حضر قط سماعا ولا انكر على
من حضره وكان سلوكه صلاحا من غير اصطلاح ويبالغ في الترفع على ابنا الدنيا
ويترامى على الفقرا ويقدم لهم الاكل ولم يقدم لغني اكلا البتة واذا اجتمع عنده
الناس قدم الفقير على الغني واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة
خطوات وهو حاف بغير نعل ووقف على قدميه ينظر حتى يتوارى عنه ومن كان
من الفقرا اشار اليه بمشيخة جلس بين يديه بادب مع امامته ويقدمه في الطريقة
ويقول ما اقول لاحد افعل ولا تفعل من اراد السلوك فيكفيه ان ينظر الى افعالي
فان من لم ينتفع بنظره لا ينتفع بسمعه وقال له شخص من خواصه يا سيدي
ادع لي ان يفتح الله علي فنحن فقرا فقال ان اردتم فتح الله فلا تتقوا الى الشي
ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جالا يسال الله ولكن اتم من حديد ومن كلامه
الفقير يخاف البكر فاذا سال زالت بكارته وساله بعض خواصه ان يدعو له
بسعة وشكا له الضيق فقال له انا ما ادعوا لك بسعة بل اطلب لك الافضل
والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستفراغ اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه
ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ويلازم الوفا لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف
احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفا
والارامل ويبذل شفاعته في قضا حوايج الخاص والعام من غير ان يمل ولا يتبرم

بكره

بكره ذلك ويكثر من الايثار في السر ولا يمسك لنفسه شيا ويستقل ما منه مع كثرة احسانه
ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيرا ويكافي عليه باحسن منه ولم يصحب قط اميرا
ولا وزيرا ولا كان في سلوكه وطريقته يرتفع في تواضع ويتعزز مع مسكنته وقرب في
استبعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا واهلها وكان اكثر من جهره ومن دعايه
لنفسه ولمن يساله الدعا اللهم بعدنا عن الدنيا واهلها وبعدها عنا وما زال على
ذلك الى ان مات اخر ليلة تسفر عن الثامن من شهر ربيع الاخر سنة خمس وتسعين
وستمايه وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ الفي درهم دينا ودفن بجوار
الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

ذكر شطا

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليها تنسب الثياب الشطوية ويقال انها
عرفت بشطا بن الهاموك وكان ابوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن
على يد عمرو بن العاص واستولى على ارض مصر جهز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى
ان ملكوا سور المدينة فخرج شطا في الفين من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل
ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط
امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة واشموم طناح يستنجد
بجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم
مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى الفريقان وابلى شطا
فيهم بلاء حسنا وقتل من ابطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة
النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبره هو الان خارج دمياط
وبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان في كل عام
ويفدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا وكانت تعمل كسوة الكعبة
بشطا قال الفاكهي ورايت فيها كسوة من كسا امير المومنين هرون الرشيد
من قباطي مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون امير المومنين
اطال الله بقاه مما امر الفضل بن الربيع مولى امير المومنين بصنعته في طراز شطا
كسوة للكعبة سنة احدى وتسعين ومايه ومن المواضع المشهورة بدمياط
البرزخ وهو مسجد بجنب دمياط تسميه العامة البرزخ ولا اعرف مستندهم

في ذلك وشاهدت عجبا فيه وهو ان به منارة كبيرة مبنية من الآجر اذا هزها احد
اهتزت فلما صعدت اعلاها حيث يقف المؤذن وحركتها رأيت ظلها قد تحرك
بتحركها لها ويوجد حول هذا المسجد رمم اموات يقال انه يكون ممن استشهد في وقائع
الفرنج والله يعلم وانتم لا تعلمون

دبيق قرية من قرى دمياط ينسب اليها
الثياب المثقل والعمائم الشرب الملونة والدبيقي المعلم المذهب وكانت العمائم
الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقمات
منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل
وحدثت هذه العمائم وغيرها في ايام العزيز بالله بن المعز من سنة خمس وستين
وثلثمائة الى ان مات في رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة ه

البحيرية قرية من الاعمال الغربية انشا حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش
في الايام الناصرية محمد بن قلاوون وبالغ في عمارتها فبلغت في ايامه عشرين الف
درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى انشئ فيها زيادة على
ثلاثين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى الف درهم فضة كل فدان وصارت
بلدا كبيرا يحمل في السنة ما بين خراج وهلالي ثلثمائة الف درهم فضة عنها
خمسة عشر الف دينار ذهب ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة
واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حارة العرب خارج باب زويلة ه

جزيرة بني نصر منسوبة الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك
ان بني حماس بن ظالم بن جعيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن
كانت لهم شوكة شديدة بارض مصر وكثروا حتى ملأوا اسفل الارض وغلبوا اهلها
حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلواتة ولواتة يزعمون انهم من قيس
فاجلت بني نصر واسكنتهم الجدار فصاروا اهل قرى في مكان عرف بهم وسط
السبل وهي جزيرة بني نصر هذه ه

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

اعلم ان البريد اول من رتبه دارا الملك دارا بن بهمن بن كي بستاسف بن
لهراسف احد ملوك الفرس واما في الاسلام فاول من اقام البريد امير المؤمنين
المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور اقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله

بغالا

بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومائة واصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا
اقام في سكك البريد دوابا محذوفة الاذناب فسميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها
نصفها الاخير فقيل بريد وهذا الدرب الذي تسلكه العساكر والتجار وغيرهم من
القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي كان يسلك في القديم من مصر
الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الخمسمائة
من سني الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اولا قبل استيلاء
الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال ابو القسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه
في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر
ميلا ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق اربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة
الاردن ستة اميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا
ثم الى الرملة مدينة فلسطين اربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى ازدود
اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش اربعة وعشرون ميلا في رمل ثم
الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى ام العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما اربعة وعشرون
ميلا ثم الى جرجير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة اربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة
ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر اربعة
وعشرون ميلا وهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما
هو الآن فيسلك من بلبيس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف
ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطيا الى ام العرب وهي بلد خراب على البحر
فيما بين قطيا والورادة وبعضها قوم من الناس يحفرون في كيمانها فيجدون
دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كثيرة المقدار ويسلك من ام العرب الى
الورادة وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج
الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين واربعمائة لاخذ البلاد من ايدي
المسلمين واخذ بغدوين السويك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب
من تقادم السنين واغار على العريش وهو يومئذ عامر تعطل السفر حينئذ من مصر
الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى ان استنقذ

ذبه

ام العرب اثارها باقية الى اليوم على
البحر بينها وبين الفرما سباخ ومن يجد
بها دراهم فضة كبار يظفر بها من
تتبعها ووجدها في زمننا رجل مالا
نحو عشرة آلاف دينار ذهبا في قدر
من ... وعليه البحر بها على نوع
منها تلسع عن عدة حواشت وجد فيه
علاه قطع من ذهب يشبه انها كانت حلية
الصاغة هـ كتب من الاصل

السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدي الفرنج في سنة ثلاث
وثمانين وخمسمايه واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل صار
يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى ان ولي الملك الصالح
نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب فانشا بارض السايح على طرف
الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحيه وذلك في سنة اربع واربعين وستمايه
وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزلها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر
بيبرس البندقداري رتب البريد في ساير الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة
الجبل الى دمشق في اربعة ايام ويعود في مثلها فصارت اخبار الممالك ترد اليه في
كل جمعة مرتين ويتحكم في ساير ممالكه بالعزل والولايه وهو مقيم بالقلعة وانفق في
ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمايه ومن
ذلك امر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من
الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال
يعرفون بالسوابقين واحدهم سواق يركب مع من يرسم بركوبه خيل البريد ليسوق
له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب احد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة
يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد
السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند
كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن
ادركنا المراة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة او ماشية لا تحمل زادا
ولا ماء فلما اخذ تيمورلنك دمشق وسبا اهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمايه
خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدوله بما نزل بالبلاد من المحن وما ذهبوا به من
كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خللا فاحشا والامر
على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثماني عشرة وثمانمايه

ذكر مدينة حطي

هذه المدينة اثارها الى اليوم باقيه فيما بين خبوه
والعاقوله بارض العاقوله فيما بين قطيه والعريش تجاهها تمد ما عذبا تسميه
العرب ابو العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطي ويقال حطي

ابن الملك ابو جاد المدينى واهل قطيه اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطي والحفر
وملك حطي هذه الارض مصر بعد موت ابيه وكان صاحب حروب وبطش وكان
ينزل بقلعه في جبال الاردن قريبا من طبريه واليه تنسب قرية حطين التي بها
الان قبر شعيب بالقرب من صفد

ذكر مدينة الرقه

هذه المدينة من جملة مداين مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عندما
خرج موسى عليه السلام ببني اسرايل من مصر قوم من لخم ال فرعون يعبدون البقر
واياهم عني الله تعالى بقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على
اصنام لهم الايه قال قتادة اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقه وقيل كانت
اصنامهم تماثيل البقر ولهذا اخرج لهم السامري عجلا واثار هذه المدينة باقيه
الى اليوم فيما بين مدينة فاران والقلزم ومدين وايله في بريه الاعراب

ذكر عين شمس

وكان عين شمس هيكلا يحج الناس اليه ويقصده
من اقطار الارض في جمله ما كانت يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال
ان الصابيه اخذت هذه الهياكل عن عاذيمون ويزعمون انه هو شيث بن ادم
وعن هرمس الاول وهو ادريس فان ادريس هو اول من تكلم في الجواهر العلويه
والحركات النجوميه وبنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها ويقال ان الهياكل كان
عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلا وهي هيكل العله الاولى وهيكل العقل وهيكل
السياسه وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسه مستديرات
والهيكل الشمسي ~~وهو ايضا مربع~~ هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل المشتري
وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو ايضا مربع وهيكل
الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل
وهيكل القمر مثمن وعللوا عبادتهم للهياكل بان قالوا لما كان صانع العالم
مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين ان يتقرب اليه
عباده بالمتقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا وسايط لهم عنده
وعنوا بالروحانيين الملايكه وزعموا انهم المدبرات للكواكب السبعه السياره
في افلاكها وهي هياكلها وانه لا بد لكل روحاني من هيكل فلا بد لكل هيكل من

فلك وان نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا انهم المدبرات
للكواكب السبعة السيارة انه لا بد من رويه المتوسط بين العباد وبين باريهم
حتى يتوجه اليه العبد ويستفيد منه ففزعوا الى الهياكل التي هي السيارات فعرفوا
بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها وما لها من الايام
والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف
في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السياره اربابا والهه وسموا الشمس
اله الالهة ورب الارباب وزعموا انها المفيضة على السته انوارها والمظهره فيها
اثارها فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين ليقربهم الى الباري لزعمهم
ان الهياكل ابدان الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا
يصلون لكل كوكب يوما يزعمون انه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة اوقات
الاولى عند طلوع الشمس والثانية عند استوايها في الفلك والثالثه عند غروبها
فيصلون لزحل يوم السبت وللمشتري يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم
الثلاثا وللزهرة يوم الاربعا ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعه ويقال انه
كان ببلخ هيكل بناه منوجهر على اسم القمر ليعارض به الكعبه فكانت الفرس
تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهار فلما تمجست الفرس عملته بيت نار ووقف
للموكل بسدانته برمك يعني والي مكه وانتهت البرمكه الى جد خالد جد جعفر بن يحيى
ابن خالد فاسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس
ابن الهيثم في اول خلافة معويه سنة احدى واربعين وكان بناء عظيما حوله
اروقه وثلثمايه وستون مقصوره لسكن خدامه وكان بصنعا قصر غمدان
من بناء الضحاك وكان هيكل الزهره وهدم في خلافة عثمن بن عفان وكان بالاندلس
في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيره هيكل الزهره من بناء كلاو
بطره بنت بطليوس وكان بفرغانه بيت يقال له كاوسان هيكل للشمس
بناه بعض ملوك فارس الاول وخربه المعتصم وقد اختلف في من بنا هيكل عين
شمس وسا اقص من اخباره ما لم اره مجموعا في كتاب قال ابن وصيف شاه وكان
يقال في القديم لها دير شمس وقد كان الملك منقاوس اذا ركب عملوا بين يديه

التماثيل

التماثيل العجيبه فيجتمع الناس ويعجبون من اعمالهم وامر ان يبنا له هيكل للعباده يكون
له خصوصا وجعل فيه قبه فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها اصناما
وعجايب فكان الملك يركب اليه ويقيم فيه سبعة ايام وجعل فيه عمودين زبر
عليهما تاريخ الوقت الذي عمله فيه وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع الذي يقال
له عين شمس ونقلوا الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجايب
ودفنها بها وبنواحيها واقام ملكا احدا وسبعين سنه ومات من الطاعون
وقيل من سم وعمل له ناووس في صحرا الغرب وقيل في غربي قوص ودفن معه
تمثال روحاني الشمس من ذهب ملمع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة
امراته وكان يحبها فلما ماتت امر ان يعمل صورتها في الهياكل كلها وعمل
صورتها من ذهب وابنوس اسود وعليها حله من جواهر منظومه وهي جالسه
على كرسي وكان يجعلها بين يديه في كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك عنها ودفنت
هذه الصوره معه تحت رجليه كانها تخاطبه وقال الحكيم الفاضل احمد بن خليفة
في كتاب عيون الانبا في طبقات الاطبا واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع
بالكهنه الذين كانوا بمصر فورد على اهل مدينة الشمس المعروفه في زماننا بعين
شمس فقبلوه قبولا كرها وامتحنوه زمانا فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا
به الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه على كراهيه واستقصوا امتحانه
فلم يجدوا عليه معيبا ولا اصابوا اليه عثره فبعثوا به الى اهل ديوسبوليس
ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سبيلا ففرضوا عليه فرايض
صعبه كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفه لفرايض اليونانيين
فقبل ذلك وقام به فاشتد اعجابهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى
اماسيس ملك مصر فاعطاه سلطانا على ضحايا الرب وعلى ساير قرابينهم ولم
يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كانت للكواكب السبعه السياره هياكل يحج الناس
اليها من ساير اقطار الدنيا وضعها القدما فجعلوا على كل كوكب هيكلا في اسم م
ناحيه من نواحي الارض وزعموا ان البيت الاول هو الكعبه وانه مما اوصى ادريس
الذي يسمونه هرمس الاول المثلث ان يحج اليه وزعموا انه منسوب لزحل

في ذكر مسلتي فرعون

والبيت الثاني بيت المريخ وكان لمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث
للمشتري وكان بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني امية
والبيت الرابع بيت الشمس لمصر ويقال انه من بنا هوشنك احد ملوك الطبقة
الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة وكان
بمنبج والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامي والبيت
السابع بيت القمر وكان بحران ويقال انه قلعتها وسمي المدور ولم يزل عامرا الى
ان خربته التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابية الاعظم وقال الشابشتي
في كتاب عجايب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محدقا بها
مهدوما ويظهر من امرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهايلة
العظيمة الشكل من نحيت الحجارة ما يكون طول الصنم مقدار ثلثين ذراعا واعضاوه
على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام قايمة على قواعد وبعضها قاعد
على نصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى الان وعلى معظم
تلك الحجارة تصاوير على شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم
المجهول وقل ما ترى حجرا اغفل من كتابة او نقش او صورة وفي هذه المدينة
المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة
طولها عشرة اذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على اساس ثابت
في الارض ثم اقيم عليها عمود مثلث مخروط ينيف طوله على ماية ذراع يبتدى
من قاعدة لها وطرفها خمسة اذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس راسها بقلنسوة
نحاس الى نحو ثلثماية اذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر
وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها عليها كتابات بذلك القلم
وكانت المسلتان قايمتين ثم خرت احداهما وانصدعت من نصفها لعظم الثقل
واخذ النحاس من راسها ثم ان حولها من الاصنام شي كثير لا يحصى عددها على
نصف تلك العظمى او ثلثها وقل ما يوجد في هذه المسلة الصغار ما هو قطعة
واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت قواعدها
وقال محمد بن ابرهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر رمضان يعني من سنة ست

وخمسين

وخمسين وستماية وقعت احدى مسلتي فرعون التي باراضي المطرية من ضواحي
القاهرة فوجدوا داخلها ما يقارب ماتي قنطار من نحاس اخذ من راسها عشرة
الاف دينار ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دومغ من الملوك العماليق
وقيل بناها الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم ان هوشنك بناها
ويقال طول العمود بن ماية ذراع وقيل اربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا
ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال القضاعي وعين شمس
وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير اعجب منهما ولا من شانهما طولهما في السماء
نحو من خمسين ذراعا محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى راسهما
شبه الصومعتين من نحاس فاذا جا النيل قطر من راسهما ما تستبينه وتراه منهما
واضحا ينبع حتى يجري من اسافلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس
دقيقة من الجدي وهو اقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منهما فطلعت عليه على
قمة راسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو اطول يوم في السنة انتهت الى الشمالي
منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى الميلين وخط الاستوا في الواسطة منهما
ثم خطرت بينهما ذاهبة وجايية سائر السنة كذا يقول اهل العلم بذلك وقال ابن سعيد
في كتاب المغرب وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة
البنا بمصر القديمة تحت مدينة الفسطاط الان وقال صاحب السيرة الطولونية كان
بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان ابيض محكم الصنعة يتخيل من
استغراقه انه ناطق ووصف لاحمد بن طولون فاشتاق الى تاملة فنهي ه بدوسة
عنه وقال لما راه والقط الاعزل فركب اليه وكان هذا في سنة ثمان وخمسين
وماتين وتاملته دعا بالقطاعين فامرهم باحتثاثه من الارض ولم يترك منه
شيا ثم قال لبدوسة خازنه يا بدوسة من صرف صاحبه فقال انت ايها
الامير وعاش بعدها احدى عشرة سنة اميرا وبنى العزيز بالله نزار بن المعز
قصورا بعين شمس ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها
وقال ابو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان الياء بنية بعلبك بين مهملة
عتيقة معروفة وقال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم

4

...واصل المصنف ... نازل عين شمس ولما قدم عمرو بن العاص ... وكان جمع القوم حتى فتحوها

فوهران عند شمس الى هذا الماء صيفا واول من سمى بهذا الاسم سبا بن يشجب وذكر
الكلبي ان شمس الذي تسمى به صنم قديم وقال ابن خرداذبه واسطوانين بعين شمس
من ارض مصر ومن بقايا اساطين كانت هناك في راس كل اسطوانة طوق من نحاس
يقطر من احدهما ماء من تحت الطوق الى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره
ليلا ولا نهارا والموضع من الاسطوانة اخضر رطب ولا يصل ماء الى الارض وهو
من بناء اوشهنك وبعين شمس نبت يزرع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن اعرف ذكر البلسم
البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا هناك ويوكل لحا هذه القضبان فيكون له طعم
وفيه حرارة وحروفة لذيذة وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب ان هذا
المنار مربع علوه مائة ذراع وقطعة واحدة محدد الراس على قاعدة من حجر وعلى راس
المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة انسان على كرسي قد استقبل المشرق ويخرج
من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة اذرع وقد نبت منه شي
كالطحلب ولا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة ابدا صيفا وشتا لا ينقطع ولا يصل
منه الى الارض شي وبناحية المطرية من ضاحية عين شمس البلسان وهو شجر قصار
يسقى من ماء بير هناك وهذه البير تعظمها النصارى وتقصدها وتغتسل بمائها
وتستشفي به ويخرج لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى
ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمارستانات
لمعالجة المبرودين ولا يوخذ منه شي الا من خزانة السلطان بعد اخذ مرسوم بذلك
وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم ولهم بها دونه من
صاحب مصر ويرون انه لا يصح عندهم لاحد ان يتنصر الا ان يغمس في ماء المعمودية ه
ويعتقدون انه لا بد وان يكون في ماء المعمودية شي من دهن البلسان ويسمونه الميرون
وكان في القديم اذا وصل من الشام خبر انتهى الى صاحب عين شمس ثم يرد من عين شمس
الى الحصن الذي عرف بقصر الشمع حيث الان مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة
منف حيث كان تخت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب
السنكسار وهو يشتمل على اخبار النصارى ان المسيح لما خرجت به امه ومعهما يوسف
النجار من بيت المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت بها اول موضع من ارض مصر

مدينة

مدينة بسطه في رابع عشري بشنس فلم يقبلهم اهلها فنزلوا بظاهرها واقاموا اياما ثم
ساروا الى مدينة سمنود وعدوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين
وكان باعلاها اذ ذاك شكل فرس من نحاس قائم على اربعة اعمدة فاذا قدم اليها
غريب صهل فجاوا ونظروا في امر القادم فعندما وصلت مريم بالمسيح عليه
السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر فدخلت به امه وظهرت له عليه
السلام في الاشمونين ايات وهو ان حسن جمال محملة زحمتهم في مرورهم فصرخ فيها المسيح
فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرية تسمى فيلس مدة ايام ثم
مضوا الى مدينة تسمى قسقام وهي التي يقال لها اليوم القوصية فنطق الشيطان
من اجواف الاصنام التي كانت بها وقال ان امراة اتت ومعها ولدها يريدون ان
يخربوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا
الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق
واقاموا به ستة اشهر واياما فراى يوسف النجار في منامه قائلا يخبره بموت
هيرودس ويامره ان يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث
الموضع الذي يعرف اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع واقاموا بالمغارة تعرف اليوم
بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوارها فغسلت
مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضي
فانبت الله هناك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هناك وبقي
بهذه الارض وعمرت هذه البير التي هي الان موجودة هناك على ذلك الماء الذي
غسلت منه مريم وبلغني انها الى الان اذا اعتبرت توجد ماؤها عينا جارية
في اسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البير وللبلسان فانه انما يسقى
منها والله اعلم **المنصورة** هذه البلدة على راس بحر اشموم تجاه ناحية
طلخا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب
في سنة ست عشرة وستمائة عند ما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل في موضع
هذه البلدة وخيم به وبنا قصرا للسلطنة وامر من معه من الامرا والعسكر بالبنا
فبني هناك عدة دور ونصبت الاسواق وادار عليها سورا مما يلي البحر وستره

بالالات الحربيه والستاير وسمى هذه المنزله المدينه المنصوره ولم يزل بها حتى استرجع
مدينه دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينه دمياط من كتابنا هذا وصارت
مدينه كبيره بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل
دمياط من الفرنج ورحل الافرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصوره وبين يديه اخوته
الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق
وعده من اهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها ٥

٥ ولما طغى فرعون عكا وقومه ٥ وجاوا الى مصر ليفسدوا في الارض ٥
٥ اتى نحوهم موسى وفي يده العصا ٥ فاغرقهم في اليم بعضا على بعض ٥

فطرب الاشرف وقال لها ما الله كرري فشق ذلك على الملك الكامل واسكتها وقال
لجاريته غني انت فاخذت العود وغنت ٥

٥ ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا ٥ لما قد جرى في وقتنا وتجددا ٥
٥ اعباد عيسى ان عيسى وقومه ٥ وموسى جميعا ينصران محمدا ٥

هذا البيت من وصيله لشرف الدين
ابن جباره الى الوجد الاان ابيت مسهدا

فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من الجاريتين خمسمايه دينار فنهض القاضي
الاجل الصدر الرييس هبة الله بن محاسن قاضي غزه وكان من جمله الجلسا على منادمته
وانشد ٥ هنيا فان السعد جا مخلدا ٥ وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا ٥

٥ حبانا اله الخلق فتحا لنا بدا ٥ مبينا وانعاما وعزا مويدا ٥
٥ تهلل وجه الارض بعد قطوبه ٥ واصبح وجه الشرك بالظلم اسودا ٥
٥ ولما طغى البحر الخضم باهله ٥ الطغاة واضحى بالمراكب مزبدا ٥
٥ اقام لهذا الدين من سل عزمه ٥ صقيلا كما سل الحسام المهندا ٥
٥ فلم ينج الا كل شلو مجدل ٥ ثوى منهم او من تراه مقيدا ٥
٥ ونادى لسان الكون في الارض رافعا ٥ عقيرته في الخافقين ومنشدا ٥
٥ اعباد عيسى ان عيسى وحزبه ٥ وموسى جميعا ينصران محمدا ٥

فكانت هذه الليله بالمنصوره احسن ليله مرت للملك من الملوك وكان عند انشاده
بشير اذا قال عيسى الى عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال
محمدا الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي انشد هذه الابيات انما هو راجح

الكل

الكلي الشاعر

العباسة

هذه القريه فيما بين بلبيس والصالحيه من ارض السدير
ولم تزل منتزها للملوك بمصر وبها ولدت العباسه بنت احمد بن طولون فسميت لذلك ابو العباس
وولد بها ايضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل ابي بكر بن ايوب وكان الملك الكامل
محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه مثل مصر اذا اقمت بها اصطاد الطير من
السما والسمك من الما والوحش من الفضا ويصل الخبز من ولعى الى بها وهو سخن وبنى
بها ادر ومناظر وبساتين وبنى امراوه بها ايضا عده مساكن في البساتين ولم
تزل العباسه على ذلك حتى انشا الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزله
الصالحيه فلاشى حينيذ امر العباسه وخربت المناظر في سلطنه الملك المعز
ايبك فلما كانت سلطنه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو
ام الوادي فاعجب به وبنى في موضع اختاره منه قريه سماها الظاهريه وانشا
بها جامعا وذلك في سنه ست وستين وستمايه وسميت بالعباسه بنت
احمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع موادعه لبنت اخيها قطر الندا بنت
خمارويه بن احمد بن طولون لما حملت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها
ثم بنيت قريه سميت باسمها

ذكر مدينه قفط

هذه المدينه بصعيد مصر عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام
ابن نوح عليه السلام وكانت في الدهر الاول مدينه الاقليم وانما بدا خرابها بعد
الاربعمايه من الهجره واخر ما كان فيها بعد السبعمايه من سني الهجره اربعين مسكنا
للسكر وست معاصر للقصب ويقال كان فيها قباب اعلى دورها
تكون اسارة من ملك من اهلها عشره الاف دينار ان يجعل في داره قبه وبالقرب
منها معدن الزمرد ولم يطل الامر

قفطريم

قبطيم ولي الملك بعد
ابيه قبطيم فاستوى وصف ساه كان اكبر ولد ابيه وكان جبارا عظيم الخلق
وهو الذي وضع اساسات الاهرام بالدهشوريه وغيرها وهو الذي بنى مدينه
دندره ومدينه الاصنام وهلكت عاد بالريح في ايامه واثار من المعادن
ما لم يثره غيره فكان يجد من الذهب مثل حجر الرحى ومن الزبرجد مثل الاسطوانه
ومن الاسباذشم في صحرا الغرب كالقله وعمل من العجايب شيا كثيرا وبنى منارا

عاليا على جبل قفط يرى منه البحر الشرقي ووجد هناك معدن زيبق فعمل منه تمثالا كالعمود
لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر عليها طاير سقط
فيها ولم يقدر على الحركة حتى يوخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى اليوم وامر
المنار فسقط وعمل عجايب كثيرة وفي ايامه اثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان
غرقها وزين الشياطين امرها وعبادتها ويقال انه بنى المداين الداخله وعمل
فيها عجايب كثيرة وبنى غربي النيل وخلف الواحات الداخله مدنا عمل فيها عجايب
كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان يدنو اليها ولا
يدخلها الا ان يعمل قرابين لاولئك الروحانيين واقام قفطريم ملكا اربعماية واربعين
سنة واكثر العجايب عملت في وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد
اكثر عجايب من اسفل الارض لان جميع قفطريم فيه ولما حضرت قفطريم الوفاة
عمل ناووس في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الارض معقود
على ازاج الى الارض ونقر تحت الجبل دارا واسعة وجعل دورها خزاين
منقورة وفي سقوفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل في
وسط الدار مجلسا على ثمانية اركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك وجعل
في سقفه جواهر تسرج وجعل في كل ركن من اركان المجلس تمثالا من الذهب
بيده كالبوق الذي يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف
من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسده بعد ان لطخ بالادوية
المجففة ووضع من خواصه الاشكال فوق وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب
ووجهه مكشوف وعلى راسه تاج مكلل وعن جوانب الدكة اربعة تماثيل
مجوفات من زجاج مسبوك في صور النساء بايديهن مراوح من ذهب وعلى صدره
من فوق الثياب سيف قاصر قايمه من زبرجد وجعل في تلك الخزاين من الذخاير
وسبايك الذهب والنحاس والجوهر وبرابي الحكم واصناف العقاقير والطلسمات
ومصاحف العلوم ما لا يحصى كثرة وجعل على باب المجلس ديكا من ذهب على قاعدة
من زجاج اخضر منشور الجناحين مزبور عليه ايات مانعة وجعل على مدخل
كل ازج صورتين من نحاس بايديهما سيفان وقدامهما بلاطة تحتها لوالب من
وطيها

وطيها ضربا ماسيا فيها فقتلاه وفي سقف كل ازج كرة عليها لطوخ مدبر يسرج
بلا طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين الرصاصة ورصوا على سقفه
البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج هذا المدخل الى
جسد الملك العظيم المهيب المكرم الشديد قفطريم ذي الايد والفخر والعلية
والقهر افل نجمه وبقي ذكره وعلمه فلا يصل احد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك
لسبعماية وسبعين ودورات مضت من السنين وقال المسعودي ومعدن
الزمرد في عمل الصعيد الاعلى من اعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن
والموضع الذي هو فيه يعرف بالخربة وهي مفازة وجبال والبجة تحمي هذا المكان
المعروف بالخربة واليها يودي الحفارات من يرد الى حفر الزمرد ووجدت
جماعة من صعيد مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن
وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون انه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة
من مواد الهوا وهبوب نوع من الرياح والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف
الاربع ويقوى الخضرة فيه والسعوع
المورك في اوايل السنة صح
بالخربة الذي فيه معدن الزمرد وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار
سيرة سبعة ايام وهي قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة النيل
وبين النيل وقفط نحو من ميلين والمدينة قفط وقوص اخبار عجيبة في بدو عمارتها
وما كان في ايام القبط من اخبارهم الا ان مدينة قفط في هذا الوقت متداعية
للخراب وقوص اعمر والناس فيها اكثر وكان بقفط بربا موكل بها روحاني في
صورة جارية سودا تحمل صبيا اسود صغيرا حكي انها رؤيت بها مرارا ومعدن
الزمرد في البر المتصل باسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على
العمال به ويقام لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرد منه وهو في جبال مرملة
تحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل
الى السلطان ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسيرون من قوص الى معدن
الزمرد في ثمانية ايام بالسير المعتدل وكانت البجاة تنزل حوله وقريبا منه لاجل
القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الاخذ على شرقي النيل يجري بقطعة
عظيمة من هذا الجبل يسمى قرشنده وليس فيما هناك من الجبال اعلا منه وهو

منقطع من البلاد لا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم
او ازيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بغدير اعين يكثر بكثرة المطر ويقل لقلته
وهذا المعدن في صدر مغارة طويلة في حجر ابيض يستخرج منه الزمرد وهذا الحجر
الابيض ثلاثة انواع احدها يقال له طلق كافوري والثاني يقال له طلق فضي والثالث
يقال له حجر جروي ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو كالعروق فيه وانواعه
الذبابي وهو اقل من القليل لا يخرج الا في النادر واذا استخرج الغني والريحاني ربما
يحط في قطن ويصر ذلك القطن في خرقة حام او نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن
كثيرا جدا وتفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك يختلسون
منه بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد الى ان ابطل العمل
منه الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون
في سنة بضع وستين وسبعمائة وفي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة كانت
فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها ان دعيا من بني عبد القوي ادعى انه داود بن العاضد
فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اخاه الملك العادل
ابا بكر بن ايوب على جيش فقتل من اهل قفط نحو ثلاثة الاف وصلبهم على شجر ظاهر
قفط بعمائمهم وطيالسهم

ذكر مدينة دندرة

احد مدن الصعيد الاعلى القديمة بناها قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وكان فيها
بربا عظيمة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تاتي على اخرها
ثم تكر راجعة الى حيث بدات وكانت روحانيتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له
راس اسد بقرنين وكان بها ايضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة واوراقها
خضر مستديرة اذا قال الانسان عندها يا شجرة العباس جاء الفاس تجمع اوراقها
وتحترق لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت
بربا دندرة اعظم من بربا اخميم

ذكر الواحات الداخلة

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال
ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها من قبل مقطعها وبلاد الواحات
بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة بعضها داخل بعض ولها

بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر الى سواه وفي ارضها شبيه وزاجية وعيون
حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والملح
ولكل نوع منها منفعة وخاصية وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة
جملتها اربع واحات ويقال ان الواحات ولد واخويلاس بن كوش بن كنعان بن حام
ابن نوح وانه اخو سبا بن كوش ابو الحبش وابو سفتا بن كوش ابو زغاوة وابو سحتا
ابن كوش ابو الدمدم فكان وصف شاه ويقال ان فقطريم بنى المدائن الداخلة
وعمل فيها عجايب منها الماء القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين
اي صيادة الطير اذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه ان يبرح منها حتى يوخذ
وعمل ايضا عمودا من نحاس عليه صورة طاير اذا قرب الاسد او الحيات او غيرها
من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة
وعمل على اربعة ابواب هذه المدينة اربعة اصنام من نحاس لا يقرب منها غريب
الا القى عليه النوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى ياتيه اهل المدينة
فينفخون في وجهه فيقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نايما عند الاصنام حتى يهلك
وعمل منار لطيف من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعلى راس الصنم صورة صنم
من اخلاط كثيرة وفي يده كالقوس كانه يرمي عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه
ولم يبرح حتى ينحيه اهل المدينة وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من
نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الان وان الناس تحاموا تلك المدينة على
كثرة ما فيها من الكنوز والعجايب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم ان يقع عين انسان
عليه فلا يزال قايما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما امكنه وهلك
لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المداين الداخلة مراة يرى فيها جميع ما
يسال الانسان عنه وبنى غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها
عجايب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان يدنو
اليها ولا يدخلها وعمل قرابين لتلك الروحانيين فيصل اليها حينئذ
وياخذ من كنوزها ما احب من غير مشقة ولا ضرر وبنى الملك هاشان اساد وقيل
صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف

وملك الاحياز كلها وعمل عجايب وطلسمات ورد الكهنه الى مراتبهم ونفى الملهيين واهل
الشر ممن كان يصحب اساد بن مرقونس وجعل على اطراف مصر اصحاب اخبار يرفعون اليه
ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر توقد عليها اذا جاءهم امر او قصدهم
قاصد وكان لما ملك البلد باسره جمع الكهنه اليه ونظر في نجومه وكان فيها حاذقا فراى
ان بلده لابد ان تغرق بالطوفان من نيلها وراى انها تخرب على يد رجل ياتي من ناحيه
الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى في الواح الاقصى مدينه جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين
ذراعا واودعها جميع الحكم والاموال وهي المدينه التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن
بني اميه لما قدم من الغرب فلما دخل مصر اخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فاقام
سبعه ايام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينه عليها حصن وابواب
من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد عليها الرجال وعلوا الحصن واشرفوا على
المدينه القوا انفسهم فيها فلما اعياه امرها مضى وهلك من اصحابه عده قال وفي
تلك الصحاري كان اكثر متنزهات القوم ومدنهم العجيبه وكنوزهم الا ان الرمال غلبت
عليها ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل للرمال طلسما لدفعه ففسدت طلسماتها لقدم
الزمان قال ولا ينبغي لاحد ان ينكر كثره بنيانهم ولا امدانهم ولا ما يصفون من الاعلام
العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان اثارهم لبينه مثل الاهرام والاعلام
والاسكندريه وما في صحاري الشرق والجبال المنحوته التي جعلوا كنوزهم فيها والادويه
المنحوته ومثل ما بالصعيد من البرابي وما ينقشوه عليها من حكمهم فلو تعاطى جميع
ملوك الارض ان يبنوا مثل الهرمين ما تهيا لهم وكذلك ان ينقشوا بربا لطالت بهم
الامد ولم يملهم وحكى عن قوم من الثقات في ضياع الغرب ان غلاما عندهم عنف
بهم نفروا في صحراء الغرب ومعهم زاد الى ان يصلح احوالهم ورجعوا فلما كانوا على
مسيره يوم وبعض اخر فلجوا الى سفح جبل فوجدوا عيرا اهليا قد خرج من بعض
الشعاب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن واشجار ونخل ومياه تطرد وقوم
هناك يزرعون ولهم مساكن فكلمهم واعجبه بهم فجا الى اصحابه وقدم بهم على اولئك
القوم فسالوهم عن حالهم فاخبروهم واقاموا عندهم حتى صلحت احوالهم وخرجوا
لياتوا باهاليهم ومواشيهم وتعلموا عندهم منارا وامارة وهم لا يعرفون الطريق ولا اتى

لهم

لهم العود فاشفقوا على ما فاتهم ووصل قوم اخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينه
عامره كثيره الناس والمواشي والنخل والشجر فاضافوهم واطعموهم وسقوهم
وباتوا في طاحونه فسكروا من الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذا هم في
مدينه خراب ليس فيها احد فجاءوا وخرجوا فظلوا يومهم سايرين الى المسا وظهرت
لهم مدينه اكبر من الاولى واعمر واكثر اهلا وشجرا ومواشي فانسوا بهم واخبروهم بخبر
المدينه الاولى فجعلوا يتعجبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى وليمه لبعض اهل
المدينه فاكلوا وشربوا وغنوهم حتى سكروا فلما كان من الغد انتبهوا فاذا هم في
مدينه عظيمه ليس فيها احد وحولها نخل قد يبسا فطمعوا وتلددوا فخرجوا وهم
يجدون ريح الشراب ومعاني الخمار فساروا يومها الى المسا واذا راع يرعى غنما فسالوه
عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينه الاشمونين بالصعيد
قال وهذه مداين القوم الداخله القديمه قد غلب عليها الجان ومنها ما ستر به
عن العيون فلا ينظر اليها احد وقال ان البودسير بن قفطويم بن قبطيم بن مصريم
ابن بيصر بن حام بن نوح في ايامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومتنزهات وحول اليها
جماعه من اهل بيته فعمروا تلك النواحي وسواقيها حتى صارت ارض الغرب عماره
كلها واقامت على ذلك مده كبيره فجاء الطهم البربر فغلبوا فهم ثم تحاسدوا وافنت
بينهم حروب فخربت فيها تلك الجهات وبادت الا بقيه منازل تسمى الواحات

ذكر مدينه سنتريه

ومدينه سنتريه من جمله الواحات
بناها ابن مناقيوش باني مدينه اخميم كان احد ملوك القبط القدما قال ابن وصيف
شاه وكان في حرم ابيه وحنكته فعظم في اعين اهل مصر وهو اول من عمل
الميدان وامر اصحابه برياضه انفسهم فيه واول من عمل البيمارستان لعلاج
المرضى والزمنا واودعه العقاقير ورتب فيه الاطبا واجرى عليهم ما يسعهم
واقام الامنا على ذلك وصنع لنفسه عيدا فكان الناس يجتمعون اليه فيه ويسماه
عيد الملك في يوم من السنه فياكلون ويشربون سبعه ايام وهو مشرف عليهم
من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب والبس فاخر الثياب المنسوجه بالذهب
وعليه قبه مصفحه من داخل بالرخام والزجاج والذهب وفي ايامه بنيت سنتريه

في صحرا الواحات عملها من حجر ابيض مربعة وفي كل حايط باب في وسطه شارع الى
حايط يحاذيه وجعل في كل شارع لمنه ويسره ابوابا تنتهي طرقاتها الى داخل المدينه
وفي وسط المدينه ملعب يدور به من كل ناحيه درج سبع وعليه قبه من خشب
مدهون على عمد عظيمه من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان اسود
يدور مع الشمس يدورانها وسائر نواحي القبه صور معلقه تصفر وتصيح بلغات
مختلفه وكان الملك يجلس على الدرجه العاليه من الملعب وحوله بنوه وقراباته
وابنا الملوك وعلى الدرجه الثانيه روسا الكهنه والوزرا وعلى الثالثه روسا
الجيش وعلى الرابعه الفلاسفه والمنجمون والاطبا وارباب العلوم وعلى الخامسه
اصحاب العمارات وعلى السادسه اصحاب المهن وعلى السابعه العامه فيقال
لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا من فوقكم فانكم لا تلحقونهم وهذا ضرب
من التاديب وقتلته امراته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنه وسنتريه الان
بلد صغير يسكنه نحو ستمايه رجل من البربر يعرفون بسلوه ولغتهم تعرف بالسلويه
تقرب من لغة زناته وبها حدائق نخل واشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم
كثير وبها الان نحو العشرين عينا تسيح بما عذب ومسافتها من الاسكندريه احد عشر
يوما ومن جيزة مصر اربعه عشر يوما ولهي وبيئه تصيب اهلها الحمى كثيرا وتمرها
غايه في الجوده وتعبث الجن باهلها كثيرا وتختطف من ينفرد منهم ويسمع الناس بها
عزيف الجن

ذكر الواحات الخارجه

بناها احد
ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قبطيم بن مصريم بن بيصر
ابن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وامر البودسير ان يسير
مغربا لينظر الى ما هنالك فوقع على ارض واسعه متخرقه بالمياه والعيون
كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومنتزهات واقام فيها جماعه من اهل بيته
فعمروا الملك النواحي وسواقيها حتى صارت ارض الغرب عمارة كلها واقاموا كذلك
مده كبيره وخالطهم البربر فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على
بعض وكانت بينهم حروب فخرب ذلك البلد وباد اهله الا بقيه ما زال يسمى الواحات
وقال المسعودي واما بلاد الواحات وهي بين بلاد مصر والاسكندريه وصعيد مصر

والنوبه

وارض الاحابيش من النوبه وغيرهم وبها ارض شبه زاجيه وعيون حامضه وغير ذلك
من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنه اثنين وثلاثين وثلثمايه عبد الملك
ابن مروان وهو رجل من لواته الا انه مرواني المذهب ويركب في الوف من الناس خيلا ونجبا
وبينه وبين الاحابش نحو من سته ايام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماير هذا
المقدار من المسافه وفي ارضه خواص وعجايب وهو بلد قايم بنفسه غير متصل بغيره ولا
مفتقر اليه ويحمل من ارضه التمر والزبيب والعناب وحدثني وكيل الى الشيخ المعمر
حسام الدين عمر بن محمد بن زنكي الشهرزوري انه سمع ببلاد الواحات ان فيها شجرة
نارنج يقطف منها في سنه واحده اربع عشره الف حبه نارنج صفرا سوى ما بها ثمر
سوى ما هو اخضر فلم اصدق ذلك لغرابته وقمت حتى شاهدت الشجرة المذكوره فاذا
هي كاعظم ما يكون من شجر الجميز بمصر واكبر وسالت مستوفي البلد عنها فاحضر الي جرايد
حسابا باته وتصفحتها حتى اوقفني منها في سنه كذا قطف من النارنجه الفلانيه اربع
عشره الف حبه نارنج مستويه صفرا سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى ما بها ثمر منها
وهو صغير وبالواحات السبت الابيض بوادي جامه مدينه اد فو وكان في زمن الكامل
محمد بن العادل ابي بكر وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على مقطعي الواحات حمل الف
قنطار شب ابيض في كل سنه الى القاهره ويطلق لهم في نظير ذلك حوالي الواحات
ثم اهمل هذا فبطل وفي سنه تسع وثلاثين وثلثمايه سار ملك النوبه في جيش عظيم
الى الواحات فاوقع باهلها وقتل منهم واسر كثيرا

ذكر مدينة قوص

اعلم ان قوص اعظم مداين الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في ايام ملك من ملوك
القبط الاول يقال له شداد بن عديم بن البودسير بن قفطيم وقيل سميت باسم
قوص بن قفط بن اخميم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال ابن وصيف شاه شداد
ابن عديم هذا هو الذي بنى الاهرام الدهشوريه من الحجاره التي قطعت في زمان ابيه
وعمل مصاحف النيرنجات وعمل هيكل ارمنت وعمل في المداين الداخله من انصنا هيكلا
واقام قبة في اتريب وهيكلا في شرقي الاسكندريه وبني الجانب الشرقي مداين
وفي ايامه بنيت قوص العاليه واسكن فيها قوما من اهل الحكمه واهل الصناعات
وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في بلده فاخرج اليهم ابنه منقا وسيره في جيش عظيم

فقتل منهم وسبى واستعبد الدين سبا لهم فصار ذلك سنة لهم وانقطع معدن الذهب
من ارضهم واقام ذلك السبي يعملون فيه ويحملون الذهب اليه ولقوا اول من اخرب
الصعيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذياب والكلاب الاهلية وعمل
من العجايب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة وقال الادفوي في تاريخ الصعيد
وقوص كانت فقط حكى بعض المورخين انها شرعت في العمارة وشرعت قفط في
الخراب من سنة اربعماية قيل انه حضر عند قاضي قوص فرخ من اسوان اربعماية راكب
بغله الى القاية وفي شهر رمضان سنة اثنين وستين وستماية احضر الى الملك
الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونه بقوص فاخذ منها فلس فاذا على احد وجهيه
صورة ملك واقف وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الاخر راس
فيه اذن كبيرة مفتوحة وعين مفتوحة وبدائر الفلس كتابة فقراها راهب يوناني
فكان تاريخه الى وقت قراته الفين ولثماية سنة وفيه انا غلبات الملك ميزان
العدل والكرم في يمنى لمن اطاع والسيف في يساري لمن عصى وفي الوجه الاخر انا غلبات
الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني مفتوحة انظر بها مصالح ملكي وقوص
كثيرة العقارب والسام ابرص وبها صنف من العقارب القتالات حتى انه كان يقال
بها اكلته العقرب لانه كان لا يرجى لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة في يوم صايف على
حايط الجامع سبعون سام ابرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها اذا مشى في الصيف
ليلا خارج داره ياخذ باحدى يديه مسرجة تضي له وبالاخرى شيء من حديد يمسك
به العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانماية فلما كانت الحوادث والمحن مات
بها سبعة عشر الف انسان في سنة ست وثمانماية وكانت من العمارة بحيث انه تعطل
منها في شهر اي البلاد سنة ست وسبعين وسبعماية مايه وخمسون مغلقا والمغلق
عندهم بستان من عشرين فدان فصاعدا وله ساقية باربعة وجوه وذلك سوى
ما تعطل ما هو دون ذلك وهو كثير جدا ذكر مدينة اسناه
قال الادفوي وذكر ان اسنا في سنة حصل منها اربعون الف اردب واثنى عشر الف
اردب زبيب وان اسنا اشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر الف منزل وقيل انه كان بها
في وقت سبعون شاعرا ذكر مدينة ادفو

ومدينة ادفو يقال بالدال المهملة ويقال ايضا بالتا المثناة من فوق قال الادفوي
اخبرني الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفو ان حجارة طوحت ثلاثة شماريخ في كل
شمروخ لمه واحدة وانه قلع الحجارة باصلها ووزنها فجات خمسة وعشرين درهما
كلها بجريدها وخشبها وذلك بادفوا ولما كان بعد سنة سبعماية حفر صناع
الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امراة مربعة على كرسي وعليها مثال
سمكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم البرباي رايتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

اهناس كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها
وان نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا لم تزل باهناس الى اخر ايام بني امية والذي عليه الجماعة ان عيسى انما ولد
بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر اللبخ ذكر مدينة البهنسا

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج الطرر والمقاطع
السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحررة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ
طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مايتا مثقال ذهبا واذا صنع بها
شيء من الستور والاكسية والثياب من الصوف او القطن لا بد ان يكون فيها اسم المتخذ
له مكتوبا على ذلك متوارثا جيلا بعد جيل وقبط مصر مجمعون على ان المسيح وامه
مريم كانا بالبهنسا انتقلا عنها الى القدس وقال بعض المفسرين في قوله تعالى المسيح
وامه اية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة البهنسا وهذه المدينة
بناها ملك من القبط يقال له منا وشن بن سقا وشرق لسلن وصيف شاه
واستخلف الحكمة منا وش الملك فطلب الحكمة مثل ابيه واستخرج كنوزها واكرم
اهلها وبذل فيهم الجوايز وطلب الاغراب في عمل العجايب وكان كل من ملوكهم
يجهد جهده في ان يعمل له غريبة من الاعمال لم يعمل لمن كان قبله ويثبت في كتبهم
ويزبر على الحجارة في تواريخهم وهو اول من عبد البقر من اهل مصر وكان السبب
في ذلك انه اعتل علة يئس منه فيها فراى في منامه صورة روحاني عظيم يقول
له انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك
صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وامر باخذ ثور ابلق حسن الصورة وعمل له مجلسا

الجبانة من النخل التي قالت اليد نال نخله
وناقة جمار بالانقا اذا اعطته وسعت
هنا ثم الجبل الرقله ولهي النخلة الطو
وتعوق الجبل السحوق ورمح الرقلة رفل
وهي دون السحوق

في قصر وسقفه بقبة مذهبة فكان يبخره ويطيب موضعه ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته ويتعبده سرا من اهل مملكته فرا من علته وهو اول من عمل العجل في علته فكان يركب عليه البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك مع من احب من نسايه وخدمه الى المواضع والمنتزهات وكانت البقر تجره فاذا امر بمكان نزه اقام فيه واذا امر بمكان خراب امر بعمارته فبينما هو كذلك اذ نظر الى ثور من البقر التي تجر عجلته ابلق حسن الشيبة فامر بتزيينه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قائم اذ خاطبه الثور وقال له لو ردني الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وامر اهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريده وعاونته على امره وقويته في ملكه وازلت عنه جميع علله فارتاع لذلك وامر بالثور فغسل ونظف وطيب وادخل في هيكل وامر بعبادته فاقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه اية وهو انه لا يبول ولا يروث ولا ياكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فافتتن الناس به وصار ذلك اصلا لعبادة البقر وبنى مواضع كنز فيها كنوزا واقام عليها اعلاما وبنى في صحرا الغرب مدينة يقال لها دمنس واقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قايمة وان قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد اضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن وراوا اضواء تراى بها وفي بعض كتبهم ان ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له امرهم ان يعملوا صورته من ذهب اجوف ويوخذ من راسه شعرات ومن ذنبه ومن نخاته قرونه واظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم انه يلحق بعالمه وامرهم ان يجعلوا جسده في جرن من حجر احمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه ويجعل في شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث والقمر زايد النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكللوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه حجرين وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه في الجرن الاحمر وسوا منارا طوله ثمانون ذراعا على راسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل الوان الثياب وشقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعلوا حوله طلسمات

دوسها روس البقر وعلى ابدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة او جلب منفعة واقام عند الهيكل اربعة اصنام على اربعة ابواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسماها السحرة وكانت تعرف بمدينة السحرة وفيها كانت اصناف السحر تخرج وهو اول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت البهنسا واقام بها اسطوانات وجعل فوقها مجلسا من زجاج اصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت شعاعها على المدينة ويقال انه ملكهم ثماني مائة وثلاثين سنة ودفن في احد الاهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجوهر والعجايب شي كثير واصنام الكواكب السبعة التي تزين الدفين والخبيئة والف سرج ذهب وفضة وعشرة الاف جام وعضايد من ذهب وفضة وزجاج والف عقار لفنون الاعمال وزبر عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته وفي سنة اربع وثلاثين وستماية ظهر في الاشمونين في وادي جبلين فساقي مربعة مملوة ماء عذبا صافيا فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ اخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الاهرام لتكون عدة لما كانوا يتوقعوه من حدوث طوفان ناري فرحم بهذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس حدثني علي ابن حسن بن خالد الشعيري ثلث مرات لم يختلف قوله علي فيها قال حدثني رجل من فزارة الساكنين بكورة البهنسا قال خرجت انا ورفيق لي نرتاد البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين على الله عز وجل فاقمنا اياما ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب فوقعنا في وادي كثير الشجر والنبات والما والكلا ليس فيه انيس وهو وادي واسع في الطول والعرض نحو يوم في الطول ويوم في العرض كله اعين وبساتين نخل وزيتون كثير الابل والمعز والذيب والضبع به كثير والابل متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد ان كانت انسية وليس بالوادي لا رايح ولا غادي من الناس قال فاخبرني انهم اقاموا بالوادي نحوا من شهرين او ثلاثة وانهم راوا في وسط الوادي مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا اقتربوا من سورها سمعوا ضجيجا عظيما واصواتا مهولة مخوفة ودخانا يرتفع الى جو السما حتى يغطي

ربما كان الصحيح وقد قرنها بكون بالكيل والخطا الحنه تقدير الكلمة وهذا يدل على ان احمد بن بدر الدين اكد في حسن البدكور بنة التصديق انه اطلع عليه والله اعلم

سور المدينه وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشيه عدت على رواحلهم الانسيه فاذتها
وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجلين الغزاريين بحيل وفتلوا اشباكا واشراكا وحبالا
من ليف النخل ونصبوا من تلك الابل وفتلوا حوضا وطفروا قفافا من الحوض وملاوها
ثم التزادهم وذللوا من ذلك الابل الوحشيه مكان رواحلهم وعوضا منها وركبوها
متوجهين نحو الشرق وحملوا معهم من الجريد اعني جريد النخل ما يعرفون به الطريق
التي بينهم وبينها ويجعلون ذلك امارات لمصيرهم اليها فكانوا كلما مروا على شرف
جعلوا عليه جريدتين علما حتى وصلوا الى الجبل الغربي من مصر فنزلوا الى البهنسا فعرفوا
قومهم وحملوا اباها اليهم فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدوا كلما فرقوه من جريد النخل
على روس الاكام مجتمعا في مكان واحد في اعلا الجبل فرجعوا عند ذلك ما بها اليهم ومن
معهم الى ارض البهنسا وهذا ما حدثني به والله اعلم

ذكر مدينة الاشمونين

كانت من عظام مداين الصعيد يقال انها من بنا اشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وقال
ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولد ابيه وارغبهم في صنعه تبقى وبني ذكرها وهو
الذي بنى المجالس المصفحه بالزجاج الملون في وسط النيل ويقول القبط انه بنى سربا تحت
الارض من الاشمونين الى انصنا تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبناته لانهن كن يمضين
الى هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالرخام
الثخين الملون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكا وقال اهل الاثر انه ملك
ثماني مايه سنه وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمايه من ملكه واقاموا تسعين
سنه واستوبوا البلد فانتقلوا الى الدثينه من طريق الحجاز الى وادي القرى فعمروها
واتخذوا المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذر فاهلكهم وعاد ملك مصر الى اشمون
ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزه من نحاس فكان الغريب اذا جا ليدخل المدينه
صاحت الاوزه وصفقت بجناحيها فيعلم به فان احبوا منعوه وان احبوا تركوه
وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها ادويه وترياقات
ثم ساقوها بسحرهم الى وادي الحيات في جبال لوبيه ومراقيه يسجنونها هناك
وفي تواريخ النصارى ان المسيح عليه السلام لما قدمت به امه وهو طفل الى ارض مصر
نزلت اولا ظاهر مدينه بسطه ثم مضت وعدت النيل الى الجانب الغربي ومضت
ال

الى الاشمونين وكان على اعلا المدينه صورة فرس على اربعه اعمده اذا اقدم غريب
صهلت فعندما قدم المسيح سقط هذا الفرس وتكسر وقال في كتاب هروشيس ان
اشمون بن قبط اول ملوك المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راعو بن فالغ بن
عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح وان سني الدنيا صارت الى زمان شاروخ
الفين وسبعمايه وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان ستمايه وثلاث وستين
سنه وبها كانت فرهة الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها الفرش القرمز الذي
يشبه الارمني وكان ينزل بارض الاشمونين عده بطون من بني جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه وكانوا باديه اصحاب شوكه وكان معهم بنو مسلمه بن عبد الملك
ابن مروان حلفا لهم ومعهم بطن اخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان اباهم كان مولى لعبد الملك
ابن مروان ويزعمون انهم من بني اميه صليبه وكان معهم ايضا حلفا لهم بنو خالد
ابن يزيد بن معويه بن ابي سفين ينزلون بارض دلجه عند اشمون

ذكر مدينة اخميم

ضبطها البكري بكسر الهمزه واسكان الخا
ثم ميم ويا وميم على ابنا افعيل وهي في الجانب الشرقي من النيل والذي بناها
منافوس بن احد ملوك القبط الاول قال ابن وصيف شاه كان رجلا محنكا ط
فاستانف العماره وبنى القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك
والحكما وعمل العجايب وبنى لنفسه مدينه انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب
عليه اربعه اعلام في كل ركن من اركانه علم وبين تلك الاعلام تماثيل صنما من
نحاس واخلاط في ايديها السلاح وزبر على صدورها اماراتها وكان يخدمه رجل
من اولاد الكهنة من اعلم الناس بالسحر وابصرهم باخذ التماسيح والسباع وكان يعلم
الغلمان السحر فاذا حذقوا اعلم غيرهم فامر الملك ان يبنى له مدينه ويحول اليها وهي
اخميم فملكهم منافوس نيفا واربعين سنه ومات فدفن في الهرم المحاذي لاطفيح
ومعه شي كثير من المال والجوهر والانيه والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت
الذي هلك فيه قال وذكر اهل اخميم ان رجلا اتى من الشرق وكان يلزم البربا
وياتي اليه كل يوم ببخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة في عضادة الباب فيجد
تحتها دينارا فياخذه وينصرف ففعل ذلك مده حتى وشى به غلام له الى عامل

البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد وكانت بربا اخميم من عجب البرابي واعظمها
فدسنت لخزن دخايرهم فانهم قضوا على اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرانين لكنهم
اختلفوا فيه فقال بعضهم يكون نارا فتحرق جميع ما على وجه الارض وقال اخرون بل يكون
ما فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر
وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع في سمك ذراعين وهي سبعة
دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة اذرع مدهونة
باللازورد وغيره من الاصباغ التي تحسر الناظر كانما فرغ الدهان منها الجديدة وكان
كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز
منقوشة بصور مختلفة الهيات والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيميا
والسيميا والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك اودعوها تلك
الصور وذكر ابن جبير في رحلته ان طول هذه البربا مايتان وعشرون ذراعا
وسعتها مايه وستون ذراعا وانها قايمة على اربعين سارية سوى الحيطان
دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا ورؤسها في نهاية
العظم كلها منقوشة من اسفلها الى اعلاها ومن راس كل سارية الى الاخرى لوح
عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة
اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من الواح الحجارة كانها فرش واحد فيه
التصاوير البديعة والاصبغة الغريبة كهيئة الطيور والادميين وغير ذلك في
داخلها وخارجها وعرض حايط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة كذا قاسه
ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمايه ويقال ان ذا النون عرف منها علم
الكيميا وما زالت هذه البربا قايمة الى سنة ثمان وسبعمايه فخربها رجل من اهل
اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين ابي بكر بن الخطيب علم الدين علي ونال منها مالا فلم
تطل حياته ومات ومن حينيذ تلاشى امر اخميم الى ان خربت وقد ذكر ان روحانية
بربا اخميم كانت في هيئة غلام امرد عريان وان قوما دخلوها مرة فشعثهم واخذتهم
ضربا وجيعا حتى خرجوا هاربين وحكي مثل ذلك عمن دخل الاهرام ايضا وحكي ان رجلا
الصق على صور من بربا اخميم شمعا فكان اذا تركها في موضع اجتمعت العقارب

اليها

اليها واذا وضع الشمعة في بابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بربا
اخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهوا وفي جبهته
وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحايط وكان يذكر ان من احتال حتى
ينقب على ذلك الاحليل حتى يخرجه من غير ان ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا
يزال منعظا الى ان ينزعه ويجامع ما احب ولا يفتر ما دام معلقا عليه وان بعض
من ولي اخميم اقتلعه فوجد منه شيا عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من
اخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر الف عريف على السحرة وكان بها شجر اللبخ
ويقال ان الذي بنى بربا اخميم اسمه ذومريا وانه جعل هذه البربا مثلا للامم الاتية
بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التي يفتخرون بها وصور
فيها الانبيا والحكما وكتب فيها من ياتي من الملوك الى اخر الدهر وكان بناوه اياها
والنسر في راس الحمل والنسر عندهم يقيم في كل برج ثلاثة الاف سنة ول[illegible] والنسر
في زمننا باخريات برج الجدي فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين
الف سنة وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب ان
هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها اربعة ابواب ففي كل باب الى بيت
له اربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي مدينة العقاب
غربي اهرام بوصير الجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليها للراكب المجد وقد عور طريقها
وعمي المسلك اليها والسمت الذي يودي نحوها وفيها عجايب البنيان والجواهر
والاموال وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش
كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال
له عون فسار الى مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل مصر واستباح اهلها
ثم سنح له ان يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخلف عونا على مصر
واقام في غيبته اربعين سنة وان عونا بعد سبع سنين من مسيره تجبر بمصر
وادعى انه الملك وانكر ان يكون غلام الوليد وانما هو اخوه وغلب بالسحر وسنا
الجوائز فمال الناس اليه ولم يدع امراة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه

وقتل صاحبه وهو مع ذلك يلزم الكنيسة ويعظم الهياكل فاتفق انه راى الوليد في منامه وهو يقول له من امرك ان تسمى باسم الملك وقد علمت انه من فعل ذلك فقد استحق القتل ونكحت بنات الملوك واخذت الاموال بغير واجب ثم امر بقدر مليت زيتا واحميت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فاتاه عقاب فاختطفه وحلق به في الجو وجعله في هوة على راس جبل فسقط الى واد فيه حماه منتنه فانتبه مرعوبا وقص ذلك على الكهنة فقالوا الذي خلصك منه ان تعمل عقابا وتعبده فانه الذي خلصك في يومك فقال اشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه فعمل عقابا من ذهب وجعل عينيه جوهرتين وشحه بالجوهر وعمل له هيكلا لطيفا وارخى عليه ستور الحرير واقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فاقبل عون على عبادته ودعى الناس الى ذلك فاجابوه ثم امر فجمع له كل صانع لمصر واخرج اصحابه الى صحرا الغرب لطلب ارض سهله حسنة الاستوا فدخل اليها من مواضع صعبه وجبال وعرة بحث تقرب من مغيض الما التي هي اليوم الفيوم وكانت مغيضا لما النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام لبحر المنهى الى المدينه فخرجوا واقاموا شهرا يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا احد له بصر بالبنا وقطع الصخور ونحتها الا وجه به وانفذ الف رجل من الجيش وسعى به ساحر لعاونتهم وانفذ معهم الالات والازواد على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم في صحرا الغرب واصحبه من خلف الاهرام فلما تكامل له ما اراد من نحت الحجارة خطوا المدينه فرسخين في مثلها وحفروا في الوسط بيرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس باخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشي من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرارته وجعلوا في اذنه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قلة من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بايات زحل ثم سقفوا البير من الجهات الاربع في كل جهة سربا الى حيطان المدينه وعملوا على افواهها منافس تجذب الهوا وسدوا البير وعقدوا فوقها قبة

علا

على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع متصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل من فرسان من نحاس بايديهم حراب ووجوههم تجاه الابواب وجعلوا اساس المدينه من حجر اسود فوقه حجر احمر عليه حجر اصفر من فوقه حجر اخضر وفوق الجميع حجر ابيض سقف وكلها مثبته بالرصاص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من حديد على شكل الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى راس كل باب حصن باعلاه عقاب كبير من صفر واخلاط قد نشر جناحيه وهو اجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربه ووجهه الى خارج المدينه وساق الما الى الباب الشرقي ينحدر فيصب الى الباب الغربي ويخرج الى الصهاريج وكذلك من الباب الجوفي الى الشمالي وقرب العقاب عقبانا ذكورا واجتلب الرياح الى افواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هايله وكلها ارواحا تمنع الداخل اليها الا ان يكون من اهلها ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينه على قاعدة باربعه اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنه فلما تم ذلك نقل الى المدينه الاموال والجواهر التي لمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنه واصحاب الصنايع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل لها ربضا لاصحاب المهن والزراعه وعقد على تلك الانهر قناطر يمشي عليها الداخل الى المدينه وجعل المايد ورحول الربض ونصب عليها اعلاما وحرسا ثم غرس وراء ذلك ما يتصل بالربض النخل والكروم وجميع اصناف الشجر على اقسام مقسومه ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة فكان ذلك نحوا من الوليد قال وبين هذه المدينه وبين منف ثلاثه ايام وكان يخرج اليها ويقيم فيها ثم يعود الى منف وكان لها اربعة اعياد في السنه وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمان قلبه الى ان وافى اليه كتاب الوليد من النوبه يامره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما اراد وحول اهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبرا الى المدينه فلما قرب

الوليد خرج اليه وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع بما فعله
عون فغضب وهم ان يبعث اليه بجيش يعرف بخبر المدينه ومنعتها وخبر السحره
فكتب اليه ان يقدم عليه ويحذره عاقبة التخلف فاجابه ما على الملك منى مؤونه ولا تعرض
ولا عبث فى بلده لانى عبده وانا له ردو فى هذا المكان من كل عدو ياتيه من الغرب
ولا اقدر على المصير اليه لخوفى منه فليقرنى الملك بحالى كاحد عماله وا وجه اليه ما
يلزمنى من خراجه وهداياه وبعث اليه باموال جليله وجوهر نفيس فكف عنه واقام
الوليد بمصر حتى مات

ذكر مدينة الفيوم

اعلم ان موضع
الفيوم كان مغيض ما النيل فلما ولى يوسف الصديق عليه السلام تدبير امور مصر عمرها
فى ما قدمنا من وصف شانه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه
نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا متمكنا فوعد
بالجميل واسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال فى الخاص والعام وملك
على البلد رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذى تسميه اهل الاثر العزيز
فامر ان ينصب له فى قصر الملك سرير من فضه يجلس عليه ويغدو ويروح الى باب
الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فلقى نهراوش ما خلف سريره وقام بجميع
اموره وخلاه للذاته فانغمس نهراوش فى لهوه ولم ينظر فى عمل ولا ظهر للناس حينا
والبلد عامر وهو لا يسال عن شى وعمل له مجالس من زجاج ملون وحولها ما فيه
اسماك مفرطه وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عظيم
وعملت له عدة منتزهات على عدة ايام السنه وكان كل يوم فى موضع منها وعمل
له فى كل موضع من الانيه والفروش ما ليس لغيره فاتصل بملوك النواحى تشاغله بلذاته
وتدبير اطفين فسار ملك من العمالقه يقال له ابو قابوس عاكن بن نحوم الى مصر
ونزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشا عليه قايد يقال له برياس فاقام يحاربه
ثلاث سنين فظفر به العمليقى وقتله وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه فى البلد
فاجتمع الناس الى قصد الملك واستغاثوا فخرج اليهم وعرض جيوشه وخرج فى سبعمايه
الف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم
العمليقى وتبعه نهراوش الى حدود الشام وقتل خلقا من اصحابه وافسد زروعهم

واشجارهم

واشجارهم وحرق وصلب ونصب على الاماكن التى وصلها وزبر عليها انى لمن تجاوز
هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وبنى عند
العريش مدينه لطيفه وشحنها وتلك الناحيه بالرجال ورجع الى مصر فحشد
من جميع الاعمال جنودا واستعد لغزو ملك الغرب وخرج فى سبعمايه الف
فمر بارض البربر وجلا كثيرا منهم وجهز قايدا الى سفر ناحيه رقوده الى جزاير من بافث
فغاث فيها وخرج من ناحيه ارض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال حملوه اليه
ومضى الى افريقيه وقرطاجنه فصالحوه على مال ومر حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى
بحر الروم وهو موضع الاصنام النحاس فاقام هناك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه
وضرب على اهل تلك النواحى الخراج وعدا الى الارض الكبيره وسار الى الاندلس فحاربه
ملكها اياما ثم صالحه على مال وان يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف على غربى
البحر مشرقا فى بلاد البربر فلم يمر بامه الا ودخلت فى طاعته ومر فى الجنوب فقتل
خلقا وبعث قايدا الى مدينه على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال
الريان ومصالحة الملوك له فقال ما بلغنا احد قط وسال له القايد عن البحر هل
ركبه احد فقال ما يقدر احد على ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياما وقدم
الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة اكثرها الموز وحجارة سود اذا جعلت فى الماء
صارت بيضا ثم سار الملك على امم السودان الى مملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا
اليه عراة فهزمهم وظفر بهم ومر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فرجع شمالا حتى
انتهى الى تمثال من حجر احمر يومى بيده ارجعوا وعلى صدره مزبور ما ورايى احد نساره
الى مدينه النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادى المظلم وكانوا يسمعون منه جلبه
عظيمه ولا يرون احدا لشدة ظلمته وسار الى وادى الرمل فراى على عمد اصناما
عليها اسما الملوك فاقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما استوى الرمل جاز عليه الى
الخراب المتصل بالبحر الاسود فراى سباعا تنهش بعضها على بعض فعلم انه لا مذهب
له من ورايها فرجع وعدا وادى الرمل ومر بارض العقارب فهلك بعض اصحابه
ورقوا عن انفسهم اذاها بالرقا وجازها الى مدينة الحكما ويعرف بمدينة البلند
ففروا منه الى جبل فاقام عليها اياما حتى كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه

غمام

من الجبل رجل من افاضل الحكما وقد لبس شعر جسده فقال للملك اين تريد ايها المغرور
الممدود له في الاجل المرزوق فوق الكفايه اتعبت نفسك وجيشك الا احرزت
ما تملكه واتكلت على حال الفلك ورفضت الراحة وتركت الغنا والعز بهذا الخلق فعجب
من قوله وساله عن الما فدله عليه وساله عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه
احد ولا بلغه قبلك احد فقال ما عيشكم قال من اصول النبات نقنع به ويلقي
اليسير قال فمن اين تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال زهاده
في محل الظلم والا فليس لنا ما نخاف عليه قال فكيف اذا حميت الشمس قال ناوي الي
غيران تحت هذا الجبل قال فهل لكم في مال الملك لكم قال انما يريد المال اهل الترف
ونحن لا نستعمل منه شيا استغنا عنه بما قد استكفينا به وعندنا منه ما لو رايته
لاحتقرت ما عندك قال فارنيه فانطلق نفر من اصحابه الى ارض في سفح جبل لهم
فيه قضبان ذهب نابته واراهم واديا لهم في حافته حجارة زمرجد وفيروزج فامر
نهراوش اصحابه ان يحملوا من كبار تلك الحجاره ففعلوا وراى الحكيم جماعة الملك يصلون
الى صنم يحملونه معهم فسال الملك الا ينعم بارضهم وخوفه من عباده الاصنام فودعه
وسار فلم يمر بامه الا اثر فيهم حتى بلغ النوبه فصالحهم على مال واقام على دمقله
صنما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينه منف فكان اهل كل مدينه من
مداين مصر يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين والطيب الى ان بلغ منف فخرج
اهلها اليه مع العزيز باصناف الرياحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلس
من زجاج ملون وفرشه باحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين وجعل فيه
بحر من زجاج سماوي وفي ارضه شبه السمك من زجاج ابيض فنزل الملك فيه واقام
الناس ياكلون ويشربون اياما كثيره وتفقد جيشه ففقد منهم سبعين الفا ووجد
ممن اسره نيفا وخمسين الف وكانت مده غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى
عشره سنه فلما بلغ الملوك قدومه هابوه واشتد باسه وتجبر وبنى من الجانب
الشرقي قصورا من رخام ونصب عليها اعلاما وامر بالعماره واصلاح الجسور
واستنباط الاراضي حتى زاد الخراج على مايه الف الف دينار ودخل الى البلد في
ايامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس

ناحيه

بناحيه الموقف اليوم فوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم
خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه اطفير العزيز لهديه الى الملك فلما اتى
به قصره راته امراته زليخا وهي ابنه عمه فقالت اتركه لنا نربيه لعله ينفعنا ففعل
وكان من امرها ما قصه الله سبحانه في القران فكانت تكتم حبه حتى غلبت فخلت به
وتزينت له وعرفته انها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبته بمال عظيم فامتنع
من ذلك ورامت ان تغلبه فما زالت تعاركه وهو يمتنع عليها الى ان وافا زوجها
وراه وهو هارب منها وكان العزيز عنينا لا ياتي النسا فجعل يوسف يعتذر اليه
وقالت اني كنت نايمة فاتاني يراودني على نفسي وتبين من شاهد اهلها ان الامر
من قبل امراته فقال ليوسف اعرض عن هذا اي عن اعتذارك وقال لها استغفري
لذنبك وقد كان خبر اطفير والغلام بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف
على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنسا الخاصه فعيرنها
بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت مجلسين متقابلين
وفرشتهما بديباج اصفر مذهب وارخت عليهما ستور الديباج وامرت المواشط
بتزيين يوسف واخراجه من المجلس الذي يحاذي المجلس الذي كانت مع النسوه
فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فاخرجته المواشط وقد نظمن شعره باصناف
الجواهر والبسنه ثوب ديباج اصفر قد نسج بدارات حمر مذهبه فيها اطيار
صغار خضر مبطن ببطانه خضرا ومن تحته غلاله حمرا وعلى راسه تاج قد نظم
بالدر والجوهر واخرجن من تحت التاج اطرار شعره على جبهته ورددن ذوايبه
على صدره وجعلن جبهته مكشوفه والتاج يحيط بها وفي اذنيه قرطي جوهر ومن
خلف طوق القبا شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب والجوهر
وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشذر بجوهر احمر ودر فاخر وفي وسطه منطقه
ذهب فيها كواكب جوهر ملون ولها معاليق منظومه والبسنه خفين ابيضين
منقوشين باخضر على نقوش ذهب وجعلن للقبا الذي عليه وشاحين على كتفيه
وفراويز تحط باسفله ولكمه من جوهر اخضر وعفرن صدغيه على خديه وكحلن
عينيه ودفعن اليه مذبه مذهبه شعرها اخضر فلما فرغ النسا من طعامهن

وشربن اقداحا قدمت اليهن سكاكين نصبهن من جوهر ليقطعن بها الفاكهة فقال
ايتهن احدا ان يرجا وهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حديثكن في امري مع
عبدي فقلن انما الامر كما بلغك لانك على قدر من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد
الملوك لحسنك وشرفك فكيف رضيتي بغلامك قالت لم يبلغكن الصدق ولا
هو عندي بهذا واومات الى الماشطة ان تخرج يوسف فرفعن الستور عن المجلس
الذي يحاذي مجلسهن وبرز يوسف منه محاذيا بوجهه الشمس فاشرق المجلس وما
فيه من وجه يوسف واقبل بالمروحه وهو يروحهن فوقف على راس زليخا يذب
عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقطعن ايديهن موضع الفاكهة التي كانت
معهن ولا يعقلن الكلام ذهولا من بالهن من حسن يوسف فقالت لهن زليخا
ما لكن قد اشتغلتن عن خطابي بالنظر الى عبدي فقلن معاذ الله ما هذا عبدك
ان هذا الا ملك كريم ولم يبق منهن امراه الا حاضت وانزلت شهوة من محبته فقالت
زليخا عند ذلك فذلكن الذي لمتنني فيه فقلن ما ينبغي لاحد ان يلومك في هذا ومن
لامك فقد ظلمك فقد ويلك فقالت قد فعلت فاني على مخاطبته لي وكانت كل
واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا الى نفسها وتبذل له وهو يمتنع عليهن فاذا
يئست منه ان يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا وقالت مولاتك تحبك وانت
تكرهها ما ينبغي ان تخالفها فقال مالي بذلك حاجة فلما راين ذلك اجمعن على اخذه
غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لامنعنه اللذات ولاسجننه ولانزعن
جميع ما اعطيته فقال يوسف رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فاقسمت بالالهة
وكان صنما من زبرجد احضر باسم عطارد انه ان لم يفعل ليعجلن له ذلك ثم امرت
فنزع ثيابه والبسته الصوف وسالت العزيز حبسه لزوال ما قذفت به فامر به
فحبس ورأى الملك في منامه كان اتيا اتاه فقال له ان فلان وفلانا قد عزما على
قتلك يريد صاحبي طعامه وشرابه فلما اصبح قررهما فاعترف احدهما وقتل اعترف
احدهما وانكر الاخر فامر بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم صاحب
الشراب مرطس وكان يوسف وهو في السجن رؤوفا لمن فيه وبعد لهم الفرج فاخبره
صاحبا طعام الملك وشرابه برؤياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه يوسف

راي الملك البقرات والسنابل تعرفه الساقي خبر يوسف فمضى اليه وقص
عليه فلما عاد الى الملك قال جيئوني به فقال يوسف ما اخرج او يكشف امر النسوة
اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك واعترفت زليخا بالقصه ووجه اليه
فاخرج وغسل من درن السجن والبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما راه امتلاء
قلبه من محبته واكباره وساله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال
الملك ومن يقوم لي بذلك فقال انا فخلع عليه خلع الملوك والبسه تاجا وامر
ان يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز
واستخلفه الملك على ملكه مكانه ويقال ان العزيز اطعين كان قد مات
فازوجه امراته وقال لها يوسف هذا اصلح مما اردت فقالت اعذرني ان زوجي
كان عنينا ولم تترك امراة الا صبا قلبها اليك من حسنك وجات سني خصب
في مصر فجمع الغلال وخزنها واكثر منها فلما جات سني الجدب بدا النيل في
النقصان وكان ينقص كل سنه اكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال
والجوهر والثياب والدواب والانيه والعقار وكان اهل مصر يهلكون عنها
لولا تدبير يوسف وقحط الشام ايضا فكان من مجي اخوة يوسف ما قصه الله تعالى
ووجه الى ابيه فحمل الى مصر وجميع اهله وخرج في وجوه اهل مصر فتلقاه وادخله
على الملك وكان يعقوب مهيبا فاعظمه الملك وساله عن سنه وصناعته
وعبادته فقال سني عشرون ومايه سنه واما صناعتي فلنا غنم نرعى بنفقتها
واعبد رب العالمين الذي خلقني وخلقك وهولاء اباي والاهك واله
كل شي وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني اخاف ان يكون
خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فاسأل الساحر فقال الكاهن ليعقوب
ارني الاهك ايها الشيخ قال الهي اعظم من ان يرى قال فانا نرى الهتنا قال
ان الهتكم من ذهب وفضه وحجاره وجوهر ونحاس وخشب مما يعمله بنو ادم
وهم عبيد الرب لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن ان كل شي لا تراه العيون ليس
بشي فغضب يعقوب ولذبه وقال ان الله شي لا كالاشيا وهو خالق كل شي لا اله
الا هو قال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لكنه واحد قدير مدبر ازلي

يرى ولا يُرى وقام يعقوب مغضبا فاجلسه الملك وامر الكاهن فكف عنه فقال
الكاهن انا نجد في كتبنا ان خراب مصر يجري على ايدي هولا فقال الملك هذا يكون
في ايامنا قال لا ولا في مدة كبره والصواب ان يقتله الملك ولا يبقى من ذريته احدا
فقال الملك ان كان الامر كما يقول فلا يمكننا ان ندفعه ولا نقدر على قتل هولا وانزل
يعقوب ومن معه بوادي السدير الى ان مات فحمل الى قرية ابرهيم عليه السلام
ودفن عنده ويقال ان نهراوش الملك امن وكتم ايمانه خوفا من قومه ثم دام امره واقام
ملكا مايه وعشرين سنه وفي وقته عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا وشوا
به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاختبره فقال له اني وهبت هذه الناحيه
لابني وكانت مغايض للماء فدبرها لها فعملها يوسف واحتال للمياه حتى اخرجها
وقلع ادغالها وساق النهر وبنى اللاهون وجعل الماء فيها مقسوما موزونا
وفرغ منها في شهور اربعه فعجبوا من حكمته ويقال انه اول من هندس بمصر
ومات نهراوش فخلف ابنه دريموش وتسميه اهل الاثر دارم بن الريان وهو
الفرعون الرابع عندهم فجاء الف سنة ابيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه بعضا
ويخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مايه وعشرون سنه فكفن وجعل
في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فاخصب ونقص الشرقي فحولوه اليه
فاخصب ونقص الغربي فاتفقوا على ان جعلوه في الشرقي عاما وفي الغربي عاما
ثم حدث لهم من الراي ان جعلوا له حلقا وبنوا قناطر وشدوا التابوت في وسط النيل
فاخصب الجانبان كلاهما وقال ابن عبد الحكم فملكها الريان بن الوليد بن دومع
وهو صاحب يوسف النبي عليه السلام فلما راى الملك روياه التي عبرها يوسف ارسل
اليه الملك فاخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنه فاتاه الرسول فقال الق
عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعا له اهل السجن وهو يوميذ
ابن ثلاثين سنه فلما اتاه راى غلاما حدثا فقال اتعلم هذا روياي ولا يعلمها السحرة
والكهنه واقعده قدامه وقال له لا تخف فلما استنطقه وسايله عظم في
عينه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه والبسه طوقا من
ذهب وثيابا حريرا واعطاه دابه مسرجه مزينه كدابه الملك وضرب بالطبل

بمصر

بمصر ان يوسف خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال ليوسف قد سلطتك على
مصر غير اني اريد ان اجعل كرسيي اطول من كرسيك باربع اصابع قال يوسف نعم
قال واجلسه على السرير ودخل الملك بيته مع نسايه وفوض امر مصر كلها اليه بسبب
عبارة روبا الملك ملك يوسف مصر وعن الليث بن سعد قال حدثني مشيخة لنا
قال اشتد الجوع على اهل مصر فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا فاشتروا
بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشتروا باغنامهم حتى لم يجدوا غنما فلم يزل يبيعهم الطعام
حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاه ولا بقره في تلك السنين فاتوه في الثالثة
فقالوا له لم يبق لنا الا انفسنا واهلونا وارضونا فاشترى يوسف ارضهم كلها لفرعون
ثم اعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على ان لفرعون الخمس قال وفي ذلك الزمان استنبطت
الفيوم وكان سبب ذلك ان يوسف لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون
وجاوزت سنه مائة سنة قال وزرا الملك له ان يوسف قل علمه وتغير عقله ونفدت
حكمته فعنفهم فرعون ورد عليهم مقالتهم واسا اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك
القول بعد سنين فقال لهم هلموا ما شيتم من اي شي اختبره به وكان بلد الفيوم
اليوم يدعا الجوبة وانما كانت لمصالة ما الصعيد وفضوله فاجتمع رايهم على ان تكون
هي المحنة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف ان يصرف ما الجوبة
عنها ويخرجه منها فتزداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك فدعا يوسف فقال
قد تعلم مكان ابنتي فلانة مني وقد رايت اذا بلغت ان اطلب لها بلدا واني لم اصب
لها الا الجوبه وذلك انه بلد بعيد قريب لا يوتى من وجه الا من الوجوه الا من غابة
او صحرا وكذلك هي لا توتى من ناحيه من النواحي من مصر الا من مفازه او صحرا
فالفيوم وسط مثل كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا توتى من ناحيه من النواحي
الا من صحرا ومفازه قال وقد اقطعتها اياها فلا تترك وجها ولا نظرا الا بلغته
فقال يوسف نعم ايها الملك متى اردت ذلك فابعث الي فاني ان شا الله فاعل
قال ان احبه الي واوفقه اعجله فاوحي الى يوسف ان يحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلا
الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا
وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهي

من اعلا اشمون الى اللاهون وامر البنايين ان يحفروا اللاهون وحفر خليج الفيوم
وهو الخليج الشرقي وحفر خليجا بقرية يقال لها تنهمت من قرى الفيوم وهو
الخليج الغربي فخرج ماؤها من الخليج الشرقي فصب في النيل وخرج من الخليج الغربي
فصب في صحرا تنهمت الى الغرب فلم يبق في الجوبة ما ثم ادخلها الفعلة فقطع
ما كان فيها من القصب والطرفا واخرجه منها وكان ذلك ابتدا جري النيل وقد
صارت الجوبة ارضا نقية برية وارتفع ما النيل فدخل في راس المنهى فجرى فيه
حتى انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل
واخرج اليها الملك ووزراه وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك
قال لوزرايه اوليك هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم واقامت تزرع كما تزرع
غوايط مصر ويقال في خبر يوسف مدينة الفيوم انه لما وزر لفرعون ثلاثين
سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم اعزلك عن ريبة ولا اسا بركتك ولكن ابايي
عهدوا الي ان لا يتولى لنا وزير اكثر من ثلاثين سنة وانا نخشى ان يتاصل الوزير حتى
يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت نصحي لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكا لك
فاقطعني ارضا تكون لقوتي وقوت اهلي وعشيرتي فقال له فرعون اختر حيث
شيت ما شيت فمشى يوسف في قفار الارض حتى راى ارض الفيوم وفيها جبل
حايل بين النيل وبينها فوزن ما النيل حتى راى ان قاعتها مركبة النيل فخرق
خرقا في ذلك الجبل وساق الما فيه الى الفيوم فسقى الارض وعمل في جوانب الما
ثلاثماية وستين قرية على عدد ايام السنة وشحنها بالغلال والاقوات التي
ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بارض مصر باع كل يوم ما جمعه في
قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك فعظم شان يوسف
وكثر ماله فرده الملك بعد مدة الى وزارته وتوفي وهو وزير فاوصى بخروج
جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هرون بن افرايم بن يوسف في ماية الف من
بني اسرايل فهزمته الجبابرة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه وعاد من
بقي معه الى مصر فاقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا
فخرج ببني اسرايل من مصر ومعه جثة يوسف عليه السلام قال وقد سمعت في استخراج

الفيوم

الفيوم غير هذا ان يوسف عليه السلام ملك مصر وهو ابن ثلاثين فاقام يدبرها
اربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختل رايه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك
من الموات ارضا نقطعها لنفسك وتصلحها ونعلم رايك فيها فان رايناه من رايك
وحسن تدبيرك ما نعلم انك في زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض
البرية في نواحي مصر فاختار موضع الفيوم فاعطيها فشق اليها خليج المنهى من النيل حتى
ادخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا
انه انما عمل ذلك بالوحي وقوي على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا
الذي احياه يوسف من الفيوم لا يعلمون لمثله بمصر كلها مثالا ولا نظيرا فقالوا ما
كان يوسف قط افضل عقلا ولا تدبيرا ولا ارا منه اليوم فردوا اليه الملك فاقام
ستين سنة اخرى تمام ماية سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين وماية سنة قال ثم بلغ يوسف
قول وزرا الملك وانه انما كان ذلك منهم على المحنة منهم له فقال للملك عندي من
الحكمة والتدبير غير ما رايت فقال له الملك وما ذاك قال انزل الفيوم من كل كورة
من كور مصر اهل بيت وامر اهل كل بيت ان يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى الفيوم على
عدد كور مصر فاذا فرغوا من بنا قراهم صيرت لكل قرية من الما بقدر ما اصير لها
من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص واصير لكل قرية شربا في زمان لا ينالهم
الما الا فيه واصير مطاطيا للمرتفع ومرتفعا للمطاطي باوقات من الساعات
في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزاد فوق قدره
فقال له فرعون هذا من ملكوت السما قال نعم فبدا يوسف فامر ببنيان القرى وحد
لها حدودا وكانت اول قرية عمرت في الفيوم قرية يقال لها شانه وهي القرية
التي كانت تنزلها بنت فرعون ثم امر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من
ذلك استقبل وزن الارض ووزن الما ومن يوميذ احدثت الهندسة ولم يكن
الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياسا
بمنف قال جامعه وفي التوراة ان فرعون الزم بني اسرايل البنا وضرب اللبن
فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال المشارح هي الفيوم
وحوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده

مصر وهم ثلاثة وسبعون نفسا بين رجل وامراة فانزلهم يوسف ما بين عين شمس
الى العرما وهي ارض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر ارسل يهودا الى
يوسف فخرج اليه يوسف فلقيه فالتزمه وبكا فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه
وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون
ايها الشيخ كم اتى عليك قال عشرون ومائة وكان بمصر ثلثين ساحر فرعون قد
وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه واخبر ان
خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البربايات وصفات من خرب
مصر على يديه فلما راى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما ساله عنه ان قال
من تعبد ايها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله اله كل شي فقال كيف تعبد من لا ترى
قال يعقوب انه اعظم واجل من ان يراه احد قال فنحن نرى الهتنا قال يعقوب
ان الهتكم من عمل ايدي بني ادم من يموت ويبلى وان الهي اعظم وارفع وهو اقرب
الينا من حبل الوريد فنظر بعض الى فرعون فقال هذا الذي يكون هلاك بلادنا
على يديه قال فرعون اني ايامنا او في ايام غيرنا قال ليس في ايامك ولا في ايام ابنك
قال الملك فهل تجد هذا فيما تقضي به الهك قال نعم قال فكيف نقدر ان نقتل من
يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا تعبا بهذا الكلام وعن كعب ان يعقوب عاش
في ارض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفني بمصر واذا
مت فاحملوني فادفنوني في مغارة جبل حبرون وحبرون مسجد ابرهيم الخليل عليه
السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر وصبر
وجعلوه في تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوما حتى كلم يوسف
فرعون واعلمه ان اباه قد مات وانه ساله ان يقبره في ارض كنعان فاذن له وخرج
معه اشراف اهل مصر حتى دفنه ورجع وقيل قبر يعقوب بمصر فاقام بها خمس
ثلاثين سنة ثم حمل الى بيت المقدس اوصاهم بذلك بعد موته قال ثم مات الريان
ابن الوليد فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام
فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من ارض مصر الى ارض ابائكم فاحملوا عظامي
معكم فمات فجعلوه في تابوت ودفنوه في احد جانبي النيل فاخصب الجانب الذي كان

فيه

فيه واجدب الجانب الاخر فحولوه الى الجانب الاخر فاخصب الجانب الذي حولوه اليه
واجدب الاخر فلما راوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها في صندوق من حديد وجعلوا
فيه سلسلة واقاموا عمودا على شاطي النيل وجعلوا في اصله سكة من حديد وجعلوا
السلسلة في السكة والقوا الصندوق في وسط النيل فاخصب الجانبان جميعا وكان
سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام ان سارح ابنت اشر بن يعقوب عمرت حتى
صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام ببني اسرايل غشيتهم
ضبابة حالت بينهم وبين الطريق ان يبصروه وقيل لموسى لن تعبر الا ومعك عظام يوسف
قال ومن يدري اين موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع
موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال امرت ان احمل عظام يوسف قالت ما
كنتم لتعبروا الا وانا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليه فاخذ عظام
يوسف معه الى التيه ساحر

يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم احد الاسباط
الاثني عشر ولد بارض كنعان من بلاد الشام وراى احد عشر كوكبا والشمس والقمر
له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكادة اخوته على ذلك وباعوه من قوم
مدينين فصاروا به الى مصر وباعوه لقابد فرعون فاقام في منزله اثني عشر
شهرا ثم راودته امراة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى ان حبس ولبث
في السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى ان راى الساقي والخباز
ذينك المنامين وفسرهما يوسف وخرجا فانسي الساقي يوسف سنتين الى
ان راى الملك البقر والسنابل فذكره واتاه فقص عليه الرويا وعبرها فاخرج من
السجن وله حينئذ ثلثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت والى ان صار
يعقوب الى مصر تسع سنين منها سبع سنين من سني الشبع وسنتان من سني
الجوع وكان ليعقوب في السنة التي صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة
وكان اهل بيته حينئذ سبعين نفسا ومنذ صار الى مصر والى ان ولد موسى عليه
السلام مائة وثلاثون سنة اخرى ولما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفي وعمره مائة
وسبعة اربعون سنة فخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا له ان اباك

اوصى ان يغفر ذنب اخوتك فانك وهم عبيد الله الا ابيك فبكى يوسف وقال انهم
يحتاجون الى ذلك وعدتهم بخيرتمته لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشرون

ذكر ما قيل في الفيوم وخلجانه وضياعه

قال المسعودي كان يقال في متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها
وبها القمح الموصوف وبها يعمل الخيش وحكى المسعودي ان معنى الفيوم الف يوم قال
القضاعي الفيوم وهي مدينة دبرها يوسف النبي عليه السلام بالوحي وكانت ثلثمائة
وستين ضيعة تمير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمير مصر لسنة وكانت
تروى من اثنى عشر ذراعا ولا تستبحر بما زاد على ذلك قال يوسف عليه السلام اتخذ
لها مجرى وزنة ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وسماه اللاهون
وقال ابن رضوان الفيوم يختزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك
ترى هذا الماء اذا خلي يتغير لون النيل وطعمه واكثر ما يحس هذه الحال في البحيرة التي
تكون في ايام القيظ تسقط وينهبا وصاعدا الى ما يلي الفيوم وهذه حالة تزيد في
رداءة اهل المدينة يعني مصر وسيما اذا هبت ريح الجنوب فان الجنوب في مدينة
مصر على مسافة بعيدة من ارضها وقال القاضي السعيد ابو الحسن علي بن القاضي
المؤتمن ثقة الدولة ابي عمرو عثمن بن يوسف القرشي المخزومي في كتاب المنهاج في علم
الخراج وهذه الاعمال من احسن الاشيا تدبيرا واوسعها ارضا واجودها وطرا وانما
غلب على بعضها الخراب لخلوها من اهلها واستيلا الرمل على كثير من ارضها وقد
وقفت على دستور عمله ابو اسحق ابرهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحق لذكر خلجان الاعمال
المذكورة وما عليها من الضياع وقد اوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه
ما تغيرت اسماؤه ومنه ما جهلت مواضعه بالدثور ولكني اوردته ليعلم منه حال
العامر الان ويستضي به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من العامر وفي ايراده
مصلحة ليعلم شرب كل موضع من موضعه ونسخته دستور يشتمل على ما اوضحه
الكشف من حال الخلج الامهات لمدينة الفيوم وما لها من المواضع وشرب كل ضيعة
منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك عمل في جمادى الاخرة
سنة اثنين وعشرين واربعمائة سنبتدي بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال البحر

الاعظم الذي منه هذا الخليج فنذكر ما رتبه التي صلاحه بصلاحها

خليج الفيوم الاعظم

يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير
المعروف بالمنهى ذي الحجر اليوسفي وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسي
الساحرة من اعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية
والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة شربها منه وشرب كروم ما له كروم منها

الحجر اليوسفي

والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب والحجر المعروف عند
المعلمين بالصاروج وهو الحجر والزيت وبناؤه من جهة الشمال الى الجنوب ويصل
من نهايته من الجنوب بجدار ثان مثل بنايه على استقامة من الغرب الى الشرق
ويحصر ميلان منه في نهايته وطوله ماية ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا
الجدار على طول ثمانين ذراعا منه في جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب
وقبالته بنا الجدار الاعظم رد الماء اذا انتهى الحدود اثنى عشر ذراعا الى مدينة الفيوم
وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض
من حدود هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال الحسول ذراعا وبعد ما
بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة اذرع ومقدار المنخفض منه
اربعة اذرع وهذا المنخفض هو الذي يسد بحسر من حشيش يسمى لبشا وعرض ما
يجري عليه الماء وقت النيل وهو موضع اللبش وما قابله الى جهة الشرق اربعون
ذراعا وعليه تجري المراكب في وقت النيل ويحصر موضع اللبش ميلان فابتدا
سمك اللبش الثاني ويتصل بهذا الميل الى جهة الشمال ما طوله ثلثمائة واثنان
وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمر على استقامة الى
الشرق مبني بالحجر طوله على استقامة الى جهة المشرق مائة ذراع ثم ينخفض بعض
من حيث يتصل بهذا الجدار منه طوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان
وهذا المنخفض يسد ايضا بحسر حشيش يسمى اللكند وطول بقية الجدار الى نهايته
الى جهة الشمال مائة ستة وثلثون ذراعا وقبالة هذا طوله منه مبلط وفيه
قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذي عند
المسدود اليوم وكان عليها ابواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذرع

الجدار الاعظم نهايته ستماية اثنان وسبعون ذراعا بذراع العمل دون الجدار
المعترض من الغرب الى الشرق وتم بهذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعا حتى يتصل
بالجبل فتوجد اثاره في العبط مرورا على غير استقامه وعرضه مختلف وكل ما انتهى الى
سطحه قل عرضه وعرض اعلاه مع الظاهر من اسفله جميع سته عشر ذراعا
وفيه منافس يخرج منها الما وهي براخ زجاج ملونه تشبه المينا وازرق وسلماني
وهو من العجايب الحسنه في عظم البنا واتقانه لانه من الابنيه اللاحقه بمنارة الاسكندرية
ومنا الاهرام لم يتحرك ولا النيل لم علیه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغايه
وما تغير عن مستقره ويدخل الما من هذا البحر في هذا الزمان الى مدينة الفيوم من
خليجها الاعظم ما بين ارض الضيعتين المعروفتين بدموشه واللاهون ومنه شرب
ما بين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدواليب على اعناق البقر
وان قصر النيل عن الصعود الى سوارها سقت منه على اعناق البقر وزرعت
وينتهي في الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاواسي وليس عليه رسم في سد ولا فتح
ولا تعديل وينتهي الى الضيعه المعروفه ببياض فيلا بركتها وغيرها من البرك
وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها كفايته ومقدار شربها عليه وينتهي الى
الضيعه المعروفه بالاوسيه الكبرى فمنه شرب من مقسمين لها ومن مقسمها باب ومنه
اشرب نخلها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونه تعمل بالما ثم ينتهي الى ثلاث مقاسم
احدها الضيعه المعروفه بمرطينه منها مقسمان ومقسم لقبالات عده والمقسم
الثالث يسقي احداحيا النخل ولهذا الحي سواقي وبساتين قد خربت وجميعه
دايرته وكان لها بيوت في افنية النخل ثم ينتهي الى حي ناتي على صفة الاول ثم ينتهي
الى الضيعه المعروفه بالحربيه فيما بركتها وينتهي الى ثلاث مقاسم في صف وفوقها
خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهي الما من هذا الخليج الى
البطس وهو نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا ابا لين شربها منه من افواه لها
سيحا فاذا نضب النيل نصب على افواهها برسم صيد السمك شباك ثم ينتهي الخليج
الاعظم على سنته من بريد الفيوم الى خليج يعرف بخليج سمسطوس منه شرب سمسطوس
وغيرها وابا لين كثيره تجاور الصحرا من الشرق منه ومن قبليه وهي ما بين هذا الخليج

وخليج

وخليج الاواسي ثم ينتهي الخليج الاعظم ايضا الى خليج دهاله ومنه شرب عده ضياع وعليه
يزرع الارز وغيره ثم ينتهي الخليج الاعظم الى ثلاث خلج ثم ينتهي الى خليج بنيطاوه ولهذا
الخليج ثلاثة ابواب قبليه بوسفيه سعه كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمر
فيه الما وينتهي ايضا الى مانين بوسفيين ورسم لهذا الخليجان يسد هو وساير المطاطيه
على استقبال عشر يخلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر يبقى
منه ثم يسد الى عشر يخلو من طوبه ثم يفتح ليلة الغطاس الى سلخ طوبه ثم يسد على
استقبال امشير الى عشر تبقى منه ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشر يخلو من برمهات
ثم يفتح الى عشر يخلو من برموده ثم يعدل في موضعه وقد خرب ما على مجريه من
الضياع ويشرب منه عده ضياع ولهذا الخليج مغيض معمول تحت الجبل يفتح
يخرج منه الما في زمان تكاثره ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خليج دله وهو من المطاطيه
وحكمه في السد والفتح والتعديل والتخيير كما تقدم وهو على نسبة من بريد المدينه
وله بابان بوسفيان مبنيان بالحجر سعه كل منهما ذراعان وربع ومنه شرب
عدة ضياع امهات وغيرها وفي وسطه مغيض لزمان الاستبحار يفتح فيغيض
الما الى البركه العظمى وفي اقصى هذه البركه ايضا مغيض له ابواب يقال انها
كانت من حديد فاذا اراد فتحت الابواب فمضى الما الى الغرب وقيل انه لم الى
سنتريه وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيره تشرب على اعناق البقر
وينتهي الخليج الاعظم الى خليج المخونه سمي بذلك لعظم ما يصير اليه من الما وحكمه
في السد وغيره على ما ذكر ومنه يشرب ضياع كثيره وبه تدار طواحين واليه
يصير فضلات مياه الضياع القبليه والى بركه في اقصى مدينه الفيوم تجاور
الجبل المعروف باي قطران ويلتقي ما يصب من فضلات البحريه فيها
وهي البركه العظمى ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خليج بنلاله وله بابان بوسفيان
سعه كل منهما ذراعان وثلث ذراع وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا
تخيير الا في بعض النيل فانه يحير بحبس ومنه شرب طوايف المدينه وعده اراضي
وضياع ومنه يوهه خليج البطس الذي يصير اليه مما فضل المياه وفيه ابواب
تسد حتى يصعد الما الى اراضي مرتفعة بمقدار معلوم واذا احدث بالسد حدث

الضياع ص

بفضله كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان من جانبيه في قبليه وبحريه ثم ينتهي الى خليج يسمو وهو على لمنه من بريد مدينة الفيوم وهو من المطاطبه وله بابان بوسفيان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم ما تقدم ومنه شرب طوايف كثيرة وعدة ضياع وينتهي الى اربعة مقاسم بابواب والى خليج فيه ستاذ روان ينزل عليه الما وينتهي الخليج الاعظم الى عدة خلجان يسقي ضياعا كثيرة منها خليج ببدو دونه عين حلوة فاذا سد هذا الخليج سقى منها اراضي ما جاورها وظهرت هذه العين لما عدم الما وحفر هذا الموضع ليعمل بيرا فظهرت منه هذه العين فاكتفي بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان بها ستاذروانات ومقاسم قديمة يوسفيه وبها ابواب يوسفيه لها رسوم في السد والفتح تشرب منها عدة ضياع كثيرة ورسم الترع ان يسد جميعها على استقبال عشرة ايام خلوا من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك مدة عشرين يوما ويسد لعشر يسقى منه الى الغطاس ويفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبه ويسد على استقبال امشير عشرين يوما ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمهات ويفتح عشرة ايام خلوا من برموده ثم تعدل فيها بعمارتها ولم في التعديل قسم يعطى منه كل ناحية شربها ما العدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت اسما الضياع التي ذكرها لخراب اكثرها الان والله اعلم

ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيه من المرافق

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرايد الخيل الى القرى التي حولها فاقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى اتاهم رجل فذكرها لهم فارسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي فلما سلكوا في المجابه لم يروا شيا فهموا بالانصراف فقالوا لا تعجلوا سيروا فان كان كذب فما اقدركم على ما اردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال والقوا بايديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفض المجابه ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما راى سوادها رجع الى عمرو فاخبره ذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فراث على

على عمرو خبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت فركب فرسه فاجاز عليه البحر وكانت انثى فاتاه الخبر ويقال انه اجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمى والله اعلم وقال ابن الكندي في كتاب فضايل مصر ومنها كورة الفيوم وهي بلثمانية وستون قرية دبرت على عدد ايام السنة لا تنقص عن الري فان قصر النيل في سنة من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا بنا بالوحي علمه هذا للكورة ولا بالدنيا بلد انفس منه ولا اخصب ولا اكثر خيرا ولا اغزر انهارا ولو قايسنا انهار الفيوم انهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من اهل العقل والمعرفه مرافق الفيوم وخيرها فاذا هي لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لاحد من مسلم ولا معاهد يستغني به القوي والضعيف فاذا به فوق السبعين صنفا وقال ابن زولاق في كتاب الذيل على امرا مصر للكندي وعقدت لكافور الاخشيدي الفيوم في هذه السنة يعني سنة ست وخمسين وثلثمائة ستمائة الف دينار وستين وعشرين الف دينار وقال القاضي الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة الف دينار واثنين وخمسين الف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير وقال البكري والفيوم معروف بها للنحل كل يوم الفي مثقال ذهبا

مدرسة النحريرية

كانت ارضا مقطعة لعشرة من اجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدي فاخذ قطعة من اراضي زراعتهم وجعلها اصطبلا للدوابه وحيله فشكاه شركاوه الى السلطان الملك المنصور قلاون فساله عن ذلك فقال اريد ان اجعله جامعا تقام فيه الخطبه فاذن له السلطان في ذلك فابتدا عمارته في اخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة حتى كمل في سنة خمس وثمانين وعمل له السلطان منبرا واقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا وانشا السعدي حوانيت حول الجامع فلم يزل بيده حتى مات وورثه ابناه غرس الدين خليل وركن الدين عمر فباعوها بعد مدة للامير سنجر العمري فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشاهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الاراضي بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت

مدينة من مدائن اراضي مصر بحيث بلغت اموال القنطار من فيها وترقى سنقر السعدي
في الخدم حتى صار من الامرا وولي نقيب المماليك السلطانية وانشا المدرسة
السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل
في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبنى ايضا رباطا للنسا وكان شديد الرغبة في
العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنا ثم انه اخرج الى طرابلس وبها مات
سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

ذكر تاريخ الخليقة

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين
ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا تنكره الجماعة او اكثرها وذلك
ان التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يلذ ذكره الاسماع وكانت زيادة
ما النيل ونقصانه انما تعتبرها اهل مصر ويحسبون ايامها بشهور القبط
وكذلك خراج اراضي مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضي انما
يعتمدون في اوقاتها ايام الشهور القبطية عادة سلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا
مناهج قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر اسير العوايد احتيج في هذا الكتاب
الى ايراد جملة من تواريخ الخليقة لتبيين موقع تاريخ القبط منها فانا نذكر ذلك بحسب
الغرض فاقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما ياتي بعده ويقال ايضا التاريخ
عبارة عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض ليعرف بها الاوقات المحدودة
ولا غنا عن التاريخ في جميع الاحوال الدنياوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر
تاريخ يحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة اوقات ازمنتها تنفرد به دون غيرها من
بقية الامم واول الاوائل القديمة واشهرها هو كون مبدا البشر ولاهل الكتاب من
اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في
التواريخ وكلما يتعلق بمعرفته مبدا الخلق واحوال القرون السالفة فانه مختلط
بتزويرات واساطير لبعد العهد وعجز المعتني به عن حفظه وقد قال الله جل جلاله
الم ياتكم نبوا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى
ان لا نقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب انزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه
نسخ ولا طرقه تبديل او خبر ينقله الثقات واذا نظرنا في التاريخ وجدناه بين الامم

فلا فاكثر او سائلوا عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا في كتاب واقدم بين يدي
هذا القول ما قيل في مدة بقا الدنيا

ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا وما مضى منها

اعلم ان الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسئلة فقال قوم من
القدما الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهولاهم القائلون بعود العوالم
كلها على ما كانت عليه بعد الوقت من الاسنين معدودة وهم في ذلك على الظن
من جهة طول ادوار النجوم وذلك انهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا
ادوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا ان العدد المشترك لجميعها
هو عود سني العالم او ايام العالم وانه كلما مضى ذلك العدد عادت جميع الاشيا الى
حالها الاولى وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي معشر وغيره وسبح هولا خلق
كثير وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيا ما وذلك انك اذا
طلبت عددا مشتركا لعدة اعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج اياما معلومة
كالذي وضعه الهند والفرس فيها ولاجل انهم جهلوا صورة الحال في هذه الادوار
ظنوا انها عدد ايام العالم فقط ظن ترشد وعند هولا ان الدور هو اجتماع الكواكب من نقطة
وهي سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وان الكور هو استيناف الكواكب في ادوارها
سيرا اخر الى ان تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة ان الادوار
تنحصر في انواع خمسة الاول ادوار الكواكب السيارة في افلاك تداويرها الثاني ادوار
مراكز افلاك التداوير في افلاكها الحاملة الثالث ادوار افلاكها الحاملة في فلك
البروج الرابع ادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج الخامس ادوار الفلك
المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل
زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فاقصر
هذه الادوار ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل اربع
وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في ازمنة اخر اطول من هذه
لا حاجة بنا في هذه المسئلة الى ذكرها قالوا وادوار الكواكب الثابتة في فلك
البروج تكون في كل ستة وثلاثين الف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل
اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبهراتها وبالعكس

فوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها على ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان
والاشخاص والاوضاع بحيث لا تتخالف الادوار واحلة وهم مع ذلك مختلفون في كمية
ما مضى من ايام العالم وما بقي فقال البراهمة من الهند في ذلك قولا غريبا وهو على
ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب القانون المسعودي
انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين
مبدا وانتهاء عمره كعمرها اي مقدار مايه سنه بزعمهم وكل سنه منها ثلثمايه وستون
يوما زمان النهار منها بمقدار ملة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد
ولهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في اول برج الحمل باوجاتها
وجوزهراتها ومقدارها اربعه الاف الف سنه وثلث مايه الف الف سنه
وعشرون الف الف سنه شمسيه وهو زمان اثني عشر الف دوره للكواكب الثابته
على ان زمان الدوره الواحده ثلثمايه الف سنه وستون الف سنه شمسيه واسم
هذا النهار بلغتهم الكلبه وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل يسكن المتحركات
وتستريح الطبيعة عن اثارة الكون والفساد ثم تشرع في مبدا اليوم الثاني بالحركه
والتكوين فيكون زمان اليوم بليلته من سني الناس ثمانيه الاف الف سنه وستمايه
الف الف سنه واربعين الف الف سنه فاذا ضربنا ذلك في ثلثمايه وستين تبلغ
سني ايام السنه البرهمويه ثلاثه الاف الف الف الف سنه ومايه الف الف سنه
وخمسه الاف الف الف سنه واربعمايه الف الف سنه شمسيه فاذا ضربناها
في مايه تبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سني الناس ثلثمايه الف الف الف
الف سنه واحد عشر الف الف الف سنه واربعين الف الف سنه شمسيه
فاذا انتهت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شاء الله ثم يستانف من
جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور على تسع وعشرين قطعه
سموا كل اربع عشره قطعه منها نوبا ورسموا الخمس عشره قطعه الباقيه فصولا
وجعلوا كل نوبه محصوره بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدروا زمان
الفصل على النوبه الى تمام المده وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من الف
جزء من المده فاذا قسمنا المده على الف يحصل زمان الدور اربعه الاف الف سنه وثلثمايه

الف

الف سنه وعشرون الف سنه وخمساه اعني زمان الفصل الف الف سنه وسبعمايه
الف سنه وثمانيه وعشرين الف سنه وزمان النوبه عندهم احد وسبعون دورا
مقدارها من السنين ثلثمايه الف الف سنه وسته الاف الف سنه وسبعمايه الف
سنه وعشرون الف سنه وقد قسموا الدور ايضا باربع قطع اولها اعظمها وهي مثل
الفصل المذكور وثانيتها ثلاثه ارباع الفصل ومدتها الف الف سنه ومايتا الف
سنه وسته وتسعون الف سنه وثالثتها نصف الفصل ومدتها ثمانمايه الف سنه
واربع وستون الف سنه ورابعتها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدتها
اربعمايه الف واثنان وثلاثون الف سنه ولكل واحده من هذه القطع الاربع اسم
يعرف به فاسم القطعه الرابعه عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان
الذي مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم حكمائهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثماني
سنين وخمسه اشهر واربعه ايام ونحن الان في نهار اليوم الخامس من الشهر
السادس من السنه التاسعه ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول
وسبعه وعشرون دورا من النوبه السابعه وثلاث قطع من الدور المذكور اعني تسعه
اعشاره ومضى من القطعه الرابعه اعني من اول كلكال الى هلاك سككال
عظيم ملوكهم الواقع في اخر سنه ثمان وثمانين وثلثمايه للاسكندر ثلاثه الاف سنه
ومايه سنه وتسع وتسعون سنه وقالوا انا عرفنا هذا الزمان عن علم الاهي وقع
الينا عن عظما ابنا المتالهين منذ اباتهم جيل بعد جيل على مر الدهور والازمان
وزعموا ان في مبدا كل دور او فصل او قطعه او نوبه تتجدد ازمنه العوالم وتنتقل
من حال الى حال وان الماضي من اول كلكال الى سككال ثلاثه الاف ومايه
وتسع وتسعون سنه والماضي من الهلاك المذكور الى اخر سنه ثمان وثمانين وثلثمايه
للاسكندر الف الف سنه وسبعمايه الف الف سنه واثنان وتسعون الف الف
سنه وتسعمايه الف سنه وسبع واربعون الف سنه ومايه سنه وتسع وسبعين سنه
فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعي الى اخر هذه السنه ستا وعشرين
الف الف الف سنه وثلثمايه الف الف سنه وخمس عشره الف الف
الف سنه وسبعمايه الف الف سنه واثنان وثلاثين الف الف سنه وسبعمايه

الف سنه وسبعا واربعون الف سنه ومايه سنه وتسع وسبعين سنه فاذا
زدنا عليه الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكوره منه يحصل
الماضي من عمر الملك للوقت المفروض والله اعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر
في ذلك قولا اعجب من قول الهند واغرب على ما نقلته من زيج ادوار الانوار وقد
لخص هذا القول من كتب اهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادي سنيهم مبنيه على
ثلاثه ادوار الاول يعرف بالعشري مدته عشر سنين لكل سنه منها اسم يعرف
به والثاني يعرف بالدور الاثني عشري وهو اشهرها وخاصه في بلاد الترك
يسمون سنيه باسما حيوانات بلغتي الخطا والايغر والثالث مركب من الدورين
جميعا ومدته ستون سنه وبه يورخون سني العالم وايامه ويقوم عندهم مقام ايام
الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنه منه مركب من اسميها في الدورين جميعا
وكذلك كل يوم من ايام السنه ولهذا الدور ثلاثه اسما وهي شانكون وجونكون
وخاون ويصير بحسبها مره اعظم ومره اوسط ومره اصغر يقال دور شانكون
الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون
سني العالم وايامه وجملتها مايه وثمانون سنه ثم يدور الادوار الثلاثه عليها مره
اخرى واتفق وقوع مبدا الدور الاعظم في الشهر الاول من سنه ثلاث وثلثين
وستمايه ليزدجرد واسمه بلغتهم كاره وبلغه العرب سنه الفار وكان
اول دخول فروردين هذه السنه من سني العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سرجن
ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ يترتب مبادي سنيهم وايامهم في الماضي والمستقبل
وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغه الخطا وبلغه الايغر لا حاجه
بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم بليلته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال له
جاغ وكل جاغ ثمانيه اقسام كل اسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته ايضا
عشره الاف فنك كل فنك مايه مب ويصيب كل جاغ ثمانمايه وثلاثه وثلاثون
فنك وثلث فنك وكل كه مايه واربعه افناك وسدس فنك ويسمون كل
جاغ الى صوره من الصور الاثني عشر ومبدا اليوم بليلته عندهم من نصف الليل
وفي منتصف جاغ كسكو يعني اول النهار دايما بحسب الطول والعرض من قبل

ان كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار منتصف جاغ يوند وهم يكبسون
في كل ثلاث سنين قمريه شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادي
سني الشمس في زمان واحد من سنه اخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلاثين سنه
قمريه ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنه بل يقع في كل
موضع منها وكل شهر عده ايامه اما ثلاثون يوما او تسعه وعشرون يوما
ولا يكون عندهم اكثر من ثلاثه اشهر متواليه تامه ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادي
شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول
الشهر في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنه الشمسيه بحساب رصادهم ثلثمايه
وخمسه وستون يوما والفان واربعمايه وسته وثلاثون فنكا والسنه اربعه
وعشرون قسما كل قسم منها خمسه عشر يوما والفان ومايه واربعه وثمانون
فنكا وخمسه اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم ولكل سته اقسام منها
فصل من فصول السنه فاسم اول قسم من فصولها الحن واوله ابدا حيث يكون
الشمس في سته عشر درجه من برج الدلو وهكذا اوايل كل فصل انما يكون في
حدود اواسط البروج الثابته وكان بعد مدخل الحن من اول الدور الستيني
في السنه المذكوره احد عشر يوما وسبعه الاف وستمايه وستين فنكا واسم
مدخله بي خايني وكان بعد دخول السنه الفارسيه المذكوره بنحو عشرين يوما
ويتجاوز مدخله عن اول الدور في كل سنه بقدر فضل سنه الشمس على سنة
الدور وهو خمسه ايام واربعه وعشرون فنكا فان زادت الايام على ستين يوما
كان الباقي بعد الحن في تلك السنه عن اول الدور الستيني ويتفاضل البعد
بينهما في كل سنه بقدر فضل سنه الشمس على سنه القمر التي هي ثلثمايه واربعه وخمسون
يوما وثلاثه الاف وستمايه واثنان وسبعون فنكا ومقدار الفضل بينهما عشره
ايام وثمانيه الاف وسبعمايه واثنان واربعه وستون فنكا فان زادت الايام
على زمان الشهر القمري الاوسط الذي هو تسعه وعشرون يوما وخمسه الاف
وثلثمايه وسته افناك نقص منه هذا العدد واحسب بالباقي فاذا عرفت
هذا من حسابهم فاعلم ان عمر العالم عندهم ثلثمايه الف ون وستون الف ون كل ون

عشرة الاف سنة مضى من ذلك الى اول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد وهي
دورها تكون الاعظم ثمانية الف الف وثماني مايه الف وثلاثة وستون الف وتسعة
الاف وسبعمايه واربعون سنة فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة الاف الف
الف الف الف وستمايه الف الف الف سنة بهذه الصورة ٥٥٥٥٥٥٥٥٥
٣٦ والماضي منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون الف الف سنة وستمايه
الف سنة وتسعة وثلاثون الف سنة وسبعمايه سنة واربعون سنة بهذه الصورة
٠٤٧٩٣٦٨٧ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت
طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب سني الخطا والايغر المستخرج من
حساب الصين ليعلم المتصفح ان ذلك لم يصح عندنا وانهم عينوا الامر مما حدع نصه
انفه فكم من جاهل بالله تعالى اذا سمع اقوالهم في مدة سني العالم بادر الى تكذيبهم من غير
علم بدليل عليه وطريق الحق ان نتوقف فيما لا نعلمه حتى يتبين احد طرفيه فنرجحه على
الاخر والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال اهل السند هند ومعناه الدهر الداهر
ان الكواكب السبعة وجوزهراتها تجتمع كلها في اول برج الحمل عند كل اربعة
الاف الف سنة وثلثمايه الف الف سنة وعشرين الف الف سنة شمسية وهذه
مدة سني العالم قالوا واذا اجتمعت براس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي في
عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هي المعدن والنبات
والحيوان فاذا فسدت بقي العالم السفلي خرابا دهرا طويلا الى ان تفترق الكواكب
والاوجات والجوزهرات في بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدا الكون بعد الفساد
تعادت احوال العالم السفلي الى الامر الاول وهكذا يكون عودا بعد بدو الى غير
نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات عدة ادوار في
هذه المدة يدل كل دور منها على شيء من المكونات كما هو مذكور في كتبهم مما لا حاجة بنا
هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذي تقدم ذكره وقال اصحاب
الهزاروات من قدماء الهند ان كل ثلثمايه الف سنة وستين الف سنة شمسية يهلك
العالم باسره ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه وبحقيقة المثل وهكذا ابدا يكون
الحال الى غير نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكور الى طوفان نوح مايه الف وثمانون الف
سنة

سنة شمسية ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة الاف وسبعمايه وثلاث
وعشرون سنة واربعة اشهر وايام وبقي من سني العالم حتى يبيد ويفنى مايه الف
وبضعا وسبعين الف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذي يورخ به اهل الاسلام
وقال اصحاب الازجهير مدة العالم التي تجتمع فيها الكواكب براس الحمل هي واوجاتها
وجوزهراتها جزء من الف جزء من مدة السند هند وهذا ايضا منتزع من قول
البراهمة وقال ابو معشر وابن نوبخت ان بعض الفرس يرى ان عمر الدنيا اثنا عشر
الف سنة بعدد البروج لكل برج الف سنة فكان ابتداء الدنيا في اول الف الحمل لان
الحمل والثور والجوزاء اسمى اشرف المشرق وينسب الى اكمل الفضل وفيها تكون الشمس
في شرفها وتمام في علوها وطول نهارها وكذلك الدنيا كانت في ثلاثة الاف سنة علوية
روحانية طاهرة وكان السرطان والاسد والسنبلة منتقصة فان الشمس تنحط من
علوها في اول دقيقة من السرطان فكان قدر الدنيا واناسها منحطا في الثلاثة
الالاف الثانية ولان الميزان اهبط الهبوط وبيت الادبار وضد البرج الذي فيه شرف
الشمس دل على انه اصابت الدنيا والنسبة اهل المعصية والميزان والعقرب
والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انتقاصا فلذلك دلت على
البلايا والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الالف الى اول الجدي الذي فيه اول
ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان
تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تتصل بشرفها فتدل على ظهور الخير وضعف الشر
وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة
الالاف السنة وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمايه والعشرات وعلى
حسب اتفاق الكواكب في اول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك في زيادة حتى
يعود امر الدنيا في اخرها الى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهي في الف الحمل وكلما تقارب
اخر الف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان اواخر البروج في حدود
النحوس وكذلك اخر المئين والعشرات فعلى هذا لا انقضاء للدنيا اذا كان الزمان
يعود الى الحمل كما بدا اول مرة وزعموا ان ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتداء
المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر

الخلائق مما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعه تسع عشره درجه من برج السرطان
وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذي هو بيت العاقبه وهو برج الميزان زحل وكان
الذنب في القوس والمريخ في الجدي والزهره وعطارد في الحوت ووسط السما برج
الحمل وفي اول دقيقه منه الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعاده وكان الراس
في برج الجوزا وهو بيت الشقا وفي تلك الدقيقه من الساعه كان استقبال امر الدنيا
وكان خيرها وشرها وانحطاطهن وارتفاعهن وساير ما فيهن على قدر مجاري البروج
والنجوم وولايه اصحاب الالوف وغير ذلك من احوالهن فلان المشتري كان في السرطان
في شرفه وزحل في الميزان في شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشراقهن دلت على كاينه
جليله فكان نشو العالم وابتدا زحل فتولى الالف وهو الميزان وكان المشتري في
الطالع مقبولا ولذلك جميع الكواكب كانت مقبوله فدل على بنا العالم وحسن نشوه
وكان زحل هو المستولي والعالي في الفلك والبرج طويل المطالع وطالت اعمار اهل
تلك الالف وقويت ابدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفي
او احدوث العالم وعلى ان اهل ذلك الزمان مشطورون في عماره الارضين
وتشديد البنيان ثم ولي الالف الثاني العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل
على القتل في تلك الالف وسفك الدما والسبي والظلم والجور والخوف والهم
والاحزان والفساد وجور الملوك وولي الالف الثالث القوس وشاركه عطارد
والزهره بطلوعهما وكان الذنب في القوس فدل المشتري على النجده في تلك الالف
والشده والجلد والباس والرياسه والعدل وتقسيم الملوك الدين وسفك الدما
بسبب ذلك ودلت الزهره على ظهور بيوت العباده وعلى الادب ودل عطارد
على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر
في تلك الالف مرات وعلى ظهور الوان من ايات الحق والعدل والجور ثم ولي الالف
الرابع الجدي وكان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الالف من اهراق الدما ودلت
الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفه الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة
انبيايه والرغبه في الدين مع الشجاعه والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج
الذي فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في اخرها وظهور الشر والتفرق والغشم

والقتل

والقتل وسفك الدما والغضب في اصناف كثيره وتحول ذلك وتلونه وكون الجدي
مختلطا دل على انه يظهر في اخر تلك الالف الجنس الشبيه بصفه زحل والمريخ
وانقطاع العظما وبوارهم وارتفاع السفله وخراب العامر وعماره الخراب وكثره
تلون الاشيا وولي الالف الخامس الدلو بطلوع القمر فكان القمر في الثور فدل الدلو
لبرودته وعسره على سقوط العظما وعطله امورهم وارتفاع السفل والعبيد ومحبه
البخلا وظهور الجنس الاسود والسواد وعلى كثره التفتيش والتفكر وظهور الكلام
في الاديان ومحبه الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور
ولاه الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العباده والكف عن الدما والراحه والسعاده
في العامه وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المده فيه وكون البرج مائيا
يدل على كثره الامطار والغرق وافه من البرد يهلك فيها الكثير وولي الالف السادس
برج الحوت بطلوع المشتري والراس فدل على المحبه في الناس عامه وعلى الصلاح
والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولايه
الف سنه فصار عطارد حاكما في برج السلسله وزعم ابن نوبخت ان من يوم
سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين سنه من ملك انوشروان ثلاثه الاف ومايتي
وتسع وستون سنه وذلك في الف الجدي وتدبير الشمس ومنه الى اليوم الاول
من الهجره سبع وثمانون سنه شمسيه وسته وعشرون يوما ومن الهجره الى قيام
يزدجرد تسع سنين ومايتان وسبعه وثلاثون يوما فذلك الجميع الى يزدجرد
ثلاثه الاف وتسعمايه وست وستون سنه وقال ابو معشر زعم قوم من
الفرس ان عمر الدنيا سبعه الاف سنه بعدد الكواكب السبعه وزعم ابو معشر
ان عمر الدنيا ثلاثمايه الف وستون الف سنه وان الطوفان كان في المنتصف من
ذلك على راس مايه الف وثمانين الف سنه وقال قوم عمر الدنيا سبعه الاف سنه
لكل كوكب من الكواكب السبعه السياره الف سنه وللراس الف سنه وللذنب
الف سنه وشرها الف الذنب وان الاعمار طالت في تدبير الالاف الثلاثه العلويه
وقصرت في الاف الكواكب السفليه وقال قوم عمر الدنيا تسع عشره الف سنه بعدد
البروج الاثني عشر لكل برج الف سنه وبعدد الكواكب السبعه السياره لكل كوكب

الف سنه وقال قوم عمر الدنيا احدى وعشرون الف سنه منها ذو الف للراس والف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانيه وسبعون الف سنه منها في تدبير برج الحمل اثنى عشر الف سنه وفي تدبير برج الثور احدى عشر الف سنه وفي تدبير الجوزا عشرة الاف سنه فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والزمان اجد ثم تدبير الربع الثاني مدة اربع وعشرين الف سنه فتكون الاعمار دون ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمس عشر الف سنه وتدبير الربع الرابع ستة الاف سنه وقال قوم كانت المدة من ادم الى الطوفان الفين ومايتي سنه واربعة اشهر وخمسة عشر يوما وكانت المده من الطوفان الى ابرهيم عليه السلام سبعمايه واثنين واربعين سنه وسبعة اشهر وخمسه عشر يوما فذلك ثلاثة الاف وماتان وثلاث وعشرون سنه وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون الف سنه محصورة في الفجيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته ان الجيل سبعون سنه ومن قوله من الزبور ان ابرهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقا الى الف جيل فجا من ذلك ان مدة الدنيا سبعون الف سنه واستظهروا القول بهذا مما في التوريه من قوله واعلم ان الله الاهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه الى الف جيل وذكر ابو الحسن علي ابن الحسين المسعودي في كتاب اخبار الزمان عن الاوايل انهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون امه ذوات ارواح وايد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزله امه معروفة تعرف بها تلك الامه ويزعمون ان تلك الامم كانت الكواكب الثابته تدبرها وكانوا يعبدونها وقال لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر قسم دوامهن في سلطانهن فجعل للحمل اثني عشر الف عام وللثور احد عشر الف عام وللجوزا عشرة الاف عام والسرطان تسعة الاف عام وللاسد ثمانيه الاف عام وللسنبله سبعه الاف عام وللميزان سته الاف عام وللعقرب خمسه الاف عام وللقوس اربعه الاف عام وللجدي ثلاثة الاف عام وللدلو الفي عام وللحوت الف عام فصار الجميع ثمانيه وسبعين الف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزا حيوان وذلك ثلاثه وثلاثون الف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب

الما

الما وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهايم وذلك بعد تسعة الاف عام من خلق دواب الما والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما ادمانوس وحيوانوس وذلك لتمام سبعه عشر الف عام لخلق دواب الما وهوام الارض ولتمام ثمانيه الاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اولا واقامت خاليه ثلاثه وثلاثين الف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى دواب الما وهوام الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم اربعة وعشرون الف عام لخلق دواب الما وهوام الارض ولتمام خمسه عشر الف عام من خلق دواب الاربع ولتتمة سبعه الاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما في الارض مايه الف وثلاثه وثلاثون الف عام منها للزحل سته وخمسون الف عام وللمشتري اربعه واربعون الف الف عام وللمريخ ثلاثه وثلاثون الف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل ادم هي كانت الجبلة الاولى وهي ثمان وعشرون امه بازا منازل القمر خلقت من امزجه مختلفه اصلها الما والهوا والارض والنار فتباين خلقهن فمنهن امه خلقت طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعه على صفة الاسود ومنهن امه ابدانهم ابدان الاسود وروسهم روس الطير لهم شعور واذان طوال وكلامهم دوي ومنهن امه لها وجهان وجه امامهن ووجه خلفهن ولها ارجل كثيره وكلامهم كلام الطير ومنهن امه ضعيفه في صور الكلاب لهم اذناب وكلامهم همهمة لا يفهم ومنهن امه تشبه بني ادم افواههم في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنهن امه تشبهون بنصف انسان لهم عين واحدة وذراع واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنهن امه لها وجوه كوجوه الناس واصلاب كاصلاب السلاحف في روسهم قرون طوال الانوفهم كلامهم ومنهن امه مدورة الوجوه لهم شعور بيض واذناب كاذناب البقر وروسهم في صدورهم لهم شعور وثدي وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربه يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنهن امه على خلق بني ادم سود وجوههم وروسهم كروس الغربان ومنهن امه في خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمه

الاجسام ياكل و تشرب مثل الانعام و منهم امة كوجوه ذوات البحر لها انياب كانياب
الخنازير واذان طوال ويقال ان هذه النسناسه والعشرين امة تناكحت وصارت مايه
وعشرين امة وسيل امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه هل كان في الارض
خلق قبل ادم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله
ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السما ويلقون الملايكه ويسلمون عليهم
ويستعلمون منهم خبر ما في السما ثم ان طايفه منهم تمردت وعتت عن امر ربها وبغت
في الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبيه وكفروا بالله وعبدوا ما
سواه وتغامروا على الملك حتى سفكوا الدما واظهروا في الارض الفساد وكثر تقاتلهم
وعلا بعضهم على بعض واقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطايفه
المطيعه لله والمسبحين له وكان يصعد الى السموات ولا يحجب عنها لحسن طاعته
ويروى ان الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيله وان بعد خمسة الاف سنه
ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك واقاموا
على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقايع كثيره
فاهبط الله تعالى اليهم ابليس واسمه بالعربيه الحارث وكنيته ابو مره ومعه
عدد كثير من الملايكه فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على الارض فتجبر وطغى وكان من
امتناعه من السجود لادم ما كان فاهبطه الله الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على
الما فالقت عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبايل الجن
الشياطين خمس وثلاثون قبيله خمس عشرة قبيله تطير في الهوا وعشر قبايل مع
لهب النار وثلاثون قبيله يسترقون السمع من السما ولكل قبيله ملك موكل يدفع
شرها ومنهم صنف من السعالي يتصورون في صور النسا الحسان ويتزوجون برجال
الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل احد منهم واحدة هلك من وقته
فان كانت صغيره هلك ولده او عزيز عنده وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
ان الكلاب من الجن فاذا رايتموهم ياكلون فالقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني
انهم ياخذون بالعين وروي ان الارض كانت معموره بامم كثيره منهم الطم والرم
والجن والبن والحس والبس وان الله لما خلق السما عمرها بالملايكه ولما خلق الارض

عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدما في الارض فانزل الله اليهم جندا من الملايكه فاتوا على
اكثرهم قتلا واسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه يوميذ عزازيل فلما صعد به
الى السما اخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجا ان يتوب الله عليه فلما لم
يجد ذلك عليه شيا خامر الملايكه القنوط فاراد الله ان يظهر لهم خبث طويته
وفساد نيته فخلق ادم وامتحنه بالسجود له ليظهر للملايكه تكبره وابانه ما خفي عنهم
من سكينه نفسه والى عمارة الارض قبل ادم من افسد فيها اشار تعالى بقوله حكايه
عن الملايكه اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما يعنون كما فعل من كان فيها
قبل فالله اعلم بمراده وقال ابو بكر احمد بن علي بن وحشيه في كتاب الفلاحه انه عرب
هذا الكتاب ونقله من لسان الكسدانيين الى اللغه العربيه وانه وجده من
وضع ثلاثه حكما قدما وهم صغريث وينبوشاد وقوثامي ابتداه الاول وكان
ظهوره في الالف السابعه من سبعة الاف سني زحل وهي الالف التي يشارك فيها زحل
القمر وتممه الثاني وكان ظهوره في اخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد
مضي اربعة الاف سنه من دور الشمس الذي هو سبعة الاف سنه وانه نظر الى ما
بين زمان الاول والثالث فكان ثماني عشر الف سنه شمسيه وبعض الالف التاسعه عشر
وقد اختلف اهل الاسلام في هذه المسله ايضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال الدنيا جمعه من جمع الاخره واليوم الف سنه فذلك سبعة الاف
سنه وروى سفيان عن الاعمش عن ابي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة
الاف سنه وعن وهب بن منبه انه قال قد خلا من الدنيا خمسة الاف سنه وستمايه
سنه اني لاعرف كل زمان منها من كان فيه من الانبيا فقيل له فكم الدنيا فقال
ستة الاف سنه وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر
الى مغرب الشمس وفي حديث ابي هريره الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا
والحقب هنا بلسان الحبشه وقال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني
في كتاب الاكليل فكان الدنيا جز من اربعة الاف وسبعمايه وثلاثه وعشرين
جزا وثلث جز من الحقب على ان السنه القمريه ثلثمايه واربعه وخمسون يوما وخمس

وسدس يوم فاذا كانت الدنيا سبعة الاف سنة واليوم الف سنة تكون سنين
قريبة ستة الاف الف سنة فاذا جعلناه جزءا وضربناه في اجزاء الكف وهي اربعة
الاف وسبعمائة وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين مائة وعشرون الف
الف الف وثمانمائة الف الف واربعون الف الف واذا كانت جمعة من جمع الاخرة
زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الكف وقال ابو جعفر محمد بن جرير
الطبري الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد وذكر قوله عليه السلام اجلكم
في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت انا والساعة
كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت انا والساعة
جميعا ان كادت لتسبقني قال فمعلوم اذ كان اليوم اوله طلوع الشمس واخره غروب
الشمس وكان صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة
العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة
والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شي
مثليه على التحري انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك
فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله
عليه السلام لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني من نصف يوم الذي مقداره
الف سنة فاولى القولين اللذين احدهما عن ابن عباس والاخر عن كعب قول ابن عباس
الدنيا جمعة من جمع الاخرة سبعة الاف واذا كان كذلك وكان عنده عليه السلام
ان الباقي من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذ كان ذلك نصف يوم
من الايام التي قدر الواحد منها الف عام كان معلوما ان الماضي من الدنيا الى وقت قوله
عليه السلام ستة الاف سنة وخمسمائة سنة او نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام
خبر يدل على صحة قول من قال الدنيا كلها ستة الاف سنة لو كان صحيحا لم يعد
القول به الى غيره وهو حديث ابي هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها
سدس الدنيا فتبين في هذا الخبر ان الدنيا كلها ستة الاف سنة وذلك ان اليوم
الذي هو من ايام الاخرة مقداره الف سنة من سني الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك
سدس الدنيا كان معلوما ان جميعها ستة ايام من ايام الاخرة وذلك ستة الاف سنة

وقال ابو القسم السهيلي وقد مضى الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم
نيف عليها وليس في قوله لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفي الزيادة
على النصف ولا في قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تاويله يعني
الطبري فقد يحتمل ان يكون تاويله غير هذا وهو انه ليس بينه عليه السلام وبين الساعة
نبي ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال
اتى امر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الاخر بعد
ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة في اوائل السور وجدناها اربعة
عشر حرفا يجمعها قولك الم يسطع نص حق كره ثم ناخذ العدد على حساب ابي جاد فنجي
تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى في اوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد ان
يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين
لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه غير ان الحساب
يحتمل ان يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض
فقد جاء اشراطها ولكن لا تاتيكم الا بغتة وقد روي انه عليه السلام قال ان احسنت
امتي فبقاؤها يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنة وان اساءت فنصف يوم ففي
هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضى الخمسمائة والامة باقية
وقال شاذان البلخي المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشرون سنين وقد ظهر كذب
قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة وخمسين من سني الهجرة اختلاف
كثير وقال هاشم ان المنجمين اخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة
النبوة فيهم وان دليلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة
سلطانهم الف وستين سنة وكان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة
صاحبته في شرفها قال وسال كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فاعلمه ان الملك
يخرج من فارس وينتقل في العرب ويكون ولادة القايم بامر العرب لخمس واربعين
سنة من وقت القران وان العرب تملك المشرق والمغرب من اجل ان المشتري
دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية
الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا وهذه الادلة

تقتضي بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو الف وستون سنة شمسية
وقال نوفيل الرومي وكان في ايام بني امية يبقى ملة الاسلامية بقدر مدة القران
الكبير وهو تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج
العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتداء
فحينئذ اما يفتر العمل او يتجدد ما يوجب خلاف الظن قال واتفقوا على ان خراب
العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى يهلك المكونات باسرها وذلك اذا قطع قلب
الاسد اربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذي هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين
سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك زابلستان وهي غزنة بعث الى عبد الله
امير المؤمنين المامون حكيما اسمه دوبان في جملة هدية فامتحنه المامون وساله عن
مدة ملك بني العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب اخيه وان
العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم اولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من
شمال المشرق فيملكون العراق والروم والشام وقال يعقوب بن اسحق الكندي
مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي
ابن احمد بن سعيد بن حزم واما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون للدنيا
اربعة الاف سنة والنصارى يقولون للدنيا خمسة الاف سنة واما نحن يعني اهل
الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة الاف سنة
او اكثر او اقل فقد قال ما لم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح
بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على ان للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى
قال الله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود او
الشعرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار اهل
الاسلام ونسبة ما بايديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم ان للدنيا عددا لا يحصيه
الا الله تعالى وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم اصبعيه
المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص ان الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى
لا احد سواه فصح انه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على الوسطى

اذ لو

اذ لو اراد فضل ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان
يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وايضا فكان يكون نسبته صلى الله عليه
وسلم ايانا الى من قبلنا بانه كالشعرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح انه
صلى الله عليه وسلم انما اراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث اربعمائة
عام ونيف والله اعلم بما بقي للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند
ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه
وسلم من انا فيمن مضى كالشعرة في الثور او الرقمة في ذراع الحمار وقد رايت
بخط الامير ابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معوية القرشي انه راى
بالهند بلدا له اثنان وسبعون الف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند
مدينة يؤرخون باربعمائة الف سنة قال ابو محمد الا ان لكل ذلك اول ولا بد ونهاية
لم يكن شيء من العالم موجودا قبلها ولله الامر من قبل ومن بعد

ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط

التاريخ كلمة فارسية
اصلها ماه روز ثم عربت قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخي في كتاب مفاتيح العلوم
وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا ان الرواية جاءت به وقال
قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شيء اخره وهو في الوقت غايته يقال فلان
تاريخ قومه اي اليه ينتهي شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وارخته تاريخا
اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل مملكة واهل ملة تاريخ وكانت الامم
تؤرخ اولا بتاريخ الخليقة وهو ابتداء كون النسل من ادم عليه السلام ثم ارخت
بالطوفان وارخت ببختنصر وارخت بفيلبس وارخت بالاسكندر ثم باغسطس
ثم بانطونينس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا
تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ اخر
قد انقطع ذكرها **فاما تاريخ الخليقة** ويقال له ابتداء كون النسل
وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في
كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف كبير قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر
الف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا ان زرادشت صاحب شريعتهم

قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة الاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور
زرادشت واول تاريخ الاسكندر مائتا سنة وثمان وخمسون سنة تامة فيكون
الماضي من اول العالم الى الاسكندر ثلاثة الاف ومائتي سنة وثمان وخمسين سنة
واذا حسبنا من اول كيومرث الذي هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من
ملك بعده فان الملك متسق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر
ثلاثة الاف وثلثمائة واربع وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال
قوم الثلاثة الالاف الماضية انما هي من خلق كيومرث فانه مضى قبله الف سنة
والفلك فيها واقف غير متحرك والطبايع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة
والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان
الاول في معدل النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس وكثروا وامتزجت اجزاء
العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم وقالت اليهود الماضي من ادم
الى الاسكندر ثلاثة الاف واربعمائة وثمان واربعون سنة وقالت النصارى المدة
بينهما خمسة الاف ومائة وثمانون سنة وزعموا ان اليهود نقصوها ليقع خروج
عيسى عليه السلام في الالف الرابع وسط السبعة الاف التي هي مقدار زمان العالم — من مريم م
عندهم حتى يخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا
بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التي
بيد اليهود من المدة التي بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت الفا وستمائة
وستا وخمسين سنة وعند النصارى في توراتهم المدة الف ومائتا سنة واثنتان
واربعون سنة ويزعم اليهود ان توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى ان توراة
السبعين التي هي بايديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل ويقول اليهود فيها خلاف
ذلك ويقول السامرة بان توراتهم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم
ما يزيل الشك بل يقوي الجالية له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى ايضا
في الانجيل وذلك ان له عند النصارى اربع نسخ مجموعة في مصحف واحد احدها
انجيل متى والثاني لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد الف كل من
هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في

صفات المسيح عليه السلام وايام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه ايضا
وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون واصحاب
ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب ماني انجيل على
حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى اخره ويزعمون انه هو الصحيح وما
عداه باطل ولهم ايضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى بلامس والنصارى
وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رايت
ولم يكن للقياس والراي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف
على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شيء من اقوالهم فيه واما غير اهل
الكتاب فانهم ايضا مختلفون في ذلك قال ابو انوش بين خلق ادم وبين ليلة
الجمعة اول الطوفان الفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة
وعشرون يوما واربع ساعات وقال ماشاء الله واسمه منشا بن اثرى منجم
المنصور والمامون في كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشتري
في بدو التحرك يعني ابتدا النسل من ادم كان على مضي خمسمائة وتسع سنين
وشهرين واربعة وعشرين يوما مضت من الف المريخ فوقع القران في برج
الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنتين واربعين دقيقة وكان انتقال
الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد
ذلك بالفي سنة واربعمائة سنة واثني عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين
يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثاني من قرانات
هذه المثلثة المائية فكان بين وقت القران الاول الكائن في بدو التحرك وبين
الشهر الذي كان فيه الطوفان الفان واربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة
اشهر واثنا عشر يوما قال وفي كل سبعة الاف سنة وستين وعشرة اشهر
وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان في بدو التحرك وهذا
القول اعزك الله هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من اهل الملل ان بقاء الدنيا سبعة
الاف سنة فلا تغتر به ونسبه الى اصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه
وقيل كان بين ادم وبين الطوفان ثلاثة الاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة

وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفين وثلثين سنة
وأما تاريخ الطوفان فإنه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف
ما لا يطمع في حقيقته من أجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين
تاريخ الإسكندر فإن اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الإسكندر ألفا وسبع
مائة واثنتان وسبعون سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وسبعمائة
وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند
وأهل الصين وأصناف الأمم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض
الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان سوى بالشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا
غرق إلا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ إلى ممالك المشرق قالوا
ووقع في زمان طهمورث وإن أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا
المباني العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ
طهمورث الإنذار بالطوفان قبل كونه بمائتين وإحدى وثلاثين سنة أمر باختيار
مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك بأصبهان فأمر بتخليد العلوم
ودفنها فيه في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلاثمائة من سني الهجرة
في جي من مدينة أصبهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة
قد ملئت من لحاء الشجر الذي تلبس به القسي وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر
أحد ما هي وأما المنجمون فإنهم صححوا هذه السنين من القران الأول من قرانات
العلويين زحل والمشتري التي أثبت علماء أهل بابل والكلدانيين أمثلتها إذ كان
الطوفان ظهوره من جهة ناحيتهم فإن السفينة استقرت على جبل الجودي وهو
غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين
سنة ومائة وثمانية أيام فاعتنوا بأمرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان
وبين أول ملك بختنصر الأول ألفي سنة وستمائة وأربع سنين وبين بختنصر
هذا وبين الإسكندر أربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى أبو معشر أوساط
الكواكب في زيجه وقال وكان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت
وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الإسكندر بمقدار ألفي سنة و[illegible]

وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس
أول المحرم من السنة الأولى من سني الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلاثمائة ألف يوم
وستة وخمسون ألف يوم وسبعمائة يوم وثلاثة وتسعون يوما يكون من السنين الفارسية
المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية
وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم
الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التي تسمى أدوار الكواكب
وهي بزعمهم بثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية قال وبقيت مقدار لوقت الطوفان
مائتي ألف وثمانين ألف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة
وسكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل إلا بحجة أو من معصوم
وأما تاريخ بختنصر فإنه على سني القبط وعليه يعمل في استخراج
مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ثم إذا دار فلاسر وأول أدواره في سنة ثمان عشرة
وأربعمائة لبختنصر وكل دور منها ستة وتسعون سنة شمسية وكان فلاسر من
جملة أصحاب التعاليم وبختنصر هذا ليس هو بالذي خرب بيت المقدس وإنما هو آخر
كان قبل بختنصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث وأربعين سنة وهو اسم فارسي
أصله بخت نرسي ومعناه كثير البكاء والأنين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل
تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لتحننه على الكلمة ويعرب أهل تعريب
فقيل بختنصر **وأما تاريخ فيلبس** فإنه على سني القبط وكثيرا ما
يستعمل هذا التاريخ من موت الإسكندر البناء المقدوني وكلا الأمرين سواء فإن
القائم بعد البناء هو فيلبس سواء كان من موت الأول أو من قيام الآخر فإن الحالة
المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما وفيلبس هذا هو أبو الإسكندر المقدوني
ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الإسكندر أرسطيس وعليه بنى ثاون الإسكندراني
زيجه المعروف بالقانون **وأما تاريخ الإسكندر** فإنه على
سني الروم وعليه يعمل أكثر الأمم إلى وقتنا هذا من أهل الشام وأهل بلاد الروم
وأهل المغرب وأهل الأندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند
ذكر الإسكندرية من هذا الكتاب **وأما تاريخ أغسطس**

فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله واغسطس هذا هو اول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغسطس هذا لما حملت به امه ماتت في المخاض فشق بطنها حتى اخرج منه فقيل له قيصر وبه تلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى ان المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يحتاج الى تعديل وولادته عليه السلام في السنة السابعة من ملكه

واما تاريخ انطيلس

فان بطليوس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لاول ملكه على الروم وسمى هذا التاريخ رومية له

ذكر تاريخ القبط

اعلم ان السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اي نقطة فرضت ابتدا حركتها وذلك انها تستوفي الازمنة الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبايعها الاربع وتنتهي الى حيث بدات وفي هذه المدة يستوفي القمر اثني عشر عوده واقل من نصف عوده ويستهل اثني عشر مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثني عشر في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح واسقط الكسر الذي هو احد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم اخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون فاهل قسطنطينية والاسكندرية وساير الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل براي المعتضد اخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما والحقوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لالتباس الارباع فيها واما قبط مصر القدما فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك في كل الف واربعماية وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينيذ في اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية واما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثماية وخمسة وستين

وستين يوما من غير كسر حتى اجتمع لهم من الربع يوم في ماية وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة التي تتبع الربع يوم عندهم يوما واحدا فالحقوا الشهر التام بها في كل ماية وست عشرة سنة واقتفى اثرهم في هذا اهل خوارزم القدما والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا كذا فانهم يعملون السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سوا وكانوا يكبسون الشهر كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل ماية وعشرين سنة شهرين احدهما بسبب الخمسة الايام والثاني بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة واما قوما القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصغد فتركوا الكبيسة اعني الربع وما تبعه اصلا واما العبرانيون وجميع بني اسرايل والصابيون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر ليكون اعيادهم وصيامهم على حساب قمري ويكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارى في صومهم وبعض اعيادهم لان مدار امرهم على فسح اليهود وخالفوهم في الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب في جاهليتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفي ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساة من بني كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير ولهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع واول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبيد فقيم واخر من فعله ابو ثمامة واخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجي دين الاسلام بنحو الماتي سنة وكانوا يكبسون في كل اربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله سبحانه عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء

اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين محظ صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسى وزالت شهور العرب
عما كانت عليه وصارت اسماوها غير داله على معانيها واما اهل الهند فانهم
يستعملون رويه الاهله في شهورهم ويكبسون كل ستمايه وسته وسبعين
يوما شهرا قمريا ويجعلون ابتدا تاريخهم اتفاق اجتماع في اول دقيقه من برج ما
واكثر طلبهم لهذا الاجتماع ان يتفق في احدى نقطتي الاعتدالين ويسمون السنه
الكبيسه بدماسه فهذه اراء الخليقه في السنه واما اليوم فانه عبارة عن عودة
الشمس بدوران الكل الى دايره قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب
الشمس الى غروبها من الغد من اجل ان شهور العرب مبنيه على مسير القمر واوايلها
مقيده برويه الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس فصارت الليله عندهم
قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزه من افق المشرق
الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بان
النور وجود والظلمه عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت
والسما افضل من الارض والعامل والشاب اصح والما الجاري لا يقبل عفونة
كالراكد واحتج الاخرون بان الظلمه اقدم من النور والنور طارئ عليها والاقدم يبدا به
وغلبوا السكون على الحركة باضافه الراحة والدعه اليه وقالوا الحركة انما هي
للحاجه والضروره والتعب نتيجه الحركه والسكون اذا دام في الاستقصات منه
لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصات واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل
والعواصف والامواج وشبهها وعند اصحاب التنجيم ان اليوم بليلته من موافاة
الشمس نصف فلك النهار الى موافاتها اياه في الغد وذلك من وقت الظهر الى
وقت العصر وسوا على ذلك حساب ازياجهم وبعضهم ابتدا باليوم من نصف
الليل وهو صاحب زيج شهرياران الشاه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا
اشترط الليله في التركيب فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد
وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه
وحد بعضهم اول النهار طلوع الفجر واخره غروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا

ص

حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل وقالوا
هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بان الايه انما فيها بيان طرفي الصوم لا
تعريف اول النهار وبان الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما
متساويان في العله فلو كان طلوع الفجر اول النهار لكان غروب الشفق اخره وقد
التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول ان تاريخ القبط يعرف عند
نصارى مصر لان تاريخ الشهدا ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

ذكر دقلديانوس الذي يعرف تاريخ القبط

اعلم ان دقلديانوس هذا احد
ملوك الروم المعروفين بالقياصره ملك في منتصف سنه خمس وتسعين ومايتين
من سني الاسكندر وكان من غير بيت المملكه فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مداين
الاكاسره ومدينه بابل فاستخلف ابنه على مملكه رومه واتخذ تخت ملكه لمدينه
انطاكيه وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى اقصى المغرب فلما كان في السنه
التاسعه عشر من ملكه وقيل التاسعه عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندريه
فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا واوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنايسهم
ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عباده الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل
النصارى واقام ملكا احدى وعشرين سنه وهلك بعد علل صعبه دودت منه
بدنه وسقطت اسنانه وهو اخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك
بعده فانما كان على دين النصرانيه فان الذي ملك بعده ابنه سنه واحده وقيل
اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فاظهر دين النصرانيه ونشره في الارض
ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له اخيله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلديانوس
وحصر الاسكندريه دار الملك بوسيد ثمانيه اشهر حتى اخذ اخيله وقتله وعم
ارض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قايده في حارب سابور ملك فارس وقتل
اكثر عسكره وهزمه واسر امراته واخوته واثخن في بلاده وعلا باسرى كثيره من
رجال فارس ثم اوقع بعامه بلاد رومه فاكثر في قتلهم وسبيهم فكانت ايامه
شنعه قتل فيها من اصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت
حصر وكانت واقعته بالنصارى هي الشده العاشره ولهي اشنع شدايدهم

واطوات لانه دامت عليهم مدة عشر سنين لا يمر يوما واحد الا يحرق فيه كنايسهم
ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم وهرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر
النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتدا ملك دقلطيانوس
تاريخا وكان ابتدا ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت
وهو اول ايام ملك الاسكندر بن فيلبس المجدوني خمسماية واربع وسبعون سنة
واحد عشر شهرا وثلاثة ايام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين
يوم الخميس اول سنة الهجرة النبوية ثلثماية وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة
وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده
ثلاثون يوما سوا فاذا تمت الاشهر الاثني عشر اتبعوها خمسة ايام زايدة على
عدد ايامها وسموا هذه الخمسة ايام ابوغمنا ويعرف اليوم بايام النسي فيكون
الحال في النسي على ذلك ثلاث سنين متواليات كل سنة منها ثلثماية وخمسة
وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثماية وستة وستين يوما ويرجع حكم
سنتهم الى حكم سنة اليونانيين لان تصير سنتهم الوسطى ثلثماية وخمسة وستين يوما
وربع يوم الا ان الكبس يختلف فاذا الكبس القبطي في سنة كان كبس اليونانيين في السنة
الداخلة واسما شهور القبط توت بابه هاتور كيهك طوبه امشير برمهات برموده
بشنس بونه ابيب مسرى فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدة ثلثين يوما
واذا كملت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا ايام النسي بعد ذلك
وجعلوا النوروز اول يوم من شهر توت

ذكر اسابيع الايام

اعلم ان القدما من الفرس والسغد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع
من الايام في الشهور واول من استعملها اهل الجانب الغربي من الارض سيما اهل
الشام وحواليه من اجل ظهور الانبيا عليهم السلام فيها هنالك واخبارهم عن الاسبوع
الاول وبدو العالم فيه وان الله خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر
ذلك منهم في ساير الامم واستعمله العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار
اهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم اخبار نوح عليه السلام
ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام واتى فيهم ابرهيم خليل الرحمن الله

اسمعيل

اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسما الايام الثلاثين
من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس وما زالت القبط
على هذا الى ان ملك مصر اغسطس بن يوحس فاراد ان يحملهم على كبس السنين ليوافقوا
الروم ابدا فيها فوجد الباقي في حسبانه الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين
فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل اربع سنين
بيوم كما يفعل الروم فترك القبط من حسبانه استعمال الايام الثلاثين لاحتياجهم
في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملوا اسما الايام الثلاثين من
اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت
كما دثر غيرها من اسما الرسوم القديمة والعادات الاول بسنة الله في الذين خلوا
من قبل وكانت اسما شهور القبط في الزمن القديم توت باوبي اثور شواق طوبي
ما كير فامينوث برموتي باخون باوني ابيفي ابيف وكل شهر منها ثلاثون يوما
ولكل يوم اسم يخصه ثم احدث بعض روسا القبط بعد استعمالهم الكبس الاسم
التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الان من الناس من يسمي كيهك كيالك ويقول
في برمهات برمهوط وفي بشنس بشانش وفي مسرى معاسوري ومن الناس من
يسمي الخمسة الايام الزايدة ايام النسي ومنهم من يسميها ابوغمنا ومعنى ذلك الشهر
الصغير وهي كما تقدم تلحق في اخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ابوغمنا
ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات
القبط ان شهورهم هي شهور بني نوح وشيث وادم مذ ابتدا العالم وانهم
لم يزل على ذلك الى ان خرج موسى بني اسرائيل من مصر فجعلوا اول سنتهم خامس عشر
نيسان كما امروا به في التوراة الى ان نقل الاسكندر راس سنتهم الى اول تشرين
ولذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار
اول توت عندهم متقدم اول يوم خلق فيه العالم بمايتين وثمانية ايام اولها
يوم الثلاثا واخرها يوم السبت وكان توت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد
وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الان تاسع عشري برمهات وذلك
لان اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو

ابو الكلدانيين وملك بنو مصر بن حام عليهم بيقنش فبنى مصر بنهف على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح واستن بسنتهم من جا بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

ذكر اعياد القبط من النصارى بديار مصر روى ابن يونس عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تعلموا رطانتهم فتتخلقوا ببعض خلقهم وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له او ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما اية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسولا اعلم ان نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره واعيادهم الان التي هي مشهورة بديار مصر اربعة عشر عيدا في كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة اعياد يسمونها اعيادا كبارا وسبعة يسمونها اعيادا صغارا فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفسح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس وعيد الميلاد وعيد الغطاس والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخميس العهد وسبت النور وحد الحدود والتجلي وعيد الصليب ولهم مواسم اخر ليس هي عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم المعتادية وهو يوم النوروز وسا اذكر من خبر هذه الاعياد ما لا تجده مكتوبا مجموعا الا في هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام

عيد البشارة هذا العيد عند النصارى اصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياسوع وربما قالوا السيد يسوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات

عيد الزيتونة ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع احد من صومهم وسنتهم في عيد الشعانين ان يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون انه يوم ركوب المسيح العفو وهو الحمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يامر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعدونه وكان عيد

السعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيه كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بامر الله ابو علي منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيا من ذلك وامر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وادخل في الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك واحرق عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق بمصر والشرطة

عيد الفسح هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون ان المسيح عليه السلام لما قام اليهود عليه واجتمعوا على تصليبه وقتله قبضوا عليه واحضروه الى الخشبة ليصلب فصلب على الخشبة لقاتل وعندنا وهو الحق ان الله رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وان الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح القي الله شبه المسيح عليه قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشي الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشري برمهات وخامس عشري ادار سنة ودفن العشية اخر النهار بقبر واطبق عليه حجر عظيم وختم عليه روسا اليهود واقاموا عليه الحرس بالغد يوم السبت كيلا يسرق وزعموا ان المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر فاذا الثياب التي كانت على المقبور فقط بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فاخبرهما بقيامة المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم واوصاهم وامرهم بامور قد تضمنها انجيلهم ولهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت بثلاثة ايام

خميس الاربعين ويعرف عند اهل الشام بالسلاق ويقال له ايضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعون من الفطر ويزعمون ان المسيح عليه السلام بعد اربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عنيا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندما كمل له ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلاميذ الى اوراسليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم باشياء امرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن

اصدق من الله حديثا. عيد الخميس وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيام وزعموا ان بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح بزعمهم اجتمع التلاميذ في علية صهيون فتجلى لهم روح القدس شبه السنة من نار فامتلئوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على ايديهم ايات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فخلصهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح.

الميلاد يزعمون انه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيجعلون عشية الاحد ليلة الميلاد ويستعملون فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة وكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاذين المحنكين والامرا المطوقين وسائر العوالي من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهرية والمتارد التي فيها السميد وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والسمك المعروف بالبوري ومن رسم النصارى في الميلاد اللعب بالنار ومن احسن ما قيل في ذلك

ما اللعب بالنار في الميلاد من سنة   وانما فيه للاسلام مقصود
وفيه بلّغت النصارى ان ربهم   عيسى بن مريم مخلوق ومولود

وادركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة باموال لا تنحصر فلا يبقى احد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشتري من ذلك لاولاده واهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالاة في اثمانها حتى لقد ادركت شمعة عملت فبلغ مصروفها الف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال في الطرقات ايام هذا الموسم وهم يسألون الله ان يتصدق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوائد الترف عمل الفوانيس في الميلاد الا قليلا.

الغطاس ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة واصله عند النصارى ان يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمداني عمد

المسيح

المسيح اي غسله في بحيرة الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الما اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم في الما في هذا اليوم وينزلون فيه باجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم المغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية قال المسعودي ولليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند اهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج امير مصر في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد امر فاسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطي النيل في تلك الليلة الوف الاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم في الزوارق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من الماكل والمشارب والملابس والات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف والقصف وهي احسن ليلة تكون بمصر واشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم في النيل ويزعمون ان ذلك امان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة ومنع النصارى من اظهار ما كانوا يعملونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الما واظهار الملاهي ونودي ان من عمل ذلك نفي من الحضرة وقال في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطي النيل ونصبت اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان واوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى ان كان وقت الغطاس فغطس وانصرف وقال في سنة احدى واربعمائة وفي ثامن عشري جمادى الاولى وهو عاشر طوبة منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة واربعمائة وفي ليلة الاربعا رابع ذي القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس في شرا الفواكه والضان وغيره ونزل امير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودي ان لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولي

س

الشوطين خيمة عند الجسر وجلس فيها وامر امير المومنين بان توقد النار والمشاعل
في الليل فكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا
هناك طويلا الى ان غطسوا وقال ابن المامون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة
وخمسمايه وذكر الغطاس ففرق في اهل الدوله ما جرت به العاده لاهل الرسوم من
الاترج والنارنج والليمون المراكب واطنان القصب والبوري بحسب الرسوم المقرره
بالديوان لكل احد **الختان** يعمل في سادس شهر بوونه ويزعمون ان المسيح
ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى يختتنون بخلاف
غيرهم **الاربعون** وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون ان سمعان الكاهن
دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر امشير **خميس العهد**
ويعمل قبل الفسح بثلاثة ايام وسنتهم فيه ان يملوا اناء من ماء ويزمزمون عليه ثم
يغسل للتبرك به ارجل سائر النصارى ويزعمون ان المسيح فعل هذا بتلامذته
في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم اخذ عليهم العهد ان لا يتفرقوا وان يتواضع
بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خميس العدس من اجل ان النصارى
تطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول اهل الاندلس
خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطميه تضرب في خميس
العدس هذا خمس مائة دينار فتعمل خراريب تفرق في اهل الدوله برسوم مقرره
كما ذكر في اخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وادركنا
خميس العدس هذا بالقاهرة ومصر واعمالها من جملة المواسم العظيمه فيباع
في اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة الوان ما يتجاوز الحد فيقامر به
العبيد والصبيان والغوغا وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض
الاحيان ويهادي النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين انواع السمك المنوع
مع العدس المصفا والبيض وقد قل عمل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقيه
سبت النور وهو قبل الفسح بيوم ويزعمون ان النور يظهر على قبر المسيح
بزعمهم في هذا اليوم بكنيسة القيامة من القدس فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها
وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على ان هذا من جملة مخاريق النصارى بصناعة
يعملونها

يعملونها وكان لمصر بهذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن
توابعه **حد الحدود** وهو بعد الفسح بثمانية ايام فيعمل اول احد بعد
الفطر لان الاحاد قبله مشغوله بالصوم وفيه يجددون الالات واثاث والملابس
ويأخذون في المعاملات والامور الدنيويه والمعاش **عيد التجلي** يعمل في
ثالث عشر شهر مسرى ويزعمون ان المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع وتمنوا عليه ان
يحضر لهم ايليا وموسى عليهما السلام فاحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد
الى السما وتركهم **عيد الصليب** ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت
وهو من الاعياد المحدثه وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانا ام قسطنطين
ولهم خبر طويل عندهم ملخصه ما انت تراه **ذكر قسطنطين** وقسطنطين
هذا هو ابن قسطنس ولبطنيوس بن ارشميوس بن دقيوس بن كلوديس بن غالس
ابن الكسان اغشبا الاعظم الملقب قيصر وهو اول من تنصر من القياصرة وامر
بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع وامن من الملوك بالمسيح وكانت امه
هيلانه من مدينه الرها فنشا بها مع امه وتعلم العلوم ولم يزل في غايه من السعاده
والظفر معانا منصورا على كل من حاربه وكان في اول امره على دين المجوس شديدا على
النصارى مقاتلا لدينهم فكان سبب رجوعه عن ذلك الى النصرانيه انه ابتلي بجذام
ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من الاطبا فاتفقوا على ادويه دبروها
له واوجبوا ان يستنقع بعد اخذ تلك الادويه في صهريج مملوء من دما اطفال رضع يسيل
منهم فتقدم بجمع جملة عظيمه من اطفال الناس وامر بذبحهم في صهريج ليستنقع في دمائهم
وهي طريه فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضي فيهم ما تقدم من ذبحهم فسمع صجيج النسا
اللاتي اخذ اولادهن فرحمهن وامر فدفع الى كل واحدة ابنها وقال احتمال علتي اولى بي
واوجب من اهلاك هذه العدة العظيمه من البشر فانصرف النسا باولادهن وقد
سررن سرورا كبيرا فلما صار من الليل الى مضجعه راى في منامه شخصا يقول له انك
رحمت الاطفال وامهاتهم ورايت احتمال علتك اولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهب لك
السلامة من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى سلبشتر قد فر خوفا منك
وقف عند ما يامرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافيه فانتبه مذعورا

وبعث في طلب سلبشتر الاسقف فاتي به اليه وهو يظن انه مريد قتله لما عهده
من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعندما راه تلقاه بالبر واعلمه بما راه في منامه
فقص عليه دين النصرانيه وكانت له معه اخبار طويله مذكوره عندهم فبعث قسطنطين
في جمع الاساقفه المنفيين والمسجونين والتزم دين النصرانيه وشفاه الله من
الجذام فابدا الديانه واعلن بالايمان بدين المسيح فبينما هو في ذلك اذ توقع وثوب
اهل رومه عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبنى مدينه قسطنطينيه بنيانا
جليلا وعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى
من لدن زمان نيرون الملك الذي قتل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومه في كل
وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفي فلما سكن قسطنطين مدينه قسطنطينيه
جمع الى نفسه اهل دين المسيح وقود وجوههم واذل عباد الاوثان فشق ذلك على
اهل رومه وخلعوا طاعته وقدموا عليهم ملكا فاهمه ذلك ومرت له معهم عدة
اخبار مذكوره في تاريخ رومه ثم انه خرج من قسطنطينيه يريد رومه وقد
استعد والحربه فلما قاربها اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها واقام الى ان
جمع لحرب الفرس وخرج اليهم وقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في
عشرين سنه من دولته خرجت القوط على بعض اطرافه فغزاهم واخرجهم عن بلاده
وراى في منامه كان بنود اسنه الصليب قد رفعت وقايل يقول له ان اردت ان
تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بزك وسلاحك فلما انتبه امر
بتجهيز امه هلانه الى بيت المقدس في طلب اثار المسيح عليه السلام وبنا الكنايس
واقامه شرايع النصرانيه فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنايس فيقال
ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبه التي زعموا ان المسيح صلب عليها وقد قص
عليها ما عمل به اليهود فحفرت حيث دلها فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل
الصليب فزعموا انهم القوا الثلاث خشبات على ميت واحده بعد واحده فقام
حيا عندما وضعت عليه خشبه منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه
عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت
وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمايه وثمان وعشرين سنه وجعلت هيلاني للخشبه

الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامه ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم
وكانت لها مع اليهود اخبار كثيره قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب الى ابنها وما
زال قسطنطين على ممالك الروم الى ان مات بعد اربع وعشرين سنه من ولايته
فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر
موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بني وايل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك
اليوم بالمنكرات من انواع المحرمات ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة
الفاطميه الى ديار مصر وبنوا القاهره واستوطنوها وكانت خلافة امير المومنين
العزيز بالله امر في رابع شهر رجب سنه احدى وثمانين وثلثمايه وهو يوم عيد
الصليب بمنع الناس من الخروج الى بني وايل وضبط الطرق والدروب ثم لما
كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من رجب سنه اثنين وثمانين وثلثمايه
خرج الناس فيه الى بني وايل وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنه
اثنين واربعمايه قرى في سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن
الحاكم بامر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وان لا يظهروا
زينتهم فيه ولا يقربوا كنايسهم وان يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم
بديار مصر البتة

النوروز

هو اول السنه القبطيه بمصر وهو اول يوم من
توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالما وكان من مواسم لهو المصريين قديما
وحديثا قال وهب بردت النار في الليله التي القي ابرهيم في النار وفي صبحتها على
الارض كلها فلم ينتفع بها احد في الدنيا تلك الليله التي النوروز ذلك الصباح فمن اجل
ذلك بات الناس على النار في تلك الليله التي رمي فيها ابرهيم عليه السلام ووثبوا
عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليله نيروز والنيروز في اللسان السرياني العيد
وسيل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال لانه اول السنه المستانفة
واخر السنه المنقطعة فكانوا يستحبون ان يقدموا فيه لملوكهم بالطرف والهدايا
فاتخذته الاعاجم سنه قال الحافظ ابو القسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من
حديث ابن عباس رضي الله عنه قال ان فرعون لما قال للملا من قومه ان هذا الساحر
عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك

موعدا لا نخلفه نحن ولا انت فيجتمع انت وهرون ونجمع السحرة فقال موسى موعدكم
يوم الزينة قال ووافق ذلك اليوم يوم السبت في اول يوم من السنة وهو يوم
النوروز وفي رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد
واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك
اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من اذار وفي شهر برمهات
ويقال اول من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما
كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا اي اليوم الجديد وقيل
ان سليمن بن داود اول من وضعه في اليوم الذي رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم
الذي شفي فيه ايوب عليه السلام وقال له الله سبحانه اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الما ويقال كان بالشام سبط
من بني اسرايل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فامر ان
تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا اربعة الاف رجل
ثم ان الله اوحى الى نبي ذلك الزمان ارايت بلاد كذا وكذا اخربها بسبط بني فلان
فقال يا رب كيف اخربها وقد ماتوا فاوحى الله اليه اني احييهم لك فامطرهم
الليلة من الليالي في الحظيرة فاصبحوا احيا فهم الذين قال الله فيهم الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرفع امرهم
الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الما وكان ذلك
اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسيل الخليفة المامون عن رش
الما في النوروز فقال قول الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هولا قوم اجدبوا يقول مات فلان هزلا فغيثوا
في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا واخصب بلدهم فلما احياهم الله بالغيث
والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الما في هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا
وقد روي ان الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف قوم من بني اسرايل فروا من
الطاعون وقيل امروا بالجهاد فخافوا الموت القتل بالجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا
من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شي ثم احياهم على يد حزقيل احد

انبيا

انبيا بني اسرايل في خبر طويل قد ذكره اهل التفسير وقال علي بن حمزة الاصبهاني
في كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال فيه جمشاد احد
ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم
الاعتدال الربيعي كما ان المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون ان النوروز اقدم
من المهرجان ويقولون ان المهرجان كان في ايام افريدون وانه اول من عمله لما
قتل الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه
بعد النوروز بالفي سنة وعشرين سنة وقال ابن وصيف شاه في ذكر منقاوش بن
منقاوش احد ملوك القبط في الدهر القديم وهو اول من عمل النوروز بمصر
فكانوا يقيمون سبعة ايام ياكلون ويشربون اكراما للكواكب وقال ابن رضوان
ولما كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر راى المصريون القدما
وخاصة الذين كانوا في عهد دقلطيانوس الملك ان يجعلوا اول السنة في اول
الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا اول شهورهم توت
ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولا بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور وقال
ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثماية منع امير
المومنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب
الما يوم النوروز وقال في سنة اربع وستين وفي يوم النيروز زاد
اللعب بالما ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا
الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة ايام واظهروا السماجات والخلي بالاسواق
ثم امر المعز بالندا بالكف وان لا يوقد نار ولا يصب ما واخذ قوم فحبسوا
واخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن المامون في تاريخه وحل موسم النوروز
في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسماية ووصلت الكسوة
المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من الالات
المذهبة والحريري والسوادج واطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات
الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم
على اختلافها بتفصيلها واسما اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمان

وعناقيد الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصي وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة
المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز مارق
قال ولقد أحصر كاتب الدفتر الإثباتات لما جرت به العادة من إطلاق العين والورق
والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الأصناف فكان أربعة
آلاف دينار ذهبا وخمسة عشر ألف درهم والكسوات عدة كثيرة من شقق دبيقي
مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وشقق
لاذ مذهب وحريري ومشفع وفوط دبيقي حريري فأما العين والورق والكسوة
فذلك لا يخرج عمن تحويه القصور ودار الوزارة والشيوخ والأصحاب والحواشي
المستخدمين ورؤساء العشاريات وركابيها ولم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف
درجاتهم في ذلك نصيب وأما الأصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل
والعناب والهراسي على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه
جميع الأمراء أرباب الأطواق والأقصاب وغيرهم من الأماثل والأعيان ممن له جار
ورسم في الدولة وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة
يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم
وقد كان بمصر في الأيام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت
ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب
فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم
رتبه ويرسم على دور الأكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل
ذلك يخرج مخرج الطنز ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المؤنثون والفاسقات
تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الأصوات
ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء
والخمر وبالماء ممزوجا بالأقذار وإن غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه
ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فإما فدى نفسه وإما فضح ولم يجر الحال على هذا
ولكن قد رش الماء في الحارات وقد أحيي المنكر في الدور أرباب الخسارات وقال
في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الأمر في النوروز على العادة من رش

الماء

الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع وانقطع الناس عن
التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بالنجس وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه
ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها إلى أن كانت أعوام بضع وثمانين
وسبعمائة وأمر الدولة بديار مصر وتدبيرها إلى الأمير الكبير برقوق قبل أن يجلس
على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فمنع من لعب النوروز وتهدد من لعبه بالعقوبة
فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئا من ذلك في الخلجان والبرك
ونحوها من مواضع النزه بعدما كانت أسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز
من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون به عن حد الحياء
والحشمة إلى الغاية من الفجور والعهر وقل ما انقضى يوم نوروز إلا وقتل فيه قتيل
أو أكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب
لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني ... وكل ما فيه يحكيني وأحكيه
فتارة كلهيب النار في كبدي ... وتارة كتوالي دمعتي فيه

وقال آخر
نوروز الناس ونورزت ولكن بدموعي ... وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعي

وقال آخر
ولما أتى النوروز يا غاية المنى ... وأنت على الإعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشا ... فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الأعمال في الزراعات
وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله أهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في أمورهم

اعلم أن المصريين القدماء اختلفوا في تاريخهم للسنة الشمسية كما تقدم ذكره لتصير الزمان
محفوظا وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتأخر وقت عمل من أعمالهم
عن تقدمه ولا تأخره البتة توت بالقبطي هو أيلول وكانت عادة مصر منذ عهد
فراعنتها في استخراج خراجها وجباية أموالها أنه لا يستتم استيفاء الخراج من
أهلها إلا بعد تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها ويقع تمامه في شهر توت
فإذا كان ذلك وربما كانت زيادة على ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها
ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفي أوله يكون يوم النوروز

ورابعه اول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع الفجر بالصرفه وسابع عشره
عيد الصليب فيشترط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما تاخر من الاخور والترا ع
وترتب المدامسيه لحفظ الجسور وفي ثامن عشره ينتقل الشمس الى برج الميزان فيدخل
فصل الخريف وفي خامس عشرينه يطلع الفجر بالعوا ويكثر صغار السمك وفي هذا الشهر
يعم ما النيل اراضي مصر وفيه يستحل النواحي وتستدفع السجلات والقوانين ويطلق
التقاوي من الغلال لتخضير الاراضي وفيه يدرك الرمان والرطب والبسر والزيتون
والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال اقوى من هبوب الجنوب
وهبوب الصبا اقوى من الدبور وكان قدما المصريين لا ينصبون فيه اساسا وفيه
يكثر العنب الشتوي ويشد والمحمصات بابه في اوله يحصد الارز ويزرع
الفول والبرسيم وساير الحبوب التي لا تشق لها الارض وفي رابعه اول تشرين الاول
وفي ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهايه زياده النيل واشدا نفسه وقد لا يتم فيه
الما فيحجر بعض الارض عن ان يركبها الما فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال
وفي تاسعه يكون مجي اللوالي الى ارض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره
يكون ابتدا استوا الاراضي بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره ينتقل
الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتدا انقص ما النيل
ويكثر البعوض وفي حادي عشرينه يطلع الفجر بالغفر وفي هذا الشهر تنصرف المياه
عن الاراضي ويخرج المزارعون لتخضير الاراضي فيبتدون بزراعة القرط ثم بزراعه
الغله البدريه اولا فاولا وفيه يستخرج دهن الاس ودهن النيلوفر ويدرك التمر
والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كباره ويسمن البوري والابرميس
من السمك خاصه ويستحلى حلاوة الرمان ويكون فيه اطيب منه في ساير الشهور التي
يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسه وفيه يملح السمك المعروف
بالبوري ويهزل الضان والمعز والبقر ولا تطيب لحومها ويدرك المحمصات وفيه
يجب كتابه التذاكر بالاعمال القوصيه وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم هاتور
في خامسه يكون اول تشرين الثاني ويطلع الفجر بالزباني في رابعه وفي سادسه
يزرع الخشخاش وفي سابعه ينصرف ما النيل عن اراضي الكتان ويبدو في النصف منه

وبعد تمام شهر بسبح وفي ثامنه اوان المطر الموسمي وفي حادي عشره تهب ريح الجنوب
وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي ثامن
عشره يحل الشمس برج القوس وفي تاسع عشره يعلو بحر الملح وفي سابع عشرينه
تهب الرياح اللواقح وفي هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه
يكشف ما يحتاج اليه من نصب السكر برسم المعاصر وتزاح العله في جميع ما يحتاج
اليه فيها ويهتم بعلف ابقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض
عنه بغيره وافراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القراميص لعمل الابا ليج
والقوادس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك النبفسج والنيلوفر
والمنثور ومن البقولات الاسفاناخ واللبسان واختار قدما المصريين في هاتور
نصب الاساسات وزرع القمح واطيب حملان السنه حمله وفيه يكثر العنب الذي كان
يحمل من قوص كيهك اوله اول الاربعينيات بمصر وتدخل الطرا وكارها وفي
سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليه السلام وفي سابعه اول كانون الاول وفي
عاشره اخر الليالي البلق واوانه اول هتور وفي حادي عشره اول الليالي السود ويدخل
النمل الاحجره وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشوله ويظهر البراغيث ويسخن باطن
الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره ينتقل الشمس الى
برج الجدي فيدخل فصل الشتا ويزرع الهليون وفي حادي عشرينه يكون اخر الليالي
البلق وفي ثاني عشرينه عيد البشاره وفي ثالث عشرينه يزرع الحلبه والترمس
وفي سادس عشرينه يطلع الفجر بالنعايم وفي ثامن عشرينه يبيض النعام وفي تاسع عشرينه
الميلاد وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد عراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير
والبرسيم الحجازي وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه وفيه ترتب حراس الطير
وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ القنود وفيه يكون
ادراك الرجبي والمحمضات والفول الاخضر واللوبيا والجزر والكراث الابيض
واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يجود
الحدا ويكون اطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع الترحبوب
الحرث ولا يزرع بعده في شي من ارض مصر غير السمسم والمقاتي والقطن طوبه

في اوله ثالثه ابتدا زراعه الحمص والجلبان والعدس وفي سادسه كانون الثاني
وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلده وعاشره صوم الغطاس وحادي عشره الغطاس
وثاني عشره يشتد البرد ورابع عشره يرتفع الوبا بمصر ويغرس النخل وفي سابع عشره
تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندا ويكون ابتدا غرس الاشجار والعشرين منه
يكون اخر الليالي السود وحادي عشرينه الليالي البلق الثانيه وفي ثاني عشرينه يطلع
الفجر بسعد الذابح وفي ثالث عشرينه يهب الرياح البارده ورابع عشرينه تفرخ
جوارح الطير وفي خامس عشرينه يكون نتاج الابل المحموده وسابع عشرينه يصفو ما
النيل وفي ثامن عشرينه يتكامل ادراك القرط وفي هذا الشهر يقلم الكروم وينظف
زروع الغله من اللبسان وغيره وينظف زرع الكتان من النجيل وغيره وفيه
ترش الاراضي اول سكه برسم الصيفي والمقاث والقطن والسمسم وشتى برشها
في اول امشير وفيه تسقى ارض القلقاس والقصب وتسد الجسور في اخره وفيه
يستخرج اراضي الخرس ويكسر القصب الراس بعد افراد ما يحتاج اليه من الزريعه
وهو لكل فدان طين قيراط قصب راس وفيه يهتم بعماره السواقي وحفر الابار
واسباع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والليمون وفيه ايضا يكون
هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور
وفيه يكون الباقلا الاخضر والجوز اطيب منهما في غيره وفيه تتناهى ما النيل في صفائه
ويخزن فلا يتغير في اوانيه ولو طال لبثه بها وفيه يطيب لحوم الضان اطيب منها في
سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب
الناس افتتاح الخراج ومحاسبه المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بايديهم
من المحلول والمعقود امشير في اوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد
بلع وفي سادسه يكون اول شباط وفي تاسعه يجري الما في العود وحادي عشره
اول جمره بارده وسادس عشره تحل الشمس باول برج الحوت وفي سابع عشره
تخرج النمل من الاجحره وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود والعشرين منه
ثاني جمره فاتره وثالث عشرينه تقلم الكروم وخامس عشرينه تفرخ النخل وسابع
عشرينه ثالث جمره حاميه ويورق الشجر وهو اخر غرسها وفي اخره يكون اخر الليالي

البلق

البلق وفي هذا الشهر يقلع السلجم ويستخرج خراجه وفيه شتى برش الصيافي ويرش
ايضا ثالث سكه وفيه يعمل مقاطع الجسور ولمسح الاراضي ويرقد البيض في
المعامل اربعه اشهر اخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا
وفيه ينبغي ان يحمل ساير الخزف للما المعمل فيه طول السنه فان ما عمل فيه من اواني
الخزف برد الما في الصيف اكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس
الشجر وتقلم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور ويقال
امشير يقول للزرع سير ويلحق الطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهوا الذي
فيه سخونه ما وفي امشير ياخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات برمهات
اول يوم منه يطلع الفجر بالاخبيه وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع
السمسم وثاني عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اول الاعجاز ويطلع الفجر
بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تفتح الحيات اعينها وفي سابع عشره تنتقل الشمس
الى برج الحمل وهو اول فصل الربيع وراس سنه الجند وراس سنه العالم وفي العشرين
منه يكون اخر الاعجاز وثاني عشرينه نتاج الخيل المحمود وثالث عشرينه يظهر الذباب
الازرق وخامس عشرينه يظهر هوام الارض وسابع عشرينه يطلع الفجر بالفرغ
المؤخر وفي اخره تفرق السحاب وفي هذا الشهر تجري المراكب السفريه في البحر
الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندريه
ودمياط وتنيس ورشيد وفيه كانت تتجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ
الثغور وفيه تزرع المقاثي والصيفي ويدرك الفول والعدس ويقلع الكتان
وتزرع اقصاب السكر في الارض المروسه المختاره لذلك المعده العهد عن
الزراعه وياخذ المستاجرون في تنظيف الارض المزروعه من القش في وقت الزراعه
وياخذ القطاعون في قطع الزريعه وياخذ المزارعون في رمي القطع القصب
وفيه يوخذ في تحصيل النطرون وحمله من وادي هبيب الى الشونه السلطانيه
وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه تزهر الاشجار وتنعقد اكثر ثمارها
وفيه يكون اللبن الرايب اطيب منه في جميع الشهور التي يعمل بها وفي برمهات
يطالب الناس بالربع الثاني والثمن من الخراج برموده في سادسه اول

نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرشا وفي ثاني عشره يقلع النحل وفي سابع عشره
تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشرينه يطلع الفجر بالشرطين وهو راس الحمل
واول منازل القمر وفيه ابتدا انكسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع وفي
هذا الشهر يهتم بقطع الخشب للسفن من الخراج الذي كان بمصر في القديم ايام
الدوله الفاطميه والايوبيه ويحدر الى السواحل ليتيبس حتى يأتي زمن النيل الى ساحل
مصر ليعمل شواني واحطاب برسم الوقود في المطابخ السلطانيه وفيه يكثر الورد
ويدرك الخيار شنبر والملوخيه والباذنجان وفيه يقطف اوايل عسل النحل
وينفض جوز الكتان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يطهر البطن
الاول من الجميز وفيه تقع المساحة على اهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق
نصف الخراج عن تحلاتهم ويحصد بدري الزرع بشنس في خامسه ملتم الفاكهه
وسادسه اول ايار وفيه يطلع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه
انفتاح البحر الملح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزا
وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعه الارز
والسمسم ورابع عشرينه يكون عيد البلسان بالمطريه ويزعمون انه اليوم الذي
دخلت فيه مريم الى مصر وفي هذا الشهر يكون دراس الغله وهدار الكتان
ونفض البزر والتقاوي والاتبان وحملها وفيه زراعه الملسان وتقليمه
وسقيه ويكون برا اصنيه من بؤونه الى اخر هاتور واستخراج دهنه بعد شرطه
في نصف بؤونه وان كان في اوله فهو اصلح والى اخر هاتور وصلاح ابانه ايام
البدري ويتم في البداسه كامله الى ان يشرب اعكاره واوساخه ويطبخ الدهن في
الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصري اربعه واربعون رطلا
من ما فيحصل منه قدر عشرين درهم وما حولها من الدهن وفي هذا الشهر
اكثر ما يهب من الرياح الشمال وفيه يدرك التفاح القاسمي ويبدي فيه التفاح
المسكي والبطيخ العبدلي ويقال انه اول ما عرف بمصر عندما قدم اليها عبد الله
ابن طاهر بعد المائتين من سني الهجره فنسب اليه وقيل له العبدلي وفيه ايضا
يبدي البطيخ الحوفي والمشمش والخوخ الزهري وجني الورد الابيض وفيه يعقد

المساحه

المساحه ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من ابواب وجوه المال كالصرف
والجهبذه وحق المراعي والقرط والكتان على رسوم كل ناحيه ويستخرج فيه اتمام
الربع بما تقررت عليه العقود والمساحه ويطلق الحصاد لجميع الناس بؤونه
في ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفي خامسه يتنفس النيل وفي تاسعه اوان قطع (وفي سابعه اول حزيران)
النحل وفي حادي عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد ميكاييل فيؤخذ قاع
النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهقعه وفي عشرينه
تحل الشمس اول برج السرطان وهو اول فصل الصيف وفي سابع عشرينه ينادى على
النيل بما زاده من الاصابع وفي ثامن عشرينه يطلع الفجر بالهنعه وفي هذا الشهر
تسفر المراكب لحصاد الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال
القوصيه ونواحي الوجه البحري وفيه يقطف عسل النحل ويخرص الكروم ويستخرج
زكاتها وفيه يبدا الكتان ويقلع اربعة اوجه في بؤونه وابيب وفيه زراعه
النيله بالصعيد الاعلى ويحصد بعد مايه يوم ثم يترك لم يحصد في كل مايه يوم حصده
ويحصد من اول كيهك وطوبه وامشير وبرمهات ويطلع في برموده ويحصد
في عشره ايام من ابيب ويقيم في الارض الجيده ثلاث سنين ويسقى كل عشره ايام دفعتين
وثاني سنه ثلاثه وثالث سنه اربع دفعات وفي هذا الشهر يكثر التين الفنوي
والخوخ الزهري والكمثرى والقراصيا والقثا والبلح والحصرم ويبدى ادراك
العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جمهور العسل
وتكون رياحه قليله والتين يكون فيه اطيب منه في ساير الشهور وفيه يطلع النخل
وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقي بعد المساحه ابيب في سابعه اول
تموز وفي عاشره اخر قطع الخشب وفي حادي عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره
ابتدا انعطاف الكتان وفي خامس عشره يقل ماء الابار وتدرك الفواكه ويموت الدود
وفي حادي عشرينه تحل الشمس اول برج الاسد ويذهب البراغيث ويبرد باطن الارض
ويهيج اوجاع العين وفي خامس عشرينه يطلع الفجر بالنثره وفي سادس عشرينه
تطلع الشعرى العبور اليمانيه وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمال
ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المعروف بمجي العنب ويكثر البطيخ

العبدلي ويقل حلاوته ويكثر الكمثرى السكري ويطيب البلح وفيه يقطف عامة عسل
النحل ويقوى زيادة ماء النيل ويقال في ابيب يدب الماء دبيب وفيه يدبغ الكتان
في المبلات ويباع البرسيم والبزر برسم زراعة القرط والكتان وفيه يدرك ثمر
القنب ويحصل القرطم وفيه يستتم ثلاثة ارباع الخراج مسرى في سابعه يطلع
الفجر بالطرف وفي ثامنه اول الاب وفي حادي عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحمى
الماء ولا يبرد وفي سابع عشره استكمال الثمار وفي عشرينه يطلع الفجر بالجبهة
وفي حادي عشرينه تحل الشمس برج السنبلة وفي ثالث عشرينه يتغير طعم الفاكهة
لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشرينه يكون آخر السموم وفي تاسع عشرينه
يطلع سهيل بمصر وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا في غالب السنين
حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجري ماء النيل
في خليج الاسكندرية وتسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وساير اصناف
المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويستخرجون زكاة الثمار في هذا الشهر
عندما كانت الزكوات تجبيها السلطان من الرعية واكثر ما يهب في هذا الشهر
~~عندما كانت~~ الرياح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه
يدرك الموز واكثر ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحي وكان
من جملة اصناف الليمون بارض مصر ليمون يقال له التفاحي يوكل بغير سكر لقلة حمضه
ولذة طعمه وفيه يكون ابتدا ادراك الرمان واذا انقضت ايام مسرى ابتدأت ايام
النسيء ففي اوله ابتدا هيج البحار وفي رابعه يطلع الفجر بالخراتان وفي مسرى يغلق
الفلاحون خراج اراضي زراعاتهم وكانوا يؤرخون البقايا على دق الكتان في مسرى
وابيب لان الكتان يبل في توت ويدق في بابه

ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية وكيف عمل ذلك في الملة الاسلامية

قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما
للامم في كبس السنين من الاراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحرز المسلمون من كبس السنين
خشية الوقوع في النسيء الذي قال الله سبحانه فيه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به
الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند راس

كل

كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاف لان كل ثلاث وثلاثين سنة
قمرية اثنان وثلاثون سنة شمسية بالتقريب وسانلوا عليك من نبأ ذلك ما لم اره
مجموعا قال ابو الحسين عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب اخبار امير المؤمنين
المعتضد بالله ابي العباس احمد بن ابي احمد طلحة الموفق بن المتوكل ومنه نقلت وخرج امر
المعتضد في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة
خلت من حزيران رافة بالرعية وايثار الارفاق بهم وقالوا اخرج التوقيع في المحرم سنة
اثنتين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك
افتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من
صفر وان يجعل ما يفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعا لثلاث
عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الاخر من هذه السنة وهو اليوم الحادي عشر من حزيران
وسمي هذا النوروز المعتضدي ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج
في تصيير افتتاح الخراج في حزيران اما بعد فان الله حول امير المؤمنين للمحل الذي
احله به من امور عباده وبلاده يرى ان من حق الله عليه ان لا يكلفهم مسالة العدل
عليهم ولا الانصاف لهم والسيرة القاصدة وان يتولى لهم صلاح امورها ويستقري
السير والمعاملات التي كانت يعامل بها ويقر منها ما اوجب الحق اقراره ويزيل
ما اوجب ازالته غير مستكثر لهم كثير ما اسقطه العدل ولا مستقل لهم قليل ما
يلزمه اياها الجور وقد وفق الله امير المؤمنين لما يرجو ان يكون لحق الله فيه قاضيا
ولسنته من العدل موازيا وبالله يستعين امير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها
وحياطة ما ولاه من امورها وهو خير موفق ومعين وان ابا القاسم عبيد الله رفع الى
امير المؤمنين فيما امره امير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتتح فيه الخراج بالعراق
والمشرق وما يتصل بها ويجري مجراها من الوقت الذي صار فيه من الزمان الى
الوقت الذي كان عليه متقدما مع ما امر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير
العدل على مر الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومر الايام فوافق امره امر امير المؤمنين
نسختها لك في آخر كتابه معما وقع به فيها لتمتثله فاعمل ذلك ان شاء الله والسلام
عليك ورحمة الله وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة

احدى وثمانين ومائتين نسخة المؤامرة انهيت الى امير المؤمنين ان مما انعم الله به على
رعيته ورزقهم اياه من رافته وحسن نظره واقامته عليهم من عدله وانصافه
ورفعه عنهم في خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقوى والاصغر والكبير والملي
والذمي سواء ما حررته من نقل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب اليها من
سني الهجرة الى السنة التي فيها تدرك الغلات وتستخرج المال وان ذلك مما كان
بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تنسيب الخراج على اهله
ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعناتهم بذكر سنة من السنين اللتين تنسب
بالخراج اجدابهم وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في اخرى منهما في حساب شهور
الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل
وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذ كان عمل الشام والجزيرة
والموصل جرى على حساب شهور الروم الواقعة للازمنة فليست تختلف اوقاتها
مع الكبيسة المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط
الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت مواقعها من الزمان
لما ترك من الكبس منذ ازال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز
الذي كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد يتقدم في ترك الكبس شهرين وصار
بينه وبين ادراك الغلة فامر امير المؤمنين بما جعل الله عليه رايه في التوصل
الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسم الاسباب المؤدية الى اعناتها بتاخير النوروز
الذي يقع في شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي
يتفق فيه ايام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة
ايام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسهما وهي ستون يوما حتى يكون
نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الاخر
سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادي عشر من حزيران وهو يتصل به ويجري
مجراهما ويثبت ويضاف اليهما وسائر اعمالهم ورسما تعمله اصحاب الحساب من
التقويمات وجميع الاعمال وما نقله الفرس من شهورهم الى شهور الكبيسة الاول
والاخير يكبس بعد ذلك في كل اربع سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت

بينه

بينه وبينه على مرور الايام ويكون ابدا واقعا في حزيران وغير خارج منه وان يلغى
ذكر سنة من كل اربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر
النواحي والافاق اذ كان مقدار سني ايام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التي تتكامل
فيها الغلات وان يخرج التوقيع بذلك لتنشا الكتب به من ديوان الرسائل الى
ولاة المعاون والاحكام ويقرا على المنابر ويحمل اصحاب المعاون الرعية عليه ويأخذ
بامتثال ما امر امير المؤمنين منه وينشئه الحكام في دواوين احكامهم لتمثيل القضاة
والمقاطعون ذلك على حسبه واستطلع راي امير المؤمنين في ذلك فرأى امير المؤمنين
في ذلك موفقا ان شاء الله وكانت نسخة التوقيع بنفاذ ذلك ان شاء الله وكتب
في شهر ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين قال وكان السبب في نقل الخراج
الى حزيران في ايام المعتضد ما حدثني به ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم النديم
قال كنت احدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تاخير النوروز
فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني ابي قال دخل المتوكل قبل تاخير
النوروز بعض بساتينه الخاصة التي كانت له في ملك وهو متوكئ على يحادثني
وينظر الى ما احدث في ذلك البستان فمر بزرع فرآه اخضر فقال يا علي ان الزرع
اخضر بعد ما ادرك وقد استامرني عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج فكيف
كانت الفرس تستفتح الخراج في النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس
يجري الامر اليوم على ما كان يجري عليه في ايام الفرس ولا النوروز في هذه الايام في
وقته الذي كان في ايامهم قال وكيف ذلك قلت لانها كانت تكبس في كل مائة
وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا فصار في خمس من حزيران
كبست ذلك الشهر فصار في خمس من ايار واسقطت شهرا وردته الى خمس من
حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما ملك العراق خالد بن عبد الله القسري وحضر
الوقت الذي يكبس فيه الفرس منعهم من ذلك وقال هذا من النسيء الذي نهى الله
عنه فقال انما النسيء زيادة في الكفر وانا لا اطلقه حتى استامر فيه امير المؤمنين
فبذلوا على ذلك مالا جزيلا فامتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك
يعرفه ذلك ويستامره ويعلمه انه من النسيء الذي نهى الله عنه فامر بمنعهم من

ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدم النوروز بعد ما شديدا حتى صار يقع في نيسان والزرع اخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا ابدا على عملا ترد النوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في ايام الفرس وعرف ذلك عبيد الله بن يحيى واد اليه رسالة مني في ان يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل واديت اليه رسالته فقال لي يا ابا الحسن قد والله فرجت عن الناس وعملت عملا كبيرا بعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المومنين اجرا وشكرا فاحسن الله جزاك فمثلك فليحي لسان الخلف واحب ان تقدم بالعمل الذي امر به المتوكل وتنفذه الي حتى اجري الامر عليه والتقدم في كتب الكتب في استفتاح الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس يخلو من حزيران فيصير في خمسة ايام تخلو من ايار فتلبس سنتين فزده الى خمسة ايام من حزيران وانفذته الى عبيد الله ابن يحيى فامر ان يستفتح الخراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابرهيم بن العباس في ان ينشئ كتابا عن امير المومنين في ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعمل ابرهيم بن العباس كتابه المشهور في ايدي الناس قال ابو احمد فقال لي المعتضد يا يحيى والله لهذا فعل حسن وينبغي ان نعمل به فقلت ما احد اولى بفعل الحسن واحيا السنن الشريفة من سيدنا امير المومنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمن وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وامض الامر في استفتاح الخراج عليه قال فصرت الى عبيد الله بن سليمن الى الديوان وعرفته الخبر فاحب تاخيره عن ذلك لئلا يجري الامر المجرى الاول بعينه فجعله في احد عشر من حزيران واستامر المعتضد في ذلك فامضاه فقلت في ذلك شعرا انشدته المعتضد في هذا المعنى يوم نوروزك يوم واحد لا يتاخر من حزيران يوافي ابدا في احد عشر قال واخبرني بعض مشايخ الكتاب قال كانت الكلف يوخر النوروز عن وقته عشرين يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتاخير افتتاح الخراج على اهله فاما المهرجان فلم يكن يوخره عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدمه عن وقته بيوم المعتمد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وامر المعتضد بتاخير

النوروز عن وقته ستين يوما قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت يعني ما ذكره ابن ابي طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الافاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث واربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبره واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تاخير النوروز غير انه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين اول تاريخ ملك يزدجرد واخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنا ان اهمالهم امر الكبس من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلاث واربعون سنة وحصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز في سنته وجعله مبتدى تلك الايام وهو من خرداد ماه في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذ اكبست الروم شهورها وقال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين ابو الحسن علي بن القاضي المومن ثقة الدولة ابي عمرو عثمن بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون اداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقتها السنة القبطية لان ايام شهورها ثلثمائة وستون يوما وبعدها خمسة ايام النسي وربع يوم بعد تقضي مسرى وفي كل اربع سنين يكون ايام النسي ستة ايام لتجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفي كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفضل بين السنتين الشمسية والسنة الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذي يطابق به احدى السنتين الاخرى وقد قال ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت تجبى اموال الخراج في سنتين قبل سنة احدى واربعين ومائتين من خلافة امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله عليه تجري كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تاخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين واربعين ومائتين كان قد

انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة امير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيهن ايام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وتهيا ادراك غلات وثمار سنة احدى واربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين واربعين ومائتين فأمر امير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى واربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسبة الخراج الى سنة اثنتين واربعين ومائتين فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى ان انقضت ثلاث وثلاثون سنة اولهن انقضت سنة اربع وسبعين ومائتين فلم ينتبه كتاب امير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان قد نسي وبعد في ذلك الوقت اسمعيل بن بلبل وبنو الفرات ولم يكونوا عملوا في ديوان الخراج والضياع في خلافة امير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد ابن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد علي اخيه فيها وكان اسمعيل بن بلبل معلما في مجلس لم يبلغ ان ينسخ فلما تقلد الناصر لدين الله ابو احمد طلحة الموفق رحمه الله اعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان معه باذربيجان وخليفته بالجبل احمد بن محمد جرادة وحمد بن محمد كاتبه واحتجت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي ادركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسألاني عن السبب فيها فشرحته لهما والذي دلني ان عرفتهما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على اصحابنا المنجمين فذكروا انه لم يأت فيه شي من الامر فكان ذلك الذي لطف استخراجي وهو ان الله تبارك وتعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلم اجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله تعالى وازدادوا تسعا وانما خاطب الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما يعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع ان الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا اضيف الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين

شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله رحمه الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر وتقلد ابو القسم عبيد الله بن سليمن كتابة امير المؤمنين المعتضد بالله اجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على ابي القسم عبيد الله في تأخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى ابي القسم بانشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد اربع سنين من وجوبه ثم مضت السلوك سنة بعد سنة الى ان انقضت الان ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمسة وسبعين ومائتين واخرهن انقضت سنة سبع وثلثمائة وقد تهيا ادراك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثلثمائة ونسبتها اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في ايام المتوكل لما نقلوا سنة احدى واربعين ومائتين الى سنة اثنتين واربعين ومائتين جعلوا الجوالي والصدقات لسنة احدى واثنتين واربعين ومائتين في وقت واحد لان الجوالي بسر من راى ومدينة السلام وقصبات المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من جماجم اهل القرى في الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كانت تجبى على شهور الشمس وفي الثلاث والثلاثين سنة اجتمعت ايام سنة شمسية كاملة فالزم هؤلاء الذمة مخاصة الجوالي ورفعها العمال في حسباناتهم لم لم يرفعها الزموه جوالي السنة الزايدة فاحتفظ انما اجتمع من ذلك الوقت الى الوقت دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بان تكون جباياتهم الجوالي على شهور الاهلة فجرى الامر على ذلك قال القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجري مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين الخراجية الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات ابي رحمه الله واخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات ابي رحمه الله الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل ابي علي عبد الرحيم بن علي البيساني انه قد آن نقل السنة فانشأ سجلا بنقلها نسخ في الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعنون بنقل السنين في اوقاتها وقال ابو الحسن هلال بن المحسن الصابي

حدثني ابو علي قال لما اراد الوزير ابو محمد المهلبي نقل سنة خمسين وثلثمائة الهلالية امر ابا
اسحق والدي وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بانشا كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى
فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره
منها وتقدم بان يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابي الفرج ابن ابي هشام خليفته اكتب
الى العمال بذلك كتبا محققة وانسخ في اواخرها هذا الكتاب السلطاني فغاظ ابا الفرج وقوع
التفضيل والاختيار لكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما اطرح وكتب
قد رايت نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني
وعرف الوزير ما كتب به ابو الفرج فقال له لما اغفلت نسخ الكتاب السلطاني في اواخر
الكتب الى العمال واثباته في الديوان فاجاب جوابا علل فيه فقال له يا ابا الفرج ما
تركت ذلك الا حسدا لابي اسحق وهو والله في هذا الفن اكتب اهل زمانه فاعد الان
الكتب وانسخ الكتاب في اواخرها قال القاضي ابو الحسن وانا اذكر بمشية الله نسخة
الكتاب الذي اشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب ابي اسحق وكتاب القاضي
الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت
الموافقة وحسنت غير المطابقة فالكتاب الفاضلي اكثر ايجازا واعظم اعجازا ولا
يخفى على المتامل قدر ما اوردفه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه
كتاب الصابي من الصناعة نسخة الكتاب الذي اشار اليه ابو الحسن الكاتب ان اولى
ما صرف اليه امير المومنين عنايته واعمل فيه فكره ورويته وشغل به تفقده
ورعايته امر الفي الذي خصه الله به والزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره
وجعله عماد الدين وقوام امر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاوليا والجنود
ومن يستعان به فيه لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد
العدو وسد الثغور وامن السبل وحقن الدما وصلاح ذات البين وامير المومنين
يسال الله راغبا اليه ومتوكلا عليه ان يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه
لما ارضاه وارشاده الى ما يقضي عنه وله وقد نظر امير المومنين فيما كان يجري عليه امر
جباية هذا الفي في خلافة ابائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب
ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة اولا اولا على مجاري شهور سني الشمس

في النجوم التي تحل بالكل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتاخر عن
الشهور السنة الهلالية احد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات
والثمار في كل سنة بحسب تاخرها فلا تزال السنين تمضي على ذلك سنة بعد
سنة حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون سنة ويكون عدة الايام المتاخرة منها ايام سنة
شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه بحسب ما
يشاء الله وقدرته ادراك الغلات التي تجري عليها الضرايب والطسوق في استقبال
المحرم من سني الاهلة ويجتمع ذلك الغاذكر السنة الخارجة اذ كانت قد انقضت
وسنيها الى السنة التي ادركت الغلات والثمار فيها وانه وجد ذلك قد كان
وقع في ايام امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضا ثلاث وثلاثين
سنة اخرهن سنة احدى واربعين وماتين فاستغنى عن ذكرها بالغاية وسيدها الى
سنة اثنتين واربعين وماتين فجرت المكاتبات والحسبانات وساير الاعمال بعد
ذلك سنة بعد سنة الى ان مضت ثلاث وثلاثون سنة اخرهن انقضا سنة اربع
وسبعين وماتين ووجب انشا الكتب بالغاذكر سنة اربع وسبعين وماتين
ونسبتها الى سنة خمس وسبعين وماتين فذهب ذلك على كتاب امير المومنين
المعتمد على الله وتاخر الامر فيه اربع سنين الى ان امر امير المومنين المعتضد بالله رحمه
الله في سنة سبع وسبعين وماتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة
تسع وسبعين وماتين فجرى الامر على ذلك الى ان انقضت في هذا الوقت ثلاث
وثلاثون سنة اولهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين وماتين
واخرهن انقضا شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب افتتاح خراج ما يجري
عليه الضرايب والطسوق في اوله وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال
ما يخف على الرعية معاملتهم وان به نقل سنة الخراج لسنة سبع وثلثمائة الى
سنة ثمان وثلثمائة فراى امير المومنين لما يلزمه نفسه ويا خذها به من العناية
بهذا الفي وحياطة اسبابه واجرايه على مجاريها وسلوك سبل ابائه الراشدين
رحمة الله عليهم فيها ان يكتب اليك والى ساير العمال في النواحي بالعمل على ذلك
وان يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه عنكم وتجري عليه اعمالكم ورفوعكم

وحسب نياتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من راي امير المومنين واعمل
به مستشعرا فيه في كل مظنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان
وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك في ذلك ان شا الله ٥

نسخة كتاب ابي اسحق الصابي اما بعد فان امير المومنين لا يزال مجتهدا في مصالح
المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيئا لهم احسن الاختيار فيما
يوردون ويصدرون واصوب الراي فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له خلة داخلة
على امورهم الا سدها ولا فاقة ولا حالا عائدة تحط عليهم الا عمدها واتاها ولا
سنة عادلة الا اخذهم باقامة رسمها وامضى حكمها والاقتدا بالسلف الصالح في
العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور البابها وتجهله
العامة بقصور افهامها وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من
اعيان رجاله واماثل عماله الذين يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة
والعبارة لم يدع ان يبلغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتاخر
بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولاسيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات
الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه
الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن
برز في المعرفة مذكرا ولمن تاخر فيها مبصرا ولانه ليس في الحق ان يمنع هذه الطبقة
من برد اليقين في صدورها ولا ان يقتصر على اللمحة الدالة في مخاطبة جمهورها
حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس في فهم ما امروا به وفقه ما دعوا اليه
وصاروا على كلمة سوا لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المستريبين
اطمانت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم
واستيقنوا انهم موسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من جوائر الزيغ
والاعوجاج وكان الانقياد منهم ولهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون
مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وامير المومنين يستمد الله تعالى في جميع اغراضه
ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف به على سنن الصلاح ويفتح
له ابواب النجاح وينهضه بما اثقله حمله من الاعبا التي لا يدعي الاستقلال بها الا

بتوفيقه

بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب امير المومنين الله ونعم
الوكيل وامير المومنين يرى ان اولى الاقوال ان يكون سدادا واحرى الافعال ان
يكون رشادا ما وجد له في السابق من حكم الله اصول وقواعد وفي النص من كتابه ايات
وشواهد وكان معظما للامة الى قوام من دين ودنيا ولحاق في اخرى واولى
فذلك هو النبت الذي يثبت ويعلو والغرس الذي ينبت ويزكو والسعي الذي ينجح مباديه
وهواديه وتبهج عواقبه وتواليه وتنير سبله لسالكيها وتوردهم التحرز والسعود
في مقاصدهم فهم غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عز
وجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما يتعلق عليه من اتصال
وافتراق ويتفق عليه من اختلاف واتفاق منافع يظهر في كرور الشهور
والاعوام ومرور الليالي والايام وتفاوت الضيا والظلام واعتدال المسالك
والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات والحيوان فما في نظام ذلك
خلل ولا في صنعته خلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقص قال
الله سبحانه هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله في هذه الايات بين
الشمس والقمر وانبانا في الباهر من حكمه والمعجز من كلمه ان لكل منهما طريقا يسير
فيه وطبيعة جبل عليها وان تلك المباينة والمخالفة في المسير يوديان الى
موافقة وملازمة في التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة
وخمسة وستين يوما وربعا بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي يقطع الشمس
فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين
يوما وكسرا وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا اتساق
هذا الفصل الى استعمال النقل الذي يطابق احدى السنتين بالاخرى اذا افترقتا
وتلافي بينهما اذا تفاوتتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على

افتنان من طرقهم ومذاهبهم وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصه
اهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمايه سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزياده
بان الفضل في السنين المذكوره على تقريب التقريب فاما الفرس منهم فانهم اجروا معاملاتهم
على السنه المعتدله التي شهورها اثنا عشر شهرا واياماهن ثلثمايه وستون يوما
ولقبوا الشهور باثني عشر لقبا وسموا ايام الشهر منها بثلثين اسما وافردوا الخمسه
الايام الزايده وسموها المسترقه وكبسوا الربع في كل مايه وعشرين سنه شهرا فلما
انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سننه وانفرج ما بينه
وبين حقيقة وقته انفراجا هو زايد لا ينقف ودايم لا ينقطع حتى ان موضوعهم في
النوروز ان يقع في مدخل الصيف وسينتهي الحال ان يقع في مدخل الشتا ويتجاوز
ذلك عن موضوعهم في المهرجان ان يقع في مدخل الشتا وسينتهي الى ان يقع في مدخل
الصيف ويتجاوز واما الروم فكانوا احذق منهم حكمه وابعد نظرا في عاقبه لانهم
رتبوا شهور السنه على ارصاد شهورها وانواء عرفوها وقضوا الخمسه الايام
على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع في كل اربع سنين يوما وسموا
ان يكون الى شباط مضافا فقربوا ما بعده عنهم وسهلوا على الناس ان يتفقوا
اثرهم لا جرم ان المعتضد بالله صلوات الله عليه على اصولهم بنا ولما اسم
احتذى في تصييره نوروز اليوم الحادي عشر من حزيران حتى سلم مما لحق النوروز
في سالف الازمان وتلافوا الامر في مجوس الهلال عن سني الشمس بان جبروها
بالكبس فكلما اجتمع من فضول سني الشمس ما يفي بتمام شهر جعلوا السنه الهلاليه
يتفق ذلك فيها ثلاثه عشر هلالا في تمام الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما
لم في سنتين بحسب ما يوجبه الحساب فصيرت سنو الشمس والهلال عندهم
متقاربه لا تتباعد ما بينهما واما العرب فان الله جل وعز فضلها على
الامم الماضيه وورثها مساعيهم المتقدمه واجرى شهر صيامها ومواقيت
اعيادها وزكاة اهل ملتها وجزيه اهل ذمتها على السنه الهلاليه وتعبدها
فيها برويه الاهله اراده منه ان يكون مناهجها واضحه واعلامها لايحه فتتكافا
في معرفه العوض ودخول الوقت الخاص منهم والعام والناقص العقد والتام

ر الاس

والانثى والذكر والصغير والكبير فصاروا احسنيه يحسبون في سنه الشمس حاصل الغلات
المقسومه وخراج المسوحه ويجبون في سنه الهلال الجوالي والصدقات
والارجا والمقاطعات والمستغلات وساير ما يجري على المشاهرات وحدث
من التداخل بين السنين ما لو استمر لتجحد او ازداد تجحدا اذ كانت الجبايه الحاجنه
في السنه التي ينتهي اليها تنسب الى الشمسيه وفيما قبلها فواجب مع هذا ان تطرح
تلك السنه وتلغى ويتجاوز الى ما بعدها هذا او يتخطى فيحمل لهم ان يعتد والحاقهم
في كبس سنه الهلاليه بشهر ثالث عشر لانهم لو فعلوا ذلك لخرجت الاشهر
الحرم عن مواقعها وازيلت المناسك عن حقايقها ونقصت الجبايه في سني
الاهله القبطيه بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى
ان تتم السنه واوجب الحساب المقرب ان يكون كل اثنتين وثلاثين سنه شمسيه
ثلاثا وثلاثين سنه هلاليه فنقلوا المتقدمه الى المتاخره نقلا لا يتجاوز الا التسميه
وكانت هذه الكلفه في دنياهم سبيلها مع تلك المحنه في دينهم وقد راى
امير المومنين نقل سنه خمس وثمانين ومايتين الخراجيه الى سنه احدى وخمسين
وثلثمايه الهلاليه جمعا بينهما ولزوما لملك السنه فيها فاعمل بما ورد به امير
المومنين عليك وتضمنه كتابه بهذا الملك واقرا الكتاب قبلك ان تحدد وارسمه
فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه الدواوين من ذكرهم ورفوعهم
ويقدرونه من وجوه الاموال ويسطرونه من الدواوين والاعمال ويثبتون
عليه الجماعات والحسبانات ويوعزون بكتبه من البروز والمحاسبات والبراات
وليكن المنسوب من ذلك الى سنه خمسين وثلثمايه التي رفع النقل اليها واوجد
في نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعيه واهل المله والذمه ان هذا
النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على ما بعض العطا سعطان
ما استحقوا قبضه ولا على مود في حق بيت المال نقضا لما وجب اداوه فان
فراغ الكريم فقرع الى اوهام امير المومنين الذي اثر ان تزاح فيه العله وتسد به
منهم الخله اذ كان هذا الشان لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج
الى تعريف الفاسي واذكار الناسي واجب ما يكون مثل جوابا حسن موقعه

لكان شا الله وقال ابن المامون في تاريخه من حوادث سنه احدى وخمسمايه واول
ما تحدث عنه نقل السنه الشمسيه الى العربيه وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع
سنين فتحدث القايد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطايحي مع الافضل بن امير الجيوش
في ذلك فاجابه اليه وخرج امره الى الشيخ ابي القسم بن الصيرفي بانشا سجل به فانشا
ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ارتضى امير المومنين امينه في ارضه
وخليفته والمه ان يعم بحسن التدبير عبيده وخليقته ووفقه للصالح نسمه
اسبابها وفتح بحسن نظره ابوابها واورثه مقام ابايه الراشدين الذين اختصهم
بشرف الفخر وجعل اعتقاد ولايهم سبب النجاة في المحشر وعناهم بقوله يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر واعلى منار سلطانه لمدبر افلاك دولته ومبدا علاه مملكته وابرهى
من نصب للمجد علما ورايه ووقف على مصلحة البريه نظره ورايه وارشد بهدايته
الالباب الحايره واذهب بعدله الاحكام الجايره السيد الاجل الافضل ونم النعوت
والدعا الذي كل بتدبيره نظام الصلاح وتممه وسدد بتقريره الامور في كل ما وصله
وتممه وتنبه في السياسه على ما انهمه من سبقه واغفله من تقدمه وتتبع احوال
المملكه فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه
ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا اسا فيما يثار العماره الا اعمال
وقصد ما يقتضي توفر الاموال ويوخذ لما عاد بضرر وبطل الاستغلال واعتنى
برجال الدوله العلويه واحبارها واهتم بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها
ورعايه لمن ضمنه اقطار المملكه من الرعايا وحملانهم على اعدل السنين وافضل
القضايا بحمد امير المومنين على ما اعانه عليه من حسن النظر للامه وادخره
لايامه من الفضايل التي صفت بها ملابس النعمه ووفقه لما يعود على الكافه
بشمول الانتفاع حتى صار اسنى الحقوق بواجبات الشريعه الواضحه الادله
واستفادها المقتضى المعدله فيما يجري على احكام الخراج واوضاع الاهله ويرغب الى الله
في الصلاه على محمد الذي ميزه بالكلمه وفصل الخطاب وبين به ما اشتبه من
سبل الصواب وانزل عليه في محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى اخيه وابن

عمه

عمه ابينا امير المومنين علي بن ابي طالب كافيه فيما اعضل لما عدم المساعد وواقيه
بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى الايمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى
فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان اولى ما اولاه امير
المومنين حظا وافيا من تفقده واسنى له حزا وافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين
اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التي يستعان بها على
سد الخلل وبرجا بها يستدفع ما طرق من الحادث الجلل وبتوفرها تستتب
شوون المملكه ويستقيم احوال الدول وباستخراجها على حكم العدل الشامل وقصيه
انصاف المعامل تكون العماره التي هي اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها
ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما يجري هلاليا وذلك مما لا يدخل عليه عارض
ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان شهور الاهلال
يشترك في معرفتها المبرز والمقصر ويستوي في العلم بها المقدم في العلم
والمتاخر اذ كان الناس الفوا لازمنه متعبداتهم اسنينا يحفظ لهم نظام مواسمهم
والاخر يجري خراجيا وينسب بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجري
ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعه ويحفظ احيانه دون السنه الهلاليه
ويحرس اوضاعه ولا يستقل بمعرفته الا من باشره وعلم موارده ومصادره وجب
ان يوفر على السنه الخراجيه النظر ويفعل فيها ما يعظم به الفايده ويحسن فيه
الاثر ويعتمد في اصلاح امرها وتقدم احكامها على ما يتحلى به التواريخ وتتزين السير
ويكون ذلك شاهدا بالمساعي السيد الاجل الافضل الذي لا يزال ساهر الليل في
حياطه الهاجعين شاهرا سيفه في حمايه الوادعين مطلعا للدوله بدور السعاده
وشموسها ماذللا بها صعب الحوادث وشموسها ناطقه تاره بان امه لهو
راعيها قد وصل الله سياستها واسعد سوسها وهذا حين النصر والارشاد
واوان التبيين للغرض والمراد ليتساوى العامه والخاصه في علمه وتشترك
القايله في معرفه حكمه ويتحقق المنفعه لهم فيما امنع من تداخل السنين واشتباكها
وتيقن المعدله عليهم فيما يومن من المضار التي يحتاج الى استدراكها معلوم ان
ايام السنه الخراجيه وهي السنه الشمسيه بخلاف السنه الهلاليه لان ايام السنه

الخراجية من استقبال النوروز والى آخر النسي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم
وايام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذي الحجة ثلثمائة واربعة وخمسون
يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة واحدة
على حكم التقدير وتقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق ان يكون اول الهلالية موافقا
لمدخل السنة الخراجية وكانت تسميتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقي ذلك
جاريا عليهما ولم يزل الامر متداخلين يكون مدخل الخراجية في اثنا شهور الهلالية الى
انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة
الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك يبطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت
سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما ائتلاف او يعدم لهما اختلاف
ام كيف يعتقد ذلك احد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
فقد وضح دليل الشاهد بما جاء منصوصا في الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه
موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة بالتسمية الى التي تليها لتكون
موافقة للهلالية بالتسمية وجارية معها وفائدة النقل ان لا تخلو السنة
من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها لان واجبات العسكرية على عظمها
واتساعها والارزاق المرتبة على اختلاف اجناسها واوضاعها جارية على
احكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك بحال من الاحوال والمحافظة على ثمر ارتفاعها
متعينة ومنفعة العناية بما يجري عليه واضحة بينة ولما اهلت سنة احدى
وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين واربعمائة الخراجية الموافقة
لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر
بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الحاضرة الهلالية لا يجبى خراج ما يوافقها
فيها ولا يدرك غلات السنة المجراة عليها الا في السنة التي تليها وفي هذا تسهيل
وتقصي وتسهيل لان الخراجي ارتفاع والاعمال يظنون بالزراعة ولا احتفال في ذلك
ولا انتفاع وهذه الحال فالمضرة بها على بيت المال جلية غير خفية والاذية فيها على الرجال
المقطعين بادية واسباب تحيفهم ايامهم مستمرة متمادية لا سيما من وقع له بالثبات
وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتاخرون الاستغلال ومتى لم تنقل

هذه

هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلاليتين وهي موافقة لغيرها وما
لها تجري على سنة تجري بينهما الا ان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة
احدى وخمسمائة وانقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهي متداخلة
بين هاتين السنتين وما لها تجري على سنة احدى وخمسمائة والحال في ذلك لا
تنتهي الى امد ولا تزال التمادي متزايدا طول الامد وقد راى امير المؤمنين وبالله
توفيقه ما خرج به امره الى السيد الاجل الافضل الذي نبه على هذا الامر وكشف
غامضه وازال الحيف بتوصله متنافيه ومتناقضه ان يوعز الى ديوان الانشاء بكتب
هذا السجل متضمنا ما رآه ودبره مودعا انفاذ ما احكمه وقرره من نقل سنة سبع
وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها وتجري عليها
مالها ويكون ما يستادونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على
نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهدا بنصيب موفى غير منقوص
ويتضح ما ارتهم استحالة العمية ونزول الاستكراه في اختلاف التسمية ويستمر
الوفاق بين السنتين الهلالية والخراجية الى سنة اربع وثلاثين وخمسمائة وينسب
الى مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجتبى من الاقطاعات ما كان جاريا على
ذكر سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة ويجري بالاضافة
اليها مجرى ما يرتفع من الهلالي فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما
يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما استحق من انتقالها وكذلك نقل سنة
سبع وتسعين واربعمائة الخراجية الناسية بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة
المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي
ساير اعمال الدولة قاصيها ودانيها وقريبها وناييها ولتتبعه كافة الكتاب
والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذه السنن واتباعه وليحذروا
الخروج عن احكامه المقررة واوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه
وليحذروا من تجاوزه وتعديه وليثبت في دواوين الاموال والجيوش المنصورة
وليخلد بعد ذلك في بيت المال المعمور وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة وقال
القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة من خطه نقلت سنة حل

المحرم سنة شهوره بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمها
لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وحلول سنة سبع من نوروز فنقلت سنة
خمس وستين وخمسمايه الخراجية الى هذه السنة وكان اخر نقل نقلت هذه السنة
في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين واربعمايه وسنة تسع وتسعين الخراجيتين
نقلتا الى سنة احدى وخمسمايه وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية
على عدد الهلالية احد عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في ايام الوزير
الافضل رضوان بن ولخشي واستحب في بل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض
الى ان صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يعدو
التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص مالا لديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة
الالباس وحل الاشكال وقال القاضي ابو الحسن ونسخة الكتاب الذي انشاه
القاضي الفاضل جرحة الا وامر العلية الناصرية زادها الله في علوها بايداع هذا المنشور
انا نوثر من حسن النظر ما يوثر احسن الخبر ولا نصرف شيا الفكر عما يحلي السير ويحلي
العبر ولا تزال خواطرنا تعتلي فتطلع الدراري وتغوص فتخرج الدرر وان اولى ما
استدرت به البصائر ووجدت فيه المصالح كل امر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق
عقولهم من عقول الاشكال ويشرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة
بينها وبين الهلالية لانفراجها سنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه
السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الحالية في هذه السنة الاتية واستخرنا
الله تعالى في نقل سنتي خمس وست وستين وخمسمايه الى سنة سبع وستين وخمسمايه
التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها
لسنن الاسلام عن اللبس ولتاريخه عن ملابسة التلبيس واعلاما بالوفاق الذي
استشعرته ابا وننا وسنوها واعلانا باتباعنا عوايد السلف التي جلوها للخلف
ويبقوها وفي ذلك ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب
ويزول به الاشكال ويومن به الاختلال وينحسم به الغلط في الحساب ويولف بين
السنين المختلفة الاسباب ويحفظ على الغير معاملته ويبعد عن التاريخ مغالطته
ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله محنته كونها مقدمة في التسمية

موخره في التسمية وعن معاملة بيت المال وصحبته كونها معدوقة بالمطل وقد بالغت
في التوفية لان من اعطى في سنة سبع وستين وخمسمايه استحقاق سنة خمس فلا ريب انه
قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية
الخراجية ويرفع الحسابات بهذا الوضع ويعدق المقررات والتسجيلات على هذا
فليعمل في ذلك بما يقضي بارتياح هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم في الدواوين
عمله ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته بحيث يثبت مثله ان شا الله تعالى

واما تاريخ العرب فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور
الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثني عشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمايها فكانت العرب
العاربة تسميها ناتق ونقيل وطليق واسخ وانخ وحلك وكسح وزاهر ونوط
وحرف وبغش فناتق هو المحرم ونقيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور
وكانت ثمود تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها
وديمر ودابر وحيفل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدون
بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب
تسميها باسما اخر وهي موتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا وعادل وناتق
وواغل وهواع وبرك ومحنى الموتمر انه يأتمر بكل شي مما ياتي به السنة من اقضيتها
وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة والصوان بكسر الصاد وضمها
فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم
من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بايد وبعد بايد الاصم ثم واغل وناطل
وعادل ورنة وبرك فالبايد من القتال اذ كان يبيد فيه كثير من الناس وجرى
المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون
بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون
فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه
وذلك لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان
الذي يتلوه هي شهور الحج وناطل هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب
وكثرة استعمالهم لذلك المكيال واما العادل فهو من العدل لانه من اشهر الحج

وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل واما الرنه فلان الاسلحه كانت ترن فيه لقرب النحر
واما برك فهو لبروك الابل اذا احضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم موتمر
وصفر ناجر وربيع الاول خوان وربيع الاخر بصان وجمادى الاولى حنين وجمادى الاخره
الرنه ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهليه وكانت تنتار
فيه وتمتار اهلها وكان يامن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار فلا يخافون
وشعبان عاذل ورمضان ناتق وشوال وعل وذو القعده هواع وذو الحجه برك
ويقال فيه ايضا ابرول وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب اشهرها المحرم وصفر
وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى الاول وجمادى الاخر ورجب وشعبان ورمضان
وشوال وذو القعده وذو الحجه واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها
فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو
وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كان يجمد فيهما الماء لشده البرد ورجب الوسط
وشعبان تتشعب فيه القبايل ورمضان من الرمضا لانه كان ياتي فيه القيظ وشوال
تشول فيه الابل اذنابها وذو القعده لقعودهم في دورهم وذو الحجه لانه شهر
الحج وانت اذا تاملت اشتقاق اسما شهور الجاهليه اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين
لك ان بين التسميتين زمانا طويلا لان صفر في احدهما هو صميم الحر وفي الاخر رمضان
ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب لا تستعمل هذه الشهور
على نحو ما استعمله اهل الاسلام اما بطريق الاهمال او لان العرب لم يكن لها دربه لمراعات
حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مدارك الشهور لرويه الاهله وجعلت
زمان الشهر حسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما اعني ثلاثين
يوما وربما كان ناقصا اعني تسعه وعشرين يوما وربما كانت اشهر متواليه تامه
اكثرها اربعه وهذا نادر وربما كانت اشهر متواليه ناقصه اكثرها ثلاثه وكان يقع
حج العرب في ازمنه السنه كلها وهو ابدا في عاشر ذي الحجه من عهد ابرهيم واسمعيل
عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبه اماكنها واقامت باهل مكه
بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى ان غيروا دين ابرهيم واسمعيل فاحبوا ان يتوسعوا
في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت ادراك سلعهم من الادم والجلود والثمار ونحوها

دان يثبت ذلك على حاله واحده في اطيب الازمنه واخصبها فتعلموا الكبس من الشهور من
اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شموئيل نبي بني اسرائيل وعملوا النسي قبل الهجره بنحو
مائتي سنه وكان الذي يلي النسي يقال له القلمس يعني الشريف وقد اختلف في اول
من انسا الشهور منهم فقيل القلمس هو عدي بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبه
ابن الحارث بن ملك بن كنانه وانه قال ارى شهور الاهله ثلثمايه واربعه وخمسين
يوما وارى شهور الشمس ثلثمايه وخمسه وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما
ففي كل ثلاث سنين ثلاثه وثلاثون يوما ففي كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت
ثلاث سنين قدم الحج في ذي القعده فاذا جاءت ثلاث سنين اخره في المحرم وكانت
العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والبسته الجلال واشعرتها فلا يعرض لها
احد الا اجتمع وكان النسي في بني كنانه ثم في بني ثعلبه بن ملك بن كنانه وكان الذي يلي
ذلك منهم ابو ثمامه المالكي ثم من بني فقيم وبنو فقيم هم النساه وهو ينسي الشهور
وكان يقوم على باب الكعبه فيقول انا الناسي العزيز فقد انسات صفر الاول وكان
يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم
واخر النساه جناده بن عوف بن اميه بن قلع بن عباد بن حذيفه بن عبد بن
فقيم وقيل القلمس هو حذيفه بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبه بن الحارث
ابن ملك بن كنانه ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان اخرهم الذي قام عليه
الاسلام ابو ثمامه جناده وكان العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فاحل
لهم من الشهور وحرم فاحلوا ما احل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد ان ينسي منها شيئا
احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطيوا العده الاربعه فاذا ارادوا
الهدي اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا احاب ولا اعاب في امري والامر لما قضيت اللهم
اني قد احللت دما المحلين من طي وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اي ظفرتم بهم اللهم
اني قد احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسات الاخر من العام المقبل وانما
احل دم طي وخثعم لانهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب
وقيل اول من انسا سرير بن ثعلبه وانقرض فنسا بعده ابن اخيه القلمس واسمه
عدي بن عامر بن ثعلبه بن الحارث بن كنانه ثم صار النسي في ولده وكان اخرهم ابو ثمامه

جنادة وقيل اخذ عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن
جد ابيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة
القلمس وهو اول من نسا الشهور على العرب فاحلت منها ما احل وحرمت ما
حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام
وكان ابعدهم ذكرا واطولهم امدا يقال انه نسا اربعين سنة ولهم يقول عمير بن قيس
جذل الطعان يفتخر

واي الناس لم تسبق بوتر ... واي الناس لم يعلك لجاما

السنا الناسئين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقال عباد بن ثعلبة بن ابي الكلب الصيداوي من بني اسد بن خزيمة

ابن عم اني من فقيم بن مالك ... لعمري لقد عرفت ما كنت اعلم

لهم ناسئ يمشون تحت لوائه ... يحل اذا شا الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر وكانت شهورهم
ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم فكان
النسي الاول المحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسما
الشهور وكان النسي الثاني لصفر فسمي الذي كانوا يتلونه بصفر ايضا وكذلك حتى
دار النسي في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فاعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون
ادوار النسي ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان
كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول
الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقية فضل ما بينها وبين سنة القمر
الذي الحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر
وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسي بلغت شعبان
فسمي محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسي الاول انسا المحرم وجعله النسي
واخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذلك بقية الشهور فوقع حجهم في تلك السنة
عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين
شهرا المضي على ذلك مائتان وعشر سنين فكان انقضاؤها في سنة حجة الوداع
وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي

حج فيها ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة
العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابرهيم واسمعيل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وانزل الله تعالى ابطال النسي
بقوله عز وجل انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم الاية فبطل
ما احدثته الجاهلية من النسي واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد
وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تؤرخ به ان كنانة
ارخت من موت كعب بن لوي حتى كان عام الفيل ارخوا به وهو عام مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لوي والفيل خمسماية وعشرون سنة وكان
بين الفيل وبين الفجار اربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة
فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين
ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ
من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس
فسالهم من اي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من يوم هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وترك ارض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدي
قال اخطا الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه
المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن
الخطاب رضي الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر اما تؤرخون تكتبون في
سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فاراد عمر والناس ان يكتبوا من مبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم ارادوا ان يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من
اي شهر فارادوا ان يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران
رفع الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صك محله شعبان فقال
اي شعبان هو اشعبان الذي نحن فيه او الاتي ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان

الاموال قد كثرت وما قسمناه منها غير موقت فكيف التوصل الى ما نضبط به ذلك
فقال له الحسبان نعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضي الله عنه
الهرمزان وساله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب
الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مورخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا
يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على ان يكون المبدا من سنة الهجرة وكانت
الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وايامها المحرم وصفر
وايام من ربيع الاول فلما عزموا على تاسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين
يوما وجعلوا التاريخ من اول المحرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم في المحرم الى
اخر يوم من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين واما اذا حسب
عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين
واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين
مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعين سنة تنقص شهرين وثمانية ايام
فابتدا تاريخ الهجرة يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة الاف
وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفت
من الخلاف في ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيلبس المجدوني الرومي تسعمائة
واحدى وستون سنة قمرية واربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية
تسعمائة واثنين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسع اشهر
وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة
وثلاثون يوما وقال ماشاالله ان انتقال الممر من المثلثة الهوائية التي هي برج
الجوزا وذواتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التي كانت دولة الاسلام
فيها عند تمام ستة الاف وثلثمائة وخمس واربعين سنة وثلاثة اشهر وعشرين
يوما من وقت القران الاول الواقع في بدو التحويل يعني خلق ادم عليه السلام وان
القران الاول من هذه المثلثة وقع في اربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو
قران الملة الاسلامية قال وفي السنة الثامنة من هذا القران ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين اول يوم من سنة

الهجرة

الهجرة ستون فارسية عددها احدى وخمسون سنة وثلاثة اشهر وثمانية ايام وست عشرة
ساعة وكان من وقت الطوفان الى اول قران الملة ثلاثة الاف وسبعمائة وثنتي
عشرة سنة وستة اشهر واربعة عشر يوما وزعمت اليهود ان من ادم عليه السلام
الى سنة الهجرة اربعة الاف واثنتان واربعون سنة وثلاثة اشهر وزعمت النصارى
ان بينهما خمسة الاف وسبعمائة وتسعون سنة وثلاثة اشهر وزعمت المجوس
اعني الفرس ان بينهما اربعة الاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة اشهر
وتسعة عشر يوما وقد عرفت ان شهور تاريخ الهجرة قمرية وايام كل سنة منه عدتها
ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية
على روية الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم
على عمل شهور السنة بالحساب على ما ستراه في ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما
احتاج منجموا الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير
ذلك سووا زيجاتهم على التاريخ العربي وجعلوا شهور السنة العربية شهرا
كاملا وشهرا ناقصا وابتداوا بالمحرم اقتدا بالصحابة رضي الله عنهم فجعلوا المحرم
ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيع الاول ثلاثين يوما وربيع الاخر
تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الاخرة تسعة وعشرين
يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين وشوال
تسعة وعشرين يوما وذي القعدة ثلاثين يوما وذي الحجة تسعة وعشرين يوما
وزادوا من اجل كسر اليوم الذي هو خمس وسدس يوما في ذي الحجة اذا صار هذا
الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذي الحجة في تلك السنة ثلاثين يوما
ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عدد ايامها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما
ويجتمع في كل ثلاثين سنة من الكبيس احد عشر يوما والله اعلم

واما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتدا
تملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز وارخت به الفرس من اجل ان يزدجرد
قام في المملكة بعدما تبدد ملك فارس واستولى عليه النسا والمتغلبون وهو
ايضا اخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلاثا وبينه وبين

تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثماية وثمانية وثلاثون يوما وايام سنة هذا التاريخ
تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل ماية وعشرين سنة شهرا واحدا
ولهم في كبس السنة ارا ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا اهل
العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور

الحفصيين ملوك تونس

اولهم ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وهنتاته من قبايل المصامدة وهو احد اصحاب
ابي عبد الله محمد بن تومرت ولي ابنه عبد الواحد بن ابي حفص افريقية عن بني عبد
المومن في سنة ثلاث وستماية ومات سلخ ذي الحجة سنة ثمان عشرة فولي ابو العلا
من بني عبد المومن ومات فعادت افريقية الى الحفصيين وولي منهم عبد الله بن
عبد الواحد بن ابي حفص سنة ثلاث وعشرين فاستناب اخاه ابا زكريا يحيى بقابس
واخاه ابا ابرهيم اسحق ببلاد الجريد فثار على عبد الله اهل قابس وقد قدموا وطردوه
وولوا اخاه ابا زكريا في سنة خمس وعشرين فتنكر لبني عبد المومن على ابي زكريا فاسقط
اسم عبد المومن من الخطبة وابقى اسم المهدي محمد بن تومرت وخلع طاعة بني عبد المومن
وملك افريقية وخطب لنفسه ولقب بالامير المرتضى وفتح تلمسان والغرب الاوسط
وبلاد الجريد والزاب ومات على بونة سنة سبع واربعين وترك اربعة اولاد
ابا عبد الله محمد وابا اسحق ابرهيم وابا حفص عمر وابا بكر وكنيته ابو يحيى وترك اخوين
ابا ابرهيم اسحق ومحمد اللحياني ابنا عبد الواحد بن ابي حفص فولي بعده ابنه ابو عبد الله
محمد بن ابي زكريا وخلع اخاه محمد اللحياني وكان صالحا منقطعا يتبرك به فجمع ابو
عبد الله محمد المخلوع اصحابه في يوم خلعه وقتل عمه واستقر في ملكه ولقب المستنصر
بالله امير المومنين ابي عبد الله محمد بن الامرا الراشدين ووصل الفرنسيس بجموعه
الى افريقية في سنة ثمان وستين فاهلكه الله وتفرقت جموعه وفر اخوه ابو اسحق
ابرهيم بن ابي زكريا الى تلمسان وبقي المستنصر حتى مات ليلة الحادي عشر من ذي
الحجة سنة خمس وسبعين فملك ابنه يحيى بن محمد بن ابي زكريا ولقب الواثق بالله وكان
ضعيف الراي فثار عليه عمه ابو اسحق ابرهيم بن ابي زكريا بتلمسان فخلع نفسه
واستقر ابو اسحق في شهر ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وخطب لنفسه بالامير المجاهد
وترك زي الحفصيين وبنى على زي زناته وعكف على اللهو وفرق المملكة على اولاده

فثار

فثار اولاده على الواثق المخلوع وذبحوه وذبحوا ولديه الفضل والطيب وبقي له ابن
يعرف بابي عصيدة ثم ظهر رجل ادعى انه الفضل بن الواثق الذي ذبح مع ابيه
واجتمع عليه الناس وقصدوا ابا اسحق ابرهيم ففر الى بجاية وبها ابنه ابو فارس
عبد العزيز فلقي اباه ببجاية وخرج باخوته وجمعه الى محاربة الداعي بتونس فانهزم
منه وقتل وقتل معه ثلاثة من اخوته وكان له اخ اسمه يحيى وعمه ابو حفص عمر
ابن ابي زكريا وبعث الداعي الى بجاية فقتل ابا اسحق ابرهيم وحمل راسه اليه
فاجتمع العرب على عمر بن ابي زكريا بعد هزيمته من المعركة وقصدوا الدعي
بتونس فاستتر في بيت تاجر وقبض عليه فاعترف بانه دعي وانه من بجاية
واسمه احمد بن مرزوق بن ابي عمارة فضربت عنقه وكان ابوه يتجر الى بلد السودان
وسافر مجاورا وقدم مصر وتردد الى الحدرت الكاملية من القاهرة ثم عاد الى المغرب
فلما مر بطرابلس وجد رجلا اسود يقال له نصر من خواص الواثق المخلوع وقد هرب
وكان الدعي يشبه بالفضل بن الواثق فدبر معه نصير الامر فشهد له انه الفضل
ابن الواثق وجمع العرب عليه حتى كان منه ما قد ذكر وكان الدعي يخطب له بالخليفة
المنصور بالله القايم بحق الله امير المومنين بن امير المومنين ابو العباس الفضل
ولما استقر ابو حفص عمر في المملكة قيل يلقب بالمستنصر بالله امير المومنين
وهو المستنصر الثاني وصار في ايامه ابن اخيه يحيى بن ابرهيم بن ابي زكريا الذي
سلم في المعركة وملك بجاية ويلقب بالمنتخب لاحيا دين الله امير المومنين ولم
يزل ابو حفص عمر بن ابي زكريا في مملكته حتى مات في اول المحرم سنة خمس وتسعين
بعدما بايع لابن له صغير ثم ابطل البيعة له وبايع ابا عصيدة وهو ابو عبد الله
محمد بن الواثق المخلوع ولقب بالمستنصر ومات في ايامه المنتخب يحيى صاحب
بجاية وملك بعده ابنه خالد ومات ابو عصيدة سنة تسع وسبعماية فملك
بعده ابو بكر بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن ابي زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص ثمانية
عشر يوما ووصل خالد بن المنتخب من بجاية الى تونس وقتل ابا بكر هذا وكان زكريا
اللحياني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى طرابلس
الغرب وبايعه العرب وتوجه بهم الى تونس فخلع خالد وحبس ثم قتل قصاصا بابي بكر

ابن عبد الرحمن واستقر اللحياني في المملكة وهو ابو يحيى زكريا بن احمد بن محمد اللحياني الزاهد
ابن عبد الواحد بن ابي حفص فثار عليه ابو بكر بن يحيى المنتخب فغرمته الى مصر واقام
بالاسكندرية وملك ابو بكر تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه لما فر
اللحياني الى مصر بايع ابنه محمد لنفسه وحارب ابا بكر فانهزم واستقر محمد بن اللحياني
بالمهدية وطرابلس معها وكان استيلاء ابي بكر وهروب اللحياني الى مصر في سنة
تسع عشرة ثم وردت مكاتبات اهل تونس على اللحياني في ذي القعدة سنة احدى
وعشرين بعزل ابي بكر وانهم بايعوا ابنه محمد بن ابي بكر صرح واستدعوه

الخبر عن اجناس السودان

اعلم ان السودان اهل الاقليم الثاني
وما وراءه الى اخر الاول بل والى اخر المعمور متصلون ما بين المغرب والمشرق يجاورون
بلاد البربر بالمغرب وافريقية وبلاد اليمن والحجاز والبصرة وما وراءها من بلاد الهند
بالمشرق وهم اصناف وشعوب وقبائل اشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة
فالحبشة من ولد حبش بن كوش بن حام والنوبة فالحبشة من ولد حبش بن كوش بن
حام والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام وقيل من ولد نوبا بن بيصر بن قوط بن حام
حام والزنج من ولد زنج بن كوش وسائر الاساود من ولد قوط بن حام وقبائلهم
تسع عشرة امة الزنج وهم على بحر الهند لهم مدينة منبسة وهم مجوس وقاموا مع
الدعي بالبصرة في خلافة المعتمد ويليهم بربرا وفشا الاسلام فيهم ولهم مدينة مقدشو
على البحر الهندي ومن غربيهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاة عراة وخرجوا الى بلاد
الحبشة والنوبة عند خروج الططر الى العراق بعد الستمائة فعاثوا فيها ثم رجعوا
ويليهم الحبشة وهم اعظم امم السودان ويجاورون اليمن على شاطئ البحر الغربي
ويدينون بالنصرانية وفي شمال الزنج والحبشة قبائل البجه ولهم نصارى ومسلمون
ولهم جزيرة سواكن ويليهم غربا النوبة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل واكثرهم
نصارى ويليهم زغاي ولهم مسلمون ومن شعوبهم تاجو ويليهم الكانم وهم خلق عظيم
والاسلام غالب عليهم ومدينتهم انجيمي واول من اسلم من ملوكهم محمد بن جيل بن عبد الله
ابن عثمن بن محمد بن امي ويزعم انه من نسل سيف بن ذي يزن وان بينه وبينه نحوا من
اربعين ملكا وهو يدوك رحالهم واذا جلس سجد له اهل دولته واسقطوا على وجوههم

وبلغ عسكره مائة الف ما بين فارس وراجل وحامل وبين انجيمي الى بلدهم خلق كثير كفار
يجاورون ملك انجيمي وهو ملك الكانم جنسه ملوك وخيلهم صغار والكانم اقليم كبير
يمر فيه النيل النازل الغانه وبين انجيمي واول ملك التاجو عدة مراحل وهناك
امم من السودان عراة منهم اهل اكلا وملكهم يدعى عادل ومنهم افنو واسم ملكهم
سنور وهو شديد الغيرة على حرمه ويليه ملك اخر يقال له سنو وبعدها
امة يقال لها كانكوما ثم كانكوا ثم انقرم ثم امة اكثر من هؤلاء يقال لهم بديي
وملكهم زابومي ويليه ملك كبير يقال له هودي وقبيلة يقال لهم انكزو وهم كثير
اهل بقر وغنم ويليه ثم قبيلة متاذي وماني واتهم وقبائل انفنا وناقلو ومكى
وهم عراة كلهم ويسحرون بعض ملبس وماني قبيل كبير وهناك قبيل اكبر منهم يقال
لهم كاليين في بلادهم شجر كبار وبرك من النيل وغزاهم ملك كانم من انجيمي في حدود
خمس وستمائة فقتل وسبى ومن ورائهم في الغرب قبائل كثيرة الى كوكو واذا
قبائلهم وذفو وفيها مساجد للمسلمين وسلطانها عادل وقبيلة انكلا بالغار
وهم اهل ابل ولباسهم الجلود وقبيل تو كاي اول بلاد التاجو اهل نخل وشربهم
من ماء النيل والتاجو جنس من زغاوة يعبدون الحجارة ويحاربون اهل وانكو
وبلدهم على عشرة مراحل شرقي انجيمي وعليها مر النيل الى مصر ومن انجيمي في الغرب
بلاد البربر الملثمين اربعون مرحلة على شاطئ النيل الى مدينة تادمكة ومنها
الى كوكو عشرة مراحل ومن كوكو الى غانة عشرون مرحلة ووراء ذلك البحر المحيط
ويعلو التاجو مدينة دنقلة قاعدة للنوبة وفي شمال الكانم بلد فزان واهلها
بربر وتنتهي الى زويلة في جنوب برقة والكانم اعظم ملوك السودان وفي غربيهم
كوكو وبعدهم بقارة والتكرور ولمي ونميم وجاي وانكرار ويتصلون بالبحر
المحيط الى غانة في الغرب وكانم كرسي وبرنو كرسي ويقال لها جميعا زغاي يتصل
بها جنوبا الحبشة وشرقا النوبة وشمالا بلاد برقة وغربا التكرور وكان
ملكهم في حدود سنة سبعمائة الحاج ابرهيم من ولد سيف بن ذي يزن وملك
كرسي كانم وكرسي برنو وملك بعده ابنه الحاج ادريس ثم اخوه داود بن ابرهيم
ابن عمر بن اخيه الحاج ادريس ثم اخوه عثمن بن ادريس وكان قبيل سنة ثمانمائة

واستقض عليهم اهل كانم وارتدوا وبقيت بربولة في مملكتهم وهم مسلمون مجاهدون
لاهل كانم ولهم اثنى عشر مملكة وكان ملك غانة اعظم الملوك ثم غلب عليهم الملثمون
فتلاشى ملكهم وغلب عليهم اهل صوصو ثم قوى اهل مالى وملوكهم وقد ذكرنا اخبار
مالى وملوكها كتاب درر العقود الفريدة في تراجم ملنشا وميتى تم الجزء الاول من كتاب
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار والحمد لله على ما اراد فرغ منه ٩ محرم ٨٣